



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمّـه لخضر الوادي



قسم: العلوم الإنسانية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم

من بداية العصور التاريخية إلى نهاية الاحتلال الروماني لبلاد
المغرب

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل م د

تخصص: تاريخ بلاد المغرب القديم

إشراف:

أ.د محمد رشدي جرايه

إعداد الطالب:

دعاس فارس

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	مؤسسة الانتماء	الصفة
السعيد شالقة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	رئيسا
محمد رشدي جرايه	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مشرفا ومقررا
التجاني مياطة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الوادي	ممتحنا
التيجاني العمودي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الوادي	ممتحنا
عمر كيحل	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الجلفة	ممتحنا
محمد كاكي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الجلفة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أمي وأبي وأسرتي وعشيرتي
إلى كلّ من علمني حرفاً
إلى أصدقائي وأحبتي
إلى كلّ من ضحّى من أجل هذا الوطن
لكم هذا العمل المتواضع

كلمة شكر و عرفان

أحمد الله تعالى الذي وفقني لإتمام هذا العمل، كما أتوجه بالشكر والامتنان للأستاذ المشرف البروفسور "محمد رشدي جراية" لرحابة صدره وسعة صبره ومساعدته المادية والمعنوية التي قدمها لي، وثقته الكبيرة التي منحني إياها، كما أشكر الأساتذة الكرام الذين أشرفوا على مناقشة هذه الأطروحة على كلّ ما بذلوه من أجل إثراء هذا العمل، كما لا يفوتني أن أشكر الدكتور خليفة عبد الرحمان الذي اقترح علي الموضوع وساعدني في بناء تصورات عنه، كما أشكر رفيق دربي الدكتور محمد العيد تلي الذي فتح لي قلبه وبيته في هذه المدينة الطيبة، والشكر موصول أيضا لهيئة التدريس في قسم التاريخ في جامعتي الوادي وسطيف 2 على الدعم المعنوي والتأطير البيداغوجي الذي حضيت به، كما أوجه امتناني لكل القائمين على المكاتب والمتاحف والمواقع الأثرية التي زرتها، ولكل شخص ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذه الأطروحة.

قائمة الاختصارات

A.E : L'Année Épigraphique.

AMG : Art et Matières Graphiques.

Ant Afr : Antiquités Africaines.

BAA : Bulletin d'Archéologie Algérienne.

BACT : Bulletin Archéologique du Comité des Travaux Historique.

BSGAO : Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie de la Province d'Oran.

BSPF : Bulletin de la Société Préhistorique de France.

CIL : Corpus Inscriptionum Latinarum.

CNRPAH : Centre National de Recherche Préhistorique Anthropologique et Historiques.

CRAI : Comptes Rendu de l'Académie des Inscriptions et belles lettre.

CRAPE : Centre de Recherches Anthropologiques Préhistoriques et Ethnographiques

E.B : Encyclopédie Berbère.

H A A N : Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord.

ILA : Inscriptions Latines de L'Algérie.

REPPAL : Revue d'Études de la civilisation Phénicienne –Punique et des Antiquités Libyques

Rev Afri : Revue Africaine.

مقدمة

مقدمة

رَكَّزَت أغلب الأعلام التي تناولت بلاد المغرب القديم على التاريخ السياسي والعسكري، في حين بقي التاريخ الاجتماعي مغيباً، نظراً لجملة الصعوبات التي تواجه الباحثين في هذا الميدان، ففضلاً عن نقص المصادر وعدم عنايتها بطبيعة المجتمع وأصنافه، تطرح طبيعة المجتمع في حد ذاته مشكلة أخرى، خاصة وأن التشكيلة البشرية التي عمّرت المنطقة في القديم كانت جدّ معقدة، أمام تتابع الهجرات البشرية وبروز جدلية العنصر المحلي والعنصر الوافد. ولأنّ فهم جزءٍ من التاريخ لا يتأتّى في ظل نقص جانب آخر منه، صار من الضرورة الغوص في أجزاء الصورة الناقصة التي تجاوزتها كتابات المؤرخين الكلاسيكيين ولم تستوفها كتابات المعاصرين.

يعتبر تاريخ بلاد المغرب القديم من أكثر الفترات التاريخية غموضاً، مقارنةً مع تاريخ الحضارات التي قامت على ضفتي البحر الأبيض المتوسط، ومما يزيده غموضاً هو ندرة المصادر الأدبية بشأنه وتضاربها من جهة، وتحامل المدرسة الأوربية التي انفردت بكتابة تاريخ المنطقة من جهة أخرى، في ظل تماطل الباحثين المغاربة في إعادة قراءة التاريخ بناءً على المعطيات المادية الأثرية التي يزخر بها هذا الفضاء الواسع.

حضي موضوع المرأة في المغرب القديم في الآونة الأخيرة بنوع من الاهتمام، حيث تطرقت إليه العديد من الدراسات الجادة¹، التي رصدت أدوار المرأة في الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية وحتى السياسية والعسكرية، بناءً عن المصادر المادية والأثرية المتاحة، ولقد ساهمت هذه الدراسات في كشف اللثام عن عنصر مهم وفعال في كيان هذا المجتمع القديم، وفتحت المجال من جهة أخرى في البحث عن مواضيع اجتماعية أخرى مزال تاريخها مغيباً ومبهماً ولا نعرف منه إلا القليل، ولعل أبرز هذه المواضيع هو: موضوع الطّفل والطفولة ومكانة هذه الفئة في مجتمع بلاد المغرب القديم.

بدأ اهتمامي بالتاريخ الاجتماعي لبلاد المغرب القديم منذ أن كنت طالبا في طور الماستر، حيث كانت مذكرتي موسومةً بـ: الأسرة الليبية القديمة قبل الاحتلال الروماني، وقد تطرقت

¹ L.L Sibai, La Femme en Afrique A l'époque Romaine, Institut National du Patrimoine, Tunis, 2011.

فيها بنوع من الاقتضاب إلى عنصر والطفل ومكانته في الأسرة والمجتمع، وشاءت الأقدار أن يكون هو نفسه موضوع مذكرتي لمرحلة الدكتوراه، وذلك بعد أن اقترحه الأستاذ خليفة عبد الرحمان أستاذ التاريخ القديم بجامعة سطيف، وباركه الأستاذ المشرف الدكتور محمد رشدي جراه.

توجد جملة من الأسباب والدواعي التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع، ولعل أهمها هو: ميلنا واهتمامنا بالنظم الاجتماعية والثقافية، كما يعتبر هذا الطرح جديدا نسبيا، وهو ما زادنا شغفا وإقبالا على البحث، فحسب علمنا، فإن هذه الأطروحة هي أول بحث يغطي هذا الموضوع بشكل شامل، ولسنا ننكر وجود مقالات وبحوث اهتمت بهذا المجال، بعضها يعالج باستفاضة موضوعات محددة عن الطفولة، في حين وجدت كتب كاملة تكلمت عن الموضوع بشكل شامل في الحضارات القديمة الأخرى، في صورة الكتاب الموسوم بـ: الطفل المصري القديم للباحثين روزاليند وجاك يانس²، والكتاب الموسوم بـ: الأطفال في روما الإمبراطورية للباحث كريستيان لايس "Christian Laes"³، والأمثلة كثيرة عن ذلك في باقي الحضارات الأخرى.

يعتبر عالم الطفل والطفولة من أكثر العوالم خصوصية، فهذه الأخيرة هي من أجمل مراحل حياة الإنسان في أي عصر، وأكثر التطورات التي تكون عند الفرد تكون في هذه المرحلة، فلا يمكننا بأي حال من الأحوال إهمال هذه الفئة وإنقاص حقها من الدراسة، فالطفولة هي ذلك الأمل الذي تبنى عليه المجتمعات، لأن طفل اليوم هو رجل الغد، فمثلا غرسته وهيأته جعلت منه فاعلاً ومغيراً في المستقبل، وهو الشيء الذي لم تهمله المجتمعات القديمة على وجه العموم، ومجتمع بلاد المغرب القديم على وجه الخصوص.

دفعتنا هذه الأسباب إلى محاولة الاقتراب من دراسة موضوع الطفل والطفولة في المغرب القديم، كجزئية من الحياة الاجتماعية بصفة عامة، لعلنا ننجح في الكشف عن بعض الجوانب من حياة الأطفال وسط التفاعلات الاجتماعية والدينية والثقافية التي كانت تميز المغرب القديم، بناءً عن المصادر المادية والأدبية المتاحة.

² روزاليند وجاك يانس، الطفل المصري القديم، ترجمة: أحمد زهير أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997.
³ Ch. Laes, Children in the Roman Empire, Cambridge University press, London, 2011.

تغطي الدراسة كامل بلاد المغرب القديم من الحدود الغربية لمصر شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن سواحل البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى جنوب الأطلس الصحراوي جنوباً، وقد اخترنا هذا الإطار الجغرافي الواسع رغبةً منا في الوصول لدراسة جغرافية شاملة تعالج الموضوع وتنتقل بين المواقع المتاحة التعرف عليها، بحدود المتوفر من مادة معرفية، في إطار متكامل ومتربط يؤكد الوحدة الجغرافية والحضارية لبلاد المغرب القديم.

يمتد الإطار الزمني من بداية العصور التاريخية إلى غاية نهاية الاحتلال الروماني للمنطقة، وهذه الفترة رغم أنها طويلة نسبياً إلا أنها غنية بالتغيرات السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية التي أثرت على المجتمع بصفة عامة وعلى فئة الأطفال بصفة خاصة، والحق يُقال: أن تحديد المرحلة لهذه الدراسة لا يعني أننا سنبقى ملتزمين بمعالمها الكرونولوجية، بل على العكس من ذلك، سنجد أنفسنا مضطرين للخروج إذا ما تطلب البحث عن توضيحات معينة، خاصة وأن الظاهرة الاجتماعية لا تتأثر كثيراً بعامل الزمان.

يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء عن مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم بناءً على النصوص الأدبية المتاحة والمصادر الأثرية التي يزخر بها هذا الفضاء الواسع، ومن أجل تحقيق هذا الهدف حريّ بنا أن نطرح العديد من الإشكاليات والتساؤلات ونحاول الإجابة عنها، ويمكن أن نلخصها في إشكالية رئيسة تبدأ منها الدراسة وتنتهي إليها وهي: ما هي مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم؟ وهل تكفي النصوص الأدبية والمصادر المادية المتاحة لتكوين صورة شاملة عن حياة الطفل وتفاعلاته وسط الأسرة والمجتمع ومختلف النظم الحضارية في المغرب القديم؟

تندرج العديد من الإشكاليات الفرعية تحت الإشكالية الرئيسية، والتي تسلط الضوء عن محاور جزئية في الموضوع، وهي كالاتي:

- إذا كانت البقايا العظمية والمعالم الجنائزية ولوحات الفن الصخري هي المصادر الوحيدة لمعرفة مختلف المظاهر الحياتية لتلك التجمعات السكانية في مرحلة ما قبل التاريخ، فما الذي يمكن أن نستنتجه من استقراء هذه المصادر؟ وهل تكفي هذه المعطيات لتكوين صورة متكاملة عن مكانة الطفل في مجتمعات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب؟

- أمام هذا التنوع الكبير بين المصادر الكتابية والمصادر الأثرية التي خست الحضارة البونية القديمة، هل يمكننا أن نكون صورة واضحة عن مكانة الطفل والطفولة في المجتمع البوني؟ وهل كان للطفل مكانة مرموقة في الأسرة والمجتمع البوني؟ وما هو واقع التربية والتعليم في هذا المجتمع؟ وما هي حقيقة ظاهرة التضحية بالأطفال التي ذكرتها النصوص الأدبية؟
 - إذا كانت النصوص الأدبية والمصادر الأثرية باختلاف أنواعها هي الوسيلة الوحيدة التي تمكننا من معرفة بعض الجوانب الحياتية للسكان القدماء لبلاد المغرب في الفترة الليبية القديمة، حريّ بنا أن نتساءل: هل نستطيع تكوين صورة واضحة عن الطفل والطفولة في مجتمع بلاد المغرب القديم بناءً على هذه المصادر؟ وما هي مكانة الطفولة في هذا المجتمع في ظل خصوصيته الاجتماعية والدينية والثقافية؟
 - أمام هذه المصادر المتنوعة التي تؤرخ للحياة الاجتماعية والثقافية لمجتمع إفريقيا الرومانية، وجب علينا أن نتساءل: ما هي مكانة الأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية؟ وهل تكفي هذه المصادر لتكوين صورة واضحة عن الوضعية الاجتماعية والثقافية والدينية والقانونية لهذه الفئة؟
 - ما هو واقع التربية والتعليم في مجتمع إفريقيا الرومانية؟ وما هو تأثيرهما على فئة الأطفال؟
 - كيف نوظف النقائش اللاتينية لمعرفة الوضع الديموغرافي لفئة الأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية؟
 - كيف كانت مكانة الأطفال في العالم الجنائزي في مجتمع إفريقيا الرومانية؟
- قرّرنا هيكل هذه الأطروحة بناءً عن الفترات والتطورات السياسية والاجتماعية التي مرت بها المنطقة، لذا فقد قسّمها هذا البحث إلى: مقدمة، بابين، وسبعة فصول، خاتمة. الباب الأول كان حول مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب قبل الاحتلال الروماني وضمّ في طياته ثلاثة فصول، والباب الثاني تمحور حول مكانتهم خلال فترة الاحتلال الروماني للمنطقة، وضمّ في طياته أربعة فصول.

جاء الفصل الأول تحت عنوان: "مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم في عصور ما قبل التاريخ"، وقد سلّط الضوء على فئة الأطفال ومكانتهم في المجتمع، من خلال مصدرين ماديين مهمّين وهما: البقايا العظمية للأطفال في المعالم الجنائزية، ورسومات وجداريات الفن الصّخري التي صوّرت هذه الفئة ضمن محيطها الأسري والقبلي، ولقد حاولنا استقراء هاذين المصدرين مستعينين في ذلك ببعض الدراسات المتخصصة في هذا المجال، وذلك لكشف بعض الجوانب من حياة الأطفال في عصور ما قبل التاريخ.

يأتي الفصل الثاني تحت عنوان: "مكانة الأطفال في المجتمع البوني"، والذي أعطينا فيه لمحةً عن تشكل هذا المجتمع الجديد، وناقشنا فيه العديد من النقاط التي تخص فئة الأطفال، مثل قضية النسب والمنظومة الاسمية، والواقع الاجتماعي والجنائزي للأطفال، وقد خصصنا الجزء الأكبر من هذا الفصل لمناقشة ظاهرة التضحية بالأطفال، نظراً للجدل الكثير الذي أثير في هذه القضية من قبل العديد من الباحثين والمؤرخين.

أما الفصل الثالث فهو آخر فصل في الباب الأول، وكان تحت عنوان: "مكانة الأطفال في المجتمع الليبي القديم"، ورغم أنّ هذه الفترة مازال يكتنفها الغموض، وذلك لقلة المصادر والمراجع بشأنها، إلّا أننا حاولنا إعطاء حقّها في الدراسة، خاصة وأن هذه الأخيرة برزت فيها الخصوصية الليبية المحلية، وفي نفس الوقت حاول المؤرخون الإغريق واللاتينيون القدماء تشويه هذا المجتمع وأبعدوا عنه كل صفات الحضارة، لذا فقد أثّرنا العديد من النقاط التي تعيد الاعتبار للمجتمع المحلي، في صورة قضية الإباحية وعلاقتها بنسب الأطفال، والعديد من المحاور الأخرى، مثل موضوع المنظومة الاسمية وواقع التربية والتعليم وتأثيره على فئة الأطفال في المجتمع الليبي القديم.

عالجنا في الفصل الرابع العديد من القضايا التي تخص فئة الأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية، وهو الفصل الموسوم بـ: "الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية"، والتي تدرج فيه العديد من المباحث التي سلّطت الضوء على فئة الأطفال ووضعيتهم ضمن النّظم الاجتماعية والقانونية من جهة، وكيف كانت تنظر لهم الأفكار الدينية والمعتقدات من جهة أخرى، كما عالجنا موضوع جدّ مهم في نهاية الفصل وهو: الجانب

المظلم من حياة الأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية وتأثيراته على هذه الفئة الحساسة في المجتمع.

خصّصنا الفصل الخامس للتركيز على موضوع: "التربية والتعليم في مجتمع إفريقيا الرومانية"، وقد قسمناه إلى مبحثين كبيرين، المبحث الأول اهتم بموضوع التربية ومكانة الأطفال في الأسرة، وعلاقتهم مع الأم والأب، كما أظهرنا بعض الجوانب المادية الخاصة بالأطفال مثل: اللباس وتسريحات الشعر ومظاهر اللعب والترفيه، أما المبحث الثاني فقد ركز على التعليم وعلى العديد من المواضيع والجزئيات المتعلقة به، مثل: سن الالتحاق بالمدرسة، وتفاصيل اليوم الدراسي، وأماكن التعلم، وموضوع البداوغ ودوره التعليمي والتربوي، وواقع تعليم الإناث في المدرسة الابتدائية.

عنونا الفصل السادس بـ: "الوضع الديموغرافي للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية"، وهو الفصل الذي اعتمدنا فيه على النقائش اللاتينية بشكل كلي، من أجل كشف العديد من المعطيات الديموغرافية التي تخص فئة الأطفال، مثل معدل المواليد، ومعدل الخصوبة، ونسبة الجنس، ومعدل الوفيات وأسبابها.

أما الفصل السابع فهو آخر فصل في الباب الثاني والأطروحة بصفة عامة، وهو الفصل الموسوم بـ: "مقابر الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية"، ولقد ركزنا فيه على كل شيء يتعلق بمظاهر الدفن الخاصة بالأطفال والطقوس الجنائزية المصاحبة له، لذا فقد تتبعنا مقابر الأطفال في مختلف المقابر الموجودة في شمال إفريقيا، وحاولنا معرفة ترتيبات الدفن ومراحله، بما في ذلك تجهيز الجثة، واختيار حاوية الدفن، وتحضير حفرة الدفن وكيفية إغلاقها، كما تطرقنا إلى موضوع الأثاث الجنائزي، أنواعه وتموضعه ورمزيته، وفي آخر الفصل ناقشنا موضوع: الطّفّل والموت في الفكر الديني في بلاد المغرب القديم.

رأينا من المفيد لهذه الأطروحة أن نورد بين صفحاتها العديد من الصّور والأشكال التي تعبر عن قيمة المصدر المادي والأثري الذي اعتمدنا عليه، مثل الأشكال التي صورت الأطفال في جداريات الفن الصّخري، وكذا صور العديد من التماثيل والأنصاب والفسيفساء واللّقى الأثرية التي اعتمدناها كأدلة للعديد من المعلومات التي تخص جوانب من حياة الأطفال، كما

زودنا هذا البحث بالعديد من الجداول والمنحنيات المستقاة من دراسات تاريخية وإحصائية معمقة، حتى يتسنى لنا الخروج بتصورات دقيقة تكشف لنا اللبس والغموض عن حياة الأطفال في تلك الفترة.

اعتمدنا في تحرير هذه الأطروحة على أكثر من منهج، لاختلاف المصادر التي تعاملنا معها من جهة، ولاختلاف طبيعة المواضيع التي درسناها من جهة أخرى، حيث اعتمدنا على المنهج الوصفي في أغلب ردهات البحث بغرض عرض الحقائق التاريخية من مصادرها المختلفة، كما استعنا بالمنهج التحليلي النقدي في بعض جزئيات البحث من أجل معالجة الحقائق والآراء وتفسيرها ونقدها نقدا موضوعيا، خاصة في الفصل الثاني في موضوع الأطفال بين الشرعية والإباحية، وفي الفصل الثالث عندما ناقشنا ظاهرة التضحية بالأطفال في المجتمع البوني، كما استعنا بالمنهج الإحصائي في الفصل السادس من أجل معرفة الوضعية الديموغرافية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية.

تعتبر المادة التاريخية المتعلقة بموضوع الأطفال قليلة نسبيا، ومتناثرة بين مختلف المصادر والمراجع، إلا أننا حاولنا جمع الحد الأدنى منها لتحرير هذه الأطروحة، وفي مقدمة هذه المصادر نذكر النصوص الأدبية الإغريقية واللاتينية، هذه الأخيرة احتوت على العديد من الإشارات التي تخص فئة الأطفال ومكانتهم الاجتماعية سواء في الفترة البونية أو في الفترة الليبية أو خلال الفترة الرومانية، ولعل أهم النصوص التي اعتمدنا عليها في الباب الأول هي: مصنف التواريخ لـ: هيرودوتوس "Herodutus"⁴، خاصة في جزئه الرابع، ومصنف التاريخ الطبيعي لـ: بلينيوس الأكبر "Plinius Secundus"⁵، والعديد من النصوص الأخرى.

استعنا بالعديد من النصوص في الباب الثاني من البحث (الفترة الرومانية)، ومن أهمها نذكر: كتب وروايات الأديب أبوليوس المادورشي "Apuleius"، وكتابات رجال الدين أمثال: ترتيليانوس "Tertullianus"، وكتاب الاعترافات للقديس أوغسطينوس "Augustinus"⁶، وغيرها من النصوص الأخرى.

⁴ Hérodote, Histories d'Hérodote, IV, trad : Parlarcher charpentier, éd librairie éditeur, Paris, 1850.

⁵ Pline L'Ancien, Histoire Naturelle, trad : J. Desakgbs, éd les belles Lettres, Paris, 1980.

⁶ S. Augustin, Les Confessios, VI, 7, trad : M. Péronne, éd : Louis Vivés, Paris, 1870.

كما اعتمدنا على العديد من المراجع التي تتمثل أساسا في جملة الكتب والمقالات للمؤرخين الأجانب، الذين ركزوا كل دراستهم على بلاد المغرب القديم، نذكر على سبيل الحصر: المؤرخان الموسوعيان: ستيفان غزال "S. Gsell" وغابريال كامبس "G. Camps"، الباحثان المختصان في عصور ما قبل التاريخ: هنري لوت "H. Lote" وليونيل بالو "L. Balout"، الباحثان شارل بيكارد "C. Picard" وسارج لانسل "S. Lancel" المتخصصان في الفترة البونية، الباحث جون ماري لاسير "J.M Lassère" الذي عكف على دراسة مجتمع إفريقيا الرومانية، وتبقى الباحثة الفرنسية سولين دو لارمينا "S. De Larminat" هي الوحيدة لحد الآن التي كانت أغلب أبحاثها عن مقابر الأطفال في بلاد المغرب خلال الفترة الرومانية.

استعنا بكتب ومقالات الباحثين المغاربة، الذين كانت لهم دراسات جادة ساهمت في التعريف بتاريخ بلاد المغرب القديم، في صورة المؤرخ التونسي محمد حسين فنطر، والباحثون الجزائريون: محمد الصغير غانم رحمه الله، محمد البشير شنييتي، خديجة منصوري، الباحثة بنت النبيء مقدم، والقائمة طويلة.

اعتمدنا على العديد من السجلات والمدونات التي تضمّ النقائش بمختلف أنواعها في بلاد المغرب، بداية بمدونة النقائش البونية "IP"، ومدونة النقوش الليبية "RIL"⁷، وسجل النقائش اللاتينية "CIL"⁸، وسجل النقوش اللاتينية في الجزائر "ILA"⁹، والدورية السنوية للنقوش "AE"¹⁰، وتحمل هذه السجلات العديد من المعطيات الاجتماعية التي تخص فئة الأطفال، والتي حاولنا استثمارها في العديد من المواضيع، مثل قضية النسب والمنظومة الاسمية، والوضعية الديموغرافية للأطفال.

كان لنا بعض الزيارات الميدانية لمختلف المتاحف والمواقع الأثرية في أرض الوطن، مثل زيارتنا لمتحف سطيف، والمدينة الرومانية كويكول ومتحفها، ومدينة تيمغاد الأثرية ومتحفها، والمواقع الأثرية في كل من تيبازة وشرشال، كل هذه الزيارات جعلتنا نقرب من المصادر الأثرية ونتفاعل معها، مثل: لوحات الفسيفساء، النصب الجنائزية، التوابيت الحجرية،

⁷ J.B Chabot, Recueil inscriptions Libyque, 1940, paris, 2013.

⁸ G. Wilmanns, Corpus Inscriptionum Latinarum (C. I. L), VIII, Berlin, 1881.

⁹ S. Gsell, Inscriptions Latines de L'Algérie, tome 1, Librairie Ancienne Honoré Champion, Paris, 1922.

¹⁰ L'Année Épigraphique (A.E).

اللقى الأثرية. وفي نفس الوقت اعتمدنا على المواقع الإلكترونية لهذه المتاحف من أجل أخذ صور واضحة عن هذه المصادر، لأننا منعنا من التصوير أثناء الزيارات الميدانية.

لم تزل رحلتنا في هذا البحث من الصعوبات والعراقيل، ولعل الهاجز الأكبر الذي واجهنا هو ندرة الدراسات المتخصصة في هذا الميدان من جهة، وصعوبة استقراء المصادر المادية وتوظيفها من جهة أخرى، مما جعلنا ننحصر في سجن الوثيقة التاريخية، فبدلاً من أن نكيفها لبناء الوعي التاريخي صارت هي التي تكيفنا وترسم مسارنا في هذا البناء، كما كان لنا صعوبات أخرى لم تكن في الحسبان، وهي جائحة كورونا التي شلّت الحركة في كلّ العالم، وأثرت على مسارنا في البحث بسبب غلق المكاتب والمتاحف والمواقع الأثرية، فلم نستطع الحصول على العديد من المراجع التي كان يمكن أن تفيدنا أكثر في هذا الموضوع.

الباب الأول: مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب قبل الاحتلال الروماني

الفصل الأول: مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

الفصل الثاني: مكانة الأطفال في المجتمع البوني

الفصل الثالث: مكانة الأطفال في المجتمع الليبي القديم

الفصل الأول

الفصل الأول: مكانة الطّفل في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

1- لمحة تاريخية عن مجتمع بلاد المغرب في عصور ما قبل التاريخ

2- مكانة الأطفال من خلال البقايا الانسانية في المعالم الجنائزية:

1-2 المعطيات الأنثروبولوجية

2-2 القلع الطقوسي للأسنان

3-2 أمراض أسنان الأطفال

4-2 نسبة وفيات الأطفال

3- مكانة الأطفال من خلال الفن الصّخري

1-3 الانسان وفكر الخصوبة

2-3 المرأة والطّفل:

1-2-3 الممارسات الجنسية

2-2-3 الحمل

3-2-3 الولادة

4-2-3 التربية والتنشئة الاجتماعية

3-3 ملاحظات عامة على واقعية صورة الطّفل في الرسوم الصّخرية

الفصل الأول: مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

إنّ دراسة موضوع الأسرة والمجتمع في عصور ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم لا يقل أهمية عن دراستها في الفترات التاريخية، لأن هذه العصور تمثل اللبنة الأولى لظهور وتطور المجتمعات البدائية، وبذلك لا يمكن أن ندرس مكانة الطفل في مجتمع بلاد المغرب القديم في العصور التاريخية دون التطرق إلى مكانته في مجتمعات عصور ما قبل التاريخ.

1- لمحة عن مجتمع بلاد المغرب في عصور ما قبل التاريخ

يتفق أغلب المختصين في دراسة عصور ما قبل التاريخ على أن بداية نشأة الحياة في شمال إفريقيا تعود إلى نهاية الزمن الجيولوجي الرابع¹، إذ عثر على مخلفات الإنسان في شمال إفريقيا العائد إلى العصر الحجري القديم الأسفل في العديد من الكهوف والمواقع²، ويبقى موقع عين الحنش هو أهم هذه المواقع وأشهرها، حيث يشير الباحث الفرنسي أرامبورغ "C.Arambourg" إلى هذا الموقع على أنّه أول مركز تجمع بشري تواصل فيه السكّن خلال العصر الحجري القديم³.

بدأ الإنسان في شمال إفريقيا يستفيد من تجربته الطويلة في محاولة التكيف مع محيطه الطبيعي، فانعكس ذلك على حياته المادية والاجتماعية، وبالتالي أصبحت كل مرحلة زمنية من حياته تتميز عن باقي المراحل بتقنيات وأدوات مختلفة وظواهر اجتماعية خاصة، ففي العصر الحجري القديم الأوسط برزت للسطح بقايا إنسان النياندرتال صانع الحضارة العاترية⁴ في الشرق الجزائري متمثلة في بعض الصناعات الحجرية، مثل المكاشط والنّصال

¹ ليونال بالو، الجزائر في ما قبل التاريخ، ترجمة: محمد الصغير غانم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2005، ص 5.
² من بين الكهوف التي وجدت فيها بقايا الإنسان العائد إلى العصر الحجري القديم الأسفل في شمال إفريقيا نذكر: كهوف التروجلوديت والبوليغون في مدينة وهران وكهف الأروية والدبة في مدينة قسنطينة، أما أهم المواقع فهي: موقع عين الحنش بسطيف وموقع تغنيف بمعسكر وموقع سيدي عبد الرحمان بالمغرب. أنظر: محمد الصغير غانم، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، ط 1، دار الهدى، الجزائر، 2003، ص 16-17.

³ M. Sahnouni et J. Heinzelin, The site of Ain Hanech Revisited New investigations at this lower paleistocene site in northern Algeria, journal of archaeological science, 25, academice press, 1998, p 1083.

⁴ الحضارة العاترية: ظهرت في بلاد المغرب القديم في العصر الحجري القديم الأوسط، أخذت تسميتها من موقع بئر العاتر في تبسة، تتميز بمجموعة من الصناعات الحجرية خاصة صناعة النواة. أنظر: محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 59-60.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

الحجرية ورؤوس السهام المتطورة، كما بدأ يظهر الجانب الروحي للإنسان متمثلاً في بعض الممارسات الدينية، مثل الطقوس الجنائزية الخاصة بدفن الميت¹.

يعتبر العصر الحجري القديم الأعلى من أهم المراحل الحضارية للإنسان البدائي في شمال إفريقيا، حيث ظهرت فيه الحضارة القفصية والحضارة الإيبرومغربية²، وقد توزعت بقايا هاتين الحضارتين في السواحل والمناطق الداخلية ابتداءً من المحيط الأطلسي غرباً إلى غاية خليج السرت شرقاً، ويشير أغلب الباحثين الأثريين إلى أنّ الليبيين القدماء هم من نسل الإنسان القفصي³ وإنسان مشتي العربي⁴ صانعا الحضارتين السابقتين على التوالي⁵.

أشار الباحثون إلى أنّ بداية ظهور الفن الصخري في بلاد المغرب كانت أثناء العصر الحجري القديم الأعلى، وكان له استمرارية خلال العصر الحجري الحديث وحتى في بداية الفترات التاريخية، حيث بدأ الإنسان يرسم على جدران الكهوف التي يسكنها، وعلى الواجهات الصخرية، وكانت كل رسومه تحاكي الطبيعة وتصور جوانباً من حياته اليومية بكل تفاصيلها المادية والروحية. وقد توزعت هذه الرسوم في مناطق شتى من بلاد المغرب القديم أهمها: هضاب الهقار والطاسيلي، الأطلس الوهراني، جبال أولاد نايل بالوسط، جنوب المغرب، إقليم فزان بليبيا... إلخ⁶.

استفاد الإنسان في شمال إفريقيا من تجربته في العصور الحجرية القديمة، واستطاع دخول عصر جديد يسمى بالعصر الحجري الحديث (النئوليتي)، حيث عرف حياة الاستقرار وممارسة الزراعة واستئناس الحيوان وصناعة الفخار، كما برزت في هذا العصر القرى الأولى بنظمها الاجتماعية والاقتصادية، هذه الأخيرة تعد اللبنة الأولى للتجمعات السكانية في

¹ A. Leroi, Gourhan, Dictionnaire de la préhistoire, P U F, Paris, 1997, p 835.

² الحضارة الإيبرومغربية: نسبة إلى شبه الجزيرة الموريزية وتسمى أيضاً الحضارة الوهرانية، وهي حضارة ساحلية ظهرت في العصر الحجري القديم الأعلى في شمال إفريقيا تعرف بحضارة النصال الصغيرة. أنظر: محمد سحنوني، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 116.

³ الإنسان القفصي: صانع الحضارة القفصية (نسبة إلى مدينة قفصة بتونس)، يؤرخ حوالي الألفية الثامنة إلى الألفية الخامسة قبل الميلاد، عرف بالرماديّات وأكل الحلزون. أنظر: ليونال بالو، المرجع السابق، ص 91-92.

⁴ إنسان مشتي العربي: نسبة إلى موقع مشتي العربي في شلغوم العيد بالشرق الجزائري، وهو صانع الحضارة الوهرانية، تميزت صناعته الحجرية بكثرة الشفرات الحادة المهذبة والإبر العظمية البسيطة. أنظر: المرجع نفسه، ص 115-118.

⁵ غابريال كامب، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة: عبد الرحيم حزل، إفريقيا للشرق، المغرب، 2014، ص 81-82.

⁶ ج. كي. زيربو، الفن الإفريقي في ما قبل التاريخ، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الأول، جين أفريك اليونسكو، 1980، ص 666.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

بلاد المغرب القديم¹. قسّم الباحثون جغرافية بلاد المغرب خلال العصر الحجري الحديث إلى ثلاثة مناطق رئيسية هي: النيو ليتي المتوسطي الذي يغطي سواحل شمال إفريقيا، والنيو ليتي القفصي الذي يغطي المناطق الداخلية، والنيو ليتي الصحراوي الذي يشمل كل صحراء شمال إفريقيا².

تعتبر فترة فجر التاريخ³ مرحلةً انتقاليةً بين عصور ما قبل التاريخ والفترات التاريخية، حيث ميّزها تطورٌ في عدة مجالات خاصة في الجانب العقائدي⁴. يبرز ذلك في مختلف الممارسات التي قام بها الإنسان في هذه الفترة من بناء للقبور على مختلف أشكالها وأنواعها، وممارسة العديد من الطقوس التي ترافق عميلة الدفن، ويوجد في بلاد المغرب عددٌ كبيرٌ من هذه المقابر المغاليتية⁵ التي تنتشر بشكل متباين، حيث تكثر في الشرق وتتناقص كلما اتجهنا ناحية الغرب والجنوب، ويرى الأستاذ محمد الخير أورفلي أن شمال إفريقيا دخلت في فترة فجر التاريخ منذ النصف الثاني من الألفية الثانية قبل الميلاد⁶.

إن المصادر الوحيدة التي يمكن من خلالها تكوين صورة استقرائية ولو بسيطة عن مكانة الطفل في مجتمعات عصور ما قبل التاريخ في بلاد المغرب هي المصادر المادية، وهذه الأخيرة تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما: البقايا العظمية للأطفال التي عثر عليها في مختلف المعالم الجنائزية، ومختلف النقائش ولوحات الفن الصخري المنتشرة في عديد المناطق من شمال إفريقيا.

¹ G. Camps, Néolithique méditerranéen techniques et genres de vie, édisud, France, 1998, p 10-11.

² G. Camps, Les civilisation préhistoriques de L'Afrique du Nord et du Sahara, éd Doin, Paris, 1994, p219.

³ فترة فجر التاريخ: هي من بين المراحل الصعبة التي اختلف الباحثون في تحديد حدودها الكرونولوجية، وقد ترتب عن ذلك جدال كبير وتضاربت في الآراء حول مفهوم هذه الفترة وتحديد بدايتها ونهايتها. أنظر: عزيز طارق ساحد، الدلالات الرمزية للدفن في المجتمع الجزائري خلال فترة فجر التاريخ، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، عدد 6، جامعة الوادي، أفريل 2014، ص 61.

⁴ L. Baleut, préhistoire de L'Afrique du Nord Essai de chronologie, A M G, Paris, 1992, p 450.

⁵ المغاليتية (mégalithe): هو مصطلح إغريقي يتكون من شقين: ليتوس (lithos) وتعني الحجر ومغاس (mégas) وتعني الكبير ومعناها الحجر الكبير، وهي الحجارة الكبيرة غير المشدّبة التي استعملها الإنسان القديم في بناء قبوره في فترة فجر التاريخ. أنظر: محمد الصغير غانم، المعالم الحضارية في الشرق الجزائري فترة فجر التاريخ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006، ص 26.

⁶ المرجع نفسه، ص 25.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

تزرخ بلاد المغرب على عدد كبير من المعالم الجنائزية بمختلف أنواعها، والتي ضمت العديد من البقايا العظمية للأطفال، وهي موزعة عبر كل مناطق هذا الإقليم الواسع، وهي موزعة أيضا كرونولوجيا على كل فترات عصور ما قبل التاريخ بداية من العصر الحجري القديم وإلى غاية فترة فجر التاريخ¹، وهذه المعالم هي من بين المصادر التي لا نستطيع الاستغناء عنها للتأريخ لمكانة الأطفال في عصور ما قبل التاريخ، حيث سنحاول تتبع المقابر الخاصة بالأطفال والطقوس المرفقة لدفن الأطفال وسنحاول تحليل هذه المعطيات لتكوين صورة بسيطة عن مكانة هذه الفئة في المجتمع القديم.

تعتبر بلاد المغرب من بين أهم مناطق العالم من حيث تركز الرسومات والنقائش الصخرية، وقد حاول بعض العلماء والباحثين تصنيفها وتقسيمها كرونولوجيا معتمدين في ذلك على عدة معايير: حيوانية، إنسانية، أسلوبية، مناخية². ولقد عبرت مختلف لوحات الفن الصخري المنتشرة في شمال إفريقيا على كل معتقدات وأفكار الإنسان الذي سكن المنطقة، وخصت بالتعبير عنصر الطفل ومكانته الاجتماعية والاقتصادية والدينية.

ولذلك حري بنا أن نتساءل: إذا كانت البقايا العظمية والمعالم الجنائزية ولوحات الفن الصخري هي الوسيلة الوحيدة لمعرفة مختلف المظاهر الحياتية لتلك التجمعات السكانية في مرحلة ما قبل التاريخ، فما الذي يمكن أن استنتجناه من استقراء هذه المصادر المادية؟ وهل تكفي هذه المعطيات لتكوين صورة متكاملة عن مكانة الطفل في مجتمعات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب؟

2- مكانة الأطفال من خلال البقايا الانسانية في المعالم الجنائزية:

2-1 المعطيات الأنثروبولوجية

تتوزع البقايا الإنسانية للأطفال عبر مختلف المدافن والمقابر التي تعود إلى فترات مختلفة من عصور ما قبل التاريخ. ورغم أننا لم نستطع دراسة جميع هذه المواقع إلا أننا حاولنا التركيز على أهمها وأشهرها، فالبقايا العظمية للأطفال في هذه الدراسة تعود إلى خمسة عشر

¹ عزيز طارق ساحد، المرجع السابق، ص 60.

² لخضر بن بوزيد، الطاسيلي أزجر في ما قبل التاريخ المعتقدات والفن الصخري، الجزائر، ص 99.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

موقعا أثريا من ثلاث دول هي: الجزائر تونس وليبيا، وتنتمي إلى أوجه ثقافية مختلفة: إيبرومغربي، قفصي، نيوليتي وفجر التاريخ. ومن جملة هذه المواقع تم إحصاء بقايا إنسانية لـ 102 طفل يعود أغلبها إلى نوع إنسان مشتي العربي، والبعض الآخر إلى النوع المتوسطي، والبعض الآخر يعود إلى النوع السوداني (الزنجي)، والبعض الآخر عبارة عن بقايا مكسرة يصعب تصنيفها.

عُثر على عظم صدغ لطفل في إحدى المغارات بوهران وسط الأدوات الإيبرومغربية، وكان هذا الأخير مثقوبا بواسطة شفرة حادة، كانت قد نفذت في العظم وانكسرت في القشرة وتقدمت بعد ذلك إلى المخ وتجاوزت منطقة الصدغ بـ 0.5 سم، وقد أكد المختصون أن الطفل لم يقتل على الفور، لأنهم لاحظوا إعادة التئام خفيف للعظم حول الكسر الذي أصابه¹.

وجدت العديد من البقايا العظمية الخاصة بالأطفال في موقع "كلومنتة"²، وهي في حالة حفظ جد متدهورة، تعود لـ 62 طفلا من بينهم 19 طفلا حديث الولادة والباقي سنهم بين 1 و12 سنة، وتنتمي هذه البقايا العظمية لإنسان مشتي العربي، إذ عثر عليها في المستوى الإيبرومغربي، وهي عبارة عن مقابر فردية، كانت وضعيات الدفن فيها مختلفة: وضعية الاستلقاء، الوضعية الجانبية، على الظهر، الرجلين منطويتين³.

يعد موقع أفالوبورمال⁴ من أقدم المواقع المعروفة في شمال إفريقيا، نظرا لكثرة البقايا الإنسانية التي وجدت فيه، حيث كشفت حفريات أرمبورغ عن مدفن جماعي فيه بقايا لـ 50 فردا من بينهم 10 أطفال. والموقع عبارة عن مغارة تقع على عمق 25.3 مترا، ووجدت عظام هؤلاء الأفراد مختلطة وفوق بعضها البعض، مما رجح فرضية الإبادة الجماعية لهذه

¹ ليونال بالو، المرجع السابق، ص 120.

² موقع كلومنتة: عبارة عن ترسيب أثري ذات طبيعة طينية رملية يقع على بعد 1500م جنوب شرق بلدية سيدي حسن ولاية تيارت. أنظر: أوزاني فريدة، البقايا الإنسانية للعصر الحجري القديم الأعلى والعصر الحجري الحديث في بلاد المغرب جرد ووصف أولي للعينات الموجودة بمركز البحث CNRPAH والمتحف الوطني العمومي البارودو (الجزائر العاصمة)، مجلة آثار، مجلد 15، عدد 1، معهد الآثار، 2016، ص 31.

³ M.C Chamla, les hommes Épipaléolithiques de columntta (Algérie occidentale), C R A P E, XV, 1970, p 19.

⁴ أفالوبورمال: ملجأ صخري يقع على نصف ارتفاع جرف يقع ببلدية مالبو بولاية بجاية أكتشف سنة 1920، وأقيمت فيه العديد من الحفريات من قبل أرمبورغ والباحث براهمي والباحث حاشي سليمان. أنظر خلفه عبد الرحمان، الإصابات والعنف خلال الثقافة الإيبرومغربية بالجزائر حالات من موقع أفالوبورمال وغمبيطة، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مجلد 6، عدد 13، الجزائر، مارس 2018، ص 50.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

المجموعة أو تعرضها لوباء أو طاعون كتفسير لهذه الوضعية الخاصة من الدفن¹. كما عثر في المستوى الثالث في الموقع نفسه على جمجمة طفل عمره حوالي خمس سنوات².

أسفرت الحفريات التي قام بها الباحث فرجيل "M. Verguel" في موقع "مجاز 2" في مدينة العلمة³ "Medjez II" على اكتشاف العديد من البقايا الإنسانية، من بينها 7 أطفال حديثو الولادة في مستويات مختلفة، وفي وضعيات دفن مختلفة (جانبية، جنينية، ممددة). والجدول الآتي يوضح مختلف المعطيات الأنثروبولوجية التي تتعلق بأطفال مجاز 2.

جدول رقم 1: بعض المعطيات الأنثروبولوجية التي تتعلق بأطفال موقع مجاز 2

الرقم	العمق	العمر	طول الهيكل	اتجاه الهيكل
E1	1.15 م	شهرين أو أكثر	0.58 م	شرق - غرب
E2	1.15 م	حديث الولادة	0.52 م	شرق - غرب
E3	0.90-0.95 م	حديث الولادة	0.52 م	جنوب - شمال
E4	1.12-1.20 م	حديث الولادة	0.52 م	الرأس باتجاه الشرق
E5	1.10-1 م	حديث الولادة	0.53 م	غير محدد
E6	1.30-1.20 م	حديث الولادة	0.53 م	جنوب - شمال
E7	2.56-2.64 م	حديث الولادة	0.53 م	جنوب - شمال

H.F Camps et J. Bouchud et M. Chabeuf et M.C Chamla et M. Couvert et R. Dughi et F. Sirugue, op-cit, p314.

عُثِرَت بعثة أمريكية في عام 1930 على 13 هيكلًا عظميًا في موقع "أعيون بريش"⁴، ومن بين هذه الهياكل ثلاثة تعود للأطفال: الهيكل الأول يعود لرضيع، والهيكل الثاني يعود لطفل في السنة الرابعة من عمره، والهيكل الثالث منقوص الجمجمة، وكلها تنتمي لنوع الإنسان القفصي⁵.

¹ خليفة عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 52 – 53.

² M. Poitrat et J. Targowla, Pathologie dento-maxillaire comparée des Hommes d'Afalou et de Taforalt (Ibéromaurusiens du Maghreb), B M S A P, XII° série tome 4 fascicule 4, 1977, p 390.

³ مجاز 2: موقع أثري قفصي متواجد بالقرب من مدينة العلمة بولاية سطيف أقيمت فيه العديد من الحفريات من 1963 إلى غاية 1968 من طرف الباحث الفرنسي فرجيل وأسفرت على العديد من البقايا الإنسانية والصناعات الحجرية. أنظر:

H.F Camps et J. Bouchud et M. Chabeuf et M.C Chamla et M. Couvert et R. Dughi et F. Sirugue, Un gisement capsien de faciès sétifien Medjez II El-Eulma(Algérie), Éd du Centre National de la Recherche Scientifique, Paris, 1975, p11.

⁴ موقع أعيون بريش: يقع على بعد 15 كلم شمال غرب مدينة عين البيضاء، وهو عبارة عن رمادية تعود للحضارة القفصية اكتشف هذا الموقع من طرف بعثة أمريكية سنة 1930. أنظر: أوزاني فريدة، المرجع السابق، ص 35.

⁵ L. Balout 'les hommes préhistoriques du Maghreb et du Sahara inventaire descriptif et critique (paléolithique néolithique), Libyca, tome 2, 1955, p 253.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

تم اكتشاف تسعة هياكل عظمية آدمية في رمادية "بكارية"¹ منها هيكلان لطفلين، الهيكل الأول يعود لطفل في السادسة أو الثامنة من عمره عثر عليه على عمق 0.90 م، والهيكل الثاني وجد على عمق 0.55 م في حالة حفظ جد رديئة. وتنتهي هذه الهياكل للإنسان القفصي².

عُثر على البقايا الانسانية الخاصة بالأطفال في العديد من المواقع القفصية، حيث وجد البعض منها في كهف موفلون "Mofloun"، وُجدت ثلاث هياكل من بينها طفل واحد في الموقع 25 في عين البيضاء من طرف البعثة الأمريكية، وعثر الباحثون على بقايا عظمية لجنين في رمادية وادي مدفون، وعلى بقايا إنسانية لطفل عمره حوالي السنة في كهف الضباع في الشرق الجزائري³.

عثر الباحثون على فك سفلي مكسور لطفل مكتمل الأسنان في مغارة الكوارتل في جنوب غرب وهران⁴، كما اكتشف الباحث بلاري "P. Pallary" سنة 1886م بعض البقايا الإنسانية في مغارة تروفلوديت في الضاحية الجنوبية الغربية من وهران، ومن بينها هيكل عظمي غير مكتمل لطفل صغير، وتعود هذه الأخيرة إلى الفترة النيوليتية⁵.

اكتشف الباحثون عام 1950 في عين قادة (شمال تيارت) مدفن جماعي يعود للعصر النيوليتي، ومن بين البقايا الإنسانية الموجودة جمجمة طفل في حالة حفظ سيئة والوجه مسحوق (غير واضح المعالم)، كما وجد في موقع رديف (مدينة قفصة. تونس) سنة 1912م على بقايا إنسانية تعود للعصر النيوليتي، ومن بين هذه البقايا جمجمتان لطفلين صغيرين⁶.

وُجد في مدفن "تن هناكتن"⁷ هيكل عظمي يعود لطفل يبلغ من العمر أربع أو خمسة سنوات، موضوع في صندوق حجري وجمجمته ملفوفة بقطعة جلدية، ويعود تاريخ هذه الجثة

¹ موقع بكارية: يقع على مسافة 1 كلم من شرق قرية بكارية في ولاية تبسة، اكتشف سنة 1936م من طرف باحثين فرنسيين وينتمي هذا الموقع إلى الحضارة القفصية. أنظر: أوزاني فريدة، المرجع السابق، ص 37.

² R. Le Du et S. de Roch, Le Gisement Capsien de Bakkaria commune mixte de Morstt département de Constantine, Libyca, tome 1, 1953, p 253.

³ H.F Camps et J. Bouchud et M. Chabeuf et M.C Chamla et M. Couvert et R. Dughi et F. Sirugue, op-ct, p 312-314.

⁴ F. Doumergue, Grotte du Cuartel (Oran), B S G A, de la province d'Oran, tome XLVI, 1926, p255.

⁵ L. Balout, les hommes préhistoriques, p 145.

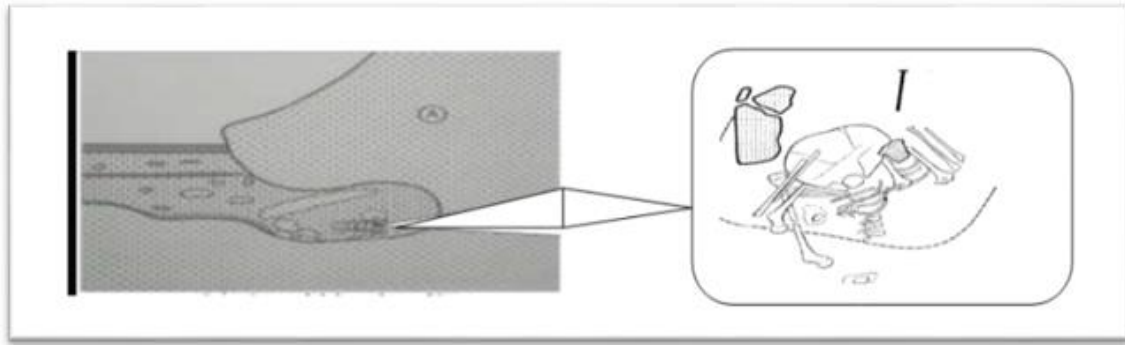
⁶ E.G Gobert, L'abri Redeyef, L'Anthropologie, tome 23, 1912, p151.

⁷ تن هناكتن: هي من أهم الملاجئ التي استعملت كمدفن في الطاسيلي ناچر وجدت فيها العديد من الهياكل العظمية التي تعود للآلفية السادسة قبل الميلاد. أنظر:

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

إلى حوالي 5200 قبل الميلاد¹. كما وُجد في نفس المدفن ثلاث هياكل عظمية للأطفال وقد حضيت هذه الأخيرة برعاية خاصة، فنجد الطّفل الصغير ذو الستة أشهر يرتدي قلادة عظمية، والطّفل ذو الأربع سنوات موضوع في غرفة جنازية مقلدة بإحكام بحجارة مسطحة وملونة، أما هيكل الطّفل الثالث فقد وضع في صندوق حجري متقن الصنع.²

شكل رقم 1: الهيكل العظمي للطفل الذي وجد في موقع أمكني



G. Camps, Amkni néolithique, p 26

وُجد في موقع أمكني هيكلان لطفلين رفقة هيكل امرأة طاعنة في السن، حيث كان الطّفل البالغ من العمر حوالي السنتين على عمق 0.8 م ويؤرخ له بحوالي 6100 ق م، وقد وجد برفقة هذا الطّفل بقايا قطع فخارية مزخرفة وحلقات من قشور بيض النعام (شكل رقم 1). ووجد هيكل عظمي لطفل عمره حوالي أربع سنوات على عمق 0.9 م، وكان على جانبيه أعداد من رؤوس السهام الحجرية ودبوس مصنوع من العظم، بالإضافة إلى وجود العديد من بقايا قشور بيض النعام.³

G. Aumassip et G. Delibrais, Âges des depots néolithiques du gisement de Tin hanakatene (Tassili N- Ajjer Algeria), Libya, tome 30-310, 1982-1983, p 210.

¹ J.L Heim et D. Hadjouis, L'enfant néolithique (Home 5) de Tin Hanakatene (Tassili N- Ajjer Algeria) Examen anthropologique et Paléo pathologique, Colloque de préhistoire Maghrébine, tome 2, C N R P, Tamanrasset, 5 .6.7 novembre 2007, p 27 -41.

² M. Hachid, le Tassili de Ajjer : aux sources de L'Afrique 50 siècles avant les pyramides méditerranées, Edif, Paris, 2000, p129.

³ G. Camps, Amkni néolithique ancien du Hoggar, C R A P E, 10, Alger, 1969, p 26-27.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

وجد الباحث فابريزيو موري "F. Mori" في موقع وان موهجاج¹ في منطقة الأككوس بفزان جثة طفل محفوظة وملفوفة بقطعة جلدية برفقة بقايا نباتية وقد وضعت في خندق دائري صغير ومغلق بإحكام (شكل رقم 2)، تؤرخ في حوالي منتصف الألفية الرابعة قبل الميلاد، وقد أطلق عليه كامبس اسم "الجثة المحنطة الطفل"².

شكل رقم 2: الطفل المحنط التي وجد في موقع وان موهجاج



بواسطة الموقع الإلكتروني: www.afrigatenews.net

يشير الباحث فابريزيو موري إلى أنّ الطّفل المحنط عمره حوالي سنتين، بعد فحصه لنصف فكه بواسطة الراديو الستراسغرافي، وتبين أنه من أصول زنجية وقد مورست عليه عملية التحنيط، بعد إفراغ جسمه من الأحشاء و تجفيف الجثة ولفها بقطع جلدية، الأمر الذي ساعد على حفظها فترة طويلة من الزمن، ويشير الباحث نفسه إلى أن المومياء ترجع إلى الفترة التي لم يعرف فيها المصريون القدماء بعد طرق التحنيط، مما طرح العديد من التساؤلات بالنسبة للعلماء والباحثين في هذا المجال، خاصة بعد اكتشاف مدفن آخر قريب من

¹ وان موهجاج: موقع أثري عند نهاية وادي تشوينت الكبير في تدرارت أككوس بإقليم فزان بليبيا يحوي على رسوم ونقائش صخرية، كما أقيمت فيه العديد من الحفريات سنة 1559 من طرف فابريزيو موري، الذي وجد مومياء الطفل المحنط. أنظر: فابريزيو موري، تدرارت أككوس الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الاحتلال الإيطالي، الجماهيرية الليبية، 1988، ص 227.

² G. Camps, Les civilisation préhistoriques....., p 225.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

المدفن الأول يضم بقايا عظمية لستة أشخاص من بينهما طفلان، وقد لوحظ أن بعض أجزائهما مازالت رخوة، حيث أكد الباحثون أنها حنطت بطريقة التجفيف¹.

تشير البقايا العظمية المكتشفة في مقابر الركنية وغاستيل الموجودة في الشرق الجزائري والتي تعود إلى فترة فجر التاريخ إلى ظاهرة الدفن الجماعي الحر، فقد عثر في مقبرة غاستيل² على قبر يحوي خمسة جثث: ثلاثة منها خاصة براشدين في وضعية ممددة جانبيًا، واثنان لطفلين في وضعية جنينية³. والجدول التالي يوضح جميع البقايا الإنسانية للأطفال عبر مختلف المواقع التي تعود إلى ما قبل التاريخ.

جدول رقم 2: توزيع البقايا العظمية للأطفال عبر مختلف المواقع الأثرية في شمال إفريقيا

الموقع	الوجه الثقافي	عدد الأطفال	السن	البقايا الانسانية	نوعية الدفن	الملاحظات
مغارة وهران	إيبرومغربي	1	لم يحدد	عظم صدغي	لم يحدد	آثار عنف
كلومنتة تيارت	إيبرومغربي	26	19 حديثي الولادة والباقي بين 1 و 12 سنة	هياكل عظمية	وضعية دفن مختلفة (جنينية وممددة وجانبية)	
موقع أفالوبورمال بجاية	إيبرومغربي	11	من 0 إلى 12 سنة	هياكل عظمية جمجمة	عظام فوق بعضها البعض	
موقع مجاز 2 العلة سطيف	قفصي	7	حديثي الولادة	هياكل عظمية	وضعية دفن مختلفة (جنينية وممددة وجانبية)	
موقع 25	قفصي	1	حديث الولادة	هيكل عظمي	لم يحدد	
كهف الضباع	قفصي	1	لم يحدد	هيكل عظمي	لم يحدد	
كهف الضباع	قفصي	1	1 سنة	هيكل عظمي	لم يحدد	
بكاية تبسة	قفصي	2	6 سنوات والآخر لم يحدد سنه	هيكلان عظميان كاملان	جنينية	وجد الأول على عمق 0.90م والثاني وجد على عمق 0.55م.
أعيون بريش عين البيضاء	قفصي	3	رضيع 4 سنوات	هيكلان كاملان هيكل بدون جمجمة	ممددة	

¹ فابريزيو موري، المرجع السابق، ص 235 – 237.

² مقبرة متواجدة في ولاية تبسة تعود إلى فترة فجر التاريخ.

³ M. Reygasse, Les monuments funéraires préislamiques de L'Afrique du Nord, A M G, Paris, 1950, fig n° 6.8.9.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

			3 سنوات			
مغارة الكوارتل وهران	نيوليتي	1	من 2 إلى 3 سنوات	فك سفلي	لم يحدد	
مغارة تروفلوديت وهران	نيوليتي	1	لم يحدد	هيكل عظمي	لم يحدد	
تن هناكتن الطاسيلي ناچر	نيوليتي	4	من 6 أشهر إلى 6 سنوات	هياكل عظمية	دفن في صناديق حجرية	أثاث جنازري
أمكني الطاسيلي ناچر	نيوليتي	2	سنتين 4 سنوات	هياكل عظمية	لم يحدد	رفقة الجثة قشور بيض النعام وبعض السهم وأشياء أخرى
وان موهاج تدرات أككوس فزان	نيوليتي	3	سنتين 3 سنوات	مومياء هيكلان عظميان فيهما بعض الأعضاء التي مازلت رخوة	جنينية	أول محاولات التحنيط
مقبرة غاستيل تبسة	فجر التاريخ	2	لم يحدد	هياكل عظمية	جنينية	جماعي دفن

بتصرف الباحث

2-2 القلع الطقوسي للأسنان

مارس الإنسان في بلاد المغرب خلال فترة ما قبل التاريخ عادة القلع الطقوسي للأسنان، بحيث أن جل الجماجم البالغة التي عثر عليها في مختلف المواقع قد مورست عليها هذه العادة، وأغلبها قد فقدت قاطعة واحدة أو عدة قواطع، سواءً في الفك السفلي أو في الفك العلوي، وقد تساءل العلماء والباحثون عن المغزى الحقيقي من وراء هذه الظاهرة وما هي السن التي تتم فيها ممارسة هذه العادة¹؟

درس الباحثون ظاهرة القلع على المجموعة الإنسانية التي عثر عليها في مغارة أفالوبورمال، ومن بين الجماجم وجدت جمجمة طفل عمره حوالي خمس سنين قواطعها العليا مقلوعة مع ظهور التئام مكان القلع، لكن تبقى هذه الحالة شاذة، وربما تكون قلعت بسبب حادث قد تعرض له هذا الطفل، لذا لا نستطيع تعميم ظاهرة القلع على جميع الأطفال.

¹ L. Balout et C.L Briggs, Mechta Elarbi, trav. Lab. Anthropologie Archéologie Préhistoriques Muse Bardo, Alger, 1951, p115.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

وُجد في نفس الموقع جمجمتين لشخصين -الأول عمره ما بين 12 إلى 14 سنة والثاني عمره حوالي 16 سنة -قواطعها الأمامية لم تقلع، بينما لوحظ على جمجمتين أخريين ظاهرة القلع على مستوى قواطع الفك العلوي، الأولى عمرها من 14 إلى 16 سنة والثانية لامرأة شابة عمرها حوالي 17 سنة¹.

شكل رقم 3: ظاهرة القلع الطقوسي للأسنان من موقع مشنة شتيودون (الجزائر)



G. Mercier, L'Homme de Mechta - chateaudun (Algérie), B S P F, tome 12, n° 3, 1915, p 162.

أكد الباحث بريج "Briggs" من خلال دراسته للجماجم الموجودة في موقع مشنة العربي أن ظاهرة القلع الطقوسي للأسنان تتم في مراحل مبكرة من السن²، مثل تلك الجمجمة التي فقدت قواطعها العلوية والسفلية وحدد زمن القلع بين الثامنة والتاسعة من عمر الضحية، كما أكد الباحثون هذا الأمر على الجماجم الموجودة في موقعي عيون بريش وبكارية، حيث أشاروا إلى أنّ ظاهرة القلع تتم في مرحلة قريبة من البلوغ³.

من جملة هذه الدراسات استنتج الباحثون العديد من النقاط حول ظاهرة القلع الطقوسي للأسنان نلخصها فيما يلي:

- مارست شعوب شمال إفريقيا خلال عصور ما قبل التاريخ ظاهرة القلع الطقوسي للأسنان باستمرار، مع الاختلاف في بعض جزئيات الممارسة خاصة في عدد الأسنان المقلوعة ومكان القلع وزمن القلع.

¹ M.C Chamla, op-cit, p 132.

² G. Mercier, L'Homme de Mechta - chateaudun (Algérie), B S P F, tome 12, n° 3, 1915, p 162. pp. 160-166

³ L. Balout et C.L Briggs, Mechta P 116.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

- توجد حالة قلع واحدة لطفل في عمر 5 سنين وهي حالة شاذة لا نستطيع تعميمها.
- كانت الظاهرة تمارس في موقع أفالوبورمال مباشرة بعد بلوغ الشخص¹.
- كانت تمارس الظاهرة في موقع مشنة العربي وموقع عيون بريش وموقع بكارية في مرحلة مبكرة تكون قريبة من البلوغ وذلك لتأهيل الطفل لهذه المرحلة.

2-3 أمراض أسنان الأطفال

يعد علم الأمراض السنّية القديمة "Baléo-odontologie" من بين العلوم التي ساهمت في إعطاء معلومات جد مهمة حول حياة الإنسان في ما قبل التاريخ، خاصة في طرق العيش كالعادات الغذائية والنّظافة والصّحة العامة للإنسان²، وتفتقر منطقة شمال إفريقيا لباحثين مختصين في هذا العلم، لكن هذا لا ينفي وجود بعض المحاولات، في صورة الدّراسة التي قام بها الباحث الفرنسي فوجوا "M. Vougeois" على البقايا الانسانية لموقع أفالوبورمال³، والدّراسة التي قامت بها الباحثة الجزائرية أوزاني فريدة حول موضوع التغذية في عصور ما قبل التاريخ ومحاولة ربطها بعلم الأمراض السنّية⁴، ولقد رجعنا إلى هذه الدراسات لمحاولة معرفة بعض المعلومات عن صحة الأطفال في عصور ما قبل التاريخ في بلاد المغرب.

درس الباحث الفرنسي فوجوا سنة 1973 أسنان البقايا الإنسانية لموقع أفالوبورمال، حيث خصت الدّراسة 59 شخصا: 26 رجلا، 16 امرأة و 9 أطفال والباقي لم يحدد جنسهم، وقدر العدد الكلي للأسنان المدروسة بـ: 1125 سنا، حيث تمر هذه الأخيرة على ثلاثة مراحل رئيسية: دراسة سطحية، دراسة إشعاعية، دراسة تشخيصية، وبعد ذلك أعطى الباحث أنواع الأمراض التي تعاني منها الأسنان ومسبباتها⁵، و ما يهمنا من هذه الدّراسة هي الملاحظات والاستنتاجات التي قدمها حول الأسنان الخاصة بالأطفال، حيث تم دراسة أسنان 9 أطفال أي بنسبة 15% من المجموع العام.

¹ M. Poitrat et J. Targowla, op – cit, p 391.

² أوزاني فريدة، دراسة مدى انتشار وتوزيع التسوس السنّي لدى أشخاص العصر الحجري القديم المتأخر والعصر الحجري الحديث بالمغرب، مجلة آثار، عدد 10، معهد الآثار، الجزائر، 2013، ص 9.

³ M. Vaugeois, Les dysmorphoses dento-maxillo faciales de la population d'Afalou-Bou-Rhumel, in B M S A P, XII^e Série, tome 10, fascicule 2, 1973, pp 215-246.

⁴ أوزاني فريدة، دراسة مدى انتشار، ص 9-28.

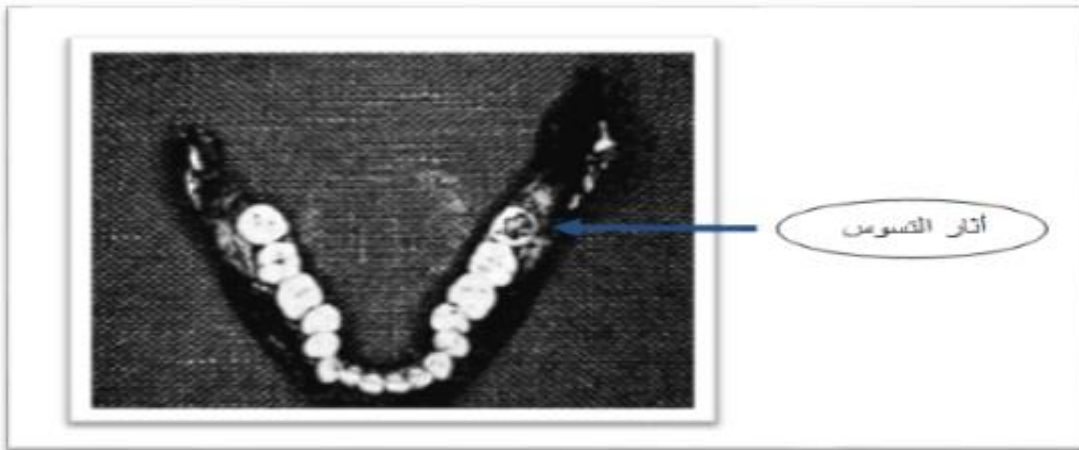
⁵ M. Vaugeois, op – cit, p 217.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

- الملاحظات التي قدمها الباحث فاجوا حول أسنان الأطفال:

- لا توجد أي آثار للأمراض السنّية والتسوس عند الأطفال الرّضع.
- لا توجد أي آثار للأمراض السنّية والتسوس عند الأطفال الأقل من 5 سنوات¹.
- يبدأ ظهور آثار التسوس والنّقاط السوداء عند الأطفال بداية من سن الخامسة فما فوق.
- مشاكل الأطفال مع اللثة قليلة جدا مقارنة مع البالغين وذلك بنسبة 6%².
- تشوهات أسنان الأطفال قليلة جدا مقارنة مع تشوهات أسنان البالغين بنسبة 7%.
- جملة الأمراض السنّية التي عانى منها الأطفال هي: التسوس، انسداد الأسنان أثناء النمو، بعض الأورام الجيبية، بعض التشوهات البسيطة.
- يوجد طفل واحد عمره 6 سنوات قد قطعت إحدى أسنانه.

شكل رقم 4: الفك السفلي لطفل مع آثار التسوس من موقع أفالوبورمال



M. Vaugeois, op – cit, p 217

• نتائج الدّراسة الخاصة بالأطفال

من الملاحظات الثلاثة الأوائل، استنتج الباحث أن النظام الغذائي للأطفال كان كالآتي: فترة رضاعة طبيعية طويلة الأمد تمتد من عامين إلى ثلاث سنوات، يتبعها نظام غذائي شبه سائل (قد يكون حليب الحيوانات، امتصاص القواقع، بعض الخضر والفواكه الطازجة)، والغذاء الصلب لا يكون إلى بعد سن الخامسة.

¹ M. Vaugeois, op – cit, p 218-220

² I bid, p 230.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

- النظام الغذائي عند الأطفال على العموم غير متكامل والدليل على ذلك هو كثرة الوفيات عند فئة الرضع، ومعاناة الأطفال من مرض هشاشة العظام وتآكلها.
- الطّف ذو 6 سنوات الذي فقد إحدى أسنانه هو حالة شاذة، قد تكون فقدت بسبب حادث ما ولا نستطيع تصنيفها ضمن ظاهرة القلع الطقوسي للأسنان¹.

خصت الدّراسة التي قامت بها الباحثة أوزاني فريدة البقايا الانسانية لـ 24 موقعا تعود لأوجه ثقافية متنوعة: (الإيبرومغربية، القفصية، النيوليتية)، والمجموع الكلي للأشخاص محل الدّراسة هو 72 شخصا من بينها 12 طفلا، وقُدّر العدد الكلي لأسنان هذه البقايا الإنسانية بـ 871 سنا (دائمة ومؤقتة)، وقد شخّصت الدّراسة الأسنان المصابة بالتسوس وبيان مدى درجاته مع الأخذ بالاعتبار مكان التسوس².

خصت الدّراسة الأشخاص ذوي الأسنان الدائمة (بالغون)، والأشخاص ذوي الأسنان اللبنية (أطفال)، والفئة الأخيرة هي التي تهمنا من هذه الدّراسة. فمن بين 12 طفلا، ثلاثة أطفال أصيبوا بالتسوس، أي بنسبة 25 %. ومن بين 101 سنا مؤقتة، خمسة أسنان أصيبت بالتسوس، اثنتان منها على مستوى السطح، وواحدة على مستوى العنق، واثنتان لم يحدد موضعهما، وهذا دليل على أن ظاهرة التسوس تبدأ في سن مبكرة جدا ولا تنحصر في الأشخاص البالغين فقط، إذ بدأت الظاهرة عند الأطفال في سن السادسة وتواصلت مع أشخاص آخرين أعمارهم من 25 سنة فما فوق³.

¹ M. Vaugeois, op – cit, p 230-218 .

² أوزاني فريدة، دراسة مدى انتشار، ص 10-11.

³ المرجع نفسه، ص 24 – 26.

جدول رقم 3: توزيع التسوس عند الأطفال

الموقع	البقايا السنية	عدد الأسنان	عدد الأسنان المسوسة	الموضع
ريو سلاو	فك أيسر	4		
واد مدفون	فك	7		
	فك	6		
	فك	5	2	السطح
الموقع رقم 12	فك أيمن	3		
العوبيرة	فك	5		
الموقع 12 A-I	فك	9		
	فك أيمن	2		
	أسنان منعزلة	2		
	فك أيمن	3	1	العنق
البعثة الأمريكية	فك أيمن وأيسر	7		
	أسنان منعزلة	3		
	فك	7		
البعثة الأمريكية	فك	6		
	أسنان منعزلة	2		
	فك	7		
البعثة الأمريكية	فك	7		
	فك	6		
رأس تنس	فك	5		
	فك أيسر	3		
	فك أيمن	2	2	

أوزاني فريدة، دراسة مدى انتشار.....، ص 21

4-2- نسبة الوفيات عند الأطفال

يعد علم الديموغرافيا من بين العلوم الفتية التي أضحت تستعمل كعلم مساعد للتأريخ لعصور ما قبل التاريخ، وذلك بالاعتماد على البقايا الإنسانية التي عثر عليها في المقابر التي تعود لهذه الفترة، ومن ثمة حساب عدد الوفيات بعد معرفة زمن وفاتها وتصنيفها حسب العمر والجنس في شكل بيانات نسبية ومخططات، هذه الأخيرة يمكن أن تعطينا صورة عن الوضعية الديموغرافية للسكان في تلك المرحلة من الزمن. ومن بين الدراسات الديموغرافية التي خصت شمال إفريقيا في عصور ما قبل التاريخ نذكر الدراسة التي قام بها الباحث جون نويل بيرابان "J-N Biraben"¹ حول موقع كلومنتة في تيارت.

خصت الدراسة 116 شخصا من مختلف الفئات العمرية وباختلاف الجنسين، وفي الجدول الآتي نعرض الأرقام والنسب الخاصة بهم:

جدول رقم 4: توزيع عدد ونسبة الوفيات حسب الفئة العمرية من موقع كلومنتة

السن	أقل من سنة	من 1 إلى 2 سنة	من 3 إلى 5 سنة	من 6 إلى 11 سنة	من 12 إلى 14 سنة	من 15 إلى 19 سنة	من 20 إلى 29 سنة	من 30 إلى 39 سنة	من 40 إلى 49 سنة	أكثر من 50 سنة	بالغون لم يحدد سنهم	المجموع
العدد	31 ²	11	13	7	1	5	10	7	4	1	26	116
النسبة	27%	10%	11%	6%	1%	4%	9%	6%	3%	1%	22%	100%

J.D Biraben, op – cit, p 489.

نلاحظ من خلال الجدول السابق أن نسبة الوفيات لدى الأطفال في موقع كلومنتة مرتفعة مقارنة مع نسبة وفيات البالغين، فإذا اعتبرنا أن الأطفال هم الذين يتراوح عمرهم ما بين 0 سنة و 12 سنة، فإن عدد الأطفال المتوفين في هذه الفترة في الموقع المدروس هي 62 طفل

¹ J.D Biraben, *Durée de la vie dans la population de Columnata (épipaléolithique Oranais)*, Population, 24^e année, n° 3, 1969, pp 487-500.

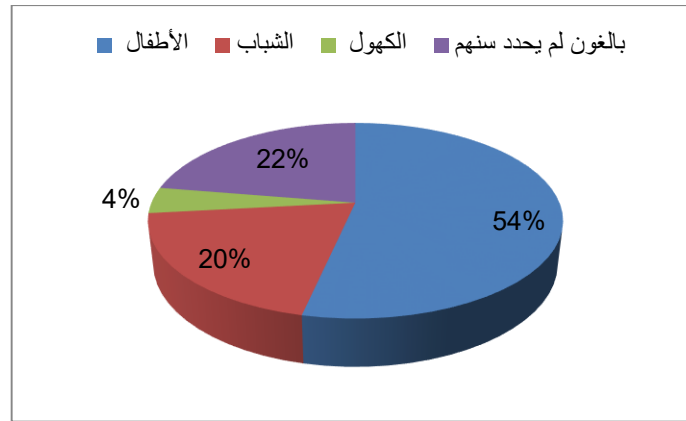
² 19 منهم كانوا حديثي الولادة.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

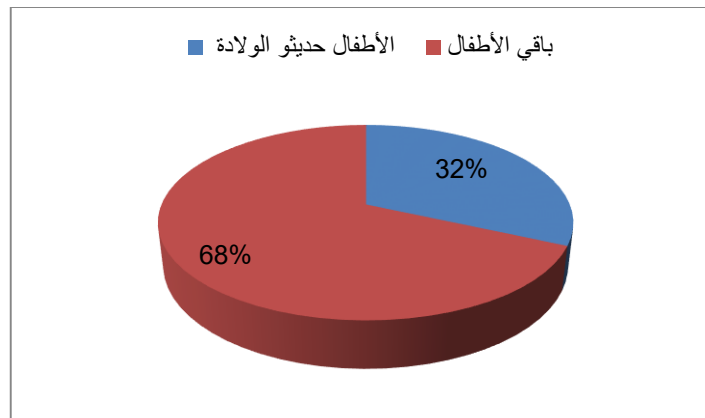
من مجموع 116 شخص أي بنسبة 53 %، وهي نسبة مرتفعة جدا وتطرح العديد من التساؤلات حول الوضعية الصحية والغذائية لهذه الفئة.

نلاحظ كذلك من خلال الجدول السابق أن نسبة وفيات الرضع حديثي الولادة في موقع كلومنتة مرتفعة جدا، فمن بين 62 طفلا توفي 31 طفل عمره أقل من سنة أي بنسبة 50%، ومن بين 31 طفل السابقين هناك 19 طفل حديثي الولادة أي عمره أيام قليلة أو أشهر قليلة، وذلك بنسبة 30.6% وهي الأخرى نسبة مرتفعة تطرح العديد من التساؤلات.

شكل رقم 5: دائرة نسبية توضح نسبة وفيات الأطفال في موقع كلومنتة



شكل رقم 6: دائرة نسبية توضح نسبة وفيات الأطفال حديثو الولادة



(بتصرف الباحث) J.D Biraben, op – cit, p 489

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

علّل الباحث جون نويل بيربان ارتفاع نسبة الوفيات عند الأطفال في موقع كلومنطة بالمشاكل الصحيّة والغذائية التي كان تعاني منها هذه الفئة في تلك الفترة، وعدد العديد من الأمراض نذكر منها: الطفيليات الممرضة، اضطرابات في الأكل، هشاشة العظام... إلخ، وعلّل ارتفاع نسبة الوفيات لدى الرضع بانعدام الرعاية الصحية أثناء ولادة الطفل، والأمراض المعدية التي كانت تعاني منها النساء أثناء فترة الحمل، بالإضافة إلى نقص المناعة وربما يكون للأحوال الجوية القاسية دور في ذلك¹.

3- مكانة الأطفال من خلال الفن الصخري

عبرت لوحات الفن الصخري المنتشرة في منطقة شمال إفريقيا وخاصة في الصحراء الكبرى بمختلف مواقعها عن كل أفكار ومعتقدات الإنسان الذي سكن المنطقة، وخصت بالتعبير عنصر الطفل ومكانته الاجتماعية الاقتصادية والدينية، وركزت من جهة أخرى على وظيفة الأمومة التي تعد من بين أهم وأقدس الوظائف التي قامت بها المرأة منذ عصور ما قبل التاريخ، ويظهر هذا الدور جليا في مختلف اللوحات والصّور التي رسمها الإنسان البدائي في المنطقة، لذا فإنّ إشكالية هذا المبحث يمكن صياغتها على الشكل الآتي: كيف عبر الفن الصخري على واقع الأمومة وتربية الطفل في مجتمعات شمال إفريقيا خلال عصور ما قبل التاريخ؟

3-1 الإنسان وفكر الخصوبة في عصور ما قبل التاريخ

انتقلت الشعوب البدائية من تقديس الحيوان والظواهر الطّبيعية إلى تقديس الإنسان بحد ذاته بداية من العصر الحجري القديم، وبدأت تلك الجدلية اللامتناهية بين العنصر الذكري والعنصر الأنثوي، ومن هو محور الحياة وأساس استمرارية البشر؟ إلّا أنّ العنصر الأنثوي احتل الصّدارة في هذه الجدلية في عصور ما قبل التاريخ، حيث قُدمت الأنثى ورفعت إلى مصاف الآلهة واعتبرت مصدر إنتاج العنصر البشري ومحور جميع القضايا الاجتماعية والدينية وحتى الطّبيعية.

¹ J.D Biraben, op – cit, pp 488-500.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

احتلت الرمزية الأنثوية الريادة في عقائد إنسان البايوليثي الأعلى، وظهرت هذه الصدارة في جداريات الكهوف المتواجدة في جنوب فرنسا وشمال إسبانيا التي تعود إلى العصر الحجري القديم الأعلى، حيث لاحظ الباحثون أن الرموز والعناصر الأنثوية دائماً تحتل المركز بينما يبقى العنصر الذكري في المحيط، مما يدل على أسبقية وألوية العنصر الأنثوي على الذكري¹.

تأكدت هذه الأسبقية من خلال ظهور تلك الدمى الأنثوية في مناطق شتى من العالم القديم، هذه الأخيرة عبارة عن تماثيل منحوتة من الطين أو الحجر تأتي على شكل مغزلي أو هرمي، في شكل أنثى بدينة تكون فيها مناطق الخصوبة بارزة خاصة الثديين والفخذين، وتكون منطقة الحوض والبطن منتفخة بشكل غير عادي، ومن أبرز التماثيل نذكر إلهة لاوسيل في فرنسا، وإلهة تل أسود السورية والآهة الولود في الأناضول².

اكتشف الإنسان الزراعة وحياة الاستقرار في مرحلة العصر الحجري الحديث (النئوليتي)، وربطها هي الأخرى بمعتقداته الدينية، حيث شعر الإنسان لأول مرة في حياته بأن فكرة الخصوبة هي جوهر حياته الروحية، فالزراعة تعتمد على خصوبة التربة وتكاثر الحيوانات وكذلك ولادة الإنسان، لذا فقد ربط خصوبة الأرض بالأنثى وتحولت قوة المقدس إلى قوة الخصب التي تمثلها الآلهة الأم. لذا يقول خزعل الماجدي في هذا الصدد: " لقد وجد الإنسان في المرأة البدينة المعافاة الخصيبة الحامل رديفا للأرض الخصبة المثمرة، والمرأة كما هي معروفة مكتشفة الزراعة وحافظة البذور، ولذلك رفعها إلى مرتبة الألوهية .."³.

استمر استعمال الدمى المؤنثة في مرحلة النئوليتي خاصة في مراسم الطقوس الدورية المتعلقة بخصوبة الأرض، بحيث كانت تغرس في الأرض بشكل عمودي، ولهذا حملت الشكل

¹ فراس السواح، دين الإنسان بين ماهية المعتقد ومنشأ الدافع، ط 4، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 2002، ص 153-154.

² خزعل الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ط 4، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1998، ص 82-83.

³ المرجع نفسه، ص 121.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

المغزلي لكي تكون سهلة الغرس، أما تلك الدمى ذات الشكل الهرمي بقاعدة أفقية فيرجح أنها كانت توضع في البيوت¹.

لم تكن شمال إفريقيا بمنأى عن الفكر الديني في باقي العالم، بل مارس فيها الإنسان البدائي دين الخصوبة وقدس الآلهة الأنثوية، أو كما يعرفها الباحثون باسم "فينوس، Venus"²، فقد اكتشفت العديد من المنحوتات الصخرية لنساء بديئات تشبه تلك الدمى الأنثوية المعروفة في جنوب أوروبا وفي الشرق الأدنى القديم، مثل تلك التي وجدت في مقبرة "الأبلاسا" في تمنراست أقصى جنوب الجزائر والتي تعود إلى العصر الحجري القديم³.

انتشرت الرسوم الصخرية للنساء البديئات اللاتي تبرز فيهنّ مناطق الخصوبة في العديد من المواقع في الصحراء الكبرى، مثل فينوسات منطقة تامريت في الطاسيلي (شكل رقم 7-ج)، كما برزت في مرحلة الرؤوس المستديرة⁴ شخصيات أنثوية تمثل الآلهة الأنثوية الكبرى، يتميزن بالأثداء المخروطية الطويلة مع قرون بارزة في بعض الأحيان، ويتزين بأساور عديدة حول المعصم وخبوط متدلّية من الذراع⁵.

ومن بين هذه الرسومات المشهد الذي سماه الباحث هنري لوت "H. Lhote" "السيدة البيضاء" في منطقة أونحركات في الطاسيلي (شكل رقم 7-أ)، حيث تظهر في المشهد امرأة ذات قرون بحجم كبير، يُعتقد أنّها كانت تمثل ربة الخصب، فالشيء المقدس لدى مجتمعات الفن الصخري دائما ما يعبر عنه بصورة أكبر وأوضح، وتلك الزوائد والقرون تعبر على المرتبة الكبيرة والتميز⁶.

¹ فراس السواح، المرجع السابق، ص 158.

² فينوس، Venus: هي آلهة الحب والجمال والخصب عند الرومان، عرفت في مختلف الحضارات بأسماء متعددة، فعند الإغريق تسمى "أفروديت"، وعند المصريين "نت"، و عند الفينيقيين "عشتار"، وفي شمال إفريقيا "تانيت" الخ. أنظر: محمد الصغير غانم، الملامح الباكّة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى، الجزائر، 2005، ص 117.

³ H. Mahasa, bijoux et mobilier funéraire de tin – hinan abalessa Algérien, éd musée national du bardo, Algérien, p 74.

⁴ مرحلة الرؤوس المستديرة: هي المرحلة الأولى التي صنفها الباحثون لكرونولوجية الرسوم الجدارية، وسميت بهذا الاسم لأن هذه الجداريات تتميز بوجود شخصيات ذات رأس مستدير مع عدم وجود ملامح واضحة على الوجوه. أنظر: لخطر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 14.

⁵ المرجع نفسه، ص 94.

⁶ J.L Le quellec, Symbolise et art rupestre au Sahara, Le Harmattan, Paris, 1993, p 192-194.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

يظهر جليا في مشاهد الفن الصخري في منطقة الطاسيلي ذلك الارتباط الواضح بين المرأة وخصوبة الطبيعة، فهناك العديد من المشاهد التي تُظهر إسهامات المرأة في الزراعة، مثل مشاهد موقع صفار التي تصور المرأة وهي تقوم بطحن الحبوب بواسطة الرحى الحجرية، ومشاهد أخرى تصور بعض النساء وهنّ يقمن بجمع السنابل وتذرية القمح¹، وتظهر المرأة أيضا في المشاهد التي تعبر على طقوس استدرار المطر، مثل مشهد الرقص الطقوسي في موقع جبارين، الذي يصور مجموعة من النساء وهنّ يستعطفن الآلهة من أجل إنزال المطر².

استمر حضور المرأة في طقوس استدرار المطر في العصور التاريخية، حيث يذكر المؤرخ الإغريقي هيرودوتوس الطقس الذي سماه معركة العذاري³، التي تقوم به نسوة قبيلتي المخلوس والأوسيس البربرية حول بحيرة تريتون، ويهدف هذا الطقس إلى كسب عطف الآلهة من أجل المطر وإخصاب الأرض⁴، وتبقى الظاهرة في ديمومة حتى في العصور الحديثة في صورة طقس بوغنجة⁵ الذي يقام في أرياف المغرب الأقصى والجزائر⁶.

نستنتج في الأخير أن المجتمعات البدائية التي عاشت في شمال إفريقيا خلال العصور الحجرية قد اعتبرت الأنثى هي الطبيعة وأصل الحياة، بسبب قدرتها على ولادة الحياة فاعتبروها أكبر قيمة من الذكر، ومنه ساد الفكر الأنثوي للآلهة، وهذه الأخيرة هي ربّة الإخصاب والولادة والخضرة وكل شيء مفيد.

¹ محمد وابل، الزراعة في منطقة الصحراء الوسطى خلال العصر الحجري، أعمال الملتقى الأول المدينة والريف في الجزائر القديمة، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2013، ص 210.

² H. Lhote, la Découverte des Fresques de Tassili, arethaud, Paris, 1958, fig 26.

³ معركة العذاري: ملخص هذه المعركة هو أنّ الفتيات تنقسمن إلى فريقين ويتواجهن في معركة عنيفة بضربات الحجارة والعصي، ومن يمتن نتيجة هذه المعركة يعتبرن غير أباكرا. أنظر:

S Gsell, texte relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord (Hérodote), Alger, 1915, p 132.

⁴ Hérodote, IV, 180.

⁵ بوغنجة: عبارة عن طقس يقام في أرياف شمال إفريقيا، حيث تخرج كل النساء برفقة الأطفال ويضعون الدمية التي تسمى بوغنجة، ويرددن بعض الأهازيج والدعوات من أجل نزول الأمطار ويسمى هذا اليوم أنزار. أنظر:

G. Camps, Anzar, E. B, vol 4, Edisud Aix-en province, Paris, 1989, p 795-797.

⁶ I bid, p 794.

شكل رقم 7: صور لنماذج من الآلهة الأنثوية في منطقة الطاسيلي

أ- السيدة البيضاء في أونحارت ب- الآلهة الأنثوية في موقع جبارين



لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 122؛ 216؛ 219.

شكل رقم 8: الآلهة الولود في الأناضول

ج- فينوسات الطاسيلي



خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 87

H. Lote, op-cit, p56.

2-3 المرأة والطفل:

تصور الرسوم والنقوش الصخرية تلك العلاقة الحميمة بين المرأة والطفل، وتجسد جميع المراحل التي تربط بينهما، بدايةً بمرحلة إخصاب المرأة أو بما يسمى الممارسة الجنسية، والتي تمارس فيها المرأة وظيفة الزوجة رفقة الزوج أو الشريك الجنسي، مروراً بمرحلة الحمل بتجلياتها، ومرحلة الولادة أو الطلق، والتي تمارس فيها المرأة وظيفتها الأنثوية الثالثة وهي إنتاج النسل البشري، انتهاءً بمرحلة التربية والتنشئة الاجتماعية، والتي يشاركها فيها الرجل بصفته المسؤول الثاني عن فعل التربية، وكل مرحلة من هذه المراحل لها تجلياتها وخصوصياتها الثقافية التي تعبر عن فكر الإنسان في عصور ما قبل التاريخ.

1-2-3 الممارسات الجنسية

قسّم الباحثون المشاهد الجنسية في مختلف مراحل الفن الصخري إلى قسمين رئيسيين، فهناك اللوحات التي تصور مشاهد جنسية لشخصيات عادية بأحجام منطقية سواء بالنسبة للمرأة أو للرجل، وبوضعيات عادية ومقبولة بالنسبة للطبيعة البشرية، والنوع الثاني هي تلك اللوحات التي تصور مشاهد جنسية لشخصيات خرافية قد تكون نصف إنسان ونصف حيوان، وقد يمارس الإنسان الجنس مع حيوان، وتكون الأحجام فيها غير طبيعية خاصة أحجام الأعضاء التناسلية¹.

قدمت لنا الرسوم والنقوش الصخرية الصّحراوية مشاهد جنسية كثيرة، ويرجع أغلبها إلى مرحلة الرؤوس المستديرة ومرحلة الرعاة²، مثل تلك المشاهد المتواجدة في موقع وادي جرات في الطّاسيلي (شكل رقم 9-ب)، إذ صوّرت شخصيات في وضعيات الممارسة، وقد كانت فيها أحجام النساء أكبر من أحجام الرجال، والغريب في الأمر أن هذه الشخصيات كانت مقنعة برؤوس حيوانات من فصيلة الكلبيات³، وهناك مشاهد أخرى في موقع أوزان إيهيري⁴

¹ بول فريشاور، الجنس في العالم القديم، ج 1، ط 1، ترجمة فائق دحوح، دار نينوى، العراق، 1999، ص 47.

² J.L Lequellec, op-cit, p 342.

³ لخطر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 235.

⁴ يقع على بعد 30 كلم من مدينة جانبيت بجنوب الجزائر.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

لشخصيات بوضعيات أخرى في حالة الممارسة، لكن دون أقنعة (شكل رقم 9-أ)¹. وهناك العديد من المشاهد الأخرى التي تعبر على نفس الموضوع، تنتشر عبر مختلف مواقع الفن الصخري في الصحراء الكبرى خاصة في موقعي صفار وأونرحات.

تنتشر العديد من اللوحات والرسمات التي تصور مشاهد الاقتران في موقع تدرارت أكاكوس في إقليم فزان، مثل المشهد الذي يصور حالة اقتران بين رجل وامرأة، حيث صور الرجل وهو يرتدي قناعا كبيرا مستديرا ينتهي بأذنين كبيرتين، وعضوه التناسلي ذو حجم غير طبيعي، بينما صورت المرأة بدقة كبيرة وهي في وضعية الاستلقاء وساقاها منفرجتان، رقبته طويلة ورأسها موجه للأمام، وهناك مشهد آخر للاقتران الجنسي في نفس الموقع بين مجموعة من الرجال ومجموعة من النساء، مع إضافة رمزية تقديم القرابين، وذلك من أجل إضفاء الجانب الروحي والديني للمشهد (شكل رقم 9-ج)، وهذا الأمر جعل بعض الباحثين يؤكدون أن الغرض من هذه المشاهد الجنسية ليس إظهار الشهوة واللذة، وإنما الغرض الأساسي منه هو التكاثر والحصول على الأطفال بتزكية من الآلهة الكبرى².

اختلف المؤرخون في تفسير هذه المشاهد حيث يقون جون لوكال "Le quellec" : " يبدو على المرأة أثناء الفعل الجنسي عدم الاكتراث وهذا يدل على أنه مشهد رمزي لا يدل على الانحلالية"³، أما مليكة حاشيد فتري أن الروح الشيطانية هي التي سيطرت عليهم وشوشت أفكارهم فأنتجوا تلك المناظر الجنسية⁴، لكنهم اتفقوا من جهة أخرى على أن هذه المشاهد لا تعبر عن الانحلالية والمشاعية الجنسية، لأن المجتمعات البدائية كان يحكمها الضمير وهذه المشاهد تنافي الفطرة التي فطر عليها الإنسان.

فسر الباحثون المختصون تلك المشاهد في وادي جرات المرتبطة بشخصيات نصف إنسانية والمقنعة برؤوس حيوانية من فصيلة الكليات على أنها مشاهد رمزية تعبر على الآلهة الأنثوية الخاصة بالخصب، لكونها تتميز بضخامة الحجم مقارنة بالشخصيات الذكرية⁵، أما استعمال

¹A. Mostefai, les représentations féminines d'Ozan Ehéré (Tassili –n- Azzjer Sahara central Alg), les cahiers de l'AARS, 16, Paris, 2013, p 220.

² فابريزيو موري، المرجع السابق، ص 77-79.

³ J.L Le quellec, op – cit, p 373.

⁴ M. Hachid, op –cit, p 261.

⁵ لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 110.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

القناع فقد كان شائعاً في الرسوم الصخرية وهو على نوعين: أقنعة برؤوس حيوانية وأقنعة برؤوس طقوسية، وتحمل هذه الأقنعة وظائف رمزية كثيرة مثل دور الحماية من الأرواح الشريرة، وله أبعاد أخرى خاصة بالسحر والدين، لذا دائماً ما نجد ذلك التركيب في المشاهد واللوحات الصخرية بين الجنس والخصب والسحر والدين¹.

شكل رقم 9: صور لمشاهد جنسية في مختلف المواقع في شمال إفريقيا

أ- مشاهد جنسية في مناطق وادي جرات في الطاسيلي



A. Mostefai, op – cit, p 216 ; 220 ; 226.

ج- الاقتران وتقديم القرابين بموقع الأكاكوس

ب- مشاهد جنسية في وادي جرات في الطاسيلي



فابريزيو موري، المرجع السابق، ص 96

لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 235

¹ خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 174-175.

2-2-3 الحمل

يُعتبر الحمل مظهرا جنسيا أوليا تنفرد به المرأة عن الرجل، وهو ثاني مرحلة في ظاهرة الخصوبة بعد الممارسة الجنسية، لذا فقد أخذ هو الآخر حيزا معتبرا من مشاهد ورسومات الفن الصّخري في الصّحراء الكبرى خاصة في مرحلة البقريات، ومن أشهر هذه اللّوحات "لوحة المرأة الحامل والسّاحر" في موقع أونرحات (شكل رقم 11-ب)، حيث تظهر امرأة حامل بحجم كبير ملامحها مخفية، وهي أمام السّاحر الذي يرتدي قناعا طُقسيا ويلبس لباسا غريبا مليئا بالزّينات والزّوائد حول الكتفين ومنطقة الخصر، وتظهر المرأة وهي تطلب منه شيئا ما نظرا لوضعية يدها اليمنى الممتدة نحوه ووضعية يدها اليسرى المنقبضة، ولعل موضوع الحوار هو طلبها للمساعدة من السّاحر لحماية جنينها الذي في بطنها¹.

يصور مشهد الإله الكبير في صفار (شكل رقم 11-أ) مجموعة من النّسوة الحوامل رفقة مجموعة من إناث الطّباء وهنّ يطفن حول شخصية الإله المركزية، وأيدي النّسوة مرفوعة إلى السّماء تضرعا وابتهاالا، وعلى يسار شخصية الإله أنثى حامل تلتصق به على مستوى البطن، وعن يمينه ظبية حمراء حامل تتطابق مع المرأة الحامل، وربّما جاءت هذه الإناث من أجل أن يحفظ الإله ما في بطونهنّ ويرزقهنّ ولادة سليمة²، خاصة وأن في تلك الفترة التي كانت فيها نسبة وفيات الأطفال أثناء الولادة كبيرة، وحتى نسبة وفيات الأمهات أثناء الطلق كانت مرتفعة، حيث وجد العلماء العديد من البقايا الإنسانية التي تعود لنساء رفقة مواليدهنّ، ويبقى هذا السبب الأكبر الذي دفعهنّ للتضرع للآلهة³.

يوجد مشهد آخر في منقطة صفار لثلاث نساء حوامل (شكل رقم 11-ج)، وأهم ما يميزه هو اختلاف أحجام تلك النّسوة، فهناك امرأة كبيرة وأخرى متوسطة والثالثة صغيرة الحجم، وكلهنّ حوامل ويمشين بخطوات متباطئة خوفا على الذي في بطونهنّ، كما أنهنّ يتزينن

¹ H. Lhote, H. Lhote, Le peuplement du Sahara néolithique d'après l'interprétation des gravures et des peintures rupestres In : Journal de la Société des Africanistes, tome 40, fascicule 2, 1970, p 134.

² M. Hachid, op-cit, p 165.

³ H.F Camps et J. Bouchud et M. Chabeuf et M.C Chamla et M. Couvert et R. Dughi et F. Sirugue, op-ct, p 312-314.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

بزينات جسدية، التي صورت على شكل خطوط صفراء حول جميع الجسد¹. وكقراءة لهذا المشهد نستنتج أنّ فترة الخصوبة تطول بالنسبة للمرأة، وأنّ مرحلة الحمل والإنجاب كانت تبدأ في سن مبكرة في مجتمعات الفن الصخري بما أن كل النساء حوامل في هذا المشهد رغم اختلاف فئاتهنّ العمرية.

أما الزينات الجسدية التي تزينت بها النسوة فهي مرتبطة بالسحر كما فسره بعض الباحثون، ويمكن أن تكون لحماية الجنين من الأذى والأرواح الشريرة²، واستمر هذا الاعتقاد لدى سكان بلاد المغرب القديم، حيث يذكر هيرودوتوس أن بعض القبائل الليبية كانوا يقومون بدهن أجسامهم باللون القرمزي³، كما تحدثت بعض النصوص عن ظاهرة الوشم التي تتحلّى بها المرأة في بلاد المغرب القديم وارتباطها الوثيق بفكر الخصوبة⁴.

وجد الإنسان البدائي في المرأة البدينة الحامل رمزا لآلهة الخصب، فدائما ما تصور الآلهة الأنثوية الكبرى بامرأة حامل⁵، ومثال ذلك مشهد السيدة السوداء في موقع صفار (شكل رقم 11-د)، حيث تظهر امرأة حامل بحجم كبير وتبدو مقنعة وذات زينات جسدية، وهي تحمل القمر بكتلي يديها، لذا سميت بالآلهة القمرية، وهذا المشهد يعبر على مدى أهمية فترة الحمل لدى المرأة في فكر الإنسان البدائي، لأنه دائما ما يربطه بفكرة المقدس، فالمرأة الحامل تحظى باهتمام خاص وتشكل رمزية قدسية لا مثيل لها في مجتمعات الفن الصخري في الصحراء الكبرى⁶.

توجد الكثير من المشاهد الأخرى التي تعبر على مرحلة الحمل، وهي منتشرة عبر العديد من مواقع الفن الصخري في الصحراء الكبرى، مثل مشهد المرأة الحامل رفقة زوجين من الأبقار في موقع أوزان إيهيري (شكل رقم 11-هـ)⁷، وهناك مشهد آخر في موقع صفار لامرأة

¹ A. Sèbe, Tikatoutine. 6000ans L'art Rupestre Saharien, Collection Tagoulmoust - 44 Imprimé En Italie : Par Antegrifica, Silva, 1991, p 74.

² لخطر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 196-197.

³ Hérodote, IV, 191; 194.

⁴ S. Gsell, op-cit, p 10.11.

⁵ لخطر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 121.

⁶ H. Lhote, Le peuplement....., p 104.

⁷ A. Mostefaï, op – cit, p223.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

حامل وحولها رجل وأولادها وكلاهما يشير للأولاد لكي يأتوه¹، وهناك مشهد في موقع زكار في أولاد نايل يصور امرأة حاملا وهي تتعرض لمحاولة اعتداء من قبل أحد الأشخاص، غير أنّ رجلا آخر يحميها ويضرب المعتدي بشيء حاد².

قسّمت الباحثة صفريون حسيبة مشاهد الحمل في مرحلة الرؤوس المستديرة إلى قسمين رئيسيين (شكل رقم 10)، فهناك مشاهد لنساء في الأطوار الأولى من الحمل، وذلك استنادا لشكل البطن الكروي وشكل العمود الفقري ودرجة انحنائه، وهناك مشاهد أخرى لنساء في الأطوار الأخيرة من الحمل، وذلك بناء على شكل البطن الأسطواني أو البيضاوي الكبير والذي يدل على قرب الولادة³.

شكل رقم 10: حالات الحمل في مرحلة الرؤوس المستديرة

أ- شكل البطن في الأشهر الأولى ب- شكل البطن في الأشهر الأخيرة



حسيبة صفريون، المرجع السابق، ص 20

تتشترك أغلب هذه المشاهد في العديد من النّقاط، حيث تكون مرفقة دائما بالعديد من العناصر الرمزية، حيث تكون المرأة الحامل دائما هي الشّخصية المركزية للمشهد وتسيطر على مساحة كبيرة منه، ودائما ما تكون مزينة بزينات جسدية مثل النّقاط والخطوط حول السّاقين، أو بعض الزوائد مثل القرون والأقنعة والدوائر التي تحيط بجسمها، وكل هذه

¹ A. Sèbe, op-cit, p 253

² M. Hachid, op-cit, fig 220.

³ حسيبة صفريون، كيف كانت البربريات تلدن في الصحراء الوسطى منذ سبعة آلاف سنة، دراسات أثرية، مجلد 13، عدد 1، 2015، ص 20.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ
الرموز والعناصر توضح مدى أهمية المرأة الحامل وقدسيتها، وفي نفس الوقت تعتبر رموز
سحرية من أجل حماية المرأة وجنينها¹.

شكل رقم 11: صور النساء الحوامل في مختلف مواقع الفن الصخري في شمال إفريقيا
أ- التسوة الحوامل والإله الأكبر في موقع صفار ب- المرأة الحامل والساحر في اوتحاترت



H. Lhote, la Découverte....., p 134.



M. Hachid, op-cit, p 164

د-الآلهة القمرية في موقع صفار

ج-النساء الحوامل في موقع صفار



H. Lhote, Le peuplement du Sahara...., p104



A. Sèbe, op-cit, p74

ه-المرأة الحامل والأبقار بموقع اوزان إهييري



A. Mostefaï, op – cit, p223.

¹ لخطر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 223.

3-2-3 الولادة

تعطينا النقوش والرسوم الصخرية العديد من المشاهد للنساء في حالة الولادة، وهو ما سماه الباحثون بـ : أسلوب المرأة المفتوحة "les femmes ouvertes" ، وهذا الأسلوب انتشر في العديد من المواقع في الصحراء الكبرى، خاصة تلك التي تعود لمرحلة الرؤوس المستديرة ومرحلة الرعاة، حيث تظهر النساء بشخصيات نصف إنسانية مقنعة برؤوس الحيوانات وبسيقان وأرجل مفتوحة في حالة الولادة¹، مثل المشاهد الموجودة في موقع تدرارت أكاكوس بفزان (شكل رقم 12-ب)، والتي ظهرت فيها النساء في وضعية الولادة، يرتدين أقنعة برؤوس الحيوانات، وسيقانهن منفرجة وتظهر الزوائد لديهن في منطقة الفرج².

توجد مشاهد أخرى في موقع أوزان إيهيري لنساء وهنّ في وضعية الولادة (شكل رقم 12-ج) لكن دون أقنعة وملامح أوجههنّ مختلفة، ولا توجد تفاصيل واضحة لأعضائهنّ الجسدية سوى اليدين والساقين المفتوحتين، ودائما ما يرفق المشهد ببعض الحيوانات مثل الأبقار³، والمقصود من هذه اللوحات هو التعبير على دين الخصب، كيف لا والولادة وقدام الجنين هي أهم مراحل الخصب وآخرها، لذا خصّص لها فنانون الطاسيلي حيزا معتبرا من رسوماتهم ولواحتهم، أما الحيوانات التي ترفق بالمشهد فقد فسرها الباحثون المختصون على أنّها قرابين تقدم للآلهة الكبرى من أجل حماية المرأة والجنين⁴.

توجد مشاهد أخرى تتداخل فيها الصّور ورمزيّتها ومضامينها، وكأنها تحكي علاقة المرأة بالآلهة والطبيعة من جهة، وعلاقتها بالأسرة والمجتمع من جهة أخرى، والرابط المشترك بين كل هذه المواضيع هو فكر الخصب، لذا قد نجد ذلك التداخل بين العناصر الدينية والعناصر الطبيعية والعناصر الاجتماعية في مشهد واحد، مما يؤكد عمق تفكير الإنسان البدائي وقدرته الكبيرة على إيصال أفكاره عن طريق النقش أو الرسم على جدران الجبال أو الكهوف.

¹ لخطر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 110.

² P. Huard et L. Allard, Gravures rupestres du Tadrart Akakous (Libye S.W.), In : Bulletin de la Société préhistorique française, Comptes rendus des séances mensuelles, tome 74, n°9, 1977, p 284.

³ A. Mostefaï, op – cit, p 220.

⁴ I bid , p 222.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

صورت لنا مختلف النقائش واللوحات الصخرية عملية المخاض ومكان الولادة الذي كانت تلد فيه النساء في عصور ما قبل التاريخ، مثل مشهد العيادة الخفية في موقع صفار، الذي رُسم على حجر رملي في شكل قدر فمه مقلوب إلى الأسفل، وأي شخص يريد مشاهدة هذه اللوحة يجب عليه أن ينحني، وكأن الرسام أراد أن يخفيه عن عامة الناس لخصوصيته (شكل رقم 12-أ).

نشّطت هذا المشهد ثلاث شخصيات: أنثيان وذكر، الأنثى الأولى صُورت وهي في حالة المخاض وقد أخذت الحيز الكبير من المشهد، تتميز ببطن ضخم يدل على الحمل، وانحناء واضح في منطقة الحوض مع فتحة مهبلية كبيرة، وتأخذ وضعية الجلوس، أطرافها السفلية مفتوحة وممتدة نحو الأمام، ويدها اليمنى خلف ظهرها ويدها اليسرى موضوعة على مستوى بطنها، أما الأنثى الثانية فلها نفس المواصفات الفيزيولوجية للأنثى الأولى، تستعد هي الأخرى للطلق، أما الذكر فهو في حالة الوقوف، وينظر إلى فرج الأنثى الأولى وكأنه جاء ليشترك زوجته هذه اللحظة السعيدة¹.

يعد مشهد العيادة المكشوفة في موقع تين تزاريفت في هضبة الطاسيلي من أجمل المشاهد وأوضحها عن مكان التوليد في عصور ما قبل التاريخ (شكل رقم 12-ب)، حيث يُمكن أن نلاحظ العديد من الشخصيات الأنثوية بعضهنّ في حالة الطلق والبعض الآخر قابلات يساعدنّ على الولادة، ففي حيثيات هذا المشهد نلاحظ سيدة مستلقية على طاولة حجرية وساقاها متباعدتان، وأمامها القابلة التي تمد يديها لالتقاط الجنين، وعن يسار هذا المشهد مجموعة من الإناث الحوامل يستعدنّ لأخذ مكان الأنثى الأولى، وبالقرب منهنّ قابلة أخرى ترتدي تنورة قصيرة تصل إلى نصف الساق ورأسها معصب بقطعة من القماش².

¹ حسبية صفيرون، المرجع السابق، ص 22.

² المرجع نفسه، ص 24.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

شكل رقم 12: صور النساء في وضعية الولادة في مختلف مواقع الفن الصخري

ب- العيادة المكتشفة في موقع تين تزاريفت



أ- العيادة الخفية في موقع صفار



حسيية صفريون، المرجع السابق، ص 23

ج- نساء في وضعية الولادة من موقع اوزان إيهيري



ب- نساء في وضعية الولادة من موقع نترات الكاوس



A. Mostefaï, op- cit, p 220

P. Huard et L. Allard, op-cit, p 284

3-2-4 تربية الأطفال

إن الحصول على الأولاد كان يملأ تفكير الإنسان البدائي في عصور ما قبل التاريخ، وهو ما انعكس على رسوماتهم الصخرية، فكثيرا ما صوّرت مشاهد النساء وهنّ يطلبن من الإله الأكبر أن يمنحهنّ الأولاد وأن يعيشوا في كنفهنّ طويلا، وهذا النوع من المشاهد يحتوي على بعض الحيوانات، التي تعد قرابين تقدم للإله من أجل تحقيق طلباتهنّ¹، ومازالت النسوة في شمال إفريقيا يقمن بالأمر نفسه، لكن بطريقة مختلفة، حيث يذهبن إلى أضرحة بعض الأولياء الصالحين ويقدمن المأكولات ويطلبن الأولاد وأشياء أخرى².

تحرص النساء على طلب الأطفال في مجتمعات الفن الصخري، لأن كثرة الأولاد تعني الحماية والثروة وزيادة أعداد القبيلة، خاصة وأن النشاط الاقتصادي الغالب في عصور ما قبل التاريخ هو الرعي، وهذا النشاط يحتاج إلى عدد كبير من الرجال والشباب من أجل حماية القطيع والتكفل به، خاصة تلك القبائل التي تملك عددا هائلا من قطعان الماشية من أبقار وأغنام وغير ذلك، وتحتاج القبيلة أيضا عددا كبيرا من النّفر لحماية نفسها من الضربات الخارجية، لذا فالقبيلة القوية اقتصاديا وأمنيا هي التي تملك عددا كبيرا من الأفراد³.

توجد العديد من المشاهد التي تبرز الكثافة السكانية لمجتمعات الفن الصخري، خاصة مشاهد الرعي، مثل اللوحة المتواجدة في موقع تاكدومتين في الطاسيلي ناجر (شكل رقم 15)، هذا الأخير يصور قطيعا كبيرا من الماشية يقوده عدد كبير من الأفراد بمختلف الأعمار والأجناس، ويؤكد هذا المشهد على الكثافة السكانية لدى القبائل في عصور ما قبل التاريخ في الصحراء الكبرى⁴، وهناك مشهد آخر يصور أمّا محاطة بعدد كبير من الأولاد الصغار (شكل رقم 13-ج)، وهذه الأم أخذت مساحة كبيرة من المشهد وصورت بحجم كبير، وهذا أكبر دليل على أنّ المرأة التي تنجب أكبر عدد من الأولاد هي المرأة المثالية في نظر فناني الطاسيلي⁵.

¹ M. Hachid, op-cit, p165, fig 250.

² S. Gsell, op –cit, p 54.

³ لخطر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 110.

⁴ H. Lhote, Le peuplement....., p 107.

⁵ A. Mostefaï, op – cit, p 224.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

تُعبّر الكثير من المشاهد ولوحات الفن الصّخري على عاطفة الأمومة وتلك العلاقة الحميمة بين الأمّ والطفّل، ومن بين هذه اللوحات الرسم الصّخري في موقع إفدانويين المتواجد في غرب الطّاسيلي (شكل رقم 13-هـ)، والذي يصور أمّا تحاول حمل ابنها، وملامح وجهها تعبر على مدى حبها وحنانها¹، وتظهر عاطفة الأمومة أيضا في لوحات موقع أوزان إهييري، مثل ذلك المشهد الذي يصور أمّا ترافق ابنها وتمشي معه جنبا إلى جنب (شكل رقم 13-أ)، وكذا مشهد الاستراحة الذي يصور الأمّ وأطفالها وهم يستمتعون بجلستهم (شكل رقم 13-د)، ويوجد مشهد آخر في الموقع نفسه يصور الأمّ وهي تراقب صغيرها الذي يلعب مع الحيوان².

توجد العديد من المشاهد العائلية التي تصور الأطفال وسط الأسرة الصغيرة رفقة الأمّ والأب، مثل مشهد موقع أوزان إهييري الذي يصور امرأة أسفل الصّورة وامرأة أخرى أعلاها وكناتهما مع أطفالهما، و في الموقع نفسه مشهد يصور مجموعة من الأزواج يتشاجرون، ويبدو أن النزاع كان حول الأولاد والزوجات، وفي موقع صفار مشهد يصور امرأتين لكل واحدة منهما طفل، و عن يمينها صورة لرجل نائم وفوقه طفل صغير³، وفي موقع أوزان إهييري مشهد يصور أمّا رفقة أطفالها في البيت، هذا الأخير رُسم على شكل دائرة فيها العديد من الأثاث (شكل رقم 13-ب)⁴.

كان الأطفال يشاركون في الطقوس الدينية رفقة البالغين، مثل ذلك المشهد في موقع جبارين الذي يصور مجموعة من النّساء وهنّ يصعدن إلى الجبل للقيام ببعض الطقوس الدينية والسحرية ويرافقهنّ في ذلك أطفالهنّ⁵ (شكل رقم 14). وقد استمرت مشاركة الأطفال في الطقوس الدينية في المراحل التاريخية في بلاد المغرب القديم خاصة في طقوس الاستمطار⁶، وهناك مشهد آخر في موقع أوان تماوت في الأكاكوس الليبية يظهر امرأة في صورة ساحرة

¹ لخطر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 226.

² A. Mostefai, op – cit, p 211-212.

³ لخطر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 222-223.

⁴ A. Mostefai, op – cit, p 213.

⁵ H. Lhote, Le peuplement....., p 103.

⁶ G. Camps, Anzar....., p 796.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

يأتي إليها رجلان بفتاة صغيرة لكي تعلمها الأسرار السحرية والدينية، وتدل هذه المشاهد على حرص الأسرة على تعلم أطفالها الآداب الاجتماعية والدينية وتنشئتهم عليها منذ الصغر¹.

يبقى للأم والمرأة دور في الأسرة والمجتمع حتى بعد أن يكبر أولادها، فهناك العديد من اللوحات والرسوم الصخرية التي تثبت ذلك، مثل المشهد في موقع صفار الذي يصور مجموعة من المحاربين وهم يركعون أمام امرأة كبيرة في السن تتوكأ على عصي (شكل رقم 13-و)، وفي موقع وان داربون في الطاسيلي مشهد يصور امرأة طاعنة في السن وهي تتجه من أجل إيقاف الشجار الذي نشب بين ثلاثة أشخاص، وهذان المشهذان يبرزان بشكل واضح عاطفة الأمومة المتمثلة أساساً في الجدة التي يحترمها ويطيعها أولادها وأحفادها².

كل هذه المشاهد التي سبق ذكرها تؤكد أن المجتمع فيما قبل التاريخ في الطاسيلي والصحراء كان مجتمعاً موسياً بامتياز، أي أن الطفل ينسب لأمه من جهة، ومن جهة أخرى تعتبر المرأة هي محور الأسرة والمجتمع ولها العديد من الأدوار الدينية والاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية والعسكرية، وقد استمرت هذه المكانة في مجتمع الطوارق الذي يقدس المرأة ويعطيها مكانة راقية مقارنة بباقي مجتمعات بلاد المغرب.

3-3 ملاحظات عامة حول واقعية صورة الأطفال في الرسوم الصخرية

- غياب تعليم الأعضاء التناسلية لدى الأطفال في كل الرسومات الصخرية، أي أننا لم نستطع التمييز بين الطفل الذكر والطفل الأنثى (شكل رقم 13)³، والتمييز يبدأ في مرحلة البلوغ حيث تأخذ الأنثى صفات تختلف عن الذكر.
- يصور الأطفال رفقة أمهاتهم أكثر مما يصورون أمام آبائهم، وهذا يدل على أن التربية تقع على عاتق الأم أكثر، لكن هذا لا ينفي مشاركة الرجل في التربية، فهناك بعض المشاهد في بعض المواقع تصور الأطفال رفقة آبائهم، وهناك مشاهد أخرى تصور الأسرة كاملة أمام المنزل (الوالد والزوجات والأطفال).

¹ فابريزيو موري، المرجع السابق، ص 114.

² لخطر بن بوزيد، دور المرأة في المجتمعات الرعوية خلال فترة ما قبل التاريخ، أعمال الملتقى الأول المدينة والريف في الجزائر القديمة، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2013، ص 223-224. (246-225)

³ حسبية صفر يون، واقعية صورة الأنثى في الرسم الصخري لمنطقة صفار وضواحيها (الطاسيلي ناجر - الصحراء الكبرى - الجزائر)، مذكرة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007 - 2008، ص 233.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

- لم تظهر ملابس الأطفال بشكل واضح في الرسوم الصخرية، لكن هذا لا يعني أنهم كانوا عراة، لأن بعض المشاهد تظهر نقاطا على جسد الأطفال، مثل مشهد مشاركة الأطفال في الطقوس في موقع جبارين (شكل رقم 14)¹، وهذه النقاط تدل على أن الأطفال كانت لهم ملابس تحميهم من قسوة المناخ.
- كانت حلاقة الأطفال عادية جدا، حيث تُقص كامل شعورهم بطريقة متساوية في كامل الرأس وتبقى خالية من كل الزوائد، عكس حلاقة وتسريحات البالغين المليئة بالزوائد (شكل رقم 13-هـ)².
- صورت الرسوم الصخرية الأطفال بمختلف الأعمار، بدءاً بالجنين الملفوف في قطعة قماش (شكل رقم 9-أ)³، مروراً بصور الأطفال عند بداية مشيهم، وصولاً لصور الأطفال قبيل البلوغ.

شكل رقم 13: لوحات توضح غياب تعليم الأعضاء التناسلية لدى أطفال موقع تانزومايتاك



حسيبة صفريون، واقعية صورة الأنثى، ص 233.

¹ H. Lhote, Le peuplement....., p 203.

² لخطر بن بوزيد، المعتقدات والفن، ص 226.

³ A. Mostefai, op – cit, p226.

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

شكل رقم 13: مشاهد الأطلاق في الحياة الأسرية

أ- صورة الأم رقيقة ابتها في موقع اوزان إيهيري ب- مشهد العائلة في موقع اوزان إيهيري



A. Mostefai, op – cit, p 211; 212

ج- مشهد الأم التولود د- مشهد الاستراحة الأم مع اطفالها موقع اوزان إيهيري

ج- مشهد الأم التولود



A. Mostefai, op – cit, p 211; 212

ه- عاطفة الأمومة في موقع إقدانوين و- مشهد الجدة المباركة عند اليوقديين

ه- عاطفة الأمومة في موقع إقدانوين



M. Hachid, op-cit, p186

لخضر بن يوزيد، المعتقدات والفن .. ، ص 226

الفصل الأول — مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ

شكل رقم 14: مشاركة الأطفال رفقة النساء في الطقوس الدينية في موقع جبارين



H. Lhote, Le peuplement du....., p 203

شكل رقم 15: مشهد الرعي والكثافة العددية



Lhote, Le peuplement du....., p 207.

يأخذ هذا الفصل قيمته من كون أن الصورة التي تشكلت على مكانة الطفل والطفولة في مجتمع بلاد المغرب القديم في عصور ما قبل التاريخ جاءت بناءً على معطيات وإحصائيات علمية أكثر من مجرد أنها جاءت عن مجموعة تصورات ذهنية وإعادة تركيب للواقع مثل ما يحدث في أغلب الدراسات التي تخص الحياة الاجتماعية، حيث استعان علماء الآثار لعصور ما قبل التاريخ بالعديد من العلوم المساعدة مثل علم الأمراض السنية القديمة وعلم الديموغرافيا وغيرها من العلوم الأخرى لتكوين صورة أكثر مصداقية عن مكانة الطفل في تلك الفترة.

احتل الأطفال مكانة هامة لدى مجتمع بلاد المغرب القديم في عصور ما قبل التاريخ والدليل على ذلك هو ذلك الاعتناء الخاص بمدافن الأطفال من خلال البناء المحكم للقبور وممارسة طقوس دفن خاصة بهم، ووصلوا حتى إلى محاولة تحنيطهم، وتأكدت هذه الأهمية من خلال الفن الصخري ومختلف اللوحات والجداريات التي عبرت على اهتمام الإنسان القديم وتقديسه لواقع الأمومة والطفل، وربما يرجع اهتمام مجتمع بلاد المغرب القديم بهذه الفئة لقيمتها الاقتصادية والدفاعية، حيث تحرص الأسرة على الحصول على أكبر عدد من الأطفال لأنهم هم من يقومون فيما بعد بالأعمال الاقتصادية من رعي وصيد وزراعة والتي تضمن الاكتفاء الغذائي للأسرة والقبيلة، وتضمن من جهة أخرى أمنهم واستمراريتهم للأسرة والقبيلة التي تضم أكبر عدد من النفر هي الأسرة والقبيلة المثالية والأقوى.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: مكانة الأطفال في المجتمع البوني

- 1- لمحة تاريخية عن المجتمع البوني
- 2- مصادر الدراسة
- 3- نسب الأطفال
- 4- الأطفال في الأسرة والمجتمع البوني
- 5- المنظومة الإسمية في المجتمع البوني
- 6- التربية والتعليم في المجتمع البوني
- 7- الأطفال ومدن الأموات:
 - 1-7 دفن الأطفال في القبور البسيطة
 - 2-7 دفن الأطفال في الجرار
 - 3-7 رماد الأطفال المدفون داخل الحفر
 - 4-7 دفن الأطفال في القبور السردابية
- 8- التضحية بالأطفال في المجتمع القرطاجي البوني
 - 1-8 معنى التضحية
 - 2-8 التضحية بالأطفال في الحضارة الفينيقية
 - 3-8 التضحية بالأطفال في المجتمع البوني من خلال النصوص الأدبية
 - 4-8 التضحية بالأطفال في المجتمع البوني من خلال الشواهد الأثرية
 - 1-4-8 توفاة صالمبو في قرطاجية
 - أ- الجرار الجنائزية
 - ب- الأنصاب النذرية
 - 2-4-8 توفيت سوسة (حدر موت)
 - 5-8 تعويض القرابين البشرية بالقرابين الحيوانية-
 - 6-8 إشكالية التفسير

الفصل الثاني: مكانة الأطفال في المجتمع البوني

1- لمحة تاريخية عن المجتمع البوني

بدأ الفينيقيون في التوسع في حوض البحر الأبيض المتوسط خلال الفترة بين نهاية الألفية الثانية وبداية الألفية الأولى ق م، وذلك لعدة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية، حيث أن التوتر والصراع السياسي والعسكري المستمر في الدول المجاورة للساحل الفينيقي قد أثر عليهم سلباً، وجعل دويلات المدن الفينيقية في كل مرة تقع تحت احتلال أو نفوذ هذه الدول الكبرى بداية بالمصريين والحثيين والآشوريين والكلدانيين... إلخ، كما أن طبيعة عمل الفينيقيين المتمثلة في التجارة البحرية دفعتهم لركوب البحر والبحث عن المواد الأولية والأسواق لترويج منتجاتهم، ولم يجد الفينيقيون خيراً من الحوض الغربي للمتوسط بصفته لممارسة هذه المهنة، أين وجد الفينيقيون المجال مفتوحاً للاستيطان في مختلف الجزر المنتشرة في البحر المتوسط وفي شمال إفريقيا، والتي كانت مازال مجهولة للعالم القديم في تلك الفترة¹.

وصل الفينيقيون إلى شمال إفريقيا في حوالي القرن الثاني عشر ق م، بعد أن قاموا بالعديد من الرحلات الاستكشافية في المنطقة بحثاً عن المعادن والمواد الأولية، فبدأوا بتأسيس مجموعة من المحطات على طول سواحل شمال إفريقيا قصد التبادل التجاري مع السكان المحليين عن طريق المقايضة، وقد بدأت هذه المحطات تتسع وتكبر عن طريق الهجرات المستمرة من الساحل الفينيقي إليها، لتتحول مع مرور الوقت إلى مستوطنات.

تعتبر مستوطنة ليكسوس "Lixus" من أشهر المستوطنات التي تأسست على السواحل الغربية لبلاد المغرب، وأسسوا مستوطنة أوتيكا "Utiga" في حوالي 1101 ق م في الناحية الغربية من خليج تونس، وقرطاجة التي أسست حوالي 814 ق م، ويرجع الفضل في تحول هذه المحطات التجارية إلى مستوطنات إلى زعيمة المدن الفينيقية في تلك الفترة صور التي

¹ محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1982، ص 48-52.

شجعت على الهجرة والاستيطان، بالإضافة إلى حكمة التجار الفينيقيين الذين كسبوا ود السكان المحليين الذي سمحوا لهم بالإقامة في أراضيهم¹.

تبقى قرطاجة هي أهم المستوطنات التي أسسها الفينيقيون في شمال إفريقيا سنة 814 ق م، وذكر الكاتب جوستينوس "Justinus" أسطورة تأسيس هذه المستوطنة، والتي كانت نتيجة الصراع بين عليسا "Alissa" وأخيها بغماليون "Pygmalion" في مدينة صور، مما دفع عليسا للهروب إلى أن وصلت إلى شمال إفريقيا، وقصتها مع الملك الليبي هيرباص بعد أن اقتطعت منه أرض بمساحة جلد ثور وأسست مدينتها²، وقد تعاضمت أهمية قرطاجة مع مرور الوقت وأصبحت أهم قطب سياسي واقتصادي في المنطقة، خاصة بعد أن استغلت الظروف السياسية التي تمر بها صور وقطعت الصلة بها في القرن السابع ق م، وتزعمت البحرية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط³.

أصبح المجتمع في شمال إفريقيا خلال الألفية الأولى ق م مركبا من شعبين، شعب محلي يمثله الليبيين القدامى الذين يشكلون الأكثرية، وشعب وافد يمثل الفينيقيين الذين استوطنوا على طول الساحل، وكانت العلاقة في بداية الأمر سلمية بين الشعبين وصلت إلى حد الانصهار الحضاري والمصاهرة والتزاوج فيما بينهما، والذي أدى في النهاية إلى تشكيل مجتمع جديد من حيث النشأة وهو المجتمع البوني، وتكوين ما يسمى بالحضارة البونية التي تعتبر مزيجا بين حضاريتين: حضارة ليبية محلية وحضارة فينيقية وافدة⁴.

توجد بعض الإشارات التي ذكرتها المصادر للزيجات التي كانت بين القرطاجيين⁵ والليبيين القدماء، وأولها حين طلب الملك الليبي هيرباص الزواج من الملكة عليسا ولكنها رفضت وانتحرت لأجل ذلك حسب ما جاء في رواية جوستينوس⁶، وتزوج الملك سيفاكس من ابنة القائد القرطاجي عزربعل بعد أن وُعد بها ماسينيسا، وتزوج الأمير النوميدي

¹ G. Contenau, la civilisation phénicienne, Payot, Paris, 1949, p56-57.

² M.J Justinus, Histoires philippiques de Trogue pompeé, trad par : M.P Arnaud, tome 2, XVIII, 3.

³ G. Contenau, op-cit, p55-60.

⁴ E.J Brill, la civilisation phénicienne et Punique Manuel recherche, éd Véronique Krings, New York, 1955, p4.

⁵ يجب التفريق بين ما هو قرطاجي وهم الذين قدموا مع عليسا واستوطنوا في قرطاج وبين ما هو بوني وهو نتاج التهجين الذي حصل بين الليبيين والقرطاجين. أنظر:

H. Basset, les influences Puniques chez les Berbères, Rev Afri, n° 62, 1921, p340- 341 (340-373)

⁶ M.J Justinus, tome 2, XVIII, 3.

الفصل الثاني ————— مكانة الأطفال في المجتمع البوني

أوزاليس عم ماسينيسا من امرأة قرطاجية، ويُذكر أيضا أنّ الأمير القرطاجي هاملكار برقة قد وعد الأمير النوميدي نارفاص الذي وقف إلى جانبه في حروبه بأن يزوجه ابنته، وقد زوج ماسينيسا ابنته لأحد أمراء قرطاجة¹، رغم أن هذه الزيجات كانت كلها لأغراض سياسية إلا أنها تدل على الامتزاج بين القرطاجين والليبيين القدماء.

اختلف المؤرخون في مدلول فئة الليبوفينقيي، فاعتبر البعض أنها تدل بصفة عامة على السكان القاطنين بالمدن الساحلية التي أسسها القرطاجيون سواء كانوا من الفينيقيين أو القرطاجيين، ويعتبر حانون أول من ذكر هذا المصطلح في رحلته حين أشار إلى أنه توجه بحوالي 60 سفينة تحمل على متنها 30 ألفا من الليبوفينقيين²، أما لفظة بوني "Poeni" فيشير الباحث التونسي فنطر أنها ذكرت في النصوص اللاتينية للإشارة إلى الفينيقيين الذي سكنوا الحوض الغربي للمتوسط وهي مشتقة من نفس الكلمة الإغريقية "Phonix" أي الأرجواني التي تولد منها اسم الفينيقيين³.

توجد اشتقاقات عديدة لكلمة بوني منها نعت بونيقي "Punicus"، و مصلح اللغة البونيقية "Lingua Punica" في المصادر اللاتينية، ويؤكد فنطر أن مدلول المجتمع البوني يتجاوز المفهوم الجغرافي (فينيقيو الغرب) الذي أشارت له النصوص اللاتينية، بل البونييون حسبهم هم نتيجة لقاء الأفارقة بالعناصر الفينيقية التي أقبلت من الشرق، وقد يكون هذا اللقاء حضاريا وقد يكون صحرا بين الأجناس، والحضارة البونية هي نتيجة احتكاك الحضارة الفينيقية الشرقية بالحضارة الليبية المحلية، فالعناصر التي تتركب من هذا الاحتكاك هو لب الحضارة البونية التي لا تخلو من الصبغة الشرقية ولا تخلو من الصبغة الإفريقية المحلية⁴.

¹ F. Decret et M. Fantar, L'Afrique du Nord dans L'antiquité (des origines au V Siècle), Payot, Paris, 1981, p60.

² فرنسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة والتاريخ، ط1، تر يوسف شلب الشام، دار طلاس، دمشق، 1994، ص 110.

³ Phoinix : كلمة يونانية تولد منها اسم الفينيقيين، وهي تدل على لون الأرجوان الذي كان الفينيقيون يصبغون به ثيابهم ويستخرجونه من محار البحر. أنظر: E.J Brill, op-cit, p1-3.

⁴ محمد فنطر، الفرق بين الفينيقيين والبونيين، الملتقى الدولي حول الحضارة الفينيقية في البحر الأبيض المتوسط، معهد دراسات الشرق الأدنى، روما، 1971، ص 847-848.

أكد الباحثون أن التواجد الفينيقي البوني في شمال إفريقيا قد تركز على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، ومن أهم المستوطنات الساحلية التي سكنها البونيين نذكر: لبدّة وأويا (طرابلس) وصبراتة في ليبيا، وكركون وحدرموت (سوسة)، وقرطاج وأوتيكا في تونس، وهيبيوريغيوس (عنابة)، وروسيكاد (سكيكدة)، وشولو (القل)، واجيجلي (جيجل)، وصلداي (بجاية)، وأيكوسيم (العاصمة)، وإيول (شرشال)، وتيبازة ورشغون وسيقا في الجزائر، وليكسوس وموغادير وطنجة في المغرب الأقصى، كما أن هناك بعض المناطق الداخلية التي تأثرت بالحضارة البونية مثل زاما ودوقة في تونس، وتبسة وكالما (قالمة) وسيجوس وسيرتا في الجزائر¹.

2- مصادر الدراسة

لا يمكن أن نكون صورة كاملة عن مكانة الطفل في المجتمع البوني القديم دون التطرق إلى مجموعة المصادر الكتابية الإغريقية واللاتينية، ويأتي في مقدمة هذه المصادر كتب الرحلات التي جاب أصحابها شواطئ بلاد المغرب منطلقين من الشرق إلى الغرب أو العكس، وتضمنت هذه الرحلات وصفا لبعض الأماكن والقبائل والحيوانات، ولعل أول رحلة سجلها لنا التاريخ هي رحلة حنون القرطاجي في القرن الخامس ق م، وقد ترجمت هذه الرحلة إلى الإغريقية وإلى لغات أخرى²، وكذلك رحلة سيلاكس "le périple de Sylax" التي تضمنت أسماء بعض الأماكن الممتدة على سواحل شمال إفريقيا³.

تكلم هيرودوتوس في مؤلفه عن العلاقة التي كانت تجمع الفينيقيين والسكان المحليين والعلاقات التجارية التي كانت تربطهم⁴، وسلطت كتابات المؤرخ بوليبيوس "Polybius" الضوء على التواجد الفينيقي البوني في شمال إفريقيا خلال القرن الثالث ق م، خاصة على الحروب البونية بين القرطاجين والرومان⁵، وتكلم ديودوروس الصقلي "Diodorus

¹ محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003، ص 317-318.

² C. Muller, Géographie graeci minores, tome1, éd Diodot, Paris, 1855, p99.

³ I bid, p 90.

⁴ Hérodote, IV, 184.

⁵ Polybe, Histoire générale, III, 39.2, trad. Denis Roussel, éd. Gallimard, bibliothèque de la pléiade, Paris, 1970.

"Siculus" الذي عاش في القرنين الثاني والأول الميلاديين عن سكان بلاد المغرب القدماء، حيث قسمهم إلى أربعة فئات: الفينيقيون الذين يسكنون قرطاجة والبونيون الذين يسكنون المدن الساحلية والنوميدي الذين يسكنون المدن الداخلية والبدو الرحل الذي يقطنون على مشارف الصحراء، وتكلم عن العديد من الأحداث التاريخية التي خصت المنطقة¹.

خصص المؤرخ الإغريقي أبيانوس "Appianos" جزءا من كتاباته عن الحروب البونية خاصة الحرب الثانية منها وما صاحبها من أحداث، خاصة عندما دمر سكيبيو إميليانوس "Scipio Aemilainus"² قرطاجة وحرقها كاملة³، وخصص المؤرخ الروماني تيتيوس ليفيوس "Titius Livius" أحد أجزاء مؤلفه العملاق "تاريخ روما" للحديث عن الحرب البونية الثانية والأحداث التي صاحبته، وذكر أسماء بعض المناطق والملوك، كما تكلم عن سيرتها وتأثيرها بالحضارة البونية⁴، ويمكن أن نضيف عديد الكتاب القدماء الآخرين الذين كتبوا عن التواجد الفينيقي البوني في شمال إفريقيا أمثال سترابون و بلينيوس الأكبر وساليستوس وبومبيوس ميلا وغيرهم⁵.

تكتسي المصادر الأثرية أهمية بالغة في دراسة تاريخ المجتمع البوني باعتبارها مصدر معلومات لا غنى للدارس عنه، رغم أنها مصادر صامتة واستجوابها يستوجب حذرا شديدا ويتطلب موضوعية فائقة. وتزخر شمال إفريقيا بالعديد من المواقع والدلائل الأثرية الفينيقية البونية خاصة على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط، وفي بعض المناطق الداخلية التي وصلها نفوذ هذه الحضارة، وقد أقيمت العديد من التنقيبات في قرطاجة والمدن البونية لكشف خبايا هذه الحضارة، وذلك بداية من 1822م وإلى غاية يومنا هذا، أين تداولت

¹ Diodore de Sicile, Bibliothèque Historique, LXX, XXVI, trad par : A.F Miot, Paris, 1934.

² سكيبيون إميليانوس (185 – 129 ق م): قائد عسكري روماني وهو الابن الثاني ليولويوس إميليانوس تبناه سكيبيون ابن سكيبيون الأفريقي المعروف والذي هزم حنبعل في معركة زاما، عين سكيبيون إميليانوس على رأس الجيش الذي توجه إلى إفريقيا سنة 149 ق م وتولى تحطيم وحرق قرطاجة سنة 148 ق م. أنظر: محمد فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاج، مركز النشر الجامعي. أليف، تونس، 1999، ص 336-337.

³ Appein, Histoire Romaine, trad par D. Goukowsky et E. Gaillard, éd C U F, Paris, 1997.

⁴ Tit Live, Histoire Romaine, XXX, 12.4.48.49trad. M. Nicard, J. J. Dubouchet et Compagne, Paris, 1839.

⁵ محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي.....، ص 114-102.

الفصل الثاني ————— مكانة الأطفال في المجتمع البوني

البعثات الأجنبية والمحلية على المواقع الأثرية البونية، وكان نتائجها العديد من اللقى الأثرية والنقوش والأنصاب والعمائر التي تعكس تواجد الإنسان في المنطقة¹.

تحوز شمال إفريقيا على عدد كبير من النقوش البونية خاصة في المدن الساحلية وبعض المدن الداخلية مثل سيرتا، وتنقسم هذه النقوش إلى نوعين: نقوش إهدائية ونقوش تذكارية جنائزية، ويفيدنا هذا النوع من المصادر في معرفة أسماء الأعلام والأماكن وبعض المعلومات الدينية والثقافية²، وتعتبر العمارة الجنائزية وما يصاحبها من لقى أثرية وبقايا إنسانية من بين المصادر المادية التي يعتمد عليها أي باحث للتأريخ لعالم الأموات في أي مجتمع من المجتمعات، وقد وجد الباحثون العديد من المقابر البونية في مختلف المناطق، وهناك عدة أنواع منها مثل: القبور السردابية والقبور البسيطة³.

تشكل الفخاريات البونية مصدرا ماديا مهما في التأريخ لهذا المجتمع، خاصة تلك التي تستعمل للدفن والتي تستعمل في الحياة اليومية، ويتنوع الفخار البوني من حيث النوع واللون والشكل والعجينة التي صنع منها⁴. ولا تقل النصب التذكارية والإهدائية أهمية عما سبقها من المصادر المادية، حيث تزرخ المدن الفينيقية بعدد كبير منها، والتي قدمت لنا العديد من صور الآلهة والشخصيات التاريخية والرموز الدينية⁵، وتوجد العديد من المصادر المادية الأخرى التي يمكن من خلالها معرفة بعض المعلومات عن الحياة في تلك الفترة خاصة العملة، الزجاج، الحلي، الأسلحة، التماثيل والجعلان والمعادن⁶.

أمام هذا التنوع الكبير بين المصادر الكتابية والمصادر الأثرية التي خصت الحضارة البونية القديمة، حري بنا أن نتساءل: هل يمكن لنا أن نكون صورة واضحة عن مكانة الطفل والطفولة في المجتمع البوني من خلال هذه المصادر؟ أو بصورة أخرى هل كان للطفل مكانة مرموقة في الأسرة والمجتمع البوني؟ وما هو واقع التربية والتعليم في المجتمع البوني القديم؟ وما هي حقيقة ظاهرة التضحية بالأطفال التي ذكرتها النصوص الأدبية؟

¹ الشادلي بورونية ومحمد طاهر، قرطاج البونية تاريخ وحضارة، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999، ص 37-40.

² محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي.....، ص 127.

³ S. Gsell, H.A.A.N., tome 5, librairie Hachette Paris, 1927, p432.

⁴ E.J Brill, op-cit, p137.

⁵ I Bid, p 132.

⁶ الشادلي بورونية ومحمد طاهر، المرجع السابق، ص 42-43.

3- نسب الأطفال

تؤكد كل المعطيات التاريخية من نصوص أدبية ومصادر أثرية أنّ الأطفال في المجتمع البوني كانوا ينسبون لأبائهم، أي أنّ النّظام الأسري السائد هو نظام الأسرة الأبوسية مثلها مثل باقي الأسر القديمة في مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط، حيث أنّ الفينيقيين القدماء كان النّسب عندهم عن طريق الأب، وهو ما أكدته النصوص الأدبية، حيث ذكر جوستينوس الملكة الفينيقية عليسا ديدون وأخاها بيغماليون وأكد أنهما ينسبان لأبيهما متون ملك صور¹، والشيء نفسه كان عند الليبيين القدماء حيث أنّ كل الأعلام والشخصيات التي ذكرتها النصوص الأدبية والنقائش الليبية نسبت نسباً أبوسياً، فإذا تعامل الفينيقيون والليبيون القدماء بهذه الطريقة فالأكيد أنّ المجتمع البوني قد حذا حذوهم، خاصة وأنه مزيج بين الشعبين السابقين.

تحدثت النصوص الأدبية عن بعض الأسر والشخصيات القرطاجية والبونية وأكدت أنّها تنسب للأباء، ومن أشهر الأسر الكبيرة التي كان ينتقل فيها النّسب على الخط الذكوري عائلة الماغونيين التي حكمت قرطاجة لأكثر من قرن من 550 ق م إلى 396 ق م² (الشكل رقم 16)، وقدمت العديد من الشخصيات من بينهم حنون بن عبد ملقرت بن ماجون الأكبر صاحب الرحلة المشهورة³، وهناك أيضاً أسرة أميلكار برقة المعروف بسياسته الشعبية واستيلائه على إسبانيا، وأشهر أبناء هذه الأسرة حنبعل بن عبد ملقرت البرقي⁴.

يذكر تيتوس ليفيوس شخصية صوفونيسب "Sophonisbe" التي طلبها الملك النوميدي ماسينيسا للزواج من أبيها عزربعل بن جركسن الذي وافق في البداية لكن سرعان ما تراجع تحت ضغط مجلس الشيوخ القرطاجي⁵، وتؤكد هذه الرواية أنّ الأب عزربعل ينسب لأبيه والبنت تنسب لأبيها وتستمر سلطته عليها حتى زواجها ثم تنتقل السلطة إلى زوجها، وكل الشخصيات الأخرى التي جاءت في النصوص كان نسبها دائماً للأب.

¹ Justinus, XVIII, 4.

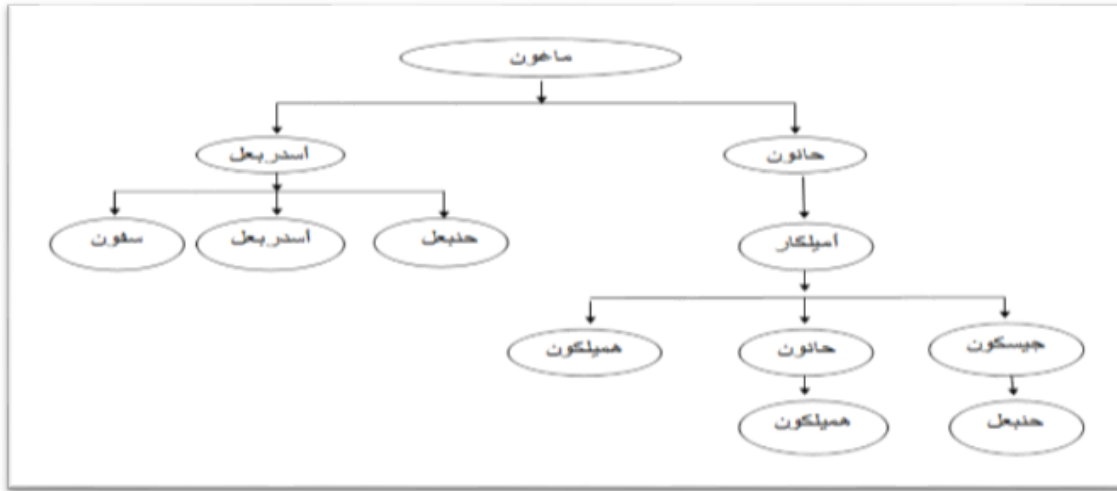
² M. Fantar, Carthage Approche d'une Civilisation, tome 1, éd Alif, Tunis. p 191-192.

³ محمد حسين فطر، الحرف والصورة.....، ص 127.

⁴ المرجع نفسه، ص 119.

⁵ Tit Liv, XXIX, 23.4.

شكل رقم 16: سلسلة نسب أسرة ماغون

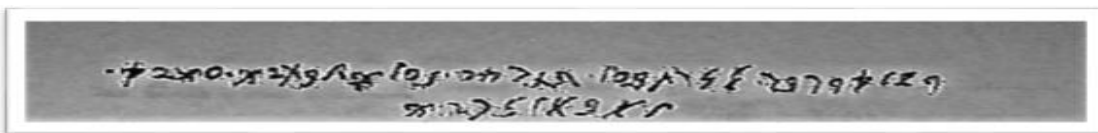


G.H. Picard et C. Picard, Vie et mort de Carthage, Hachette, Paris, 1970, p57

تؤكد النقوش البونية المنتشرة في شمال إفريقيا ما جاءت به النصوص الأدبية حول قضية النسب الأبوي، فجلّ الأسماء التي ذكرت في هذه النقائش أرفقت باسم الأب للشخص المراد ذكره بصيغة فلان بن فلان، وسنحاول إعطاء بعض الأمثلة لنقائش بونية من مناطق شتى من شمال إفريقيا.

مثال 1: نقيشة بونية وجدت في مدينة لبدة الليبية ومصنفة في مدونة النقائش البونية في إقليم طرابلس تحت رقم 14 (IPT14)، ترجمها العديد من الباحثين في مجال الكتابة والنقائش البونية أمثال الباحث ديسود "Dussaud" والباحث لوفي ديلا فيدا "L. Della Vida"¹.

النقيشة رقم 1:



IPT 14

• نص النقيشة:

¹ عبد الحفيظ الميار، المرجع السابق، دراسة تحليلية للنقائش البونية في إقليم المدن الثلاث في ليبيا، منشورات جامعة الفتح، طرابلس، 2005، ص 142-143.

1. (ع ب) دم ل ق ر ت ب ن ئ . ح ن ب ع ل . ه . ق ي ف ع ل أ . ل ب ن ي أ ع
أ ي ق

2. ل م ب م ح ي أ

• ترجمة النقيشة:

- عبد ملقرت بن حنبعل العتيقي (الذي كان معينا من قبل) مواطني وادي لبدة في
منصب إيميليت¹.

مثال 2: نقيشة بونية وجدت في ضريح وادي العمود في ليبيا، وهي تشير إلى الأشخاص
المدفونين في هذا الضريح، مسجلة تحت رقم 79 في مدونة النقائش البونية في طرابلس
وترجمها لوفي ديلا فيدا وبعض الباحثين الآخرين.

النقيشة رقم 2:



IPT 79

• نص النقيشة:

- 1- (ق) ب ا ر م ق ن ا ت ا ت م ا ا ش ف ع ل م
- 2- م ع ص و ك ن ل ا ب ي ا ي م ر ر ب ن ج ع ط ي ط
- 3- ه م ص ل ي و ل ا م ز ر ط ب ت ج ع ت ي ع ن ه ن / ت ج ل ب ي
- 4- و ل ا ب ن ي و ل ا ش ت ي س ل ي ن / ت ب ت ي ن / ت ك د ع س ن ب ن
- 5- ص ي و ك ه ن / ت ج ل ب ي ح ش ل ا ر ب ت ن م ن م ن ف ل ع ب ت ص ت
ي ب ن / ت م

¹ عبد الحفيظ الميار، المرجع السابق، ص 99-100.

6- بح ي ت ن م و ب ح ي ت ب ن ا م ا ر ش م و ا ي ا ص د ن

• ترجمة النقيشة:

- 1- قبر ملك خاص أقامه
- 2- ماسوكان لوالده يمرر بن جطيظ
- 3- المصلي ولأمه زوط ابنة جاتيان التغلبي
- 4- ولابنته ولزوجته عسليان
- 5- وصيوك التغلبي ياللحزن على أربعتهم شيده على حسابه بني
- 6- خلال حياته وحياته ولديه اريشام واياصدن¹

مثال 3: نقيشة بونية نذرية إلى الربة تانيت والإله بعل حامون وجدت في قرطاجة تتضمن الإهداء وصاحب النذر ونسبه (اسم أبيه واسم جده) وتنتهي بالدعاء، وهي مسجلة في ديوان النقائش السامية تحت رقم 4579 ترجمها الباحث محمد حسين فنطر.

• ترجمة النقيشة:

إلى الربة تانيت وجه بعل وإلى المولى بعل حامون ما نذره عكبرم بن عبد صد بن اشمنيحن لتسمع صوته وتبارك.²

وجدت العديد من النقوش البونية بالمعبد البوني في سيرتا، وتتضمن هذه الأخيرة العديد من أسماء الشخصيات وتذكر سلسلة النسب الخاصة بهم مثل: الشفط أدونيال بن شافوت، والكاهن عبد أشمون بن عبد ملقرت، والكاتب ماغون بن بودشتارت بن جرمقرط، ورئيس الجند بودشتارت بن ماسوفرد، والجندي أريش بن عبد أشمون... الخ، وتبقى هذه النماذج هي السائدة في مختلف النقائش البونية في مختلف المدن التي وجدت فيها، ف دائما يتكرر هذا النموذج: اسم الابن، اسم الأب، اسم الجد.³

¹ عبد الحفيظ الميار، المرجع السابق، ص 142-143.

² محمد حسين فنطر، الحرف والصورة...، ص 69.

³ G. Camps, les Numides et la Civilisation Punique, Ant Afr, tome 14, 1979, p51-53. Pp 43-53.

4- الأطفال في الأسرة والمجتمع البوني

إنّ النصوص الأدبية التي تتحدث على خصوصية الأسرة والمجتمع البوني تكاد تنعدم لأسباب نجهلها، ولم تقدم لنا هذه المصادر سوى بعض المعلومات عن الأسر الكبرى في قرطاجة مثل أسرة ماغون وأسرة أميلكار برقة، ويغلب على هاتين الأسرتين أنهما كانتا قليلتي العدد، حيث كانت تضم الزوجين وعددا قليلا من الأطفال عكس الأسر الليبية القديمة التي تضم عددا كبيرا من الزوجات والأطفال، فأميلكار برقة كان له ولدان هما حنبعل وأخوه صدربعل وبنتان تزوجت إحداهما أسدربعل وتزوجت الثانية الأمير النوميدي أوزاليس، أما حنبعل فكان له ابن واحد لم تذكر المصادر اسمه، ونفس الشيء بالنسبة لماغون القرطاجي الذي كان له ولدان هما أسدربعل وهمليكار¹، وكان لأسدربعل القائد الذي حذر الحرب البونية الثالثة ولدان، وهما اللذان ارتميا مع أمهما في النار قبل دخول الرومان قرطاجة².

يستبعد علماء الآثار نظام تعدد الزوجات في المجتمع البوني خاصة بعد التنقيبات التي أقيمت على القبور البونية فقد وجدوا العديد من القبور التي تضم الزوجين أي الرجل وامراته فقط، واقتصار الرجل على امرأة واحدة يقلل من نسبة الإنجاب في العائلة الواحدة³، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هل كانت الأسر القرطاجية كلها قليلة العدد؟ وهل نستطيع أن نعمم هذه الظاهرة على المدن البونية كلها؟ خاصة وأنّ بعض المؤرخين القدامى قدموا أرقاما كبيرة لعدد سكان قرطاج⁴، حيث قال سترابون أن عدد سكان قرطاجة هو 700 ألف نسمة، وقد شكك بيكارد في هذا الرقم وأكد أنّه لا يمكن أن يتجاوز عدد سكانها الـ 100 ألف⁵، مما يجعل الحكم على نسبة الإنجاب في الأسرة القرطاجية والبونونية صعبا في تلك المرحلة.

¹ M. Fantar, Carthage....., p 193-194.

² فينفرید اللیغر، قرطاجة مدينة البونيين والرومان والمسيحيين، تر عید مرعي، دار الكتاب، دمشق، 2000، ص 24.

³ S.Y. Zeghal, la femme Carthaginoise : état de la recherche, REPPAL, 9, 1995, Tunis, p209.

⁴ جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، تر ربا الخش، ط1، دار الحوار، سوريا، 1998، ص 167.

⁵ G. Picard et C.C. Picard, la vie quotidienne a Carthage au temps d'Hannibal, Hachette, Paris, 1958, p59.

توجد العديد من النقائش البونية التي تؤكد قوة العلاقات الأسرية في الأسرة البونية خاصة بين الأبناء والآباء، مثل النقيشة التي وجدت في موقع دليس "Dellys" في تونس التي أنشأها أمتبعل على شرف أبيه، وهناك نقيشة أخرى قام بإنشائها مجموعة من الإخوة على شرف أبيهم الذي يسمى بتبعل¹، و تخبرنا النقائش البونية كذلك عن طبيعة العلاقة بين الأب وابنته، فهناك نص نقائشي وجد في قرطاجة يذكر أن أسبربعل ابن بودعشتار قدم خروفين (ذكر وأنثى) للإله بعل من أجل ابنته متينبعل²، حيث تبين هذه النقيشة عاطفة الأب ناحية ابنته لأنه سماها هبة الإله بعل وقدم خروفين من أجل حفظها، كما تبين كذلك حرص الأب على تعليم ابنته الواجب الديني في صورة تقديم القرابين للآلهة³.

توجد نقائش أخرى تحكي عن الأخوة في العائلة البونية، مثل النقيشة التي وجدت في قرطاجة⁴ تذكر أخوين بنت وولد هما: "شيسفات وشيساف" "Shéçafat et Shéçaf"، وهما أبناء مهربعل ابن جيرعشتار، وقد قام هذان الأخان بتقديم القرابين إلى الآلهة سويا وهو ما يبرز عمق العلاقة بينهما⁵، ولاحظ الباحث الفرنسي فيفري على نصبين في مدينة سيرتا دعوى للآلهة تشكوها "لعنة الذرية" من قبل أسرتين، فالأسرة الأولى أنجبت طفلا أبكم وأصمًا والأسرة الثانية أنجبت طفلا مصابا بالشلل⁶، وهذا دليل على اهتمام البونيين بالنسل وحرصهم على سلامة أبنائهم، حتى أن بعض المعطيات الأثرية تشير إلى أن العائلات الأرستقراطية كانت تقيم حفلات على شرف الولادات الجديدة في العائلة⁷.

أكد بيكارد أن الحضارة البونية كانت أقل فضاة من الحضارات الأخرى في البحر الأبيض المتوسط فيما يخص تربية الأطفال بالرغم من وجود ظاهرة التضحية بالأطفال، فإذا كان الطفل المولود في قرطاج معرضا للحرق في يوم مولك "MOL'k"، فإن الطفل

¹ S.Y. Zeghal, op-cit, p 209.

² CIS. I, 5702.

³ S.Y. Zeghal, op-cit, p 209.

⁴ CIS. I, 5496.

⁵ S.Y. Zeghal, op-cit, p 209.

⁶ G. Picard et C.C. Picard, la vie quotidienne....., p 132.

⁷ H. Dridi, Carthage et le monde Punique, éd le belle Letters, Paris, 2006, p241.

الذي يولد في أثينا أو روما قد يجد نفسه في أي لحظة متروكا في زاوية من الشارع تحت رحمة الوحوش أو تجار الرقيق¹.

أشار بعض المؤرخين إلى أنه لم يكن هناك حنان ولا خوف على هؤلاء الأطفال الذي يقدمونهم للتضحية لدرجة أن الأم نفسها حسب بلوتاخ لا تذرف أي دمعة على ابنها الذي يموت أمام عينيها وهذا شيء مستحيل لأن غريزة الأم أقوى من أي انضباط ديني، حتى أن بلوتارخوس "Plutarchus" يتراجع فيما بعد ويقول أن القرطاجيين كانوا يضربون الدفوف ويعزفون الناي ويقرعون الطبول خلال حفل مولك وذلك من أجل إثارة الضجيج الذي يحول دون سماع رثاء الوالدين لأبنائهم الذين يضحى بهم².

كان في الديانة البونية ما يحمي الطفل ويبرز مكانته الدينية في المجتمع، حيث وجد صورة في معبد ثينيسوت "Thimissut" لشابة صغيرة رأسها ملفوف بقطعة قماش بشكل دائري، أنفها أفطس وفمها واسع وتبدوا على ملامحها الطيبة، وهي جاثية على ركبتيهما تحمل طفلا صغيرا وتقربه من ثدييها قصد إرضاعه (شكل رقم 19). وأشار الباحثون إلى وجود الآلهة مرضعة الأطفال أو الآلهة حامية الأطفال في قرطاج، ويتأكد هذا الشيء مرة أخرى في إحدى الصور المنقوشة في النصب الخاصة بالآلهة تانيت، ووجدت كذلك ستة تماثيل للآلهة تحت اسم فينيمان "Viniman" في مدينة باجة "béja"، هي من أصول نوميدية دون شك لكن من خلال أسمائها ومظهرها فهي تبدو أنها متأثرة بالثقافة البونية، ويوجد عند أقدام هذه الآلهة طفل صغير يصرخ ويبدوا على محياه أنه يطلب العون من الآلهة³.

يشير الباحث مرلين "Merlin" إلى أن الإلهة تانيت عُبدت في قرطاج والمدن البونية ممثلة في العديد من الرموز الهندسية والنباتية مثل: الهلال والنجوم والمثلث والنخلة واليد... إلخ، وممثلة أيضا في الأشكال الإنسانية مثل: تمثال المرأة التي تحمل طفلا وتغذيه من ثدييها⁴ (شكل رقم 18)، ويشير فنطر أن أشهر أسماء تانيت هو "الأم" التي أضفى عليها صفة الأمومة، فهي التي تحتضن الأطفال الصغار وتتكفل بحمايتهم، وهي التي تحافظ على

¹ G. Picard et C.C. Picard, la vie quotidienne....., p 152.

² Plutarque, De Superstition, trad Amyot, II, 13.14, éd Janet et Cotellet, Paris, 1918.

³ G. Picard et C.C. Picard, la vie quotidienne.....p 152.

⁴ A. Merlin, Le Sanctuaire de Baal et de Tanit près de Siegu, pp7-8.

النَّسْل حسب اعتقاد المجتمع البوني القديم¹. وتؤكد النَّقُوش البونية ذلك مثل تلك النقيشة التي وجدت في معبد صالمبو في قرطاجة على نصب أقيم لتخليد تضحية طفل صغير تقدم به شخص يدعى عشترت بن جد ملقرت ابن صريم للأُم الربة تانيت وجه بعل وللمولى بعل حامون².

وجد في أحد القبور في قرطاجة تمثال طيني مجوف أصفر اللون ارتفاعه 0.15 م، ويجسد هذا التمثال امرأة تحمل ابنتها، وتقف على قاعدة سميكة، تلبس سترة بأكمام طويلة وترتدي أقراط في أذنيها، وتحمل ابنتها بذراعها الأيسر بينما الذراع الأيمن موجه للدعاء، أما البنت فشعرها كثيف وترتدي سترة (شكل رقم 17)، وقد أكد الباحث الفرنسي ديلاتر "A.L Delattre" أن هذا التمثال يرسخ عبادة الإلهة الأم المكلفة بالخصب والمحافظة على النسل وحامية الأطفال³.

أكدت الباحثة زغها "Zeghal" أن هناك العديد من الولادات غير الشرعية في المجتمع البوني، وأشارت أن المجتمع البوني يحمي هؤلاء الأطفال ولا يقصمهم، واستعانت بنقيشتين في مدونة النَّقائش السامية، النَّقيشة الأولى كانت تحت رقم CIS.I, 902 وكان عبارة عن إهداء من شخص يسمى عريش ابن أمه جادنام وجدته عليسا، وهناك نقيشة إهدائية أخرى من المدونة نفسها تحت رقم CIS. I, 5779 لشخص آخر ذكر في نسبه أمه و جده، وهذا شيء تراه الباحثة شاذًا عن باقي النَّقائش البونية التي لطالما ينسب فيها الشخص لأبيه ورجحت أن هؤلاء الأشخاص لا يعرفون آباءهم فنسبوا لأمهاتهم⁴.

وجدت العديد من التماثيل الطينية لأطفال في مختلف الأعمار، ومن خلال هذه التماثيل تعرفنا على اللباس الذين كان الأطفال يلبسونه، فالطفل الرضيع عادة ما تلف قطعة من القماش كل أجزاء جسمه أو كما يسمى حاليا بالقماط وذلك لحمايته من البرد وللحفاظ على نموه الطبيعي، وما زالت هذه العادة تمارس في شمال إفريقيا إلى حد الآن، والمثال الصريح

¹ M. Fanter, Carthage...., tome 2, p260.

² CIS. I, 380.

³ A.L Delattre, figurines trouvées à Carthage dans nécropole Punique, l'Académie des inscriptions et belles – Letters, 47 années, N5, 1903, p433. pp429-439.

⁴ S.Y. Zeghal, op-cit, p 209.

على هذا هو ذلك التمثال الذي وجد في قرطاجة والذي يمثل امرأة جالسة على كتلة صخرية وهي تحمل رضيعها الملفوف بالقماط¹ (شكل رقم 20).

يشير الباحث مايس "Maes" إلى أن لباس البونيين البالغين كان حسب مكانتهم الاجتماعية، أما الأطفال فقد أشار أنهم يتركون عراة، لأن مناخ المنطقة المعتدل يسمح بذلك، ويبدو أن هذا أثر حتى على طريقة اللبس لدى الرجال حين يكبرون، فقد عثر على العديد من التماثيل كان فيها الجزء العلوي للرجل عاريا، وما يؤكد ذلك هو أن كل تماثيل الأطفال الموجودة في ثينيسوت كانت عارية²، ووجدت بعض تماثيل الأطفال في قرطاج ولديها تسريحة شعر خاصة، هي عبارة عن جدائل تقسم الرأس إلى اثنين، ومرفقة بالعديد من التمايم مربوطة على مستوى الجبهة³، كما وجد تماثيل صغير لامرأة وهي تصنع الخبز وبالقرب منها طفلة تلبس ستارا على جسمها الصغير في قبو في برج الجديد في تونس⁴.

عثر في مقابر الأطفال في مختلف المقابر البونية على العديد من الدمى والألعاب مما يدل على اهتمام الأولياء بأبنائهم، كما وجدت العديد من الرضاعات في قبور الأطفال وهي عبارة عن قنينة فخارية بيضاوية الشكل رأسها عبارة عنق ينتهي بمنقار حاد، تملأ بالسوائل كالماء والحليب وربما الحساء وتستعمل كمصاصات للأطفال، كما وجدت العديد من الدمى الفخارية والأباريق والأكواب واللوحات والمصابيح الطينية.

تساءل بيكارد عن حقيقة ممارسة ظاهرة الختان في المجتمع البوني خاصة وأن الفينيقيين واليهود مارسوا هذه العادة التي نقلوها عن المصريين القدماء، واحتمال أن الفينيقيين نقلوها معهم إلى بلاد المغرب، خاصة وأنه توجد في بلاد المغرب بعض الممارسات الدينية التي تقضي بنزع أو بتر جزء من الجسم وإعطائه للآلهة⁵، لكن ستفان غزال نفى هذه الظاهرة

¹ M. Vezat, Comment Carthage enterrait ses morts aux VI et V siècle, archéologie vivante, vol 1, n° 2, Paris, 1968, p 73- 74. P67-94

² A. Maes, L'Abillement Masculine à Carthage à L'époque des guerres Puniques, Studia Phoenica, 10, 1989, p22.

³ G. Picard et C.C. Picard, la vie quotidienne....., p 133.

⁴ S.Y. Zeghal, op-cit, p 208.

⁵ G. Picard et C.C. Picard, la vie quotidienne....., p153-154.

الفصل الثاني _____ مكانة الأطفال في المجتمع البوني

عن البونيين بحجة أنها لم ترد في مسرحيات الكوميدي بلوتوس الذي لن يفوت فرصة كهذه للتهكم على البونيين¹.

شكل رقم 18: الآلهة تانيت المجسدة في الأم المرضعة



A. Merlin, op-cit, p8

شكل رقم 17: الآلهة الأم رفقة ابنتها



A.L Delattre, op-cit, p 434

شكل رقم 20: تمثال الأم رفقة رضيعها المقمط



شكل رقم 19: الأم المتضرعة رفقة رضيعها



M. Vezat, op-cit, p 73; 74

تعد مسرحية القرطاجي الصغير "Poenulus" التي كتبها الكوميدي والمسرحي الروماني بلوتوس² "Plautus" والتي تم عرضها في اليوم الثاني من انتصار سكيبيون الإفريقي على حنبعل في نهاية القرن الثالث ق م، من بين المصادر التي يمكن أن نستشف منها بعض المعلومات حول مكانة الطّفّل في الأسرة البونية لأنها قصة من الواقع المعاش، وتحكي المسرحية قصة أبناء عم من أسرتين كبيرتين ثريتين، الأول كان لا يزال حيا

¹ S. Gsell, H.A.A.N, tome2, p248.

² بلوتوس "Titus Maccius Palautus" 184 254 ق م: كاتب وكوميدي روماني عاش في روما في القرن الثالث ق م، مشهور بمسرحياته الكوميدية التي اختارها من الواقع المعاش ومن أشهرها الشيخ الثرثار، العبد المحتال، القواد... إلخ. أنظر: الشادلي بورونية ومحمد طاهر، المرجع السابق، ص 35.

والآخر توفي منذ زمن، وكان سبب وفاته هو حزنه الشديد على ابنه الصّغير أغوراستوكلاس "Agorastoclés" ذي السنوات السبع والذي اختطف منه في قرطاج، مما دفعه للبحث عنه في مدينة "Acheron"، في حين أن الرجل الذي اختطفه قد ذهب به إلى مدينة كاليدون "Calidon" وقام ببيعه لشيخ ثري تبناه وجعله وريثاً له.

وفي مجريات القصة يحل والد الصبي الحقيقي ضيفاً على الشيخ الثري وابنه الذي لم يتعرف عليه، أما ابن العمّ الذي بقي في قرطاج فقد كانت له ابنتان الأولى عمرها خمس سنوات والثانية عمرها أربع سنوات، وقد قامت مربيتهما باختطافهما بعد أن أخذتهما لإحدى المتنزهات في قرطاج، وقد تم بيعهما في المدينة نفسها التي بيع فيها قريبهما أغوراستوكلاس، وشاءت الصّدفة أن يقع الشاب في حب قريبته الكبرى المسماة أدالفازيا وتزوجت أختها أنتراستيل جندياً بعد أن اشتراها وحررها من عبوديتها، أما والد الفتاتين فقد استمر في البحث عنهما في كل المدن دون كلل أو ملل، وتحكي المسرحية أنه كان يتقن اللّغات كلها وكان يتظاهر أنه لا يعرفها، وكانت نهاية المسرحية سعيدة حين التقى الرجل بابنتيه في المرفأ رفقة قريبه أغوراستوكلاس الذي تعرف عليه وكشف لهم كل الأسرار¹.

يمكن أن نستخلص العديد من المعطيات من هذه المسرحية الشهيرة، ولعل أول نقطة لفتت انتباهنا هي ظاهرة اختطاف الأطفال في قرطاج وبيعهم في سوق العبيد وكسب أرباح ومكاسب مالية من ورائهم، فالذكور يمكن تسخيرهم للخدمة والبنات يمكن اتخاذهنّ كخليلات أو محظيات، وقد أشار ديودوروس الصقلي في معرض حديثه عن ظاهرة التضحية بالأطفال في قرطاجة إلى سوق العبيد الذي اشترى منه القرطاجيون الأطفال وقدموهم كقرايين بدلاً من أبنائهم كنوع من التحايل على الآلهة².

تؤكد هذه المسرحية على أن الأسرة في قرطاجة كانت قليلة العدد مثلما أشرنا إليه سابقاً، فالأسرة الأولى كان لديها ابن واحد والأسرة الثانية لديها ابنتان والشيخ الثري لم يكن له أولاد إطلاقاً فاضطر لتبني أغوراستوكلاس، ودائماً ما تنتشر ظاهرة التبني في المجتمعات التي لا تتجب كثيراً الأطفال، فمن المرجح أنّ هذه الظاهرة كانت منتشرة كثيراً في قرطاجة

¹ Plaut, Poenulus texte établi, trad par A. Rivaud, les belles Lettres, Paris, 1961, p 60-120.

² Diodore de Sicile, XX, 14.4-6.

رغم غياب الشواهد الدالة عليها في النصوص الأدبية. ومن بين المظاهر الأخرى التي أشارت إليها هذه المسرحية هي أن الأسر الثرية كانت تضع مربين ومربيات لتربية أبنائهم وبناتهم مثل المربية التي خانت الأمانة وخطفت البنيتين، وتحدثت بعض النصوص عن طفولة بعض الشخصيات القرطاجية المشهورة والذين كان يرافقهم مربين، مثل أميلكار برقة الذي حرص على تعليم أبنائه حتى يصبحوا وطنيين ومتجذرين وعهد بذلك إلى حنبل أكفا المعلمين اليونانيين¹.

5- المنظومة الاسمية في المجتمع البوني

يسمى الطّف في المجتمع البوني منذ الأيام الأولى لولادته، ويشير بيكارد أن أغلب الأسماء البونية لديها طابع ديني عكس الأسماء الهندو أوروبية التي تشير دائما إلى الصفات الإنسانية والذاتية للأشخاص، وتتكون الأسماء البونية في الغالب من مقطعين (اسم الإله والصفة)، ومن الأسماء البونية الشائعة هي التي تحمل في أولها مقطع عبد "Abd" الذي يقترن باسم من أسماء الآلهة مثل عبد ملقرت "Abdmalqart"، عبد أستار "Abdastart"، عبد أشمون "Abdeshmoun"، وعبد تعني الخادم أو العبد.

تقترن بعض الأسماء بالمقطع بعل "Ba'al" ومعناها الإله، مثل حنبل "Hannibal" ومعناه الذي يحظى برعاية بعل، أزربعل "Azruba'al" ومعناه الذي يحظى بعون بعل، وهناك مقاطع أخرى مقترنة بالمقطع بعل مثل بعليتون "Ba'alyaton" ومعناه هبة الإله، وكذلك اسم متيبعل "Muttumba'al" ومعناه هدية الإله.

استمر استخدام المنظومة الاسمية البونية التي يقترن فيها الاسم بالإله عند الرومان مثل اسم ديوغراتيوس "Deogratius" و"quodultdeus"، وكذلك ظهرت في الأسماء العربية مثل عبد الله وعبد الرحيم². ولا تختلف الأسماء الأنثوية في تركيبها كثيرا عن الأسماء الذكورية، حيث يدخل في تركيبها أسماء الآلهة خاصة الإله بعل والإله ملقرت والآلهة عشتار، وتقرن أسماء الآلهة ببعض الصفات مثل بت "BT" والتي تعني ابنة مثل بتبعل أي

¹ G. Picard et C.C. Picard, la vie quotidienne..., p62.

² I bid, p153.

الفصل الثاني _____ مكانة الأطفال في المجتمع البوني

بنت الإله بعل، هت "HT" التي تعني أخت، مت "MT" والتي تعني خادمة مثل "متملقرت" أي خادمة ملقرت ، متين "Muten" أي هبة الإله¹.

جدول رقم5: بعض الأسماء البونية المستخرجة من نقائش المعبد البوني في سيرتا

الاسم	باللغة الفرنسية	الجنس
أدونيبعل	ADONIBAAL	ذكر
هيملكات	HIMILKAT	ذكر
بعل ياتون	BA'ALYATON	ذكر
أزروبال	AZRUBA'AL	ذكر
عبد أشمون	ABDESHMOUN	ذكر
أريشات	ARISHAT	أنثى
ماسوفر	MASFR'd	ذكر
هيملكي	HIMELKE	أنثى
بوداشتورت	BODESHTORT	ذكر
بعل سيلاك	BA'ALSHILLEK	ذكر
أريشام	ARISAM	ذكر

مضوي خالدية، التواصل الحضاري في مدينة قسنطينة في العصور القديمة ما قبل التاريخ نهاية الاحتلال الروماني، مذكرة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2016-2017، ص 246-247.

6- التربية والتعليم الأطفال في المجتمع البوني

تعد المصادر الأدبية والأثرية قليلة جدا فيما يخص موضوع الحياة الفكرية والثقافية في المجتمع البوني بصفة عامة، وعن موضوع تربية وتعليم الأطفال بصفة خاصة، لكن هذا لم يمنع اهتمام بعض الباحثين الذين درسوا الفترة البونية بموضوع التربية والتعليم، أمثال شارل بيكارد في كتابه المعنون بـ: "الحياة اليومية في قرطاجة في عصر حنبعل"، وكتاب ستيفان غزال الموسوعي عن "تاريخ شمال إفريقيا القديم" في جزئه الرابع الذي يتحدث عن الجانب الحضاري في قرطاجة والمجتمع البوني².

يؤكد شارل بيكارد أن الهدف الأساسي من التربية والتعليم في قرطاجة هو إعداد الأطفال الصغار وتكوينهم ليكونوا تجارا كبارا ويعتادوا على السفن والأسفار البعيدة، وهي العادة

¹ S.Y. Zeghal, op-cit, p 209.

² إبراهيم العبيدي التوزري، تاريخ التربية بتونس، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1967، ص20.

الفينيقيّة نفسها التي نقلوها معهم إلى قرطاجة، ويرجح الباحث نفسه أن طبقة الكهنة في قرطاجة كان لها مدارسها الخاصة مثل مثيلاتها في صور، حيث كانوا يعلمون أبنائهم القراءة والكتابة الفينيقيّة والبونية ويحفظونهم القصص والطقوس الدينيّة لضمان توارثها ونقلها من جيل إلى جيل، الشيء نفسه قامت به الأسر الغنيّة والأرستقراطية من خلال تعليم أبنائهم تعليمًا متفتحًا على كل العلوم والحضارات، حيث كانوا متشبعين بالحضارة الإغريقيّة من خلال تعليمهم اللغة والكتابة الإغريقيّة في مدارس قد تكون في صقلية أو في قرطاجة نفسها¹.

يشير محمد حسين فنطر أن البونيين كانت حياتهم كلها مع التجارة والأسفار مما يجبرهم قبل كل شيء على تعلم اللغات للتواصل مع الآخرين وتعلم الحساب لتسيير شؤونهم التجاريّة²، وقد تكلمت بعض النصوص عن طفولة بعض الشخصيات القرطاجيّة المشهورة والذين كان يرافقهم مربون، مثل هاميلكار برقة الذي حرص على تعليم أبنائه حتى يصبحوا وطنيين ومتجذرين وعهد بهم إلى أكفئ المعلمين اليونانيين.

تحدثت بعض المصادر الأدبيّة على أن حنبعل كان متشبعًا بالثقافات الفينيقيّة والبونيّة والإغريقيّة ودرس الاستراتيجيّة الحربيّة منذ كان صغيرًا، وكانت صوفونيسب امرأة متعلّمة ومثقّة في الأدب وماهرة في فن الموسيقى، وقد كان لها دور في نشر الثقافة البونية في بلاد الملك سيفاكس، وهذا يدل على أن النساء لم يكن محرومات من التعليم خاصّة في الأسر الغنيّة، ويرجح أنه النساء كنّ يوجهنّ لدراسة الفنون والآداب بينما يوجه الذكور للمجالات التي تناسبهم³، وتكلم غزال عن وجود العديد من المثقفين والعلماء البونيين أمثال المؤرخ صوصيلوس "Sosylos"، وسسيانوس "Sicienos"، وقارون القرطاجي "Charon de Carthage"، والفيلسوفان اكسينوقراط "Xenocrate" وهيرولوس "Herrilos"⁴.

تكلم بلينيوس الأكبر عن قرطاجة أثناء اكتساحها من طرف الرومان سنة 148 ق م، حيث قرر مجلس الشيوخ التبرع بالمكتبات القرطاجيّة للأمراء الأفارقة كعربون صداقة وعرفان

¹ G. Picard et C.C. Picard, la vie quotidienne..., p154.

² M.H. Fantar, Carthage.....,p59.

³ G. Picard et C.C. Picard, la vie quotidienne..., p62.

⁴ S. Gsell, H.A.A.N, tome 4, pp 212-215.

نظرا لمساعدتهم في القضاء على قرطاجة¹، كما قرر المجلس نفسه ترجمة الموسوعة الزراعية التي تنسب إلى ماجون القرطاجي من اللغة البونية إلى اللغة اللاتينية وذلك للاستفادة من المعلومات التي احتوتها، هذه الشهادة تؤكد أن قرطاجة كانت هي العاصمة الثقافية والأدبية لشمال إفريقيا، وقد تخرج منها العديد من الأدباء والمتقنين الذين كانوا قد مروا بالتأکید على مسار دراسي منذ الصغر ليصلوا إلى هذه المرتبة من العلم².

ذكرت النصوص الأدبية الكلاسيكية بعض المعابد البونية التي كانت تقوم بوظائف تعليمية وتربوية، وذلك باستقبال الأطفال وتعليمهم القراءة والكتابة وتلقينهم أسس التربية التي كانت مبادئها تعتمد على الأخلاق الحميدة والمسؤولية الذاتية والاعتكاف على النفس والابتعاد عن الرذيلة.

وجدت نقیشة بونية في مدينة قالمة ترجمها الباحث الفرنسي فيفري على النحو التالي: "قف أيها المار وقرأ" واستنادا إلى هذه النقیشة رأى الباحث الفرنسي أن التعليم كان منتشرا في الأرياف البونية، وقد أكد هذا الأمر الباحث "بيار سنتان" حين قال: "من الخطأ الفادح تصور أن التعليم والكتابة كانا منتشرين في المدن فقط ومقتصرين على أبناء المسؤولين الكبار وأبناء الكهنة، بل على العكس من ذلك تماما فالكتابات التي وجدت على النصب وعلى قطع الفخار المتناثرة عبر كل التراب البوني تؤكد أن كل من عاش في هذا الإقليم من فلاحين وحرفين قد أقبل على تعلم اللغة والكتابة والثقافة البونية"³.

أورد الباحث فنطر في كتابه الحرف والصورة في قرطاجة نصا مقتطعا من خطاب الخطيب الروماني يوليانيوس الذي تكلم على حيثيات التربية القرطاجية حيث يقول في هذا الصدد: "...ومن بين الشعوب الأعجمية هؤلاء القرطاجيون الذين أصدروا قوانين أخرى اتجه المملوكية، فالذي يسمونه بالسلطة العليا لا يمتاز بتربية أجود وأنجع من غيره....، كانت دراسة التمارين والفضيلة منظمة وفق قوانين موحدة تجعل المواطنين كلهم إخوة،

¹ Pline L'Ancien, XVIII, 22.33.

² C. Baurain, La Place des littératures Grecque et Puniques dans les bibliothèques de Carthage, l'antiquité classique, tome 61, 1992, p 158-159. 158-177.

³ وفاء بوغراة، التعليم في بلاد المغرب القديم، المفكر، المجلد 2، العدد 1، جامعة الجزائر 2، 2018، ص 249-253. 291-244.

سواء أولئك ممن كانوا يهيوون للقيادة أو من أولئك المطالبين بالولاء، فالتربية التي يتلقاها أبناء الرؤساء لا تختلف كثيرا عن التربية التي يتلقاها أبناء الرعية، أما أبناء القرطاجيين فكانوا لا يحلمون بتلك المتعة دون فائدة بل كان الأبوان يطردونهم من البيت ويأمرهم أن يعملوا على جلب الرزق شرط أن لا يقتربوا أي عمل مشين..."، وقد علق فنطر على هذا الخطاب مشيرا إلى قيمة التربية البونية المؤسسة على المبادئ والأخلاق الحميدة و محاربة الرذيلة والأفعال المشينة، وهدفها الأساسي هو إنشاء فرد صالح يساهم في المصلحة المشتركة للمجتمع¹.

7- الأطفال ومدن الأموات

خصص البونييون أماكن مختلفة لدفن موتاهم، كانت في بداية الأمر قريبة من التجمعات السكانية وبعد ذلك تطورت فصارت تخصص لها أماكن بعيدة عن المدن أو كما سماها بعض الباحثين "مدن الأموات". وهناك العديد من أنواع القبور البونية في بلاد المغرب القديم مثل القبور السردابية والقبور البسيطة والدهاليز والآبار... إلخ، كما أظهرت التنقيبات التي أجريت على قبور العهد البوني أن أغلبها كان يحتوي على بقايا عظمية بالإضافة إلى العديد من الأثاث الجنائزي كالفخاريات والمعادن والعملات والدمى والتماثيل والتمايم والأقنعة، وهذه الأشياء إن دلت على شيء فإنها تدل على اعتقاد البونييون في حياة أخرى بعد الموت ينتقل إليها الميت بعد وضعه في القبر².

يحاط القبر البوني بمجموعة من الطقوس الجنائزية التي تبين مدى علاقة الإنسان بدينه، مثل الولائم المأتمية التي تقدم للآلهة بعد أيام من دفن الميت وذلك من أجل حمايته، وتقام كذلك الإحتفالات الدينية على شرف الميت والتي تستمر لعدة أيام وتقدم فيها القرابين والأضاحي³.

دفن البونييون أطفالهم مثلما دفنوا كبارهم، رغم الجدل الذي حصل بين الباحثين بخصوص هذا الموضوع، خاصة حول تلك الجرار التي كان يدفن فيها رماد الأطفال فهناك

¹ محمد حسين فنطر، الحرف والصورة.....، ص 68.

² محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي.....، ص 142.

³ S. Gsell, H.A.A.N, tome 4, pp 404-405.

من يراها دفنا عاديا وهناك من يراها طقسا من طقوس التضحية البشرية¹، ويشير بعض الباحثين أن معدل وفيات الأطفال كان مرتفعا جدا في المجتمع البوني، خاصة في قرطاجة حيث قدم الباحث راينييرز "Reyniers" بعد دراسته للمقبرة البونية في قرطاجة رقما عن نسبة وفيات الرضع بلغ حوالي 60 %²، أي أنه من مجمل 100 طفل رضيع يموت 60 طفلا ويبقى 40 على قيد الحياة، وهو رقم كبير يطرح العديد من الأسئلة حول مدى نجاعة الرعاية الصحية التي يقدمها البونيون لأطفالهم؟ ومدى سلامة النظام الغذائي الخاص بالأطفال؟ وفيما يلي سنحاول تتبع قبور الأطفال في مختلف المقابر البونية لمعرفة أنواعها وأماكنها وطرق الدفن فيها:

7-1 دفن الأطفال في القبور البسيطة

هذه القبور عبارة عن حفر قليلة العمق تحفر في المناطق الترابية أو تنحت داخل الصخور تتسع لفرد واحد أو لمجموعة من الأفراد، مثلما وجد في مقبرة "رشجون Rachgoun"³ من مقابر للأطفال، وهي عبارة عن حفر رملية أو صخرية صغيرة الحجم تتناسب مع حجم الطفل، ويوضع الطفل فيها مستلقيا ويكون الرأس محميا بسقيفة حجرية وتغطي باقي الحفرة بالرمال⁴. وفي موقع "رأس ديماس" أجريت الحفريات في سنتي 1996 و2000م، ففي الحفريات الأولى من مجمل 34 هيكلا وجد هيكلان لطفلين الطفل الأول عمره ثلاث سنوات في حالة حفظ سيئة والطفل الآخر عمره سنة، وفي حفريات سنة 2000 من مجمل 35 هيكلا، ثلاثة منها تعود لأطفال منها اثنان تعرضا للحرق وواحد مدفون بطريقة عادية⁵.

¹ سنناقش هذا الموضوع في عنصر التضحية بالأطفال في العالم البوني.

² A. REYNIERS, Démographie, Dictionnaire de la Civilisation Phénicienne et Punique, éd E. Lipinski, Brepols, 1992, p130.

³ رشقون: هي جزيرة في عرض الخليج الذي يصب في وادي التافنة، تبعد على اليابسة حوالي 2 كلم، أجريت فيها العديد من الحفريات في سنوات الخمسينات والستينات من طرف الباحث فويمو التي أسفرت على اكتشاف المقبرة البونية وأثار التجمعات السكانية. أنظر: محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي....، ص 192.

⁴ A.K. Ben Younes, la présence Punique en pays Numide, Institut national Patrimoine, Tunis, 2002, P36-39.

⁵ H. Bedoui et H. Ben Younes et O. Dutour, Étude anthropologique préliminaire d'une population antique du Sahel de la Tunisie (cas de nécropole d'echt et de Zbidi), (Ras Dimes, Thpus), REPPAL, tome 12, Tunis, 2002, p 4-5.

2-7 دفن الأطفال في الجرار

وجدت العديد من الجرار الخاصة بدفن الأطفال في مقبرة تيبازة مدفونة داخل حفر رملية تتناسب مع حجم الجرار، ويوجد في أحد أجزاء القبر قسم دائري قطرة 0.40 م وعمقه 0.70م، في حين أن جرار مقبرة الاندلسيات¹ "Andalouses" داخل حفر صخرية على شكل متوازي مستطيلات عمقها حوالي 0.60 م، وبعد وضع الجثة في الجرة تثبت جيدا وتغطي الحفرة بكومة من كتل الحجارة².

وجد في المقبرة البونية في كركوان³ (أريج الرزواني) قبر عبارة عن حفرة تحتوي على ثلاثة جرار متراكبة الجرة الأولى راقدة وفمها باتجاه الغرب وبداخلها بقايا عظمية لطفل صغير في وضعية حفظ سيئة، الجرة الثانية متموضعة في الجزء الشمالي للقبر لا تحتوي داخلها على بقايا عظمية لكنها تحتوي على بعض المزهريات الصغيرة وعلى رضاعة أطفال وكوب كبير، والجرة الثالثة متموضعة في الجزء السفلي للقبر وفمها موجهة ناحية الشرق وفي داخلها جمجمة لطفل صغير وبعض الأسنان اللبنية مرفقة ببعض الأثاث: كوب صغير، عملة برونزية، بعض التماثيل الصغيرة وأقراط صغيرة⁴.

3-7 رماد الأطفال المدفون داخل الحفر

وجدت في مقابر تيبازة والأندلسيات ورشجون العديد من الحفر الصخرية صغيرة الحجم مستطيلة الشكل تستخدم لدفن الرماد الموضوع في جرة صغيرة أو في بعض ثقوب داخل الحفرة، وتحمى هذه الأخيرة بالعديد من الصفائح الحجرية⁵.

4-7 دفن الأطفال في القبور السردابية

¹ موقع الأندلسيات: هي عبارة عن جزر تقع إلى الغرب من مدينة وهران، وقد عثر في شواطئها الجنوبي على مجموعة من القبور البونية التي أرخت في حوالي القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد. أنظر: محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي....، ص 188.

² A.K. Ben Younes, op-cit, p 37.

³ موقع كركوان: تقع على حافة الطريق التي تربط قليبية بالهوارية وتابعة إداريا إلى بلدية حمام الغراز التونسية، أقيمت فيها العديد من الحفريات في الخمسينات والستينات من طرف ثلة من الباحثين أمثال بيار سنتاس وشارل صوماليني وفيفري. أنظر:

M.H. Fantar, Kerkoune une Cité Punique du Cap-bon, Tunis, 1987, p21.

⁴ L. Slim, Fouille dans la nécropole punique de Kerkoune (Aregel – Gharzouni), Africa, tome 3 et 4, 1972, Tunis, p 191.

⁵ A.K. Ben Younes, op-cit, p 38.

الفصل الثاني _____ مكانة الأطفال في المجتمع البوني

هي عبارة عن قبور عميقة منحوتة في الصخور ترفق بسلاسل تحفر في إحدى جوانبها أو توصل عن طرق آبار مزودة بأدراج، وتحوي على غرفة جنازية واحدة أو عدة غرف تصل ممرات بينها¹، وقد وجد قبران من هذا النوع في جيجل خصصا لدفن طفلين ووجد دهليز آخر في قورايا به بقايا إنسانية لطفل²، ووجد هيكل عظمي لطفل رفقة هيكلين لشخصين بالغين في مقبرة الخيمة والقبر هو عبارة عن بئر مزود بسلم كجزء من الجدار ومغلق بكتل كبيرة من الحجارة³.

جدول رقم 6: أنواع مقابر الأطفال وأماكنهم

النوع المقبرة	القبور بسيطة	جرار الدفن	الترميز	القبور السردابية
تبيازة		*	**	
الأندلسيات		*	*	
رشقون	*		*	
جيجل				*
قورايا				*
قرطاجة	*	*	*	
كركوان		*		
رأس ديماس	*			
الخيمة				*

A.K. Ben Younes, op-cit, p36

8- التضحية بالأطفال في المجتمع القرطاجي البوني:

يعتبر موضوع التضحية بالأطفال من المواضيع الهامة التي أثارت جدلا واسعا لمدة عقود من الزمن بين الباحثين وعلماء الآثار ومؤرخي الأديان، وكان السؤال الرئيسي محور النقاش هو: هل مارس البونيون طقس التضحية بالأطفال؟ وما هي الأبعاد الروحية والدينية

¹ S. Gsell, H.A.A.N, tome 4, p432.

² A.K. Ben Younes, op-cit, PP 36-39.

³ H. Ben Younes, la nécropole Punique d'El Hkayma, REPPAL, tome 4, Tunis, 1988, p56

والاجتماعية لهذه الظاهرة؟ وكيف يمكن التوفيق بين ما جاءت به النصوص الأدبية وبين الشواهد الأثرية؟

1-8 معنى التضحية

ورد في لسان العرب أن كلمة تضحية هي مصدر مشتق من الفعل ضحى، وضحى بالشاة أي ذبحها والأضحية هي الشاة التي تذبح يوم النحر، وهو الشيء المكرس أو المضحى به إلى الله من أجل غاية أسمى ومن معانيها البذل والعطاء¹، ويشير الباحث مولاي محمد جانيف إلى أن الحقل الدلالي لكلمة تضحية مقيد في اللغة العربية ومعناها القتل أو الذبح.

تعطي اللغات الأجنبية معنى آخر للمصطلح، ففي اللغة الفرنسية والإنجليزية يعبر عليها بلفظة "Sacrifice" وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية "Sacrificum" أي إضفاء القداسة على الشيء أو جعل الشيء مقدسا، وفي اللغة الألمانية يعبر عليها بكلمة "Opfer" والتي يقابلها في اللغة الفرنسية كلمة "Offre" بمعنى العطاء وفي اللغة الإنجليزية كلمة "Offering" بمعنى القرбан أو الذبيحة، ويبدو أن هذه الكلمات مشتقة من الفعل اللاتيني "Operari" ومعناه أنجز أو أوفى بالعهد أو أدى التزاما².

عبرت النصوص البونية على مظهر التضحية بالأطفال بلفظ "م.ل.ك" "MOL'k"، الذي قال عنه بيكارد أنه يوم تقام فيه طقوس التضحية بالأطفال في قرطاجة للتقرب من بعل حامون³، وعرفه الباحث الفرنسي فيفري على أن هذا اللفظ هو مصطلح يقصد به طقس التضحية بالأطفال لعبادة الإلهين بعل حامون وتانيت⁴، واعتبرها موسكاتي طقسا تطهيريا يتم بموجبها تطهير الطفل الذي ينظر إليه باعتباره متوفى في سن مبكرة كإنسان غير طاهر

¹ ابن منظور، المصدر السابق، جزء 26، ص 2561.

² مولاي محمد جانيف، إشكالية التفسير في علن الآثار: ظاهرة التضحية بالأطفال في قرطاجة نموذجا، دراسات تاريخية، عدد 77-78، جامعة دمشق، 2002، ص 3-4.

³ G. Picard et C.C. Picard, la vie quotidienne....., p 152.

⁴ J.G. Fevrier, les Sacrifices d'enfants, archéologie vivante, vol 1, n° 2, Paris, 1968, p115. Pp115-118.

ولابد من إحراقه لإخراجه من هذه الحالة إلى حالة الطهارة التي تجعل روحه مقبولة في المجتمع¹.

أشارت الباحثة بن عشو سفار على أن لفظ "مولك" يدل على طقس استهلاكي المراد منه تفويض أمر المتوفين في سن مبكرة إلى سلطة عليا أي إدخالهم تحت رحمة الآلهة²، ويشير الباحث فينفرید إلیغر أن لفظ مولك يتطابق مع لفظ مولوخ وهو إله ذكر في توراة العهد القديم كانت تقدم له الأضاحي، أما الطقس الذي يعبر عنه بلفظ مولك فيتعلق بتسمية عبادة محددة ومرتبطة بمكان محدد³، أما الباحث أيسفيلدت "Eissfeldt" فيشير إلى أن الكلمة ليست اسما أو لقباً لإله ما بل هي التسمية التقنية الدالة على التضحية بالأطفال في النقوش البونية⁴.

يشير بعض الباحثين الآخرين إلى أن لفظ "مولك" يقصد بها اسم أو لقب الإله الذي كانت تقدم له الأضاحي البشرية، وهي الكلمة التي نفسها التي اشتق منها اسم الإله مولوخ المعبود في قرطاجة، بينما يشير بعض الباحثين أن لفظ مولك ليس تسمية تقنية للتضحية وإنما هي لقب الإله العبري ملكوم الذي كان يعبد بنو إسرائيل، حتى أن الباحث ديليور "Deleor" أكد على أن الإله مولوخ ما هو إلا لقب للإله بعل حامون يلقب به عندما تقدم له الأضاحي مستدلى في ذلك على بعض النقوش البونية التي توحى بذلك⁵.

8-2 التضحية بالأطفال في الحضارة الفينيقية

قبل الحديث عن التضحية بالأطفال في قرطاجة والعالم البوني وجب التعرّيج على خلفية هذه الظاهرة في الحضارة الفينيقية والشعب الكنعاني باعتبارهم أجداد الفينيقيين الذين هاجروا إلى شمال إفريقيا، والسؤال الذي يطرح نفسه دائماً هو هل مارس الفينيقيون طقس التضحية بالأطفال؟ خاصة وأن هناك العديد من الإشارات حول هذه الظاهرة في مختلف

¹ مولاي محمد جانيف، المرجع السابق، ص 9.

² عبد الرحمان خلفه، الديانة الوثنية المغاربية القديمة منذ النشأة إلى سقوط قرطاجة 146 ق.م، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2007-2008، ص 175.

³ فينفرید إلیغر، المرجع السابق، ص 66.

⁴ O. Eissfeldt, Molk als opferbegriff im punischen and hebraisehen and das eude des gottes Moloch halle, Niemeyer, London, 1935, p 36-40

⁵ M. Deleor, une inscription de la punique inédite trouvée à Carthage et conservée dans la région de Toulouse, leiden, brill, paris, 1976, p 77.

المصادر المادية والأثرية من جهة والنصوص الدينية والكلاسيكية من جهة أخرى، ومن المصادر الأثرية نذكر ذلك النقش الذي وجد في رأس شمرا والذي يعود للقرن الثالث عشر قبل الميلاد، ولقد ترجمه الباحث هاردنير "A. Herdner" على النحو التالي:

11-أيا بعل. صد العزيز بعيدا عن بابنا (ثغرنا)

12-القوي بعيدا عن أسوارنا. ثيرانا أيا

13-بعل. نقرب لك. ندورا (نا)

14-نكرس لك أبارا (؟) بعل نقرب (لك)

ركز الباحث هاردنير على الكلمة الثانية من السطر الرابع عشر (أبارا) وأشار أنه يقصد بها الابن البكر الذي يقدم كقربان للإله بعل¹، لكن هناك من خالفه من الباحثين وترجمها على أنها تعني الحيوان البكر أو الثور خاصة وأنه لا يوجد أي دليل أثري يثبت هذه الظاهرة رغم اكتشاف مئات القبور الخاصة بالأطفال².

وجدت العديد من اللوحات في المدن الفينيقية تحمل صور أطفال وجميعها يعود للألفية الثانية قبل الميلاد، ومن بينها لوحة تصور أهالي مدينة عسقلون الكنعانية أثناء محاصرتهم من قبل الفرعون المصري مرنبتاح، فمنهم من يصلي ومنهم من يطلق البخار ومنهم من يقدم الأطفال لاستعطاف الآلهة، واعتبرت هذه اللوحة من قبل بعض الباحثين أمثال الباحث ديرشان "Ph. Derchain" كدليل أثري يثبت وجود ظاهرة التضحية بالأطفال في الحضارة الكنعانية عن طريق الرمي والإلقاء من الأسوار³، وقد لقي رأي ديرشان انتقادا لادعا من قبل باحثين آخرين بحثوا في نفس المجال وفسروا اللوحة على أنها تعبر على حالة من الاتفاق بين الأهالي والأعداء المحاصرين تقضي بتقديم مجموع من الأطفال كرهائن وعبيد من أجل فك حالة الحصار.

¹ A. Herdner, Nouveaux textes alphabétiques de Ras Shamra XXIV campagne 1961, Ugaritica VII, vol 18, 1978, p 35-38 p 1-74.

² O. Sehaeffr, une prière à Baal des ugaritains en danger, C R A I, 67, Paris, 1972, p 698-699.

³ Ph. Derchain, les plus anciens témoignages de Sacrifices d'enfants chez les Sémites Occidentaux, Vetus Testamentum, vol 20, p 354-355. P 351-355

توجد الإشارات والنصوص الصريحة التي تتحدث عن ممارسة طقس التضحية بالأطفال في الحضارة الفينيقية الكنعانية، حيث ورد في سفر الملوك الثاني نص يتحدث عن شخصية يوسنا: "ونجس الملك توفة الذي في وادي بني هنوم لئلا يحرق أحد ابنه أو ابنته في النار ذبيحة للإله مولك"¹، وهناك نص آخر في السفر نفسه يتحدث عن شخصية أجاز بن داوود الذي حكم مدينة أورشليم وقد رمى ابنه في النار على طريقة ملوك إسرائيل: "كان أجاز ابن عشرين سنة حين ملك ستة عشر سنة في أورشليم ولم يعمل عملا صالحا في عين الرب كداود أبيه، بل سار في طريق ملوك إسرائيل حتى أنه رمى ابنه في النار حسب أرجاس الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل"².

ورد في سفر حزقيال نص يتكلم عن ظاهرة التضحية وجاء على النحو التالي: "وأعطيتهم أيضا فرائض غير صالحة وأحكام لا يحيون بها ونجستهم بعطاياهم إذا أجازوا في النار كل فاتح رحم لأبيدهم وحتى يعلموا أنني أنا الرب"³، وقد وردت في سفر إرميا هذه العبارة: "ليحرقوا بنيهم وبناتهم بالنار"⁴.

كما أن لفظ "توفيت" قد تكررت في جل أسفار العهد القديم، ويقصد بها موضع سمي (جي هنوم)⁵ في ضواحي القدس، وتحمل هذه الكلمة معنى المرجل، الموقد، التنور في اللغة السريانية والآرامية، وقد فسرها آباء الكنيسة ككلمة للدلالة على الوادي الجهنمي الذي كانت تقام فيه طقوس التضحية بالأطفال الوثنية⁶. وبالرغم من هذه الإشارات الصريحة إلا أن بعض الباحثين أشاروا إلى أن ظاهرة تقديم القرابين البشرية وخاصة الأطفال كانت ممارستها عرضية في فلسطين، والاعتقاد الراجح عندهم هو أن الشعوب المعنية بذلك ليست الفينيقية وإنما شعوب أخرى كانت لها مواجهات مع العبرانيين⁷.

¹ سفر الملوك الثاني، 23، 10.

² سفر الملوك الثاني، 16، 3-2.

³ حزقيال، 20، 25-26.

⁴ سفر إرميا، 7، 31.

⁵ من هذا الاسم اشتقت كلمة جهنم أو العكس من ذلك

⁶ مولاي محمد جانيف، التضحية بالأطفال في العالم البونيقي قرطاجة نموذجا، مذكرة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن،

1997، ص 12.

⁷ الشاذلي بورونية ومحمد طاهر، المرجع السابق، ص 287.

تحدث بعض الكتاب القدامى عن ظاهرة التضحية بالأطفال في الحضارة الفينيقية الكنعانية، ويتقدمهم فيلون البيبلوسي "Philo Byblius" الذي عاش في القرنين الأول والثاني ميلادي في مدينة جبيل ويقول في هذا الصدد: " كانت عادة القدماء عندما تداهمم الأخطار العظيمة التي تؤدي إلى الدمار الكامل أن يقوم حكام المدينة أو الشعب لقتل أحب أولادهم فدية للأرواح المنتقمة وأولئك المقدمون كانوا يقتلون ضمن طقوس رمزية"، وتكمن أهمية هذا النص في أنه أخبرنا عن الظروف التي تتم فيها عملية التضحية وهي الشعور بالخطر أو التعرض للأوبئة، كما أنه أطلعنا على من يحظى بشرف تقديم القرابين وهم حكام المدينة أو نخبة قاطنيها، كما أن هذا النص لا يخلو من الكلمات المبهمة التي تحمل أكثر من تفسير لكلمة القتل، فهل كان بالذبح أو بالحرق أو بشيء آخر؟، وكلمة الأرواح المنتقمة، فهل يقصد بها الآلهة أم أنصاف الآلهة أم يقصد بها شيئا آخر؟¹

تكلت النصوص الكلاسيكية الإغريقية واللاتينية هي الأخرى عن طقس التضحية بالأطفال في الحضارة الفينيقية، مثل ما جاء به الكاتب كليتركوس الذي أشار إلى أن تقديم القرابين البشرية من الأطفال كانت تمارس لدى الفينيقيين وخاصة لدى القرطاجين، ويؤكد فريريوس من جهته على أن الفينيقيين عند مرورهم بفترات شدائد يهدون قربانا بشريا للاله كرونوس يتم اختياره عن طريق الانتخاب، كما أن كوينت كورسي يشير في معرض حديثه عن حصار الإسكندر المقدوني لصور سنة 322 ق م إلى اقتراح تقدم به بعض سكان مدينة صور يقضي بتقديم طفل من الأحرار كقربان للاله ساترنوس من أجل أن يحفظ المدينة إلا أن هذا الاقتراح قوبل بالرفض من مجلس الشيوخ.²

8-3 التضحية بالأطفال في المجتمع البوني من خلال النصوص الأدبية

تعد النصوص الأدبية الكلاسيكية اليونانية والإغريقية أولى المصادر التي أثارت قضية التضحية بالأطفال في قرطاجة والعالم البوني، ولعل أهم هذه النصوص هو ما جاء به ديودوروس الصقلي الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد، ففي معرض حديثه عن هزيمة القرطاجيين في حربهم أمام أغاثوكليس السراقوزي قال أن القرطاجين فسروا هزيمتهم هذه

¹ مولاي محمد جانيف، التضحية بالأطفال.....، ص 14-16.

² الشاذلي بورونية ومحمد طاهر، المرجع السابق، ص 289.

على أنها نتيجة غضب الآلهة التي خدعوها حينما قدموا لها أطفالا كقرايين كانوا قد اشتروها خفية من سوق العبيد بعد أن كانوا يضحون لها بالنبلاء من أبنائهم، وقد تداركوا الأمر بعد ذلك حين ضحوا بمائتي طفل من أنبل بيوتهم، ووصف ديودوروس كيفية القيام بالتضحية بالطفل، حيث أشار إلى تمثال الإله كرونوس المصنوع من البرونز والمنتصب في قرطاجة والذي كانت ذراعه ممدودتين في اتجاه مائل فيما كانت راحتاه موجهتين إلى الأعلى بطريقة تجعل الطفل المضحي به يتدحرج على ذراعي التمثال ليسقط وسط حفرة ممتلئة بالنيران أسفل التمثال ليتلاشى في ثوان¹.

يصف بلوتارخوس الذي عاش في القرن الأول ميلادي ظاهرة التضحية بالأطفال في قرطاجة قائلا : "...وهم أنفسهم (يقصد القرطاجيين) يضحون بأطفالهم، أما الذين لا أطفال لهم فيشترون أولادا صغاراً من فقراء الناس ويقطعون أعناقهم كما لو كانوا حملانا أو طيور صغيرة، وأثناء ذلك تقف الأم أمام هذا المشهد دون أن تسيل لها دمعة واحدة، وفي حالة أنها انهارت وسمع بكائها فعليها أن تعوض ذلك بدفع النقود، ومع ذلك فإن ابنها يضحي به والمنطقة الكاملة أمام الصنم كانت تحتفل بالأصوات الصاخبة التي تصدرها المزامير والطبول ، بحيث لا يسمع الناس نحيب الأولياء..².

يعتبر المؤرخ الروماني ترتيليانوس الذي عاش في القرن الثاني ميلادي من أبناء الكنيسة المسيحية في إفريقيا الرومانية، وقد تحدث هو الآخر عن ظاهرة التضحية بالأطفال في إفريقيا: " في إفريقيا جرت العادة أن يضحي بالأطفال إلى ساتورن بشكل علني تماما حتى حكم الامبرطور تيبيريوس "Tiberius" ، حيث كان الكهنة يقتربون هذه الجرائم تحت ضلال معابدهم، وقد شهد جنود من بلدي ذلك، نعم مازالت هذه الجريمة تقترب حتى اليوم في سرية تامة..³، أما القديس أوغسطينوس فقد تحدث عن ظاهرة التضحية باعتبارها عملاً من أعمال الوثنيين، وأورد أنه قد سمع العديد من حكايات التضحية بالأطفال في قرطاجة لأنه عاش في المدينة ذاتها في القرن الثالث ميلادي⁴.

¹ Diodore de Sicile, XX, 14.4-6.

² Plutarque, II, 13.14.

³ Tertullian, Apology, IX, 47, trans by G.H. Rendall, Cambridge ma Harvard University, London, 1984.

⁴ J. Lust, Molek and Apxon, Studia Phocnicia, tom9, 1991, p 108. p 193-208.

اتفقت هذه النصوص على حقيقة وجود ظاهرة التضحية بالأطفال في قرطاج والعالم البوني وفي الوقت نفسه اختلفت في وصف بعض الجزئيات المهمة التي تخص الظاهرة، ويمكن أن نضرب مثالا بديودوروس الصقلي وبلوتارخوس¹ اللذين اتفقا على وجود الظاهرة في قرطاج، لكنهما اختلفا في وصف كيفية التضحية بالأطفال، حيث أشار ديودوروس الصقلي للحرق بواسطة التمثال والحفرة التي يهوي إليها الطفل بعد تدحرجه على التمثال، في حين خالفه بلوتارخوس وأشار إلى الذبح وقطع الأعناق، وأسهب في وصف الكواليس والطقوس التي تصاحب العملية، واختلفا كذلك في جزئية أخرى مهمة تتمثل في قضية شراء الأطفال من فقراء الناس والتضحية بهم عوض أطفالهم، فديودوروس وصفها على أنها نوع من الخداع والتلاعب بالآلهة، لأن الشرط الأساسي لهذا الطقس هو التضحية بالابن الحقيقي للعائلة النبيلة لتنتم كل المعاني الروحية للظاهرة، بينما بلوتارخوس لم يشر إلى قضية الخداع واعتبرها شيئا مشروعاً بحيث ينتفي أي حرج قد تسببه ممارسته.

أما النّصان اللاتينيان لكل من ترتوليانوس² والقديس أوغسطينوس فكان الهدف منهما هو الدفاع على النصرانية ونبذ الطقوس الوثنية أكثر من أي شيء آخر، لذا وجب التعامل بحذر مع هذه النصوص الكلاسيكية خاصة وأن المؤرخين الذين تحدثوا عن ظاهرة التضحية بالأطفال في قرطاج قد عاشوا في مرحلة متأخرة نسبياً عن تاريخ حصول هذه الأضاحي، في حين لم يذكر المؤرخون الذين عاشوا قريباً من تلك المرحلة ظاهرة التضحية بالأطفال، مما يدفعنا للتساؤل حول العلاقة التي تربط بين هذه النصوص جميعاً؟ وما هي مصداقية مصادرها؟ وإلى أي مدى يمكن اعتبار ما جاءت به حقيقة يمكن التأسيس عليها؟

¹ Diodore de Sicile, XX, 14.4-6 ; Plutarque, II, 13.14.

² Tertullian, Apology, IX, 47

8-4 التضحية بالأطفال في المجتمع البوني من خلال الشواهد الأثرية

اهتمت البعثات الأثرية الأوروبية والأمريكية إلى قرطاجة والمدن البونية بموضوع التضحية بالأطفال في المجتمع البوني وحاولت كشف أسرار هذا الظاهرة، من خلال التنقيب في المعالم الجنائزية البونية والتركيز على البقايا الإنسانية الخاصة بالأطفال التي كانت تحويها الجرار الجنائزية، كما اهتم البعض الآخر بدراسة النقوش النذرية والأنصاب الجنائزية التي تضمنتها المعابد في قرطاجة خصوصا ومختلف المعابد البونية بشكل عام والتركيز على تلك التي كانت تحمل لفظ مولك، وقد نشرت هذه البعثات العديد من التقارير الأثرية التي كانت ثمره نشاطهم الميداني، وهي تؤكد في عمومها التحفظ الذي تسرب في ضوئها إلى نصوص الكتاب القدامى، وحاولت كلها الإجابة على هذا السؤال الشائع: هل عظام الأطفال الموجودة في الجرار في المعابد البونية عبارة عن أسلوب عادي لدفن الأطفال أم أنها مظهر رئيسي لطقس التضحية بالأطفال؟ أو بعبارة أبسط هل هي محرم (توفيت) أم جبانة؟¹

8-4-1 توفيت صالمبو² في قرطاجة

وردت كلمة توفيت في أسفار العهد القديم (سفر الملوك الثاني، إشعيا، إرميا) ويقصد به موضع يسمى حي هنوم موجود بضواحي القدس وهو مكان كانت تقدم في الأضاحي البشرية للآلهة³، ليصبح بعد ذلك مصطلحا يشير إلى كل الأماكن التي يقدم فيها الكنعانيون والفينيقيون البونيون أضاحيهم البشرية، أما المؤرخون الإغريق فيبدو أنهم لم يفهموا الكلمة جيدا وكتبوها دون تمييز وجاءت في أغلب النصوص على الأشكال التالية: "Thephoth, Tapheth, Thoptha" حيث أنها ترجمت لتخدم المصطلحات المشتقة من الفعل "daipito" أي يقع ويسقط⁴، وهناك مصطلحات أخرى تطلق على نفس المكان مثل

¹ عبد الرحمن خلفه، الديانة الوثنية....، ص 181.

² صالمبو: اسم مؤخذ من الاسم الفينيقي صلم بعل ومعناه صنم بعل ويطلق هذا الاسم على التوفيت الموجود في قرطاجة ومازال يطلق هذا الاسم على أحد الأحياء في قرطاج في الوقت الحالي. أنظر: مولاي محمد جاني، التضحية بالأطفال....، ص 61.

³ سفر الملوك الثاني، 23:10؛ إشعيا، 20، 23؛ إرميا، 22، 31.

⁴ لطيفة التهامي اندش، العقائد الجنائزية في قرطاجة 814-146 ق م من أواخر القرن التاسع حتى النصف الثاني من القرن الثاني ق م، مذكرة دكتوراه، جامعة عين شمس، مصر، 2018، ص 181.

مصلح المحرم "Sanctuaries" وذلك للدلالة على قدسية المكان الذي يثير خوفا ورهبة في كل من يقترب منه¹.

أما معنى كلمة توفيت في الاصطلاح فهو عبارة عن معبد غير مبني يتمثل في مساحات واسعة في شكل فضاءات مقدسة محاطة بجدران حجرية أو طينية، وفي وسطه مصلى ويحتوي على مذبح وأخدود تخرج منه النار وتمارس فيه الطقوس الدينية في الهواء الطلق، وتحيط به مجموعة من الجرار الجنائزية المملوءة بالعظام البشرية والحيوانية، تعلوها نصب نذرية وجنائزية تتخذ أشكال مختلفة إلى جانب العديد من التماثيل والحلي والتماثيل الصغيرة، ومن أشهر التوفيات في شمال إفريقيا هو توفيت صالمبو في قرطاج وتوفيت حدرموت².

يقع توفيت صالمبو غرب الميناء التجاري لقرطاج وإلى حد الآن لم تتضح كل معالمه الجغرافية مما شكل صعوبة أمام كل من حاول دراسة الموقع طبوغرافيا، وهي نفس الصعوبة التي واجهتهم في دراسة معالم كل المدينة البونية خاصة بعد المحرقة التي قام بها الرومان في هذه المدينة والتغييرات التي قاموا بها بعد ذلك³، ولقد أقيمت العديد من الحفريات والتنقيبات الأثرية في هذا الموقع وصدرت بخصوصه العديد من التقارير والدراسات، وفي الجدول رقم 7 سنقدم أهم البعثات والتنقيبات التي خست الموقع منذ سنة 1921.

بعد العديد من التنقيبات التي خست توفيت صالمبو ميز الباحثون ثلاث طبقات ستراتيغرافية رئيسة مرتبة كرونولوجيا من الأقدم إلى الأحدث على النحو التالي : الطبقة الأولى الأقدم عمقها حوالي 6 أمتار ضمت مواد متفحمة وعددا معتبرا من الجرار الجنائزية وتبدأ من مستهل القرن الثامن إلى بداية القرن السابع ق م، أما الطبقة الثانية فهي الأطول زمنيا وقد وجد فيها عدد هائل من الجرار الجنائزية المرفقة بعدد كبير من الأنصاب وتبدأ

¹ C. Gutron, la mémoire de Carthage en chantier les fouilles de tophet Salammbô et la question des Sacrifices d'enfants, l'année du Maghreb, tome 4, 2008, p4.

² لطيفة التهامي اندش، المرجع السابق، ص 180.

³ P. Picard, 1990, 77.

من بداية القرن السابع إلى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، أما الطبقة الثالثة فقد تعرضت لأعمال الدمار والحرق من طرف الرومان و عمقها حوالي المترين والنصف من السطح الحالي وتمتد من نهاية القرن الرابع إلى غاية سنة 146 ق م¹.

جدول رقم 7: أهم البعثات والتنقيبات التي خصت موقع صالمبو بقرطاجة

السنة	البعثة
1921	بعثة الباحث P. Pallary
1925	البعثة الأمريكية الفرنسية
1940	تنقيب الباحث P. Cintas
1952	تقارير الباحث M. Mulier
1980-1975	البعثة الأمريكية

C. Gutron, op-cit, p 3-5.

أ-الجرار الجنائزية

تعد المادة الفخارية المتمثلة في الجرار الجنائزية أو الأمفورات من أهم الدلائل الأثرية التي تؤرخ لظاهرة التضحية بالأطفال، لأنها ببساطة كانت تستعمل في دفن البقايا العظمية للأطفال أو دفن رماد الضحية التي تعرضت للحرق، حيث وجدت هذه الجرار بشكل متلاصق أمام بعضها البعض في حفر ضيقة نسبياً، وعندما ضاق المكان بتلك الأوعية صارت توضع فوق بعضها البعض، وهي ذات عجينة رقيقة حمراء تغطيها بطانة بيضاء مصقولة ومزينة بأشكال هندسية بسيطة ملونة بالأحمر والأسود وهناك ما طلي بدهان أصفر، وفي الغالب كانت تغلق بأغطية مصنوعة من العجينة نفسها².

عدّد الباحثون أنواع هذه الجرار الجنائزية فمنها المجردة من المقابض ذات القاعدة المنبسطة والعنق الطويل، ومنها ذات المقبض الواحد، ومنها ذات المقبضين مع اختلافات دقيقة في الشكل والزخارف على جسمها، وأغلب هذه الأنواع وجدت في الطبقة الأقدم التي تعود إلى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، وفي الطبقة الستراتيغرافية الثانية وجدت أنواع

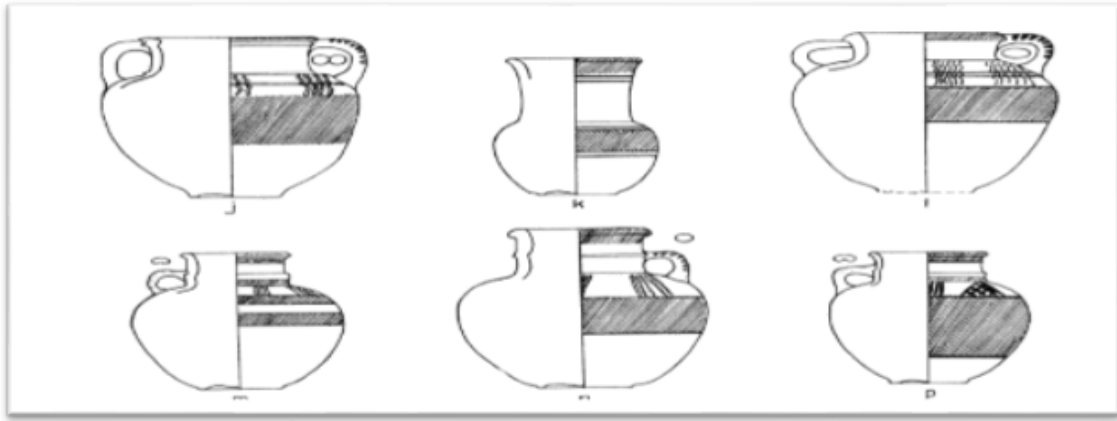
¹D. Harden, The pottery from the precinct of Tanit at Salammbo Carthage, Iraq, vol 4, 1937, p59. P 59-90.

² فينريد إلبغر، المرجع السابق، ص 61.

الفصل الثاني _____ مكانة الأطفال في المجتمع البوني

أخرى رفقة الأنواع الأولى مثل تلك الجرار التي يطلق عليها اسم الأمفورات والتي تمتلك قاعدة مدببة وفي بعض الأحيان مستوية، والتي كانت تستعمل للتخزين المواد الغذائية كما أن لها وظيفة جنازية، وهذه الأخيرة كانت صغيرة الحجم ولا يتجاوز طولها 20 سم، وقد عنيت الأمفورات بزخارف متقنة أفضل من نظيراتها من الجرار الأخرى¹.

شكل رقم 21: مختلف أنواع الجرار الجنائزية التي وجدت في توفيت صالمبو



D. Harden, op-cit, p65

ب-الأنصاب النذرية

وجدت آلاف الأنصاب النذرية رفقة الجرار الجنائزية في توفيت صالمبو، والتي تضمنت كتابات وأشكالاً محفورة أو منقوشة على قطع حجرية مدببة أو على أحجار رملية ذوات أصداف أو كما يسميها الباحثون أنصاب المذابح التي تحتوي على مبخرتين، وقد حملت هذه الأنصاب أشكالاً متعددة مثل الشكل المكعب أو تلك التي جاءت على شكل مسلات من الكلس وتتميز برؤوس مثلثة حادة، وحملت هذه المسلات العديد من الإشارات حول النذور التي كانت تقدم للآلهة، مثل الكلمة البونية "متنت" والتي تعني الأعطية أو المنحة².

يعد نصب الكاهن والطفل من أشهر الأنصاب التي تعبر على طقس التضحية بالأطفال في توفيت صالمبو، وقد أُرِخ له في حدود القرن الخامس والرابع قبل الميلاد، ويصور هذا

¹ Harden, op-cit, p80-87.

² C. Picard, 1982, 109.

النَّصَب كاهنا واقفا في وضعية جانبية يضع على رأسه قبعة مستديرة ويلبس ثوبا طويلا مشدودا بحزام عريض على مستوى الخصر ويحمل بيده اليسرى طفلا صغيرا عاري الجسم واليد الأخرى مرفوعة نحو الأعلى، إلا أن هذا النصب يبقى يشوبه نوع من الغموض لغياب أي نص أو كتابة ترافقه توضح مضمونه، وكذلك لأنه الوحيد من هذا النوع في قرطاجة، رغم أنه قد وجد نصب في توفيت جزيرة صقلية يصور كاهنا يحمل جرة من الجرار نفسها التي وجدت في قرطاجة، كل هذه المعطيات تفتح أبوابا كثيرة للتفسير والتحليل¹.

شكل رقم 22: نصب الكاهن والطفل الذي وجد في توفيت قرطاجة



J. Leclant, op-cit, 114

تعد الدراسات التي اهتمت بالبقايا العظمية التي احتوتها الجرار الجنائزية في توفيت قرطاجة من أبرز الأبحاث التي أعطت بعدا آخر لتفسيرات ظاهرة التضحية بالأطفال في قرطاجة، ولعل أهم دراستين عالجتا هذا الموضوع هي دراسة ريشارد "J. Richard" لنيل شهادة الدكتوراه في الطب، والدراسة الثانية قامت بها البعثة الأمريكية بقيادة الباحث ستايجر "W. Stager"².

¹ J. Leclant, les talismans Égyptiens dans les nécropoles, archéologie vivante, vol 1, n° 2, Paris, 1968, p114. Pp95-114.

² M.M. Janife, les sacrifices d'enfants a Carthage l'hypothèse de L.W. Stager, REEPAL, tome 12, Tunis, 2012, p75.

قام الباحث ريشارد بدراسة 180 جرة مستخرجة من توفيت قرطاجة و حدرموت وبعد فحصها صنفها على النحو التالي: 88 جرة احتوت على عظام بشرية فقط تعود لطفل أو طفلين أو أكثر، وعلى 59 جرة احتوت على خليط بين عظام بشرية وعظام حيوانية، و 29 جرة احتوت على عظام حيوانية فقط أما الجرار الأربعة المتبقية فلم يستطع تشخيص العظام الموجودة فيها لأن درجة حفظها سيئة جداً، وقد توصل هذا الباحث إلى عديد الملاحظات والنتائج، حيث حدد أعمار الأطفال المضحي بهم من خلال دراسة العظام الطويلة ودراسة الأجزاء المتكلسة في الأسنان.

جاءت نسب أعمار الأطفال على النحو التالي: الأطفال المولدون قبل الولادة بنسبة 6%، الأطفال المولدون في الأوان بنسبة 74%، الأطفال المتوفون بعد بضعة أشهر من لحظة ولادتهم بنسبة 20%، وقد لاحظ الباحث انخفاض نسبة الحيوانات المضحي بها خلال القرنين السابع والثامن وارتفاعها في القرون التي تلي، وقد تشكلت في الأساس من بقايا حملان وماعز وبعض البقايا الخاصة بطيور برية وقوارض وبعض الحيوانات الصغيرة الأخرى، وقد لاحظ الباحث أن بقايا بعض الحيوانات قد تعرضت للحرق مثلها مثل بقايا الأطفال فيما وجدت بقايا أخرى سليمة وغير متفحمة¹.

قام الباحث ستايغر بدراسة 130 جرة مستخرجة من توفيت صالمبو، وقسمها إلى مجموعتين وفق الطبقات الستراتيغرافية التي وجدت فيها، فالمجموعة الأولى تضم 80 جرة وتؤرخ إلى ما بين القرن السابع والسادس قبل الميلاد، والمجموعة الثانية تضم 50 جرة تعود للقرن الرابع قبل الميلاد، وضمت أغلب هذه الجرار عظاماً بشرية تعود لأطفال فيما احتوت بعض الجرار عظام حيوانية واحتوى البعض الآخر خليطاً من العظام البشرية والعظام الحيوانية²، وفي الجدول التالي أهم الأرقام التي سجلها الباحث ستايغر:

¹ مولاي محمد جانييف، التضحية بالأطفال.....، ص 50- 54.

² M.M. Janife, op-cit, p74-75.

جدول رقم 8: محتويات الجرار التي قام الباحث ستايغر بدراساتها

التصنيفات	عظام بشرية	عظام الحيوانات	خليط	عدد الجرار
مجموع أ: القرن 7 و 6 ق م	62%، 50 جرة	30%، 24 جرة	7.5%، 6 جرار	80 جرة
مجموعة ب: القرن 4 ق م	88%، 44 جرة	10%، 5 جرار	2%، جرة واحدة	50 جرة

M.M. Janife, op-cit, p74-75

قدم ستايغر معطيات أخرى تخص نسب أعمار الأطفال الذين وجدت عظامهم في الجرار الجنائزية، حيث أشار إلى أن 30 جرة من المجموعة (أ) ضمت بقايا طفل واحد أعمارهم بين سنة وأربع سنوات وذلك بنسبة 37.5%، و30% من جرار المجموعة نفسها احتوت على بقايا أطفال ولدوا قبل الأوان وبقايا أطفال حديثي الولادة، أما المجموعة (ب) فقد تضمنت 32% من جرارها بقايا طفلين أو ثلاثة، وقد أثبت الباحث بواسطة المورفولوجيا السنية أن طفلين من الأطفال الثلاث الذين احتوتهم الجرة نفسها هما بالضرورة توأم¹.

تظهر بعض الاختلافات الطفيفة بين الدراستين السابقتين خاصة في النسب المقدمة وتطابقها مع الفترات الزمنية التي أرخت لها، لكن من جهة أخرى اتفق الباحثان في العديد من النقاط، ولعل أهمها هو أن أغلب الجرار المكتشفة تحمل عظام أطفال قد تم حرقهم وأزالوا اللحم عن جثثهم، والأجزاء التي تمت مصادفتها بكثرة هي الأجزاء الصلبة مثل العظام الصدغية وعظيما الأصابع، فيما اندثرت عظام أخرى مثل عظام الكتف والساق بفعل الحرق، لكن الاشكالية الرئيسية التي واجهت هؤلاء الباحثين ولم يستطيعوا الإجابة عنها هي هل تم حرق هؤلاء الأطفال أحياء أم حرقوا بعد موتهم؟²

¹ M.M. Janife, op-cit, p75.

² I bid, p 76-77.

حاولت الباحثة الفرنسية "H.B. Safar" إعادة تركيب وتصور ظاهرة حرق الأطفال في توفيت قرطاجة من خلال دراسة العظام المحروقة وظاهرة التكلس فيها، ودراسة الرماد المصاحب لهذه العظام وتحليل كل البقايا المتواجدة داخل الجرار الجنائزية، وذلك بالاعتماد على المعطيات التي جاء بها الباحثان السابقان (ستايجر وریشارد) وبعد التصنيف والتحليل توصلت للنقاط التالية:

- المادة الأساسية لإشعال النار هي خشب الصنوبر وظهر ذلك في تحليل بقايا الرماد وفسرت ذلك بأن هذا الخشب متواجد بكثرة في قرطاجة.
- الطفل الذي يقدم للحرق لا يكون في الغالب عارياً، بل يلف بقطعة من الكتان ويرتدي قلادة أو شيئاً من الحلي.
- النار تكون مجهزة مسبقاً حتى تصل إلى درجة حرارة كبيرة لتساعد على الحرق الكلي للطفل.
- يوضع الطفل في النار وفي الغالب يوضع مستلقياً أو منكشاً في النار ويكون مقابلاً بوجه أمام النار لأن الأجزاء الخلفية للجسم أظهرت مقاومة للتفحم أكثر من الأجزاء الأمامية.
- أكدت الباحثة أن كل الهياكل العظمية تعرضت لنفس الظروف التي احترقت فيها، وقد احترقت حالة بحالة وفي بعض الأحيان حالتين مع بعض ولا توجد حالة واحدة تم فيها الحرق الجماعي.
- يوضع في بعض الأحيان برفقة الطفل حيوان قد يكون طائر أو حملاً أو ماعزاً.
- بعد الاحتراق الكلي تطفأ النار بواسطة حفنة من التراب أو الرمل.
- تجمع البقايا العظمية للأطفال مع الرماد المتبقي وتوضع في جرار جنائزية وتغلق بواسطة مغاليق فخارية وتوضع الجرة في مكانها المناسب¹.

2-4-8 توفيت سوسة (حدرموت)²

¹ H.B. Safar, su l'incinération des enfants aux tophets de Carthage et de Sousse, revue de l'histoire des religions, tome 205, n 1, 1988, pp 65-67.

² حدرموت: هو الاسم القديم لسوسة ومشتق من الجذر اللغوي الفينيقي "در" وتعني الحلبة أو الشارع الأهل بالسكان

اكتشف توفيت سوسة صدفة سنة 1863 من طرف "R.P. Agostince da Reggai" عندما كان بصدد حفر أساس بناء كنيسة في الموقع ذاته ، حيث اكتشف العديد من الجرار الجنائزية والأنصاب الحجرية، و قام الباحث بيرجير "PH. Berger" بتقديم وصف وعرض لهذه المادة الأثرية المستخرجة في سنة 1884 في مقال نشر في الجريدة الأثرية "Gazette archéologique" ، وفي سنة 1911 تم اكتشاف سلسلة أخرى من الأنصاب والجرار من قبل الباحث "C. Leynaud" ، وأول تنقيب جدي للموقع كان من طرف الباحث "P. Cintas" سنة 1943، ويقع الموقع على بعد 150 كم جنوب شرق قرطاجة على الأرض التابعة للوريث علي بن الحاج بن يحي ويمتد حتى تحت الكنيسة التي بنيت في القرن التاسع ميلادي ويمتد كذلك إلى فناء المسجد الكبير الذي بني أمام الموقع¹.

ميّز الباحث سنّاس ست طبقات ستراتيجرافية أعمقها أرخ لها في حوالي القرن السادس قبل الميلاد وإحداها أرخ لها في حوالي القرن الثاني قبل الميلاد²، وعثر في هذه الطبقات على العديد من الجرار الجنائزية التي تحتوي على بقايا عظمية خاصة بالأطفال، بالإضافة إلى العديد من الأنصاب النثرية والجنائزية، وهي متواجدة حاليا في متاحف مختلفة في تونس وأروبا مثل متحف قرطاج ومتحف سوسة ومتحف البارود ومتحف اللوفر ومتحف بطرسبرغ في روسيا، الخ³.

درست البقايا العظمية التي احتوتها الجرار الجنائزية في توفيت سوسة من قبل عديد الباحثين أمثال الباحث "Rohm" الذي درس بقايا 81 جرة جنائزية سنة 1950 وحدد أقصى عمر للأطفال المضحي بهم بسبعة أسابيع، وهو ما أكد عليه الباحث "Muller" الذي درس 31 جرة جنائزية من توفيت سوسة سنة 1952، أما الباحث ريشارد فقد درس بقايا 131 جرة جنائزية من التوفيت نفسها وأشار إلى أن الحد الأقصى لعمر الأطفال المضحي

¹ M.H. Fantar, stèles Épigraphes du tophet de Sousse, Reppal, tome 9, Tunis, p26. Pp25-48.

² P. Cintas, le sanctuaire punique de Sousse, R. Afr, tome 90, 1947, p92. p 90-101.

³ M.H. Fantar, stèles Épigraphes....., p28.

بهم هو سبعة أشهر أما الأطفال الذين تراوحت أعمارهم بين السنة والسنتين فهي حالات نادرة¹

5-8 تعويض القرابين البشرية بالحيوانية

توجد العديد من الإشارات الأثرية التي تدل على فعل التضحية، والتي سماها بعض الباحثين بطقس الاستبدال²، أي تعويض القرابين البشرية بقرابين حيوانية، ومن أشهر هذه الإشارات هي العبارة التي وجدت مكتوبة على أحد النصب البونية الموجودة في سيرتا، وجاءت على النحو التالي: " ز ر م س" والتي معناها التضحية بالحيوان³.

توجد بعض الأنصاب الرومانية التي اكتشفت في نقاوس والمؤرخة في حوالي القرن الثالث ميلادي، نقش عليها عبارة " روح بروح، ودم بدم، وحياة بحياة"، "SANGUINE, PROSANGUINE, ANIMA PROANIMA, VIATA PROVITA" ، وتضم العناصر الثلاثة الروم والدم والحياة، والتي فسرها بعض الباحثين على أن روح ودم وحياة الإنسان استبدلت بروح ودم وحياة الحيوان (شكل رقم 24)، وعرفت هذه الظاهرة في النصب باسم ملخومور "Molchomor" التي أعطاها المؤرخ فيفري معنى الوعد أو التضحية بخروف، ومصطلحا "ملك أمر" و "ملك آدم" في النقوش اللاتينية تدلان على الاستبدال⁴.

وجد كذلك في توفيت مدينة حدرموت نصب يصور ثلاث كهنة يلبسون أثواب طويلة ويشتركون في حمل خروف وهم بصدد تقديمه كقربان للإلهة (شكل رقم 23)، وقد علق الباحث الفرنسي فيفري على هذا النصب على أنه يصور طقس الاستبدال (استبدال التضحية بطفل بالتضحية بخروف)⁵، وهناك نصب وجد في سيرتا يصور كبشا ويعلوه صورة للصولجان ورمز الإلهة تانيت وتضمنت نقيشة تتحدث عن شخص اسمه ماغون بن عبد شدو الذي قدم خروفا للإلهين بعل حامون والإلهة تانيت⁶.

¹ لطيفة التهامي اندش، المرجع السابق، ص 187.

² خليفة عبد الرحمان، الديانة الوثنية، ص 184.

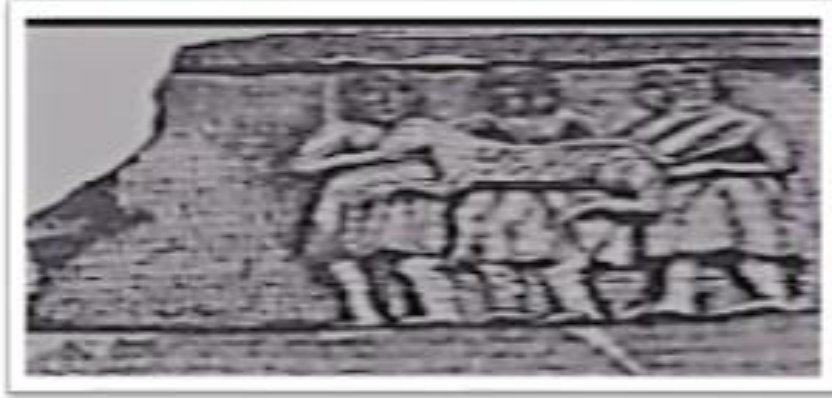
³ R. Charlier, les stèles Puniques de Constantine et la question des Sacrifices , p1.

⁴ J. G Février, Molchomor, Revue de l'histoire des religions, tome 143, n° 1, 1953, pp8-13. 8-18.

⁵ J. G Février, Les sacrifices....., p115.

⁶ خليفة عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 186

شكل رقم 23: نصب يصور ثلاث كهنة يقدمون خروف كقریان للآلهة



J. G Février, Les sacrifices....., p115.

شكل رقم 24: النصب الذي وجد تقاوس يضم نقوش طقس الاستبدال



مضوي خالدية، التواصل الحضاري بمدينة قسنطينة (cirta- Constantina) في العصور القديمة

(ما قبل التاريخ-تهاية الاحتلال الروماني)، مذكرة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2016-

2017، ص 322.

8-6 إشكالية التفسير

أثارت قضية التضحية بالأطفال في العالم البوني جدلا واسعا وسط الباحثين وعلماء الآثار وعلماء الدين والمؤرخين، وانقسمت آراؤهم بين تيار ينفي الظاهرة ويشكك في وجودها وتيار آخر يؤكدها ويعطي أدلة وحجج تثبتها، وهناك من أعطى تفسيرات أخرى منحت بعدا آخر لهذه الظاهرة، وفي هذه الدراسة سنعرض مختلف التيارات والآراء الواردة في هذا الموضوع.

يعتبر التيار الأول الذي ينفي طقس التضحية أن الكتاب القدامى قد بالغوا في وصف هذه الظاهرة، وأن كلمة توفيت تدل على مقبرة للأطفال الذين توفوا لأسباب طبيعية وقد كرست هذه المقابر للإلهين بعل حامون وتانيت¹، ومن أشهر رواد هذا التيار نذكر: S. Moscati ، C. Shaeffer ، B.H. Safar ، C. Picard ، ويعتمد أصحاب هذا التيار على حجة صمت أشهر المؤرخين الذين درسوا قرطاج أمثال هيرودوتوس وبوليبيوس وتيتوس... الخ، وهي ظاهرة لم تكن لتقوتهم في التشديد عليها بحكم عدائهم لقرطاج وإمكانية استغلال ذلك للتحامل عليهم²، يضاف إلى ذلك أن التحاليل العلمية التي أجريت على البقايا العظمية المكتشفة في توفيت صالمبو عجزت عن تحديد سبب الوفاة، والجزم إذا ما كان الأطفال أحياء قبل تعرضهم للحرق أم أمواتا؟ كما أن كل النصب التي وجدت في قرطاجة وسوسة وسيرتا لم تحمل أي منها لفظ توفيت³.

يشير الباحث كلود شيفر إلى أن النصوص الأدبية التي تحدثت عن ظاهرة التضحية بالأطفال لا يوجد ما يؤكدها من مصادر أثرية ونقائشية، ويؤكد أنه لا يوجد أطفال قدموا كأضاحي للآلهة (م ل ك) وإنما هم أطفال ولدوا أمواتا أو ماتوا بعد أسابيع أو أشهر قليلة من ولادتهم ودفنوا في مقابر خاصة أمام المعابد والأحرام، ويوافقه في هذا الرأي الباحث سباتينو موسكاتي الذي أشار إلى ارتفاع نسبة وفيات الأطفال عند الولادة والأطفال الحديثي

¹ أحمد السليماني ونورية أكلي وتوفيق حموم، المكنون الحضاري الفينيقي القرطاجي في نوميديا القديمة الكائنة في الجزائر الحالية من خلال الدلالات واللقى والأنصاب النذرية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 184.

² الشاذلي بورونية ومحمد طاهر، المرجع السابق، ص 293.

³ R. Dussaud, précisions épigraphiques sur les Sacrifices Puniques d'enfants, C R A I, 1946, p 371-387.

السن في المجتمعات القديمة واستدل بالبقايا العظمية التي احتوتها الجرار الجنائزية التي وجدت في قرطاجة، وفسر ظاهرة الحرق بالاعتماد على الميثولوجيا الدينية واعتبره طقساً تطهيرياً للطفل غير الطاهر ولا بد من تطهيره ليصبح مقبولا في المجتمع، واقتبست الباحثة الفرنسية كوليت بيكارد أفكار موسكاتي وتحدثت عن النار كمبدأ تطهيري أو تخليصي واستعانت بالرواية التي قدمها جويستان حول الملكة الفينيقية عليسا ديدون التي رمت نفسها في النار لتخلصها من الملك الليبي الذي أراد أن يتزوجها¹.

أما الباحثة الفرنسية سفار "B.H. Safar" فقد لاحظت أن قبور الأطفال في قرطاجة كانت قليلة جداً، وافترضت أن المتوفين الجدد كانوا مقصين من مجتمع الأموات وبالتالي لا يدفنون في المقابر التي يدفن فيها العامة، بحكم أنهم لم يخضعوا للطقوس التي تدمجهم في مجتمع الكبار، ولذلك يتم دفنهم في المعابد بعد حرقهم على أمل أن تهبهم الآلهة حياة جديدة².

يعتقد أصحاب التيار الثاني أن انعدام النصوص البونية التي تشير إلى ظاهرة التضحية بالأطفال لا ينفي وجودها، وأن التوفيت هي معابد بنيت لتقديم الأطفال كقرايين بشرية للآلهين تانيت وبعل حامون، على غرار توفيت قرطاجة وحرموت والمعبد البوني في قسنطينة، وهم يستدلون بما جاء به بعض الكتاب القدامى أمثال ديودوروس الصقلي وبلوتارخوس و ترتليانوس ومن أشهر رواد هذا التيار نذكر: A. Berthier , M.H. Fanter , J.G Février , M. Benabou، واستند هؤلاء الباحثون على بعض العبارات التي وجدت منقوشة على الأنصاب التي وجدت في سرتا مثل عبارة "ي ك ن س ل م" التي ترجمها فنطر على أن النادر قدم ابنه كقربان للآلهة تانيت وبعل حامون، وعبارة "م ل ك أ د م ش ر م ب ت م" التي ترجمها فيفري باستبدال لحم الطفل بلحم الحيوان³.

أكد أصحاب التيار الثاني أن ظاهرة التضحية بالأطفال قد خصت الطبقة الأرستقراطية فقط دون غيرها من الطبقات، وتعتبر طقساً وطنياً تنظمه النخبة الحاكمة، واستدلوا

¹ مولاي محمد جانيف، إشكالية التفسير في، ص 8-10.

² B.H Safar, A propos des ossements humains du tophet de Carthage, rivista di studi Finici, tome 9, 1981, pp5-9.

³ مضوي خالدية، المرجع السابق، ص 318.

بالأنصاب الجنائزية الموجودة في توفيت قرطاجة والتي تحمل أسماء ينسب أغلبها لعائلات النخبة وكبار الشخصيات من القادة العسكريين والشفاط والقضاة والكهنة... الخ، ويضيف أصحاب هذا التيار أن ظاهرة التضحية بالأطفال ترتبط أكثر بقضية المواطنة بحيث تضيي الصفة الشرعية للمواطنين القرطاجين الذين يمارسون هذا الطقس¹.

ساند علماء الدين اللاهوتيين فكرة وجود طقس التضحية بالأطفال في فينيقيا وفي قرطاجة، معتمدين في ذلك على إيمانهم التام بالنصوص التي جاءت في أسفار العهد القديم، وفسروا الظاهرة بأن هناك إله يسمى مولوخ كان الكنعانيون يقدمون له أبناءهم كقرابين، وقد نقل الفينيقيون هذا الطقس معهم عندما هاجروا إلى شمال إفريقيا، وقد فسر البعض منهم أن الغرض من هذا الطقس هو إطعام الآلهة التي تحتاج إلى طعام مثلها مثل الانسان الذي يعبدها².

حاول الباحث ستايغر التوفيق بين التيارين الأول والثاني، وأكد أن التضحية بالأطفال تحمل مظهرين أساسيين: مظهر طقوسي ديني ومظهر آخر سماه : وسيلة التحكم في النمو الديموغرافي، حيث أشار إلى أن الشواهد المادية المتمثلة في الجرار الجنائزية والنصب النذرية تقدم دليلا على صحة ما ورد في أسفار العهد القديم، لكن الظاهرة تحمل حسب رأيه أبعادا اقتصادية واجتماعية مهمة، فقتل الأطفال دون إبداء أي حذر يدل على أن المجتمع لم يكن لديه القدرة على استيعاب الأطفال غير المرغوب فيهم فيتخلص منهم بحجة دينية، وضرب العديد من الأمثلة من التاريخ القديم التي كان يحدث فيها مثلما حدث في قرطاجة، كالمجتمع الإسبرطي الذي كان أهله يلقون أبناءهم المشوهين في أمكنة أسموها مواضع العزل³.

فسّر بعض الباحثين أمثال فاجنر "C.G Wagner" و ألبار "J. Alvar" ظاهرة التضحية بالأطفال بنظرية أسموها "قدرة الاستيعاب" أو كما ورد عندهم في اللغة الإنجليزية "carrying capacity" ، حيث استدل أصحاب هذه النظرية بالدوافع التي جعلت الفينيقيين

¹ خليفة عبد الرحمان، الديانة الوثنية.....، ص 177.

² مولاي محمد جانيف، إشكالية التفسير في، ص 6.

³ مولاي محمد جانيف، إشكالية التفسير في، ص 15.

يهاجرون إلى الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وركزوا على المجال الجغرافي الضيق والمناخ والنمو الديموغرافي المتزايد الذي دفعهم للبحث عن أماكن جديدة للاستيطان، وهو السبب نفسه الذي دفعهم للتضحية بأطفالهم حيث أن عدم التوازن بين الموارد المتاحة وبين عدد السكان يمثل مؤشرا سلبيا ويخلق حالة من اللاتوازن، والحل الأساسي للخروج من هذا المأزق هو التخلص من الأطفال وقتلهم¹.

يبقى الجدل والنقاش بين الباحثين والمؤرخين في موضوع التضحية بالأطفال قائما إلى حد الآن، لذا فليس الغرض من هذه الدراسة هو تقديم الأجوبة وطرح الحلول بل الهدف منها عرض الظاهرة و تحليلها مع الإشارة إلى اختلاف تجليات المعنى، وفتح باب كبير أمام التساؤل والدهشة حول هذه القضية المثيرة للحيرة، وكل تفسير قدم في هذا العرض ما هو إلا فرضية أو اقتراح فقط من باحث أو مؤرخ فسر الظاهرة من وجهة نظر ضيقة وقد تعرض رأيه لوابل من النقد والتشكيك، وللخروج من هذا الطرح استعنا بقول المؤرخ التونسي محمد حسين فنطر الذي دعا في أحد مقالاته إلى ضرورة فتح الملف للنقاش الواسع يشارك فيه كبار المختصين في هذا المضمار وذلك عن طريق ندوة أو مائدة مستديرة تنظمها إحدى المؤسسات الخاصة أو العامة وذلك للخروج بإجابات وحلول تسمح الغموض واللبس حول القضية².

نستنتج من خلال ما سبق عرضه في هذا الفصل أنّ مكانة الطفل في المجتمع البوني القديم كان لها وجهان، الوجه الأول مستنير يحمل في طياته الكثير من المعطيات الاجتماعية والثقافية والدينية، التي كانت تحمي الطفل وتسهر على إدراجه في المجتمع عن طريق النسب والتربية والتعليم، من أجل أن تعدّه لكي يصبح فردا فاعلا في المجتمع مستقبلا. أما الوجه الثاني فقد كان قاتما ومخيفا ويشوبه الكثير الغموض، ويتعلق الأمر بتلك الممارسة الدينية التي جعلهم يذبحون ويحرقون أبنائهم الصغار دون رحمة، من أجل إرضاء الآلهة، وهو الشيء الذي ينافي قوانين الإنسانية، نقول هذا بتحفظ لأن القضية لا تزال قيد النقاش والجدل بين الباحثين.

¹ المرجع نفسه، ص 18-20.

² M.H Fanter, A propos, p80.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: مكانة الأطفال في المجتمع الليبي القديم

1- لمحة تاريخية عن المجتمع الليبي القديم

2- مصادر الدراسة

3- نسب الأطفال

3-1 الأطفال بين الشرعية والإباحية

3-2 نقد وتحليل ظاهرة الإباحية

3-3 النسب إلى الأب

3-4 النسب إلى الأم

3-5 التبني

4- أهمية الأطفال بالنسبة للأسرة الليبية القديمة

5- الاعتناء بالأطفال

6- المنظومة الإسمية في المجتمع الليبي القديم

7- واقع التربية والتعليم في المجتمع الليبي القديم

الفصل الثالث: مكانة الأطفال في المجتمع الليبي القديم

1- لمحة تاريخية عن المجتمع الليبي القديم

توجد العديد من الإشكاليات التي لا تزال قيد التحري والبحث في تاريخ بلاد المغرب القديم، ولعل أهمها هي إشكالية بداية الفترة التاريخية، أي ما هو التاريخ والزمن الفعلي الذي انتقل فيه سكان بلاد المغرب القدماء من فترات ما قبل التاريخ إلى الفترات التاريخية؟ خاصة وأن المدرسة التقليدية الفرنسية ربطت بداية الفترة التاريخية في بلاد المغرب بوصول التجار الفينيقيين إلى المنطقة خلال نهاية الألف الثانية قبل الميلاد، إلا أنّ هذه الفكرة تبقى محل شك خاصة بعد الدراسات الجدية التي خصت الفترة التي سبقت وصول الفينيقيين إلى سواحل المتوسط أو كما يُسمى بمرحلة فجر التاريخ، فقد فُتح باب واسع للتأريخ وأصبح استنتاج الرسوم الصخرية المنتشرة في مختلف المناطق وكذا مخلفات المقابر الميغالييتية بأنواعها ضرورة حتمية.

يجدر بنا الرجوع إلى الباحث الجزائري محمد الصغير غانم رحمه الله في هذا الصدد لما أكّد أنّ الإنسان الذي رسم وأبدع في الرسم لا تصعب عليه الكتابة، خاصة وأن الكتابة التصويرية هي أولى مراحل الكتابات التي ظهرت في الشرق الأدنى القديم، وقد توفي هذا الباحث ولا يزال سؤاله مطروحا: " هل يعزى سبب عدم انتقال الإنسان المغربي القديم من الرسم إلى الكتابة إلى التغيرات المناخية التي انتابت المنطقة منذ العصور الحجرية؟ أم أن هناك عوامل أخرى تتعلق بحركية الإنسان في المنطقة والتي يغلب عليه الطابع الرعوي، فهي التي جعلته يتوقع على نفسه ويدور في محيطه القبلي، ثم ينتظر حتى تأتية هزة الانتقال إلى الكتابة مع التجار الفينيقيين؟ " ¹

ظهر مجتمع بلاد المغرب القديم في المنطقة الجغرافية الواسعة الممتدة من غرب النيل شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن سواحل البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى تخوم الصحراء الكبرى جنوبا، وقد تكلم المؤرخون الإغريق والرومان حول البيئة الجغرافية لبلاد

¹ محمد الصغير غانم، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، جزء 2، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2010، ص 103.

المغرب، حيث قال هيرودوتوس أن ليبيا تمتد من حدود مصر شرقا إلى رأس سوليس غربا أي المحيط الأطلسي¹، أما سترابون "Strabon" فقد كان وصفه أكثر دقة حيث قال أن ليبيا تأتي بعد آسيا وتحاذي مصر وأثيوبيا تبدأ سواحلها من الإسكندرية إلى أعمدة هرقل بخط مستقيم يتخلله السيرتان وبعض الرؤوس والخلجان، أما الساحل المحاذي للمحيط فبعد أن يتابع حتى مسافة ما في أثيوبيا اتجاها مماثلا للأول ما يعطي ليبيا شكل شبه المنحرف².

وصفها بلينيوس الكبير على أنها المنطقة المحصورة بين الحدود الغربية لمصر حتى المحيط الأطلسي وبها خليج السرت والتريتونيوس وأعمدة هرقل³، أما ساليستيوس "Sallustius" فقد وصف مناخها وثرواتها الطبيعية، إذ أشار إلى أن أرضها جيدة لزراعة الحبوب وتربية المواشي والسماء فيها ممطرة⁴.

تكلم بعض المؤرخين الفرنسيين عن البيئة الجغرافية لسطح شمال إفريقيا في التاريخ القديم وتأثيرها على السكان، وأكدوا أنها هي السبب في عزلتهم وعدم تمكنهم من تحقيق الوحدة السياسية، أمثال شارل أندري جوليان الذي تحدث عن العائق الجغرافي⁵، وغوتيه "Gautier" الذي سماه اللعنة الجغرافية التي حالت دون تكوين كيان سياسي مثل باقي الكيانات في العالم القديم⁶، لكن يبقى هذا الكلام فيه من الشك ما فيه، لأن المدرسة الفرنسية التقليدية لطالما حاولت تقزيم السكان المحليين ونفي كل ما هو حضاري ينسب لهم.

يستخدم الباحثون عدة تسميات للدلالة على سكان بلاد المغرب القديم، وتختلف هذه الأسماء من حيث تاريخ ظهورها واستعمالها وتطور مدلولها، ويعتبر اسم لوبة أو ليبيا هو أول الأسماء التي ظهرت في التاريخ للدلالة على بعض المجموعات السكانية الليبية التي تقطن غرب نهر

¹ S. Gsell, texte relatifs....., p 71.

² Strabon, Géographie de Strabon, II, 5, 13, trad par : A. Tardieu, Librairie Hachette, Paris, 1881.

³ Pline L'Ancien, V, 4.

⁴ ساليستيوس، الحرب اليوغرطية، تر محمد مبروك الدويب، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، 2007، ص 32.

⁵ شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 1، تر محمد ميزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1969، ص 34.

⁶ E.F Gautier, le passé de l'Afrique du Nord, Payot, paris, 1937, p 10.

النيل، وقد ورد هذا الاسم خلال الألفية الثانية ق م في بعض النقائش المصرية¹، وقد ذكر هذا الاسم بعد ذلك في التوراة².

ظهرت تسميات أخرى لشعوب بلاد المغرب القديم بداية من القرن الثالث قبل الميلاد، نذكر منها اسم النوميدي "Numides"، هذا الأخير كان محل جدل بين المؤرخين من خلال عديد المقاربات اللغوية، حيث أكد سترابون وساليسيوس على أنه كلمة مشتقة من الكلمة الإغريقية نوماداس "Namodes" والتي تعني البدو نسبة إلى نمط معيشة السكان المحليين، انقسم النوميدي إلى فرعين كبيرين الماسيل في الشرق والماسيسيل في الغرب، وامتدت أقصى حدود نوميديا من السرت الكبير إلى وادي مولشة في عهد ماسينيسا لما وحد المملكتين³.

استعمل بعض الجغرافيين الإغريق اسم المور "Maures" للدلالة على سكان أقصى الشمال الإفريقي غربا من واد ملوية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، واستعمله الرومان للدلالة على مملكة بوخوس وأولاده⁴، وتحدث ساليسيوس عن قبائل الجيتول "Getules" حين ميز سكان شمال إفريقيا بين عمق ليبي وآخر جيتولي، قبل أن يتحدث عن الميديين والأرمن الذين امتزجوا مع الليبيين وكونوا جنس المور في حين امتزج الفرس بالجيتول وكونوا النوميدي⁵.

استعمل الرومان كلمة إفريقيا "Afrique" للدلالة على الأراضي التي احتلوها بعد تدمير قرطاجة سنة 146 ق م، ثم تطور المصطلح تدريجيا ليعبر عن القارة الإفريقية كاملة، ورجح دوكري "F. Decret" ومحمد حسين فنطر أن أصول الكلمة محلية ومشتقة من اللفظة إفري بمعنى مغارة (ومن ذلك إفران وإفري وإفيرا بمنطقة القبائل) وذلك دلالة على سكان المغارات⁶.

¹ محمد مصطفى بازمة، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، ط 1، منشورات مكتبة قورينة، بنغازي، 1975، ص 27-29.

² العهد القديم، سفر دانيال، الإصحاح 11، الآية 43.

³ محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 158.

⁴ المرجع نفسه، ص 159.

⁵ ساليسيوس، المصدر السابق، ص 32.

⁶ F. Decret et M. Fantar, op-cit, p 22-26.

أطلق العرب المسلمون على سكان شمال إفريقيا لفظ البربر، حيث يذكر ابن خلدون أن البربر ينتسبون إلى جدهم إفريقيش الذي قال عنهم حين سمعهم يتحدثون بسرعة دون أن يفهمهم "ما أكثر بربرتكم"¹، وتختلف هذه التسمية في مدلولها عن تسمية باربار "Barbars" المشتقة من الكلمة الإغريقية "Barbarus" بمعنى همجي والتي أطلقها الإغريق والرومان على الشعوب التي بقت خارجة عن الحضارتين الإغريقية والرومانية²، أما تسمية الأمازيغ "Amazighs" فقد جاءت على لسان ابن خلدون نسبة إلى جد الأمازيغ الأول مازيغ³، وهذا الاسم ينتمي إلى الجذر اللغوي "MZK" أو "MZG" والذي اشتقت منه أسماء بعض القبائل الليبية القديمة مثل الماكسيس "Maxyes" التي ذكرها هيرودوتوس⁴.

اختلفت المصادر الأدبية الإغريقية واللاتينية القديمة في تحديد أصل سكان بلاد المغرب القديم، حيث يذكر هيرودوتوس أن ليبيا يعيش فيها أمتان محليتان هما الليبيون والإثيوب وأمتان وافدتان هما الإغريق والفينيقيون، ويقصد بالليبيين الجنس الأبيض الذي يسكن شمال إفريقيا، وقد عدد هيرودوتوس العديد من القبائل وقسمها هي الأخرى إلى صنفين حسب نمط المعيشة: القبائل الزراعية المستقرة والقبائل المتنقلة التي تمارس الرعي⁵.

ذكر ساليستوس أسطورةً نقلًا عن هيمصال الثاني⁶، وملخصها أن السكان الأوائل لأفريقيا هم الجيتول والليبيون الذين تزاجوا مع الميديين "Médés" والأرمن "Arminiens" والفرس "Pereses" عند قدومهم من إسبانيا بعد موت قائدهم الأسطوري هرقل⁷ "Hercule"، حيث اختلط الفرس مع الجيتول عن طريق الزواج وكان نتاجه جنسا سمو بالنوميد، أما الميديون

¹ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق سهيل زكار وآخرون، دار الفك، بيروت، ص 94.

² شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 12.

³ ابن خلدون، المصدر السابق، 97.

⁴ Hérodote, IV, 191.

⁵ علي فهمي خشيم، نصوص ليبية، ط1، منشورات المؤسسة العامة للثقافة، ليبيا، 2009، ص 60.

⁶ هيمصال الثاني: ابن غودا حكم الجزء الشرقي من نومديا عام 105 ق م، أشارت إليه النصوص بأنه ملك ذكي ومتشبع بالثقافة الإغريقية والرومانية والليبية، وقد اهتم بجمع تراث أجداده وكان مؤرخا بارعا، إذ ترك مؤلفات باليونانية والتي أخذ عليها ساليستوس وبعض المؤرخين الآخرين. أنظر: فتحة فرحاتي، نومديا من حكم الملك غايا إلى بداية الاحتلال الروماني الحياة السياسية والحضارية (213 ق م – 46 ق م)، منشورات أبيك، الجزائر 2007، ص 170.

⁷ هرقل: بطل أسطوري يوناني أله وعبد على مر الأيام وكان له مغامرات عديدة كلفته بها الآلهة، خاصة عندما رمى زوجته خطأ فقتلها، وعندما ذهب إلى ليبيا لإحضار التفاحات الذهبية من جنائن سيدات الغرب ومصارعة حارسها التنين ومقاتلة الأمازونيئات. أنظر: علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص 161.

والأرمن فقد تمازجوا مع الليبيين وأصبحوا يعرفون بالمور¹، أما رواية بروكوبيوس "Procopius" فهي تتكلم عن غزو العبرانيين لليبيا وامتزاجهم بالسكان المحليين و التي عبر عنها جوليان أنها نسج من الخيال ولا تحمل أي قيمة تاريخية².

تشير المعطيات الأنثروبولوجية حسب كامبس إلى وجود سلالتين تتقاسمان البلاد المغاربية أواخر فترة ما قبل التاريخ أي خلال العصر الحجري الحديث، و هما إنسان مشتي العربي الذي كان امتداده تاليا وساحليا على الأخص، والسلالة الثانية هي سلالة الإنسان القفصي الذي شغل المناطق الداخلية التي أصبحت فيما بعد مناطق لتتقل الجيتول³، وهو ما يميل له أغلب المؤرخين الذين يرون أن سمات الإنسان النيو ليتي والباليو ليتي الأعلى في البربر الحاليين⁴، كما تشير بعض الدراسات الأخرى إلى أن الإنسان في شمال إفريقيا ينقسم إلى عنصرين متميزين من البشر هما العنصر المتوسطي والعنصر الإفريقي، وباختلاط هاذين الجنسين في منطقة الشمال الإفريقي ظهر العنصر المحلي، وهو امتداد لإنسان الحضارتين القفصية والعاترية ومجتمع الفن الصخري في الطاسيلي ناجر في العصر النيو ليتي وعصور فجر التاريخ⁵.

2- مصادر الدراسة

يُمكن أن نكون صورة عن المجتمع والأسرة في بلاد المغرب القديم بصفة عامة وعن عنصر الطّف بصفة خاصة بالاعتماد على مجموعة من المصادر المختلفة، والتي نقسمها إلى نوعين رئيسيين: مصادر أدبية ومصادر مادية أثرية.

تبقى كتابات المؤرخين والجغرافيين الإغريق والرومان هي أهم المصادر الأدبية التي خصت التاريخ الاجتماعي لبلاد المغرب القديم، ويتصدر هؤلاء الكتاب القدامى من حيث

¹ Salluste, Jugurtha, trad : Ernout, Les belles Lettres, Paris, 1958.

² شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 70.

³ G. Camps, Aux origines de la berbérie (Massinissa ou les débuts de l'histoire), imprimerie officielle, Alger, 1961, p 16.

⁴ محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995، ص 29.

⁵ محمد البشير شينيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب وسياسة الرومنة، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 8.

الأهمية التاريخية المؤرخ الإغريقي هيرودوتوس¹ الذي زار مصر وليبيا في حوالي القرن الخامس ق م وتوقف عند الحدود الغربية لمستوطنة قورينة الإغريقية، ووصف بعد ذلك بلاد المغرب القديم بناءً على المعلومات التي استقاها من سكان المنطقة. كتب هذا المؤرخ مصنفه وخص الكتاب الرابع منه للحديث عن ليبيا، كما ذكرها في بعض الفقرات من الكتاب الثاني، حيث قص فيه حديث القبائل والطوائف الليبية وتحدث عن عاداتهم وتقاليدهم وبعض أساطيرهم²، ولا يقل كتاب الجغرافيا لسترابون أهمية عما سبقه من الكتب والمصنفات، حيث خص هذا المصنف خاصة في الجزء الأول منه والسابع عشر الحياة الاجتماعية لسكان بلاد المغرب القديم³.

خصص ديودوروس الصقلي⁴ في مؤلفه "المكتبة التاريخية" العديد من الفقرات في الكتابين الثالث والرابع منه للحديث عن تاريخ الليبيين القدماء وبعض أساطيرهم وتقاليدهم⁵، ومن المؤلفين اللاتينيين نذكر بلينيوس الكبير⁶ ومؤلفه التاريخ الطبيعي، هذا الأخير مكون من 17 كتابا، وتوجد في هذا المؤلف فقرات من الكتاب الخامس والكتاب الثالث والكتاب التاسع عشر والثاني والكتاب العشرين خصصت لتاريخ بلاد المغرب القديم وبعض أخبار سكانه القدماء⁷. ويبقى كتاب حرب يوغرطة لساليسوس⁸ هو المؤلف الوحيد الذي خصص بأكمله لتاريخ بلاد

¹ هيرودوتوس: ولد عام 484 ق م في مدينة هاليكارنوس وخلال سبع عشر عام ضل الرجل يطوف العالم القديم وبعد ذلك استقر في أثينا وكتب مصنفه الشهير. أنظر: علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص 15 - 16.

² محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي.....، ص 103.

³ Strabon, I, 17.

⁴ ديودوروس الصقلي: مؤرخ يوناني من صقلية عاصر يوليوس قيصر وأغسطس، وقد غطى في مؤلفه الفترة من أقدم العصور حتى بداية حرب القيصر الغالية 58 م وقد وجد من هذا المؤلف كتب 1 - 4، 9 - 20. أنظر علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص 147.

⁵ Diodore de Sicile, III, 5.

⁶ بلينيوس الكبير: سمي بهذا الاسم لتميزه عن ابن أخيه الأصغر، ولد في غاليا عام 23 م عمل في الجيش في إفريقيا واعتلى العديد من المناصب في الإمبراطورية الرومانية، وكان له فضول علمي توجه بمؤلفه الشهير "التاريخ الطبيعي" توفي في عام 79 م اختناقاً بالغازات السامة المتصاعدة من إحدى البراكين. أنظر علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص 95.

⁷ Plin L'Ancien, VI, 8, 6, 5, 8 ; X III, 32, 33 ; IXX, 15 ; XXII, 48, 49.

⁸ ساليسوس: اسمه كابوس كريوس سالستيسوس 86 / 35 م من عائلة ثرية، مارس السياسة ومال إلى الديموقراطيين وعين في عديد المناصب من بينها تعيينه كحاكم لمقاطعة إفريقيا وبعد وفاة قيصر أزيح عن منصبه وتفرغ بعد ذلك للكتابة وألف العديد من المؤلفات من بينها حرب يوغرطة، كاتيلينا... الخ. أنظر: محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومه، الجزائر، 2013، ص 93 - 95.

المغرب القديم وغطى حرب يوغرطة والعديد من الأخبار عن عادات وتقاليد السكان المحليين وتاريخهم¹.

تبقى هذه النصوص الأدبية الإغريقية هي الوحيدة التي زودتنا بأخبار سكان بلاد المغرب القديم بالرغم من أنها قليلة جدا ومبعثرة ويسودها الغموض في كثير من الأحيان، خاصة أن الليبيين القدماء لا يُذكرون إلا حين يتعلق الأمر بقربهم وعلاقاتهم بالحضارتين الرومانية والإغريقية، فقد كانت كتابة هؤلاء الكتاب وصفية في كثير من الأحيان مع تحيزهم إلى شعوبهم ومحاولة تقزيم السكان المحليين، خاصة وأن كثير منهم يدونون أخبارا سابقة لهم في الزمان والمكان ويعتمدون على سماعهم للرواية الشفوية دون تحقيق ونقد تاريخي ما جعل أغلب كتاباتهم يغلب عليها الجانب الأسطوري والقصص الخيالية مع العديد من الأخطاء التاريخية الفادحة²، أمام كل هذه المعطيات فقد تعاملنا بحذر شديد مع هذه النصوص وقمنا بالعديد من الملاحظات والدراسات النقدية لكشف جانب من الحقيقة التاريخية.

تتقدم المصادر المصرية القديمة جملة المصادر المادية التي لا يستطيع أي باحث الاستغناء عنها في التأريخ للحياة الاجتماعية لبلاد المغرب القديم، وهي مجموعة من اللوحات والصلايات والنقوش التي تزين جدران بعض القصور والمعابد والمباني المصرية القديمة، والتي ذكرت وصورت القبائل الليبية التي حاولت التسرب إلى مصر منذ عصر الدولة القديمة، وكان لهم العديد من المعارك مع المصريين ومن أبرز هذه القبائل التחנוو والتحمو والريبو والمشوش، ومن خلال هذه المصادر نستطيع أن نستشف العديد من المعلومات حول الأسرة والطفل في القبيلة الليبية القديمة³.

تعد النقوش الليبية من بين المصادر المادية الهامة التي لا يُستغنى عنها لكتابة تاريخ بلاد المغرب القديم، وبالرغم من هذه النقوش لم تحض لحد الآن بأبحاث جادة مقارنة بالدراسات التي خصت النقائش اللاتينية واليونانية، ماعدا الدراسة التي قام به الباحث اللغوي شابو J.B "Chabot" الذي جمع النقوش الليبية وقام بتصنيفها وتبويبها⁴، وتبقى هذه الأخيرة مصدراً مهماً

¹ Salluste, XVII, 1-12.

² محمد الصغير غانم، مقالات وأراء، ص 15 – 18.

³ O. Bates, the Eastern Libyans, Macmillan co limited, London, 1914, p12-22.

⁴ J.B Chabot, op-cit, p 1-230.

استخلصنا منه أسماء الأعلام وبعض المعلومات التي أفادتنا هي الأخرى في مجال البحث التاريخي.

تعد البقايا الأثرية مثل الفخار والنصب التذكارية والجنائزية ثم العملة والزجاج من بين المصادر المادية، التي من نستطيع خلالها سد بعض الفجوات التاريخية التي تركتها النصوص الأدبية، إلا أنّ التعامل مع هكذا مصادر لا يخلو من الصعوبات خاصة عندما تتناقض المعطيات الأثرية والنصوص الكتابية، وكذلك عندما تتشابه المصادر المادية على اختلاف أنواعها في بلاد المغرب والمصادر المشابهة لها في المناطق المجاورة لاسيما أوروبا وبلاد المشرق وهنا يقع الباحث في إشكالية الأصل، وعليه فلا بد من إعادة النظر في كرونولوجية هذه المصادر على ضوء المستجدات الحديثة في ميدان التنقيب الأثري¹.

أمام هذه المصادر الكتابية والأثرية المتنوعة التي خست تاريخ السكان القدماء لبلاد المغرب في الفترة الليبية القديمة، حري بنا أن نتساءل هل نستطيع تكوين صورة واضحة عن الطفل والطفولة في مجتمع بلاد المغرب القديم بناء على المصادر سابقة الذكر؟ أو ما هي مكانة الطفولة في المجتمع الليبي القديم في ظل خصوصيته الاجتماعية والدينية والثقافية؟ ما هو واقع التربية والتعليم في المجتمع الليبي القديم؟ وما هي أبرز العادات والتقاليد التي تخص فئة الأطفال في المجتمع الليبي القديم؟

3- نسب الأطفال في المجتمع الليبي القديم

1-3 الأطفال بين الشرعية والإباحية

أشارت مختلف المصادر الإغريقية واللاتينية إلى طبيعة حياة السكان في بلاد المغرب القديم، فكل قبيلة عاداتها وأعرافها التي ألفتها وتعودت السير عليها، ومن بين أبرز المظاهر التي تناولتها هذه المصادر قضية الإباحية الجنسية التي سادت المنطقة، أي أنّ النساء مباحات لكل رجال القبيلة دون ضبط أو قيد، والغريب في الأمر أن الظاهرة ذكرها أغلب الكتاب القدامى وتكررت عند أغلب القبائل الليبية، الأمر الذي دفعنا للتساؤل هل أبناء الليبيين

¹ محمد الصغير غانم، مقالات وأراء.....، ص 17 - 18 .

شرعيون يولدون بعد عملية زواج توطرها الأعراف والتقاليد؟ أم أنهم أبناء غير شرعيين يولدون وهم يعرفون أمهاتهم ولا يعرفون آبائهم؟

تستخدم كلمة زواج للدلالة على مؤسسة اجتماعية لها أبعاد اقتصادية وثقافية ودينية تربط بين رجل أو عدد من الرجال مع واحدة أو عدد من النساء تعترف بها التقاليد وتضبطها الشرائع، وتفرض عددا من الحقوق والواجبات لأطراف العلاقة من جهة والأبناء الذين تنجبهم من جهة أخرى، ويفرض الزواج دائما وجود علاقة جنسية يعتبرها المجتمع مباحة بين الزوجين ومن واجب كل من الشريكين إرضاء رغبات الشريك الآخر ضمن إطار معين¹، وإذا غاب تقنين وتأطير هذه العلاقات الجنسية من طرف الشرائع والأعراف أصبح الجنس البشري يعيش حالة من الإباحية، أي انعدام الزواج الفردي، فرجال العشيرة والقبيلة لهم الحق في معاشرة كل النساء، والأولاد يعتبرون في هذه الحالة ملكا للمجموعة بأكملها، وهذه فرضية أطلقها بعض علماء الاجتماع على طبيعة حياة المجتمعات البدائية².

توجد في النصوص الأدبية الإغريقية واللاتينية تأكيدات كثيرة على وجود شعوب تعيش في حالة إباحية جنسية ومن بينها القبائل الليبية القديمة، حيث يذكر هيرودوتوس قبيلة الأدروماخيداي³ "Adormachidae" الذي وصف نساءها قائلا: "...تضع نساء الأدروماخيداي حلقات برونزية حول الساقين كلتيهما، كما يطلقن شعورهنّ وعندما تبلغ العذارى سن الزواج فإن الملك يأخذ عذرية من يستحسنها منهنّ .."⁴.

يحتم العرف في قبيلة الناسمون⁵ "Nasamones" على الرجل حين يتزوج أول مرة أن يهب عروسته لكل المدعويين، وتسمى حق الليلة الأولى، وقد وصف هيرودوتوس هذه العادة قائلا: "...ومن عاداتهم أن يتخذ كل رجل عدة زوجات، وهم يباشرون النساء دون قيد أو

¹ إدوارد وستر مارك، موسوعة تاريخ الزواج، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001، ص 29.

² المرجع نفسه، ص 97-98.

³ الأدروماخيداي: شغلت القبيلة المنطقة المحصورة بين دلتا النيل إلى مصر وكانت أكثر تأثرا بالحضارة المصرية، ويحدد سيلاكس موطنهم بين مصر غربا حتى أبيس. أنظر: علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص 44.

⁴ Hérodote, VI, 168.

⁵ الناسمون: قبيلة كبيرة انتشرت من الجنوب الغربي من قبيلة الأسخيين على طول المنطقة الساحلية الممتدة بين خليج السرت الكبير شمالا ومنطقة أوجلة جنوبا. أنظر: محمد حسين فنتر، قبيلتان لوبييتان الجرمنيتون والناسمون، مجلة/دماتور، ع 5، الرياض، جانفي 2003، ص 47.

ضابط، فحين يتزوج الرجل لأول مرة فإنه يجب على العروس-طبقا للعرف-أن تضاجع في الليلة الأولى واحدا تلو الآخر كل المدعويين، ويعطيها كل رجل قام بذلك هدية أو هبة أحضرها من بيته...¹.

ذكر أرسطو "Aristo" العادة نفسها في كتابه "السياسة" من شيوعية النساء في أعالي ليبيا²، وقد استمرت هذه الظاهرة في العصر الوسيط في قبيلة غمارة³، وهي نفس العادة التي أشار إليها بومبيوس ميلا "Pomponius Mela" في مدينة قورينة حيث قال: "إن تقاليدهم كانت تقضي بأن تكون المرأة في ليلة عرسها ملكا عاما لجميع الرجال الذين حضروا وحملوا معهم قطعا نقديا كافية لاكتساب حق المشاركة، وقد كان الزوج يحس بالسعادة إذا اجتذبت زوجته عددا كبيرا من الحضور، مع أن النساء كنّ بعد الحفل يعشن حياة مثالية من العفة والإخلاص..."⁴، وقد أعطيت عدة تفسيرات لهذه العادة، حيث يرى ستيفان غزال أن الجماعة حين تتنازل عن حقوقها من المشاعية البدائية (حق مشاعية النساء) فإنها تمارس حقها للمرة الأخيرة⁵.

يقول هيرودوتوس عن قبيلة الأوسيس "Ausses"⁶ الذين كانوا يعيشون على ضفاف بحيرة تريتون: "... إن هؤلاء البشر لا يعيشون كعائلات وإنما يقيمون معا مثل الحيوانات، وعندما يبلغ أحدهم سن الرجولة يؤتى به إلى مجمع الرجال الذي يقام كل ثلاثة أشهر وينسب حينها للرجل الذي يشبه أكثر..."⁷، وتكلم أرسطو عن الليبيين الذين كانوا يعيشون في المناطق الداخلية قائلا: "...كان لديهم مشاعية النساء والأولاد، وكانوا يتقاسمون بينهم الأطفال بالتشبيه

¹ Hérodote, VI, 172.

² Aristote, Politique, II, 13, Texte établi en traduit par J. Aubonnet, éd les belles Lettres, Paris, 1971.

³ علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص 47.

⁴ Pomponius Méla, Géographie, I, 46, trad sous la direction de M. Nisard, éd J. Dubochet le chevalier et clé, Paris, 1850.

⁵ S. Gsell, H.A.A.N, p32.

⁶ الأوسيس: قبيلة ليبية أقامت في عمق السرت وكانوا يعبدون الآلهة أثينا وبقيموا لها الاحتفالات. أنظر:

J. Desanges, catalog de tribes Africaines de L' antiquité classique à oust du Nil, éd Pub de la section d'histoire, Drakkar, 1962, p 33.

⁷ Hérodote, IV, 180.

الجسدي"¹، ويضيف بومبيوس ميلا أنه لم يكن لأحد من الغرامنت زوجة محددة والأبناء ينسبون بالتشبيه الجسدي².

نلاحظ من خلال هذه الفقرات أن أغلب الكتاب اتفقوا على مشاعية النساء في القبائل الليبية القديمة وعلى أن الأطفال هم ملك للجماعة وينسب الطفل عند بلوغه إلى الرجل التي يشبهه جسديا وذلك بعد اجتماع دوري يقام في القبيلة، تكررت عادة النسب بالتشبيه الجسدي عند بعض الشعوب في العالم القديم أمثال شعوب ليبرون في البلقان الذين كانوا يمارسون مشاعية المرأة ويتكلف جميع أفراد القبيلة بتربية الأولاد حتى سن الخامسة وبعد ذلك ينسب كل واحد منهم إلى الرجل الذي يشبهه أكثر، ونفس العادة تحدث عنها هيرودوتوس وسترابون لدى شعب الماساجات التركستاني والشعب الذي يسمى "أكلي اللبن" شمال البحر الأسود³.

يذكر هيرودوتوس أن رجال قبيلة المساجيتاي "Massageta" يغرسون عصا أمام مكان إقامتهم كإشارة لدعوة النساء لمباشرة الجماع⁴، وعن قبيلة الجيندانس "Gindanes" يعبر قائلا: "... تضع كل امرأة من الجيندانس حول ساقها حلقات كثيرة من الجلد لأنها تضع حلقة عن كل رجل اتصلت به و تشتهر المرأة التي تتصل بأكثر عدد من الرجال وتضع أكبر عدد من الحلقات .."⁵.

يشير بلينيوس الكبير إلى أن الغرامنت⁶ "Garamantes" لم يمارسوا الزواج وكانوا ينتقلون من امرأة إلى أخرى دون ضوابط وقيود⁷، وهو ما أكد عليه سولين "Solin" حيث يرى أن الغرامنتيين هم الشعوب الأكثر انحلالا وانحطاطا وخلاعة بين شعوب المنطقة، لأنه لم يكن لديهم أي أهمية للأبوة والبنوة ولا للزواج لأن الكل يعاشر دون قيود أو ضوابط⁸، وحذا

¹ Aristote, II, 13.

² Pomponius Méla, I. 8. 48

³ إدوارد ويسترمك، المرجع السابق، ص 101.

⁴ علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص 46.

⁵ Hérodote, IV, 176.

⁶ **الغرامنت**: سكان فزان الأقدمون كانت لهم سطوة على الصحراء وعاصمتهم جرمة، تميزوا بعرباتهم ذات الخيول التي نقلها عنهم اليونان، وهم الوحيدون الذين استطاعوا اختراق الصحراء بالقوافل التجارية. أنظر:

Pline L'ancien, V, 5 ; Hérodote, IV, 183

⁷ Pline L'ancien, V, 45.

⁸ Solin, Polyhistor, XX, 2,3, trad par M.A Agnant, éd C.E.I Panckoucke, Paris, 1847.

حذوه أحد الكتاب الفرنسيين "Y.Liébert" لما قال أن انعدام الهوية المنسوبة للأب بالنسبة للأطفال هي صفة أخرى يتسم بها البرابرة¹.

كانت النساء يتعهرن للزوار في معبد الآلهة في مدينة سيكا² "Sicca"، ويرجح غزال أن مصدر هذه العادة من الفينيقيين الذين نقلوها إلى بلاد المغرب، وهو ما يعرف بالبغاء المقدس "la prostitution sacrée"³، وهي أن تقوم النساء بالتضحية بأعز ما يملكن لإرضاء الآلهة، وهي من المعتقدات المنتشرة في الشرق القديم إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، و مضمونها أن تقيم الفتيات العذارى في المعبد أو على شاطئ البحر ويُزاجن كل من يتقدم إليهن⁴، ونفس العادة انتشرت في مدينة بابل والتي جاءت على لسان هيرودوتوس الذي وصفها قائلا: "...إن أكبر المخزيات في بابل شعيرة تقليدية مضمونها أن تقيم كل امرأة في معبد أفرويدت مرة واحدة في حياتها وتجامع أي غريب يتقدم لها..⁵".

يتحدث مرمول كرافخال "M. Caravajal" عن مدينة قديمة جدا تقع جنوب مدينة فاس المغربية، يوجد فيها حسب الكتاب الأفارقة معبد كبير كان الرجال والنساء يقيمون فيه علاقات إباحية في ليلة معينة من السنة بعد تقديم الأضاحي وإطفاء الأنوار، ولم يكن للنساء المشاركات في الليلة الحق في النوم مع أزواجهن إلا بعد التأكد من أنهن لم يحملن، أما الأولاد الذين يتم الحمل بهم في تلك الليلة قد كانوا منذورين لخدمة المعبد، ولكن العرب المسلمين قد هدموا هذا المعبد بعد بلوغهم بلاد المغرب⁶.

يصف نيقولا الدمشقي "Nicola de Damas" عادات إحدى القبائل الليبية التي تتزامن مع موسم البذر، حيث يقام احتفال لا يشارك فيه إلا الرجال والنساء، وعقب اختفاء نجوم الثريا وبعد تناول العشاء يذهب الرجال إلى النساء اللواتي يكنّ قد اعتزلن لهم كل واحدة على حدا،

¹ Y. Lébert, Regards sur la truphé étrusque, éd Presses univ, Limoges, 2006, p 61.

² سيكا: مدينة الكاف حاليا.

³ S. Gsell, H.A.A.N, tome 5, p33.

⁴ M. Fantar, Elyssa de Carthage .apports d'mythe, p 11.

⁵ Hérodote, I, 199.

⁶ Marmol Caravajal, la description générale d'Africa, livre IV, vol II, 163.

ويقع كل واحد على من يجدها منهم، وحسب فنطر و دوكري فإن الظاهرة استمرت في بعض القبائل الليبية والغرض منها هو جلب الخصب والتيمين بموسم زراعي خصيب¹.

لم تخل مصادر العصر الإسلامي في المنطقة من ذكر ظاهرة مشاعية المرأة في بلاد المغرب رغم أن الإسلام يحرم مثل هذه الممارسات خوفا من اختلاط الأنساب، إلا أن ابن بطوطة يذكر عادة غربية في قبيلة مسوفة المقيمة بآيواتن، حيث أنه رأى رجالهم لا يغارون على نسائهم ولكل من نسائهم صاحب تخلو إليه في حضور أو غياب زوجها دون اعتراضا منه².

يذكر البكري كذلك عادة لإحدى القبائل المقيمة في بلاد المغرب والتي تقوم بإهداء ضيفها إحدى نسائها تكريما له³، ويشير حسن الوزان (ليون الإفريقي) خلال القرن السادس عشر ميلادي في عين الأصنام، إلى اجتماع النساء والرجال في معبد قرب مدينتهم مع غروب الشمس وبعد أن ينتهوا من تقديم القرابين يستمتع كل واحد بالمرأة التي تتواجد أمامه⁴. وفي القرن السابع عشر ميلادي يذكر ابن أبي الدينار حفلا ربيعيا يشرع فيه ابتداء من الفاتح ماي في الساحة العمومية في تونس التي تسمى ساحة الورد، والتي يتم فيها حسبه ممارسة الفجور ويدوم الحفل خمسة عشر يوما⁵.

ورد في موسوعة الزواج لإدوارد ويسترمك بعض التقاليد في المناطق الجبلية لمدينة فاس بالمغرب، والتي تقضي بأن يحضر العريس وبعض أقاربه من الرجال والنساء إلى بيت خطيبته في الليلة السابقة للزفاف ثم يصحبونها إلى قرية مجاورة لرجل آخر يتكلف بقضاء الليلة معها ويفض عذريتها، وتحمل هذه العادة دلالات يتحكم فيها المقدس وقد يكون لطقوس السحر عاملا فاعلا⁶.

¹ F. Decret et M. Fantar, op – cit, p 247.

² أبو عبد الله ابن إبراهيم اللواتي الطنجي (ابن بطوطة)، رحلة ابن بطوطة تحفة النظر لغرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر، بيروت، 1992، ص 677 – 678.

³ أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1857، ص 175.

⁴ حسن الوزان بن محمد الفاسي (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، ج 1، تحقيق محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط 2، بيروت، 1983، ص 364.

⁵ ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تونس، 1967، ص 308-309.

⁶ إدوارد ويسترمك، المرجع السابق، ص 151-152.

تؤكد أغلب النصوص الأدبية الإغريقية واللاتينية وحتى المصادر العربية عن تواجد ظاهرة الإباحية الجنسية في بلاد المغرب القديم واستمراريتها في العصور الوسطى والحديثة، حيث أنها تكررت عند أغلب القبائل الليبية القديمة بعدة أشكال نذكر منها: التفلت الجنسي قبل الزواج وبعد الزواج مثلما كان يحدث في قبيلة الأدروماخيدياي وقبيلة المساجيتاي والجيندانس¹، وظاهرة البغاء المقدس مثلما كان يحصل في معبد مدينة سيكا² وظاهرة حق الليلة الأولى مثلما حدث في قبيلة الناسمون وفي مدينة قورينة³، وظاهرة الأعياد الجنسية، وظاهرة غياب النسب الأبوي إلى بعد أن يبلغ الطفل لينسب بعد ذلك للرجل الأقرب إليه شبةا مثلما كان يحدث في قبيلة الأوسيس وفي قبائل الغرامنت⁴. لكن من الصعب التسليم بمثل هذه النصوص والروايات دون نقد وتحقيق بل وجب إعادة النظر فيها وكشف جانب من الحقيقة التاريخية وهو ما حاولنا القيام به في العنصر القادم.

2-3 نقد وتحليل الظاهرة

خصص ستيفان غزال حيزا كبيرا في كتابه التاريخ القديم لإفريقيا الشمالية لمناقشة وتحليل ظاهرة المشاعية الجنسية البدائية في مجتمع بلاد المغرب القديم، حيث أنه يشير إلى أنّ انعدام الزواج ومشاعية المرأة ليست حكرا على سكان بلاد المغرب القديم فقط بل عرفتها شعوب قديمة أخرى حسب النصوص الأدبية، فعادة اشتراك أخوين في امرأة واحدة كانت منتشرة في الجزيرة العربية والتي ذكرها من قبل سترابون، وعادة دخول ضيوف العريس على زوجته يوم زفافها الواحد تلو الآخر بحسب السن كانت منتشرة بجزر البليار وأمريكا الجنوبية خاصة المناطق القريبة من المحيط حسبما ذكره ديودوروس الصقلي، أما عادة تقديس العروس للملك فهي عادة وجدت في الهند وبعض مناطق أمريكا وجزر الكناري واستمرت في أوربا إلى فترة متأخرة⁵.

¹ Hérodote, IV, 168, 176.

² S. Gsell, H.A.A.N, tome 5, p33.

³ Hérodote, IV, 172 ; Pomponius Méla, I, 46.

⁴ Hérodote, IV, 180 ; Aristote, II, 13. ; Pomponius Méla, I. 8. 48.

⁵ S. Gsell, texte relatifs ..., pp 194 -196.

أما في بلاد المغرب فيرى غزال أنها ليست سوى بقايا البدائية الأولى وكانت تمارس استثناء بغرض الحاجة ولم تكن على وجه العموم، ويستدل بقبيلة أولاد نايل التي تمارس فيها بعض النساء-حسب غزال-مهنة الدعارة لكسب القوت¹، ويرى غزال أن هيرودوتوس حدث له خلط بين طقوس دينية معينة لا يحترم فيها عقد الزواج مثل قضاء الليلة الأولى بالنسبة للنساء مع ملكهن وبين سائر العلاقات الطبيعية السائدة في المجتمع آنذاك، فظاهرة البغاء انتقلت من الطابع الديني المقدس إلى طابع المهنة والأجر².

تشير الباحثة الجزائرية أم الخير العقون أنّ ما دونه هيرودوتوس يشوبه الكثير من التشويه والمغالطات وسوء الفهم أحيانا والتناقض في أحيانا أخرى، فهيرودوتوس يتحدث عن الاختلاط بين الجنسين في معظم القبائل التي ذكرها على اختلاف أشكال هذا الاختلاط، فالسؤال الذي يطرح نفسه كيف كان الليبيون يتبنون ذريتهم وسط مجتمع ساد فيه الانحلال الخلقي وتشابكت فيه العلاقات بين الجنسين؟ وكأن هيرودوتوس يصف قطيعا من الحيوانات لا بشرا، حتى أن بعض الحيوانات يزود فيها الذكر عن أنثاه، وبعيدا عن الحلال والحرام وما جاءت به الكتب السماوية فإن المجتمعات القديمة كان يحكمها الضمير والخير والشر، وهذه المبادئ تبطل كلام هيرودوتوس والمؤرخين الآخرين أو على الأقل تضع حدا لمبالغته الجارفة، لأن المجتمع مهما وصل من تحضر والتزام خلقي لا بد أن تكون هناك استثناءات³.

يتكرر سوء الفهم والخلط عند هيرودوتوس في العديد من المواقع، فهو يتهم قبيلة الأوسيس بشيوعية النساء بينهم وقال أن الطفل عندما يكبر كان يعرض على مجلس القبيلة التي تقرر نسبه لأقرب رجال القبيلة شبةا، وهذا القول لا يتفق مع ذكر هيرودوتوس نفسه اهتمام نفس القبيلة بالمحافظة على عذرية بناتها، وهذا يظهر في الحفل الذي يقيمونه سنويا للربة أثينا، فقد قال في هذا الصدد: "...كان المخلوس و الأوسيس ينزلان على ضفاف بحيرة تريتونيس ويقيمون حفلا سنويا للربة أثينا، تنقسم فيه العذراوات إلى فريقين يحارب أحدهما الآخر بالحجارة والهرافات وتعتبر الفتيات اللاتي يمتن متأثرات بجراحهن غير أبكار أو أن

¹ S. Gsell, H A A N, tome 5, p 34.

² S. Gsell, texte relatifs..., p 3.

³ العقون أم الخير، مظاهر المجتمع والحضارة الليبية من خلال الآثار المصرية القديمة، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، عدد 7، القاهرة، ص 5.

عذريتهنّ مزيفة.."¹، وهذا النص يؤكد أن السكان كانوا يولون أهمية لعذرية الفتاة، والربة أثينا² فقط من تستطيع كشف أولئك الفتيات ومدى عفتهم.

يطابق كامبس بين هذه الرواية وحفل كان يقام في قريتي غات وبركات في فزان بليبيا في 27 رمضان من كل سنة ويسمى عيد الملح، حيث تجتمع الفتيات وهنّ يرتدين أجمل الثياب ويقمن بتمثيل معركة تحت إيقاع الموسيقى وكل واحدة منهنّ تحمل عصا وسوطا ويتظاهرن بالاشتباك ثم تشرع ثلة من النساء الكبيرات في السن في فحص عذرية الفتيات أمام الملاء، وكان هذا الاحتفال ذا أهمية كبيرة عند الأهالي في المنطقة، وينوه كامبس إلى هذا التطابق بين الحدثين الذي يفصلهما 24 قرنا ويؤكد أن رواية هيرودوتوس تؤكد لها الإثنوغرافية الحديثة³.

يذكر هيرودوتوس العادة الغربية بقبيلة الأدروماخيديا دون بقية القبائل وهي أنه من الضروري عرض الفتيات المقبلات على الزواج على ملك القبيلة ليختار من تروق له ليفض بكارتها⁴، فمن المحتمل حسب مصطفى كمال عبد العليم أن هيرودوتوس أو من نقل عنهم قد فهموا خطأ ما كان يحدث في القبيلة، إذ ربما كان الملك يختار لنفسه زوجات من بين فتيات القبيلة حديثات السن القادرات على خدمته، وكان يشترط الحسن وأن تكون الفتاة محافظة على بكارتها، وقد يكون لهذه العادة اتصال بالناحية الدينية وأساسها الخوف من تحمل مسؤولية فض البكارة ولا بد من ترك هذه المهمة للملك صاحب السلطة الدينية⁵.

أما العادة التي ذكرها في قبيلة الجيندانس وما تفعله النساء فيها بأن تلبس المرأة حلقات الجلد حول ساقها بعدد الرجال الذين اتصلت بهم⁶، فمن الصعب حسب مصطفى عبد العليم الأخذ بهذا القول و تطبيقه على سائر النساء فيبدو أن هؤلاء النسوة امتهنّ حرفة العهارة لكسب القوت فمن الصعب أن تسود هذه المظاهر في مجتمع كان يقدر السلف والأجداد كما روى

¹ Hérodote, IV, 180.

² الربة أثينا: اسم للربة الإغريقية وهي ربة الحكمة والحرب والزواج والنبات وحامية الدولة، وهي من الأرباب الألبم الإثني عشر، ولكن ما محل أثينا من الأمازيغ؟ وهل بالفعل كانت الربة الأمازيغية التي كان الأوسيس يقيمون لها حفلا سنويا؟
³ كامبس غابريال، في أصول بلاد المغرب. ماسينيسا وبداية التاريخ، تر محمد العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الأبيار، الجزائر، ص 32 – 33.

⁴ Hérodote, IV, 168.

⁵ مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1966، ص 70.

⁶ Hérodote, IV, 176.

هيرودوتوس عن الناسمونس، فلا بد أن يكون قائما على نظم الزواج وروابط اجتماعية معينة يمكن من خلالها تتبع تسلسل النسب بين أفراد المجتمع¹، وهناك بعض الفقرات من الكتاب الرابع لهيرودوتوس نفسه يؤكد فيها اهتمام القبائل الليبية بشرعية أطفالهم مثل قبيلة البسولوي "Psylii" الذين كانوا يعرضون الصبي حين ولادته لعضة الأفعى، فإن لم يمت كان هذا دليلا على شرعيته وأنه منهم².

يصف بلينيوس الكبير الغرامنت بصفات مشينة خاصة عند قوله أنهم لا يمارسون الزواج ويعاشرون نساءهم مختلطين وأنهم يعيشون عراة ويأكلون لحم الثعابين ويحدثون أصواتا كالصراخ، وكأنه ينفي الصفة الإنسانية عن أفراد قبائل الغرامنت، وما يؤكد أن كلام بلينيوس يشوبه الكثير من المغالطات والخرافات هو حينما قال في نفس الفقرة عن قوم يسمون البليميين: أنهم دون رؤوس وأفواههم وعيونهم ملتصقة في صدورهم، ووصف أفراد قبيلة الساتير على أنهم لا يشبهون البشر إطلاقا، وشبه أقدام قبيلة الهيمانتبوديس بالسيور الجلدية وعلى أنهم يزحفون ولا يمشون³، كلها صفات وأقوال لا يتقبلها المنطق والعقل وتؤكد بصفة واضحة ضعف مصداقية هذا الكاتب في نقل المعلومات.

تذكر العديد من المصادر الأدبية والأثرية ظاهرة الزواج في بلاد المغرب القديم، مثلما جاء في نقوش الكرنك في عهد مربرنتاح⁴ وفي اللوحة الحجرية التي تعود لعهد الملك أمنحوتب الثالث أن " ميري بن دد " أمير قبيلة الليبو صاحب زوجته و ستة من أولاده إلى الدلتا، لذ فالزواج هو الصفة الرسمية للعلاقة بين المرأة والرجل في قبيلة الليبو وزوجة الملك هي الزوجة الأولى في القبيلة⁵، كما أن هيرودوتوس حضر مناسبتين للزواج أحتفل بهما علانية عند كل من قبيلتي الناسمون والأدريماخداي⁶، وأشار ساليستيوس إلى زواج يوغرطة من ابنة

¹ مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 70.

² Hérodote, IV, 183.

³ Plinie L'ancien, V, 8.

⁴ مرتنتياح (1214-1224 ق.م): هو أحد الملوك المصريين ينتمي إلى الأسرة التاسعة عشر، انتصر في العديد من حملاته ضد القبائل اللوبية وأسر الكثير منهم ودون ذلك على جدران معبد الكرنك. أنظر: O. Bates, op-cit, p76.

⁵ مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 38.

⁶ Hérodote, IV, 168, 172.

بوخوس رغم أنه زواج سياسي أكثر منه ارتباط عاطفي إلى أنه يبقى معبرا عن فعل الزواج¹.

يروى سترابون أن الملك بوخوس وبعد حملاته لبلاد الإثيوبيين أرسل عديد الهدايا إلى زوجته قبل عودته²، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حبه لزوجته ووفائه لها وأيضا يبرهن على متانة أواصر العلاقة بين الزوجين، كما عرف الملوك والسكان على حد سواء الزواج المختلط بزواجهم ممن كانوا يجاورونهم من الوافدين، حيث يذكر ساليستيوس في معرض حديثه عن مدينة لبدة الكبرى: "إن سكانها قد حافظوا على أخلاقهم وقوانينهم لكن لغتهم تغيرت جراء التزاوج مع النوميديين"³، وتكلمت المصادر عن الإقليم بوغود الذي تزوج من إغريقية تسمى "Euncé"⁴، والأمير النوميدي أوزاليسيس "Oezalcés" عم ماسينيسا الذي تزوج من امرأة قرطاجية يرجح أنها ابنة أخ الأمير القرطاجي حنبعل⁵، وتزوج سيفاكس الأميرة القرطاجية سيفونيسب⁶.

يعبر تشارلز دانييلز عن ظاهرة الإباحية الجنسية على أنها من قول مؤلفين رومان ويونان كانوا معتادين على الزواج الأحادي والاقتصار على زوجة واحدة، وربما ذلك الكلام كان عبارة عن سوء فهم لنظام تعدد الزوجات عند القبائل الليبية، وهذا الأمر يختلف عن العلاقات غير مقننة التي تكلم عنها الكتاب القدامى، ويشهد على صحة وجود نظام تعدد الزوجات عند الليبيين⁷، ويشاركه في فكرته مصطفى عبد العليم الذي أشار إلى جهل المؤرخين الإغريق والرومان بنظام تعدد الزوجات الذي كان سائدا عند القبائل الليبية القديمة⁸.

¹ ساليستيوس، المصدر السابق، ص 143.

² Strabon, XVII, 3.5.

³ ساليستيوس، المصدر السابق، ص 98.

⁴ S. Gsell, H.A.A.N, tome 5, p 44.

⁵ F. Decret et M. Fantar, op-cit, p59.

⁶ سفونيزية: اسمها البوني هو صنفبعل أي رعية الاله بعل وهي من الطبقة الأرستقراطية القرطاجية ولدت حوالي 221 ق م وكان هناك صراع خفي بين الملكين ماسينيسا وسيفاكس حولها ثمما ذكرت بعض المصادر، تزوجت سيفاكس بعد أن وعد بها ماسينيسا سنة 205 ق م، وبعد أن هزم سيفاكس أمام ماسينيسا الذي رفض تسليمها للرومان ماتت منتحرة في سن العشرين. أنظر: S. Lancel, Hannibal, Cérès éditions, Tunis, 2000, p305.

⁷ تشارلز دانييلز، الجرمنتيون سكان ليبيا القدماء، ت أحمد اليازوري، دار الفرجاني، طرابلس، 1991، ص 45.

⁸ مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 69.

طبقت القبائل الليبية نظام تعدد الزوجات منذ أقدم العصور، إذ تذكر نصوص الكرنك بأن الزعيم الليبي " مري بن دد " كان مصحوبا بزوجاته وعددهنّ اثنتا عشرة زوجة¹، وتذكر نصوص أخرى أنه مصحوبا بزوجته وستة من أولاده البالغين، مما يعني أن الزوجة اليافعة التي صحبتها لم تكن أهم وإنما له زوجات أخريات، أما المرأة التي معه فهي سيدة حريمه صاحبها لصغر سنّها وقدرتها على تحمل مشقة السفر².

ورد في فقرة من قائمة أسرى الحرب المحفورة على جدران الكرنك: " أسرت نساء الزعيم الليبي المهزوم اللواتي جلبهنّ معه وكُنّ اثنتا عشرة امرأة "، وأمّا في حرب القبائل المتحالفة ضد الفرعون رمسيس الثالث³ فقد أسرت 342 من زوجات الرؤساء الليبيين، وتشير لوحة بعنخي أن الملك النمرود وهو زعيم ليبي من أسرة المشوش، أنّه أرسل زوجته " نس تنت " إلى زوجات الملك " بعنخي " لتلتمس العفو منه: " ولما دخل بعنخي قصر النمرود أمر بأن تمثل في حضرته كل زوجات الملك وبناته .. " وهذا النص يقطع بتعدد زوجات هذا الملك الليبي الأصل⁴.

استمرت ظاهرة تعدد الزوجات في على مدى تاريخ الأسرة في المجتمع الليبي القديم، حيث يذكر هيرودوتوس أن الناسمونس اعتاد رجالها الزواج من أكثر من امرأة⁵، ويذكر سترابون عن سكان ليبيا: "... والسكان هنا على بساطة متناهية في أنماط حياتهم وثيابهم غير أن للرجال زوجات كثيرات، وأولاد كثيرين..."⁶، ويذكر ساليستيوس النوميدي والمور بأن لكل رجل منهم عدة نساء، وأكد ذلك من خلال حديثه عن زواج يوغرطة من ابنة بخوس.

تزوج يوبا الثاني من زوجتين: كليوباترا سليني وزوجة أخرى من أصول إغريقية⁷، ويروي غزال عن الشاعر كلوديان الذي يتحدث في أشعاره عن زوجات الأفارقة الألف،

¹ مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 38.

² العقون أم الخير، مظاهر المجتمع ...، ص 4.

³ رمسيس الثالث (1151-1182 ق.م): تميز عهده بمجموعة من التأمينات على الحدود الغربية ضد الليبيين بعدما نصب عليهم ملكا، مما جعل الليبيين يعارضون هذا التعيين ونشيت بينهم الحرب التي انهزم فيها الليبيين وصورت أحداثها على الجدران الخارجية لمعبد "هابو". أنظر: O. Bates, op-cit, p96.

⁴ سليم حسن، مصر الفرعونية عصر مرنبتاح ورمسيس الثالث، ج 7، الهيئة العامة للكتاب، 1992، القاهرة، ص 53.

⁵ Hérodote, IV, 172.

⁶ Strabon, XVII, 3.

⁷ D W. Roller, the world of Juba II and Cleopatra Sellne, éd Taylor Francis Library, London, 2004, 76.

وبالرغم من أن الرقم مبالغ فيه إلا أنه يبقى دليلاً على انتشار ظاهرة تعدد الزوجات¹، والشيء نفسه عند الغرامنت الذين كانوا يتزوجون بعدد كبير من النساء، حيث كان لكل فرد منهم عدد كبير من الأولاد، وتدل كثرة قبور النساء وتفوقها عدداً على قبور الرجال بالجبانة الملكية بفزان على أنّ كل ملك من الملوك كان له عدد لا بأس به من النساء والحريم².

يضع بعض الباحثين هذه الظاهرة في خانة المقدس المتعلق بفكر الخصب، التي تتخذ من الممارسات الجنسية طريقة للتعبير عنه، والتي سادت عند شعوب كثيرة في العصور القديمة فمن خلالها يتجاوز الإنسان بالفعل الجنسي شرط الزمان والمكان ويخرج عن طبيعته لفترة معينة في شكل احتفال أو طقس يشرع فيه عادة في مواسم البذر أو الحصاد، وكثير من الشعوب التي تقدس الآلهة الأم إلهة الخصب والتي عادة ما تمثل بامرأة تبرز فيها أعضاء الخصوبة والتي تجسد كل القوى المنتجة في الطبيعة، وكانت تمجد بأسماء كثيرة وكان يشاركها أزواجها أو عشاقها الذين يكونون بمرتبة آلهة وتعتبر علاقاتها هذه ضرورية لتكاثر الحيوانات والنباتات كلّ حسب نوعه، والغرض منها إخصاب التربة وتكاثر البشر والحيوان، وهذه الطقوس تقام في فترة معينة ولا نستطيع بأي حال من الأحوال أن نعممها على سائر شهور السنة³.

نفى أحد مفكري القرن الأول ميلادي قضية الإباحية الجنسية في قرطاجة وقضية الجنس المقدس وأكد أنه كان في قرطاج حاكم يدعى "Praefectus morum" مكلف بحماية الأخلاق الحميدة والسهر على منع ومحاربة التصرفات غير المرغوبة والمخالفة لأخلاق المجتمع⁴.

رفض علماء الأنثروبولوجيا مشاعية النساء في الشعوب القديمة رفضاً قاطعاً استناداً لمسلمات خاصة بهم، فحسبهم لم تكن هذه العادة عند أشد الشعوب بدائية ولا يمكن أن يقبل الوضع إلا إذا كان مجتمعاً منحرفاً تماماً، ولا بد أن نسلم بوجود نوع من العلاقة أو الصلة بين

¹ S. Gsell, H.A.A.N., tome 5, p 46.

² محمد سليمان أيوب، جريمة من تاريخ الحضارة الليبية، ط 1، دار المصراطي للطباعة والنشر، طرابلس، ليبيا، 1969، ص 155.

³ دعاس فارس، واقع الأمومة والطفل في مجتمعات شمال إفريقيا في العصر النيوليتي دراسة من خلال مشاهد الفن الصخري بمنطقة الطاسيلي ناجر، مجلة عصور، المجلد 18، عدد 1، جوان 2019، ص 9-18.

⁴ مقدم بنت النبي، الأسرة في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني الإمبراطوري الأعلى 27 ق م – 258 م، مذكرة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، 2012، ص 37.

الأبوين تدوم طويلا أو قليلا حتى بعد ولادة الابن، ويرفض هذه الاتجاه ما جاء به المؤرخون الإغريق والرومان، ويصر على وجوب الاعتراف بتنظيم قائم وموجود تقوم عليه الأسرة ويرتبط فيه الأب بالابن ويرقى الإنسان بخلقه عن مصاف الحيوان¹.

على أي حال يجب أن نتحفظ في قراءة ما كتبه هيرودوتوس ومن تبعه من المؤرخين الإغريق والرومان عن العلاقات بين الرجال والنساء في بلاد المغرب القديم، سيما وأن المرأة كانت لها مكانة لا بأس بها في الأسرة والمجتمع، وليس هناك ما يؤكد فرضية الوجود البدائي المشاعي في بلاد المغرب.

ومنه فمن غير الممكن التسليم بما جاء به الكتاب القدامى على أن الليبيين يعيشون مثل حيوانات لا تعرف الزواج والنسب، والأطفال لا يعرفون آباءهم وأجدادهم، بل العكس من ذلك تماما فأعراف المجتمع الليبي القديم كانت توطر العلاقات الاجتماعية وتنسب الأطفال إلى آبائهم وأمهاتهم، وتشدد على عذرية وعفة الفتاة وتشجع على الزواج والتكاثر، وكل ما قيل خلاف ذلك من مشاعية وإباحية ما هو إلا ادعاءات باطلة تعبر عن نقص فهم أو نقص إطلاع أو عن نزعة استعمارية من مؤرخين إغريق أو رومان أرادوا تقزيم السكان المحليين وإعطاء شرعية زائفة للاحتلال.

3-3 النسب إلى الأب

ينسب الطفل الشرعي في بلاد المغرب القديم على العموم لأبيه الذي يعطيه اسمه، فقد كان الناسمون يعرفون أسلافهم ويزورون قبورهم ويقيمون الصلوات عندها²، كما أن مختلف النقائش الليبية التي عثر عليها في نوميديا كان النسب فيها للأب³، رغم أن غزال أشار إلى وجود النسب على الخط النسوي كنظام قائم في بلاد المغرب القديم، واستمر مع مجتمع الطوارق إلى وقت غير بعيد⁴.

¹ محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص 70.

² Hérodote, IV, 172.

³ J. Chabot, op-cit, p 3.

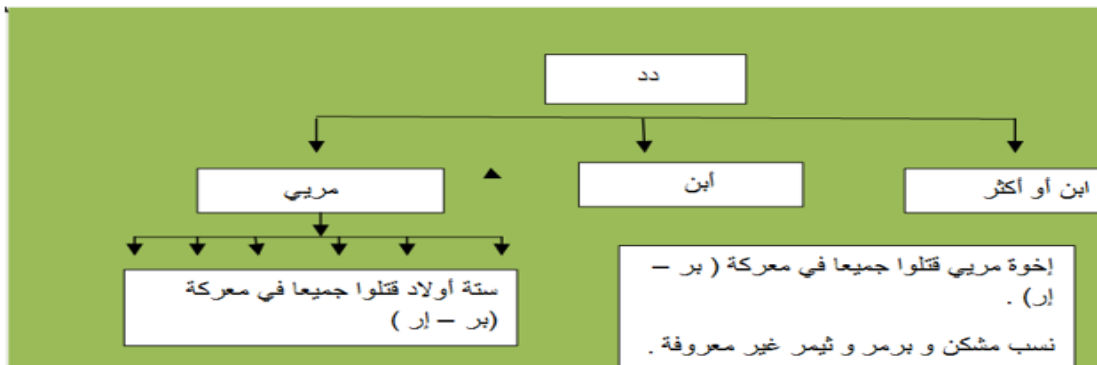
⁴ S. Gsell, HAAN, tome 5, op-cit, p 36.

الفصل الثالث ————— مكانة الأطفال في المجتمع الليبي القديم

كان الأطفال الغير الشرعيين يدمجون في المجتمع، مثلما تفعل قبيلة الأوسيس التي تعقد اجتماعا دوريا لإلحاق ونسب الأطفال المولودين بطريقة غير شرعية، ويتم ذلك حين يبلغ الطفل الشهر الرابع من عمره، وينسب إلى الرجل الأكثر شبهاً منه¹، وأشار أرسطو إلى ذلك أيضاً عندما تكلم عن بعض القبائل التي تقطن المناطق الداخلية، والذين ينسبون أولادهم وفقاً لتشابه سمات الوجه².

تسمى الأسرة التي يعود فيها النسب للأب بالأسرة الأبوسية، والتي يكون فيها الأب هو رب الأسرة وصاحب السلطة في البيت، وتؤكد النصوص المصرية أن هذا النظام هو السائد في المجتمع الليبي القديم، مثل الملك "مري" الذي ذكر في سجلات "مرنبتاح" حيث ينسب إلى أبيه "دد" الزعيم قبله، وتذكر النصوص أيضاً أن لديه ستة أولاد ينسبون إليه³، ويذكر المؤرخ أوريك باتسي نسب "شيشنق" ذي الأصول الليبية على النحو التالي: هو ابن نمرود بن شيشنق بن باتوت بن ينتشي بن ماوسابت بن بويوواو⁴. وهذا دليل على أن النسب يعود للأب والسلطة ترجع للذكور.

شكل رقم 25: مخطط يبين نسب أسرة دد على الخط الذكوري



عبد اللطيف محمد البرغوثي، المرجع السابق، ص 65

¹ Hérodote, IV, 172.

² Aristote, II, 13.

³ عبد اللطيف محمد البرغوثي، المرجع السابق، ص 65.

⁴ O. Bates, op – cit, p 228.

تشير أغلب النقائش الليبية والبونية مثل نقيشة دوقة الأولى والثانية مزدوجة الكتابة¹، وجلّ النقائش الليبية الإهدائية التي عثر عليها في معبد الحفرة ونقوش مدينة تجزيرت أنّ جميع الأعلام المذكورة يرجع النسب فيها للأب، وعلى سبيل المثال نذكر شخصية "زمر بن عاطبان" و"حنون بن فطار" و"منجي بن وركسن"... إلخ².

تذكر النصوص الأدبية الملوك الليبيين والذين ينتسبون جميعهم إلى الأب وتنتقل السلطة بينهم عن طريق الخط الذكوري، فماسينسا بن غايا وبعده أولاده الثلاثة "مستنبعل وغولوسا ومكيبسا"، وتولى من بعدهم أولاد مكيبسا: "هيمصال وأذربعل ويوغرطة متبناه"، ومن جهة أخرى "سيفاكس" وابنه "فيرمين"، وجميع الملوك اللاحقين كان النسب والسلطة للذكور ولا ذكر للإناث، رغم أن المصادر تروي أن "ماسينيسا" كان يرجع إلى نصائح أمّه العرافة لكن هذا لا يغير من الأمر شيئاً³.

وهذا لا يعني أن الظاهرة تنطبق على أسر الملوك فقط، بل نستطيع أن نعممها على جميع الأسر مهما كان مستواها، فالأسرة الأبوسية كانت هي الطابع الأساسي لمعظم الأسر الليبية القديمة، ولا يزال هذا النوع من التنظيم الأسري ساري المفعول في جميع أنحاء المعمورة، لأن الرجل بتركيبته النفسية والجسدية هو الأولى والأجدر بالحفاظ على النسل وعلى الأسرة ليحقق التكامل مع المرأة التي تشد ساعده.

3-4 النسب إلى الأم

لا توجد أي إشارة إلى نظام النسب عن طريق الأم في النصوص الأدبية الإغريقية واللاتينية التي خصت التاريخ الاجتماعي لبلاد المغرب القديم، لكن هذا لا ينفي وجوده في مناطق أخرى حيث ينقل غزال نقلا عن نيقولا الدمشقي في معرض حديثه عن الإثيوبيين الذين يكرمون

¹ نقيشة دوقة الأولى والثانية: هما نقيشتان من الحجر الكلسي مكتوبتان بلغة مزدوجة (الليبية والبونية)، وهما معلقتان على المعبد الموجود في دوقة والذي أسسه الملك ميكبسا تخليدا لذكرى والده ماسينيسا، تحمل النقيشة الأولى أسماء الأعيان الذين شاركوا في بناء المعبد، في حين الثانية هي عبارة عن نص إهدائي ذكر فيه أسلاف الملك ماسينيسا وميكبسا، ولقبوا كلهم بلقب إقليد، اكتشفت الأولى سنة 1931 م والثانية سنة 1905 من طرف مصلحة الآثار القديمة الفرنسية. أنظر: محمد الصغير غانم، الرموز الكتابية الليبية في شمال إفريقيا، مجلة التراث، عدد 10، الجزائر، 1999، ص 11-20.

² J. Chabot, op –cit, p 3-4.

³ J. Mazard, corpus Nummorum Numidiae Mouretaniaeque, Arts et Métiers Graphiques, Paris, p28.

أحوالهم بصفة خاصة، والملوك يورثون الحكم لأبناء أخواتهم وليس لأبنائهم¹. كما وجد هذا النظام في كل من غانه وميلي في العصور الوسطى حيث يقول البكري عنهم: "ومذهبهم ألا يكون الملك إلا لابن أخت الملك، لأنه لا يشك في ابن أخته ويشك في ابنه ولا يقطع على صحة اتصاله به"².

أقر بعض علماء الاجتماع بوجود النسب الأمومي في المجتمعات البدائية القديمة، وعلى أنه سابق لنظام النسب الأبوي، ومن بين هؤلاء العلماء نذكر باشوفين، وماك لينان الذي قسم تاريخ الإنسانية إلى ثلاث فترات رئيسية: الفترة الأولى هي فترة الإباحية واختلاط الأنساب، والفترة الثانية هي فترة النظام الأموسي لأن الأطفال كانوا لا يعرفون إلا أمهاتهم، والفترة الثالثة هي فترة النظام الأبوي وهي أرقى الفترات التي قننتها الأعراف والشرائع والتي لا تزال سائدة لحد الآن³.

تساءل الباحثون على إمكانية وجود النسب عن طريق الأم في المجتمع الليبي القديم، خاصة بعدما قدست الأنثى في شمال إفريقيا في عصور ما قبل التاريخ، وذلك من خلال الفن الصخري الذي وضع الدور المحوري والريادي الذي تلعبه المرأة في الأسرة والمجتمع، ولعل أهم هذه الأدوار هي أنها تلد الجنس البشري وهي المسؤولة على تربيته، مما دفع بعض الباحثين بتبرجيح فرضية أن الأطفال كانوا ينسبون إلى أمهاتهم في مجتمعات الفن الصخري⁴.

تبرز كذلك مكانة المرأة الراقية في المجتمع الغرامنتي من خلال واقع المقابر الفخمة التي أقيمت لهنّ بالجبانة الملكية بفزان وواقع الحلي والأدوات التي وجدت في تلك المقابر⁵، لكن المؤرخ تشارلز دانيلز لا يرى في تاريخ الغرامنت ما يدعم فرضية وجود النسب عن طريق الأم، سواء فيما جاءت به النصوص الأدبية أو فيما جاء به علم الآثار والحفريات التي طالت المنطقة⁶.

¹ S. Gsell, H.A.A.N, tome 5, p37.

² أبي عبيد البكري، المصدر السابق، ص 175.

³ إدوارد وستر مارك، المرجع السابق، ص 240-245.

⁴ حسبية صفريون، بوارد النظام الأسري الأموسي في المجتمع الطاسيلي وعلاقته بظاهرة جمع القوت خلال المرحلة البوفيدية من خلال مشاهد الرسم الصخري، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، عدد 7، ص 427-433.

⁵ محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص 155-156.

⁶ تشارلز دانيلز، المرجع السابق، ص 66.

حاول ستيفان غزال القياس التمثيلي بين مجتمع الطوارق والمجتمع الغرامنتي ومجتمعات الفن الصخري في ما يخص النظام الاجتماعي وفرضية وجود نظام النسب عن طريق الأم، لأنه كان يعتبر مجتمع الطوارق أحفادا للمجتمع الغرامنتي والمجتمعات الرعوية التي عاشت في الطاسيلي في عصور ما قبل التاريخ¹، ويؤكد الباحث الطاهر عبد الجليل في كتابه المجتمع الليبي أن المرأة الطارقية إذا تزوجت خارج قبيلتها فالأولاد هم ملك لها وليس لزوجها أو لقبيلته، وإذا توفي الزوج أو حدث نزاع بين قبيلة الأم وقبيلة الأب فالأبناء يعودون مع الأم ويحاربون مع قبيلتها ضد قبيلة أبيهم، ويصبح الولد تحت وصاية وسلطة أخواله أو أقرباء أمه².

ذكر الرحالة ابن بطوطة إثر لزيارته لقبيلة مسوفة أن نساء الطوارق أعظم شأنًا من رجالهم ولا ينسب أحد لأبيه بل ينسب لأمه وأخواله، ويرث الرجل أبناء أخته دون بنيه³، وتبقى شخصية تينهيان⁴ ملكة الهقار من بين الشخصيات التي تؤكد وجود النسب الأمومي عند الطوارق، حيث أنجبت تين هيان حسب الأسطورة المتداولة لدى الطوارق بنتا اسمها كيلة وهي التي انحدرت منها قبيلة كيل ريلة، في حين أنجبت تاكامات ابنة كيلة بنتان تنحدر منهما القبيلتان التابعتان لكيل ريلة وهما داق والي وايت لوايين⁵.

ولعل ما نجده في الأمثال الشعبية اليوم يكرس هذا الانتماء، إذ يقول المثل: "من قال خالي قال أبي" وكأننا نضع الخال في مرتبة الأب كونه أخ الأم، وهناك رواية شفوية لدى السكان اليوم مفادها أن الطفل إذا لوحظ عليه الذكاء أو العكس يقال: "شفوا شكون خالو"، بمعنى أن أفعاله تنسب إلى أخواله⁶.

¹ S. Gsell, H.A.A.N, tome 5, p 38.

² الطاهر عبد الجليل، المجتمع الليبي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1969، ص 125.

³ الحسين اسكان، المرأة الصنهاجية، مجلة أمل، عدد 13-14، الدار البيضاء، 1998، ص 67.

⁴ تين هيان: ملكة بربرية عاشت على الأقل في القرن الحادي عشر هجري الموافق للقرن السابع ميلادي، ومعنى اسمها هو سيدة الخيام أو سيدة العائلة، وقد اكتشف قبرها سنة 1933 من طرف الباحث ريغاس بمنطقة أبلاسا بالقرب من مدينة تمنراست. أنظر:

G. Camps, L'Afrique du Nord au Féminin, Perrin, Paris, 1992, p121.

⁵ خديجة منصوري، أصناف النساء ببلاد المغرب القديم من خلال الآثار المادية والمصادر الكتابية، ص 273.

⁶ الطاهر عبد الجليل، المرجع السابق، ص 120.

3-5 التبني

ليس هناك ما يدل على شيوع ظاهرة التبني في بلاد المغرب القديم، والحادثة الوحيدة التي ذكرها التاريخ هي تبني الملك مكيبسا لابن أخيه يوغرطة، حيث أشار ساليستيوس إلى نص الوصية التي تركها مكيبسا، ولعل هذا المقتطف منها يبين لنا أسباب ودوافع هذا التبني: "...يا يوغرطة كنت طفلا صغيرا بلا مال ولا أمل عندما دعوتك إلى وراثة عرشي ...، وأثبتت الأيام أنك أهل لذلك...، بفضل وشجاعتك وإقدامك تألق اسم عائلتنا في نومنتيا¹،...إني تارك لكم عرشا متينا إن أحسنتم سياسته،...أما أنتما (يقصد ولديه أذربعل وهيمبصال) فعليكما احترام هذا الرجل وتوقيره ...، حتى لا يقال أنني فضلت ولدي بالتبني على ولدي من صلبى..."².

يظهر في هذه الرواية أنّ التبني كان لأغراض سياسية أكثر منها اجتماعية³، لكن يمكن أن نستنتج من الرواية أن التبني كان لا يخرج عن نطاق الأقارب مثل ابن الأخ، ولعل التقاليد تدعم ذلك خاصة أن ابن الأخت بمثابة الابن عند الليبيين، لكن مهما كان درجة التكفل بهم والتعاطف معهم تصل إلى حد التبني بالمعنى الحقيقي للكلمة⁴، أما تبني الأعراب فلا ذكر له إلا الرواية التي ذكرتها المصادر العربية عن تبني الكاهنة لعربي من جيش حسان بن النعمان، رغم ما قيل عن مصداقية هذه الرواية⁵.

4- أهمية الأطفال بالنسبة للأسرة الليبية القديمة

كان الأطفال مهمين جدا بالنسبة للأسرة الليبية القديمة خاصة وأن الزواج كان غرضه الأساسي هو الإنجاب، لأن المرأة عادة ما تطلق إذا مرّت سنة دون أن تنجب أطفالا، وكان الليبيون القدماء مولعين بأبنائهم حتى قبل ولادتهم منذ فترات ما قبل التاريخ، ولقد ناقشنا هذا

¹ نومنتيا: مدينة في إسبانية خاض فيها الرومان حرب ضد الإبريين سنة 134 ق م وقد شارك فيها يوغرطة كحليف لروما وأبلى البلاء الحسن وساهم بشكل كبير في فوز روما، وبهذا البلاء اشتهر يوغرطة وسط الرومان والنوميد. أنظر: محمد الصغير غانم، مقالات وأراء.....، ص 165-166.

² Salluste, IX, 10.

³ محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص، ص 99.

⁴ محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 173.

⁵ هي أن الكاهنة أبقت من جيش حسان المهزوم عربيا يدعى خالد بن يزيد وأخت بينه وبين أولادها وذلك بعجن الشعير ووضعت على ثدييها، وأطعمت خالد ليصبح ابنها. أنظر S. Gsell, HAAN, tome 5, p 37

الموضوع في الفصل الأول وقلنا أنّ المرأة المثالية هي المرأة التي يكون لها أكبر عدد من الأطفال والأسرة المثالية هي الأسرة التي تحوي أكبر عدد من النفر والشيء نفسه بالنسبة للقبيلة.

استمرت هذه الظاهرة الاجتماعية في الفترة الليبية القديمة حيث يشير غزال أن الليبيين القدماء يستقبلون أولادهم عن طيب خاطر خاصة الذكور منهم، عكس الإناث اللاتي كنّ أقل طلبا بالنسبة للآباء، لكن ذلك ليس معناه التخلي عنهنّ أو قتلهنّ مثل ما كان يحدث في حضارات أخرى بل يستفاد منهنّ حين يكبرن في أعمال البيت ويستفيد الأب كذلك من مهرها أو قيمة زواجها والتي يحتفظ به لنفسه¹.

كان الليبيون القدماء يحبون النسل وكثرة الأطفال عكس القرطاجيين الذين كانت الأسرة عندهم مكونة في الغالب من الزوجين والقليل من الأطفال²، لذلك كان الرجال يتخذون عدة نساء شرعيات والعديد من المحضيات بغية إنجاب أكبر عدد من الأولاد، ولا يقتصر الأمر على الرجال فقط فحتى النساء الليبيات كنّ يمقتن العقم ويستعجلن الإنجاب ويحبذن الإكثار منه ويتضرعن للآلهة من أجل ذلك، لأن العرف الليبي يعتبر أنّ المرأة المثالية هي المرأة الولود³.

أكدت المصادر المصرية أن الأسرة الليبية القديمة كانت تضم العديد من الأطفال، حيث ذكرت أن الزعيم الليبي مري بن دد اصطحب معه ستة من أولاده البالغين وهم من امرأة واحدة أي أن له أطفالا من نساء أخريات علما أنهم اثنتا عشرة زوجة، وقد دون رمسيس الثالث تفاصيل حربه الثانية مع قبيلة المشوش الليبية على جدران معبدته وسجل قائمة الأسرى الليبيين بعد نهاية الحرب، حيث بلغ عدد الأسرى من الأطفال الصغار 131 طفلا و151 طفلة و251 شابا و56 شابة ومجموع الأسرى الكلي 5051 من الرجال و855 من النساء دون

¹ I bid, p 51-52.

² M. Fantar, Approche....., p 193.

³ S. Gsell, texte relatifs....., p 198.

احتساب عدد القتلى والفارين، وتؤكد هذه الأرقام أن القبائل الليبية التي ذكرت في المصادر المصرية كانت كثيرة العدد والسبب هو كثرة الإنجاب وتعدد الزوجات¹.

أكدت النصوص الأدبية الإغريقية واللاتينية الشيء نفسه الذي أكدته المصادر المصرية، حيث يصف سترابون الرجال الليبيين على أنهم يملكون العديد من النساء والعديد من الأطفال²، والشيء نفسه عند قبائل الغرامنت الذي يملك كل رجل منهم عددا كبيرا من الأطفال³، وتروي المصادر أن ماسينيسا كان له أربعة وأربعون ولدا، وكان شغوبا كثيرا بالأطفال حيث قال لأحد التجار الرومان الذين جاؤوا لشراء القروذ النوميديّة التي كان يتسلى بها الأثرياء: "ألم تعد تنجب لكم نساؤكم أطفالا"⁴.

يتحدث بروكوب في القرن السادس عن ردّ المور على الملك البيزنطي سولومون "Solomon" الذي احتجز أبناءهم: "بالنسبة لمصير أبنائنا فلکم أنتم أن تخافوا على أولادكم، لأنكم ليس لكم الحق إلا في زوجة واحدة، بينما نحن باستطاعتنا الزواج بخمسين امرأة وبالتالي لا ننقص أبدا من الأبناء والخلف"⁵.

أشارت مختلف المصادر الأدبية والأثرية إلى أن القبائل الليبية كانت كثيرة العدد رغم الحروب التي كانت تفتتك برجالها، ورغم كثرة الوفيات في فئة الأطفال نظرا لنقص الرعاية الصحية، ونظرا لكثرة عددهم اشتغلوا كمرتزقة في الجيش المصري في عهد رمسيس الثالث، وكان لهم حضور قوي في الجيوش القرطاجية منذ بداية حروبهم مع الإغريق، خاصة بعد هزيمة هيمرا، حيث توجه القرطاجيون إلى العنصر الإفريقي وقاموا بتجنيدهم في الحروب ضد الإغريق والرومان⁶.

تعدّ الأسرة والقبيلة الأكثر نفرا هي المثالية بالنسبة للمجتمع الليبي القديم، لأن كثرة عدد الأطفال يضمن استمرارية هذه العائلة وهذه القبيلة، ويمثل لهم قوة عسكرية من جهة من أجل

¹ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 68-69.

² Strabon, XVII, 3.

³ محمد سليمان أبوب، المرجع السابق، ص 155.

⁴ فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، 96.

⁵ Procope, la guerre contre les Vandales, II, 9,13, trad par Roques, éd belle lettres, Paris, 1990.

⁶ محمد البشير شنيّتي، جوانب من علاقة الدولة القرطاجية بالمغاربة المحتوى الوطني للجنود المأجور 240 – 237 ق م، مجلة التاريخ، عدد 4، 1977، ص 24.

الدفاع على القبيلة ضد الأعداء المتربصين، وقوة اقتصادية لاستعمالهم في أعمال الزراعة والرعي والتي تحتاج لجهد ويد عاملة كثيرة العدد، لذا فالقبيلة الأكثر عدد هي الأكثر قوة والأكثر ثراء، وهذا هو السبب الرئيسي لاهتمام الأسرة الليبية بالأطفال ورغبتها في الإنجاب.

5- الاعتناء بالأطفال

كان الأولياء في الأسرة الليبية القديمة يحبون تدليل أولادهم وتوفير ما يلعبون به، ويظهر ذلك من خلال الدمى المختلفة التي وجدت في قبور الأطفال في بنغازي في توكرة القديمة، وهذه الدمى مصنوعة من الطين المشوي ومجوفة من الداخل ومثقوبة على مستوى الرأس، لأنهم على الأرجح كانوا يقومون بتعليقها¹.

كان الليبيون يهتمون بصحتهم كثيرا، وأكد هيرودوتوس هذه الفكرة حين قال أنه لم يجد من هو في مثل صحة الليبيين²، وتحدث سترابون عن نبات اللوتس³ الذي يعد مصدر الشفاء والصحة عند الليبيين⁴، وتحدث بلينيوس الأكبر عن نبات السيلفيوم⁵ الذي اتخذته سكان شمال إفريقيا دواء خالصا لأمرضهم⁶.

كما أنهم اهتموا بصحة أطفالهم وأبرز مثال عن ذلك هو ما ذكره هيرودوتوس عن ظاهرة الصدغ عند البدو الرحل، والتي وصفها قائلا: "...إذ أنّ من عادة كثير من الليبيين البدو الرعاة أن يأخذوا أولادهم عندما يبلغون الرابعة من العمر ويكفوا عروق جلود رؤوسهم أو أحيانا عروق أصداعهم بدهن صوف الغنم، حتى لا يصاب الأطفال بعدها بالبلغم الذي ينزل من الرأس، وهم يقولون أنّ هذا يجعل أطفالهم أصح، والحق أنه ليس في المعروف لدينا من

¹ خالد محمد عبد الله الهدار، دراسة القبور الفردية وأثاثها الجنائزي في تاوخيرا (توكرة القديمة)، منشورات جامعة قارونس، ليبيا، 2006، ص 97-98.

² Hérodote, IV, 187.

³ اللوتس: هو ثمرة العناب الذي تشبه الزيتون ويكون أفضل وأجود حين يكون باللون الأحمر. أنظر:

S. Gesell, H.A.A.N, tome 5, p 56

⁴ Strabon, XVII, 1,7.

⁵ السيلفيوم: نبات ذو جذور غليظة وله أوراق تشبه أوراق الكرفس، اشتهر في القديم وأصبح رمزا لمدينة قورينا، كان الليبيون يستخلصون من أوراقه شراب يشربونه وهو شفاء للعديد من الأمراض. أنظر علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص 115.

⁶ Pline L'ancien, XIII, 32.

الشعوب من هو أصح من الليبيين، وقد وجد الليبيون علاجاً لتوجع الأطفال من ألم الكي، وهو أن يتم ترطيبه ببول الماعز، وهذا ما يقوله الليبيون أنفسهم ...¹.

هذا بالإضافة أنهم يستعملون التمايم والتعويذات التي تعلق عل أجساد أبنائهم، لأنها تحميهم وتدفع عنهم الأذى، لا اعتقادهم بوجود بعض الأسر والأشخاص والقبائل الذين لهم القدرة في إهلاك الماشية، وإصابة النخيل والزرع بالذبول والهلاك، وإماتة الأطفال².

اشتهرت قبيلة البسولوي بقدرتهم المدهشة على سحر الثعابين والشفاء من لدغاتها، حيث أنهم كانوا يعرضون الصبي حين ولادته لعضة أفعى فإن لم يمت كان هذا دليلاً على شرعيته، ومن جهة أخرى ليكتسب مناعة ضد هذه الحيوانات التي كانت تعيش معهم³، وهناك حادثة مشهورة تدل على اشتهاً أفراد قبيلة البسولوي بقدرتهم على شفاء الملدوغ، حتى أن أوكتافيوس دعا واحداً منهم لينفذ "كليوباترا" التي انتحرت من لدغة أفعى⁴.

مارس الليبيون الشرقيون (التحنو والتمحو والمشوش) ظاهرة الختان، أما قبيلة الريبو لم فقد كانوا لا يختنون، وكان المصريون يقومون بقطع أعضائهم التناسلية في حال وقعوا في الأسر، أما المختنون منهم فيقطعون أيديهم⁵، ولم تذكر المصادر بعد ذلك هذه الظاهرة في بلاد المغرب، رغم أن الختان كان مشهوراً عند العديد من الشعوب في العالم القديم مثل المصريين والفينيقيين، ويرجح غزال أنهم تخلوا عنه حين استقروا في شمال إفريقيا وذلك لغيباب المصادر الأدبية والأثرية التي تدل عليه⁶.

6- المنظومة الاسمية للمجتمع الليبي القديم

إنّ أول شيء يقوم به الأب والأم في المجتمع الليبي القديم بعد أن يرزقا بابلن هو اختيار اسم مناسب له، ولمعرفة المنظومة الاسمية في المجتمع الليبي القديم وجب الاستعانة بالعديد من المصادر، بداية بالنصوص الأدبية الإغريقية واللاتينية، وكذلك بعلم النقوش أو

¹ Hérodote, IV, 187.

² O. Bates, op-cit, p 179-180.

³ Hérodote, IV, 183.

⁴ محمد فهمي خشيم، قراءات ليبية، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، ص 25.

⁵ مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 26

⁶ S. Gsell, HAAN, tome 6, p 10.

الايبيغرافيا¹ "Épigraphie"، وتلك الدراسات التي خصت النقائش الليبية² في المنطقة بالجمع والتحليل مثل مدونة النقائش الليبية للمؤرخ شابوا³، والقائمة الاسمية الليبية للمؤرخ كامبس⁴ التي نشرها في مجلة "Antiquités Africaines" سنة 2002، والاعتماد كذلك على علم الأسماء⁵ "Onomastique" الذي أضحى من العلوم المساعدة في علم التاريخ والآثار لرصد مختلف الأسماء الليبية القديمة.

حملت النصوص الأدبية الإغريقية واللاتينية العديد أسماء الليبيين القدماء، رغم أن بلينيوس الأكبر وصف قبيلة أطلس أنهم لا يخاطب أحدهم الآخرين بأي من الأسماء⁶، كما أن هيرودوتوس وصف قبيلة الأتارانس الذين لا أسماء لأفرادهم بل يدعى الناس جميعا أترانس ولا لأحد منهم اسم خاص به⁷، لكن هذه الحالات لا نستطيع تعميمها على كل القبائل والأفراد، بل كان الليبيون يسمون أبناءهم بمجرد أن يولدوا، ودليل ذلك هو مختلف أسماء القادة الليبيين التي ذكرتها هذه النصوص الأدبية، وحاولنا في هذا البحث رصد أهم الأسماء الليبية التي وردت خاصة عند هيرودوتوس وساليسيستوس وتيت ليف وبوليبيوس وغيرهم (جدول رقم 10).

قام الباحث غابريال كامبس بجمع 984 اسما ليبيا من مختلف النقائش ومصادر التاريخ القديم، وقدم العديد من الملاحظات حول هذه الأسماء، حيث أشار إلى أنه يصعب التعرف

¹ علم النقوش: علم يدرس الكتابات بمختلف أنواعها، المنقوشة أو المكتوبة على المواد الصلبة كالحجارة أو المعادن أو الطين المشوي أو الزجاج، ويعتبر هذا العلم من بين أبرز المصادر الأثرية لدراسة التاريخ والحضارات. أنظر
² النقائش الليبية: حاول العديد من الباحثين فك رموز هذه الكتابة أمثال توماس دركروس وبيراز وبعض الضباط الفرنسيين أمثال فيردارب والباحثين الفرنسيين أمثال شابو وجالون، وتحمل هذه النقائش العديد من الوظائف فمنها الجنائزية ومنها الإهدائية ومنها التذكارية، وانتشرت هذه النقائش في كل أنحاء شمال إفريقيا خاصة في الشرق الجزائري. أنظر. محمد الصغير غانم، النقوش الليبية، ص 30-41.

³ شابو: أصدر مجلده الكبير سنة 1940 الذي جمع فيه ما يزيد عن 1120 نقش ليبي التقطت أغلبها في الشرق الجزائري وشمال غربي تونس، وضمت هذه المجموعة حوالي 20 نقش مزدوج الكتابة (بوني-ليبي ولاتيني ليبي). أنظر:

R. Rebuffat, Recueil inscriptions Libyque 1940-2012 : supplément J.B Chabot, Recueil inscriptions Libyque, 1940, paris, 2013, p 3-4

⁴ G. Camps, Liste onomastique Libyque Nouvelle édition, Ant Afr, 38-32, 2002, pp 211-257.

⁵ علم الأسماء: تبلور هذا العلم في نهاية القرن التاسع عشر عندما وضعت المبادئ الكبرى لعلم اللغات، وهو علم يدرس الأسماء بمختلف أصنافها: أسماء أماكن، أعلام، أشخاص، تضاريس.... الخ، حيث يقوم بجمعها وتصنيفها ومقارنتها وربطها بالجنور اللغوية وردها إلى أصلها.

⁶ Plinie L' Ancien, V, 8.

⁷ Hérodote, IV, 184.

على الأسماء الليبية إلا التي تكون مشتقة من جذور لغوية معروفة مثل (ع ب د، ب و د، ب ع ل، ب ا ل، س ا ف ا ن، ن ا م، ل ا م).

كما أشار إلى أن الليبيين كانوا يحبون اختيار الأسماء لأبنائهم التي تدل على النجاح أو ترمز للحظ والسعادة، والتي تكون مشتقة من أسماء آلهة، حيث جاء في القائمة اسم 38 معبودا ذكرا و 10 معبودات أنثى، ومن بينها أحصى كامبس 12 اسما ليبيا مشتقا من أسماء آلهة ذكرية عبدت في المنطقة مثل "Baccax" (بكاكس)، "Banchor" (بانكور)، "Suggan" (سيغان)، كما أكد نفس الباحث أن هناك أسماء كان تطلق على الإناث والذكور على حد سواء، وقد قمنا من خلال القائمة إحصاء 11 اسما مشتركا (الجدول رقم 11)¹.

تبقى مدونة النقائش الليبية هي التي تحمل أكثر عدد من الأسماء والكنى الليبية القديمة، خاصة تلك النقائش الجنائزية التي توضع على قبر الميت ويكتب فيها اسمه واسم أبيه، والنقائش الإهدائية والتي تحمل هي الأخرى أسماء الأشخاص الذي قاموا بالإهداء للآلهة أو أشخاص آخرين، وقد حاولنا رصد بعض الأسماء التي تكررت في المدونة سواء من الإناث أو الذكور مثل (أطبان، ACSAN أكسان، BGUD بغود، DABAL دبال).

حملت هذه المدونة بعض الكنى التي استعملها الليبيون القدماء إلى جانب أسمائهم وأسماء آبائهم، والتي تدل على انتمائهم العرقي لقبيلة معينة أو انتمائهم الجغرافي لمكان معين، ويحصل الفرد عليها إما بالولادة أو الوراثة، وهناك بعض الكنى الأخرى التي تكون مشتقة من صفات جسمية أو من المهنة التي يمتنها الشخص، ومن بين الكنى التي تحمل مدلولاً عرقياً نذكر: ³(NBDH, ²NGRH, نغره، نبده)، ومن بين الكنى التي تحمل مدلولاً جغرافياً نذكر: ⁴(NKLHH, ⁵NMGNUH، نمغنيه، نكله).

¹ G. Camps, Liste Onomastique....., p 211-257.

² RIL, 67.72

³ RIL, 44.41

⁴ RIL, 64.

⁵ RIL, 63.48.66.

جدول رقم 9: أهم الأسماء التي ذكرت في مدونة النقوش الليبية

الاسم	الجنس	المصدر
Atban - أتبان	ذكر	RIL1
ACSAN - أكسان	ذكر	RIL719
BGUD - بغود	ذكر	RIL440
BOROCIA - بوروكيا	أنثى	RIL816
DABAL - دبال	ذكر	RIL339.552.642.862.
FUR - فير	ذكر	RIL448
GNSLN - جنسلن	ذكر	RIL677
GZTH - جزث	انثى	RIL664
IRNABT - إرناب	ذكر	RIL648
IURAT - إيرات	أنثى	RIL669
MRTTH - مرث	أنثى	RIL674
MSBU - مسبو	ذكر	RIL706
MSIN - مسين	ذكر	RIL667
MSIUNMN - مسنمن	ذكر	RIL716

جدول رقم 10: الأسماء التي ذكرت في أهم النصوص الأدبية الإغريقية واللاتينية

الاسم	المصدر
Adikram - أديكرام	Hérodote, IV, 159
Ailyman - أيلمان	Diodore de Sicile, XX,17.1
Alazeir - ألازير	Hérodote, IV, 164
Antalas - أنتلاس	Procope, III, 9.3
Aphter - أفتر	Polype, XXX, 21
Aspar - أصبار	Salluste, CVIII, 1
Baga - باغا	Tit Liv, XXIX, 29.7
Bellen - بيلين	Ammien Marcellin, Histoire, XXIX, 5.27, trad, firmin didot, Paris, 1862.
Bucar - بوكار	Tit Liv, XXIX, 32.1
Cabaon - كاباون	Procope, III, 8.15
Capussa - كابوسا	Tit Liv, XXIX, 29.6
Coutzinas - كوتزيناس	Procope, IV, 25.2

Tit Liv, XXIX, 2.	Gaia - غايا
Ammiene, XXIX, 5.6	Gildo - جيلدون
Salluste, V	Gulusa - غولوسا
Procope, IV, 10.6	Iourphoutes - يورفوفوتس
Ammiene, XXIX, 5.11	Mascizel - ماسزكزيل
Tit Liv, XIV, 13.14	Masgaba - مسغابا
Tit Liv; Salluste; Polype....	Massinissa - ماسينيسا
Procope, Iv, 13.19	Massonas - ماسوناس
Salluste, v	Mastanabal - مستنبل
Tit Liv, XXIX, 29.8	Mazaetullus - مزوتويل
Ammiene, XXIX, 5.51	Masilla - ماسيلا
Tacite, III, 20	Mazipp - مازيب
Ammiene, XXIX, 5	Mazuca - مازوكا
Salluste, Lxx	Nabdalsem - نابدالسيم
Polype, I,77	Narvas - نارفاس
Ammiene, XXIX, 5,2	Nubel - نوبيل
Tit Liv, XXIX, 29.7	Oezalce - اوزليك

جدول رقم 11: الأسماء المشتركة بين الإناث والذكور

الاسم (أنثى)	الاسم (ذكر)
Barnea - بارنا	Barneus - بارنيس
Gaetula - جاتولا	Gaetulus - جاتوليس
Gudula - جوديلا	Gudulus - جوديوليس
Gura - جيرا	Gurus - جيريس
Masica - ماسيكا	Masic - ماسيك
Masula - ماصولا	Masulus - ماصوليس
Maura - مورا	Mauraus - موريس
Mazica - مازيكا	Mazic - مازيك
Migina - ميغينا	Migin - ميجين
Mustula - موستيلا	Mustulus - موستوليس
Siddina - سيدينا	Siddin - سيدين

G. Camps, Liste Onomastique..., p218-257

7- واقع التربية والتعليم في المجتمع الليبي القديم

أكد علماء الاجتماع أن الهدف الرئيسي من وراء التربية عند المجتمعات البدائية القديمة هو أن يقلد الناشئ عادات مجتمعه ونمط حياتهم تقليدا عبوديا خالصا، فتكوين الأطفال في هذه المجتمعات كان تكوينا غرائزيا آليا، يقتصر على إعدادهم إعدادا يمكنهم من ورائه إشباع حاجاتهم المادية من مأكّل وملبس ومأوى، والطفل بعد ذلك يتدرب شيئا فشيئا على مختلف الأعمال التي تقوم بها القبيلة مثل الأعمال الزراعية والرعي والقنص والصيد¹.

يتحدث عالم الاجتماع ديوي عن وسائل التربية قائلا: "عن طريق التمثيل والرقص والتقليد ينقل الصغار أعمال الكبار ويكيفون حركاتهم وتصرفاتهم مع حركات الراشدين.."، والمؤسسات التربوية في المجتمعات البدائية هي الأسرة والعائلة والقبيلة، أما عن مراحل التربية فتبدأ المرحلة الأولى بعد الولادة مباشرة، فالطفل سواء كان أنثى أو ذكر يبقى خلال السنوات الأولى في كنف النساء وتكون الأم هي المربية الأولى، والمرحلة الثانية تختلف بين الذكور والإناث، فالأنثى تبقى رفقة معلمتها الأولى في المنزل والذكر ينتقل إلى الخارج مع أبيه الذي يكتسب منه عادات وأعمال الرجال².

بدأت حيثيات التربية والتعليم تظهر في بلاد المغرب القديم منذ عصور ما قبل التاريخ، ويظهر ذلك من خلال مختلف نقائش ولوحات الفن الصخري المنتشرة في كل أرجاء شمال إفريقيا، حيث حرصت الأسرة في تلك الفترة على تربية وتعليم أبنائها مختلف الآداب والأعراف الاجتماعية والدينية الخاصة بالقبيلة³.

كان الأطفال يشاركون في الطقوس الدينية مثل ذلك المشهد في موقع جبارين الذي يوضح مجموعة من النساء وهنّ يصعدن إلى الجبل للقيام ببعض الطقوس الدينية السحرية ويرافقهنّ

¹ عبد الله عبد الدايم، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، ط 5، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ص 14.

² المرجع نفسه، ص 14-19.

³ A. Mostefaï, op-cit, p201-203.

الأطفال¹، وهناك مشهد آخر في موقع أوان تماوت بالأكاكوس الليبية يظهر امرأة في صورة ساحرة يأتي إليها رجلان بفتاة صغيرة لكي تعلمها الأسرار السحرية والدينية²، وهناك العديد من المشاهد الأخرى التي تؤكد عن وجود فعل التربية والتعليم في هذه المجتمعات البدائية.

تصور لنا المصادر المصرية القديمة النساء وهنّ يحملن أولادهنّ في قطعة من القماش مربوطة على الكتفين، وذلك أثناء سفرهنّ مع أزواجهنّ أو أثناء قيامهنّ بأعمالهنّ المنزلية، مثل الصورة التي تبين أفراد من قبيلة التحنو المرسومين على مقبرة جنوب حتب، وفي وسطهم أربعة من النساء كل واحدة منهنّ تحمل صغيرها على ظهرها³ (شكل رقم 26)، ولا تزال عادة حمل الأطفال على الظهر في قطعة القماش منتشرة في أرياف ومدائر الجزائر والمغرب الأقصى⁴، أما الأطفال الذين يستطيعون المشي فصورهم مشهد أسرى قبيلة التحنو الذي نقش على جدران المعبد الجنائزي للملك ساحورع رفقة آبائهم حفاة الأقدام ويلبسون ثوبا يشبه الرداء⁵ الذي يلبسه الكبار (شكل رقم 27)، هذا الأخير يغطي الجزء الأعلى من أجسامهم ويكون دون الحزام ودون قراب العورة⁶.

¹ H. Lhote, op-cit, p 103.

² P. Huard et L. Allard, op-cit, p 284.

³ O. Bates, op-cit, p 131.

⁴ M. Peyron, Ayyachi Jbel, E. B., vol 8, Aurés – Azrou, Aix-en –Provence, France, 1990, p 1202.

⁵ الرداء: هو عبارة عن عباءة فضفاضة تصل على منتصف القدمين، تثبت بعقدة فوق الكتف ويصنع من الكتان أو القماش لبسته القبائل الليبية القديمة خاصة التحنو، الريبو، المشوش. أنظر: أم الخير العقون، المرجع السابق، ص 13.

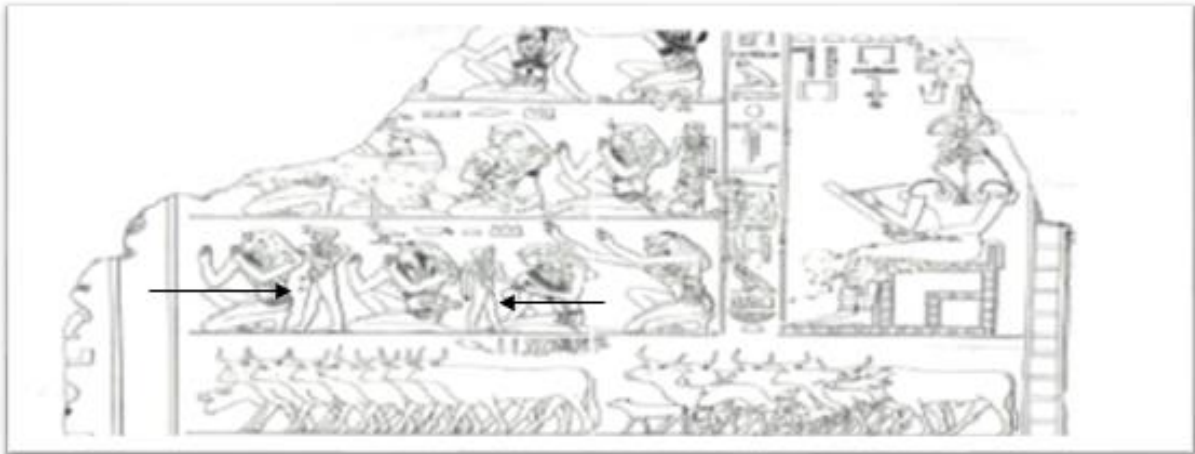
⁶ قراب العورة: ورد اسم هذه القطعة من اللباس في النقوش المصرية باسم (كرنطة / KRNT)، واعتبرها بعض الباحثين أنها كلمة سامية غير أن الشعوب السامية لم ترتدي قراب العورة، مما جعلهم يبحثون على هذه الكلمة في اللغة الليبية القديمة، خاصة وأن بعض الرسومات الصخرية في الصحراء الكبرى تؤكد أن الإنسان القديم في شمال إفريقيا قد لبس هذا الزي منذ عصور ما قبل التاريخ، وقد أعطيت عدت مقاربات و تفسيرات خاصة بهذا القراب، فهناك من ربطه بعبادة الختان، أي يلبسه المختونين أما غير المختونين مثل الريبو لم يلبسوا هذا القراب ولبسوا بدله القميص، وهناك من قال أنه له علاقة بالسحر و بالشعائر والمعتقدات الدينية، ومنهم من قال أنه بمثابة إشعار لصاحبه على أنه قد بلغ سن البلوغ وأنه أصبح أهلا للزواج وقد برروا ذلك بأن الأطفال لا يلبسون هذا القراب. أنظر: O. Bates, op-cit, p 122.

شكل رقم 26: صورة نساء قبيلة التحنو وهن يحملن أولادهن منقوشة على جدران مقبرة جنوب حتب



O. Bates, op-cit, p131

شكل رقم 27: صورة من المعبد الجنائزي للملك ساحورع توضح أطفال التحنو رفقة آبائهم



أم الخير العقون، المرجع السابق، ص 22

بقيت الأسرة والقبيلة هي المؤسسة التربوية والتعليمية الوحيدة في العصر الليبي النوميدي القديم، حيث كان الليبي القديم متعلقاً بأسرته إلى حد العبادة يحترم قوانينها ويقدم مبادئها، وكان شديد التمسك بمعتقدات آبائه وأجداده وتقاليدهم الدينية والاجتماعية حتى أن هيرودوتوس¹ قال في رجال قبيلة الناسمون الليبية أنهم كانوا يذهبون إلى قبور أجدادهم

¹ Hérodote, IV, 172.

وأسلافهم ويقىمون عليها الصلوات وىنامون فوقهم وىعتبرون كل ما يأتىهم من أحلام أوامر وحب القىام بها.

لهذه الأسباب لم تكن للىبيين القدمات تربىة وتعلىم قومى بالمفهوم اللىونانى أو الرومانى بل كانت لهم تربىة عائلية قبلية بامتىاز، حىث كانت الأم هى المربىة والمعلمة الأولى للطفل، وقد ذكر لنا التارىخ كىف أن الملك النومىدى ماسىنىسا كان يأخذ الحكمة من أمه¹، وكان الأب فى الأسرة اللىبية ممتما ومكملا لهذه التربىة الأولى باعتماره صاحب الكلمة العلىا فى العائلة.

كانت التربىة والتعلىم فى الفترة اللىبية النومىدية قائمة على اللعب والتقليد ثم المحاكاة والمشاركة الجماعية، فالطفل يقضى طفولته يحاكى الكبار وىقلدهم فى أيام الصىد والقنص والتدرب على الحروب، وعندما بىلغ سن المراهقة بىبدأ فى ممارسة هذه الأعمال بنفسه دون الحاجة لمن يساعده، والشىء نفسه بالنسبة للتربىة الدىنية فالأطفال ىشاركون فى الطقوس الدىنية منذ الصغر وىتعلمون كىفية القىام بها لا شعورىاً نظراً للتقليد والمحاكاة وتكرار الظاهرة²، وقد تحدثت المصادر عن هذه المشاركة فى الطقوس الخاصة بالاستمطار حىث ىشارك الأطفال رفقة النساء فى طقس أنزار³ من أجل درأ الجفاف وإخصاب الأرض ونزول المطر⁴.

انحصر التعلىم بمفهومه التقنى على بعض أبناء الملوك والقادة مثل الملك غايا الذى أرسل ابنه ماسىنىسا فى صغره إلى قرطاجة لىتعلم فى مدارسها وىكتسب أصول التربىة البونىة وذلك لكى يؤهله فىما بعد لممارسة السىاسة وتولى الحكم⁵، حتى وصفه المؤرخ الفرنسى كامبس بأنه كان بونىا شكلا ومضمونا أى متشعبا بالثقافة القرطاجية⁶، وقد وصف المؤرخ بلىنىوس

¹ مها عىساوى، عادات وتقاليد ريفية معاصرة فى الشرق الجزائرى، مجلة الثقافة الشعبىة، البحرىن، 2013، ص 105.

² إبراهىم العبىدى التوزرى، المرجع السابق، ص 13.

³ أنزار: اسم مذكر بمعنى المطر وىرجح أنه إله المطر عند اللىبيين القدمات، وهو طقس من طقوس استدرار المطر أىن تخرج النساء رفقة الأطفال وىحملن ملعقة كبىرة مكسوة بالأقمشة فى شكل دمية، وىرددن الأهازىج والدعوات وىطلبن فىها نزول الغىث. أنظر

G. Camps, Anzar..... , 1989, p 795-797

⁴ I bid, p 795-797 .

⁵ فتىحة فرحاتى، المرجع السابق، ص 60-61.

⁶ G. Camps, Massinissa ou les débuts....., p46

الملك النوميدي هيمصال الثاني على أنه تربي على الثقافة البونية وتشبع بالثقافة الإغريقية واللاتينية مما جعله كاتباً ومؤرخاً ترك العديد من المؤلفات والنصوص¹.

تربي الملك يوبا الثاني² في قصر الإمبراطور الروماني أوكتافيوس أغسطس، وتلقى العلوم من عدد من المعلمين والأدباء الإغريق والرومان المشهورين، وأصبح بعد ذلك كاتباً وأديباً ومؤرخاً، وله العديد من المؤلفات من أهمها ليبىكا، عربىكا، بابلونىكا، سيرينكا، تاريخ روما، تاريخ المسرح،... إلخ، لكن للأسف ضاعت أغلب هذه النصوص والمؤلفات³.

كان ليوبا الثاني العديد من الإسهامات في مجال الفكر والثقافة والعلوم، حيث اهتم بالكتابة السردية وسعى إلى جمع القصص وتوثيقها كما اهتم باللغات خاصة الإغريقية واللاتينية والبونىة والليبية، كما أقبل على الموسيقى بشغف كبير وخصص لها كتباً كاملة عرف فيها بمخترع الموسيقى، كما اعتنى يوبا الثاني بالمسرح وكتب كتاباً عنونه "تاريخ المسرح" وبنى مجموعة من المسارح في عاصمته ومدن مملكته، كما كان له اهتمام في مجال العلوم خاصة علم النبات والأعشاب الذي جمع أنواعها في كتاب بين فيها خصائصها الطبية، كما استقدم العديد من العلماء والفلاسفة والخطباء والنحويين إلى بلاد المغرب من أجل تأطير المرافق العمومية في عاصمته⁴.

نستنتج مما سبق عرضه في هذا الفصل أن الطّفّل قد حضى بمكانة مرموقة في المجتمع الليبي القديم، بالرغم من أن بعض الكتاب القدماء حاولوا تشويه واقع المرأة والأسرة الليبية بالعديد من المغالطات التاريخية، وهو ما قمنا بنقده ونفيه، وأكدنا أن الطفل ينسب في المجتمع بطريقة شرعية، وأن العائلة الليبية تسعى دائماً لإنجاب أكبر قدر من الأطفال، كما أنها تهتم بهم وتسعى لتربيتهم وتعليمهم وفق أصول التربية القبلية، فيحاكي الطفل عادات وأعراف

¹ Pline L'Ancien, XXVII, 22.

² يوبا الثاني: هو ابن يوبا الأول ملك النوميدي، ولد في 50 ق م في مدينة زاما عاصمة مملكة أبيه، وفي الرابعة من عمره هزم أبيه في معركة تابسوس وصحبه مع قيصر إلى روما وتربي في القصر الروماني، وفي سنة 25 ق م عينه أوكتافيوس حاكماً على إفريقيا فاتخذ مدينة قيصرية (شرشال) عاصمة له. أنظر: عبد الحميد بن شنهو، الملك العالم يوبا الثاني وزوجته كليوباترا سيليني، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 25-30.

³ D W. Roller, op-cit, p59.

⁴ عبد السلام بن ميس، مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة، ط 2، منتدى سور الأزبكية، الرباط، 2010، ص 41.

الباب الثاني: مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال الفترة الرومانية

الفصل الرابع: الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية.

الفصل الخامس: التربية والتعليم في مجتمع إفريقيا الرومانية.

الفصل السادس: الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية.

الفصل السابع: مقابر الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية.

الفصل الرابع

الفصل الرابع: الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية.

1- لمحة تاريخية عن مجتمع إفريقيا الرومانية

2- مصادر الدراسة

3- مفهوم الطفولة في الفكر الروماني

4- الوضعية الاجتماعية للأطفال في الأسرة:

1-4 الأطفال الشرعيون

2-4 الأطفال الغير شرعيين

3-4 التبني

5- الطفل والمعتقد:

1-5 في المعتقد الوثني

2-5 في المعتقد المسيحي

6- الطفل والقانون

7- الطفل والهبات المالية

8- الجانب المظلم من حياة الأطفال:

1-8 منع الحمل والإجهاض

2-8 التخلي عن الأطفال

3-8 سرقة الأطفال وبيعهم

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

الفصل الرابع: الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

1- لمحة تاريخية عن مجتمع إفريقيا الرومانية

تأسست روما على تلة صغيرة تقع على ضفاف نهر التبر عام 753 ق م، وقد اقترن هذا الحدث التاريخي بالأسطورة الرومانية التي تقول: أن الأخوين رومولوس "Romulus" وريموس "Remus" راضعا الذئبة هما اللذان أسسا المدينة، وبدأت هذه الأخيرة في التوسع في سهل اللاتيوم على حساب القبائل اللاتينية والأترسكية والسامنتية وغيرها، وأصبحت روما في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد القوة الأولى في شبه جزيرة إيطاليا، خاصة بعد إخضاعها لأغلب المدن الإغريقية، وبقيت قرطاجة هي الإمبراطورية الوحيدة التي تنافسها في حوض البحر الأبيض المتوسط، وقد حتمّ الوضع السياسي والاقتصادي آنذاك على أن تبقى قوة واحدة من بين القوتين، لكي تسيطر على المنطقة، فاحتدم الصراع بين الحضارتين وخلف ثلاث حروب دامية سميت بالحروب البونية، والتي انتهت عام 146 ق م بسقوط قرطاجة وبداية الاستعمار الروماني لبلاد المغرب¹.

اتصفت الحركة الاستعمارية الرومانية في بلاد المغرب بالبطء والتدرج، واعتمدت على سياسة المراحل، حيث اكتفى الرومان في بادئ الأمر بالسيطرة على تراب القرطاجيين، الذي أطلقوا عليه اسم مقاطعة إفريقيا "Provincia Africa" وفصلوا هذا الإقليم على نوميديا بخندق يعرف باسم "Fossa Rigia"، وأبقت روما في هذا الإقليم على بعض المدن التي تتمتع بالاستقبال النسبي في تسيير شؤونها، مثل مدينة سوسة ولمطة ورأس ديماس.. إلخ، أما سياسة روما اتجاه نوميديا في تلك الفترة فقد كانت تقوم على أمرين إثنين هما: تجنب الصدام مع الملوك النوميدي، والتقرب منهم لكي لا يكون مصدر قلق وشغب للتواجد الروماني في المنطقة، وفي نفس الوقت عمل الرومان على إثارة النزاعات والقلق بين الملوك النوميديين خوفا من اتحادهم في كيان سياسي واحد قد يهدد روما يوم ما².

غيرت روما سياستها اتجاه الملوك المحليين بعد قرن من الزمن، وقرّرت الاستلاء على نوميديا سنة 46 ق م، وأطلقت عليها اسم إفريقيا الجديدة "Africa Nova"، وذلك بعد الحرب

¹ F. Decret et M. Fantar, op.cit, p 142-145.

² محمد البشير شنييتي، الاحتلال الروماني.....، ص 55-68.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

الإفريقية التي قادها قيصر اتجاه الثائر يوبا الأول وحليفه بومبي، وبعد ذلك ضمت مملكة موريطانيا بعد وفاة بخوس في حوالي سنة 33 ق م، واستولت روما بعد ذلك على كل بلاد المغرب بشكل رسمي بعد القضاء على جميع الثورات المناهضة لها، ويعد بطلموس ابن يوبا الثاني هو آخر ملك محلي تم قتله من طرف الإمبراطور كاليغولا سنة 40 م، وهذا التاريخ يعتبره بعض المؤرخين هو نهاية فترة حكم الممالك المحلية القديمة¹.

شهدت الفترة ما بين 40 م ومنتصف القرن الرابع ميلادي العديد من الأحداث السياسية والتحويلات الاجتماعية والاقتصادية التي غيرت الخريطة البشرية في المنطقة، وذلك بسبب سياسة الرومنة²، التي تهدف لطمس وإلغاء كل مقومات الشعوب المهزومة التي ضمتها روما إلى حضيرتها، وتعويضها بنظم رومانية سياسية واقتصادية وعسكرية واجتماعية وحضارية، أي طبعها بنظام روماني بحت، لكي يجعلوا هذه الشعوب تشعر أن حاضرها ومستقبلها متعلق بروما، وبالتالي ترذخ ويسهل نهب واستغلال ثرواتها الاقتصادية دون أي عناء، وقد تطرق لهذا المصطلح العديد من الباحثين من بينهم الفرنسي مارسال بن عبو "M. Benabou" الذي قال: "أنها لا تعني فقط نقل حكم ورجال وإنما نقل حضارة بشكل كامل"³.

انقسمت الخريطة البشرية لبلاد المغرب أثناء فترة الاحتلال الروماني إلى مجموعتين كبيرتين هما: السكان المحليون والوافدون، أما المحليون فهم مجموعة من القبائل، كثيرة العدد، ومختلفة من حيث نمط المعيشة، فيهم البدو الرعاة، وفيهم الحضر والمزارعين، وقد ذكرت المصادر الأدبية أسماء العديد منهم، خاصة تلك التي اشتهرت بالمقاومة ضد الرومان مثل: قبائل البقوار والبقوار المنتمية إلى الموريين، وقبائل الموزولامي المنتشرة في بلاد النوميديين والجتول، وقبائل الحلف الخماسي المتمركزة في منطقة الصومام.

¹ شافية شارن وبلقاسم رحماني ومحمد الحبيب بشاري، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 63-78.

² سياسة الرومنة: ظهر هذا المصطلح سنة 1863 من قبل تيودور مومسن وفرانسييس هارفريلد، واستعمله براوتون سنة 1929 حين تكلم عن هذه السياسية وتجلياتها في المقاطعات الإفريقية وهناك العديد من المؤرخين الذين عرفوا على هذا المصطلح أبرزهم مارسال بن عبو و دوندور بايير ومحمد البشير شنييتي ..الخ. أنظر خليفة عبد الرحمان، جوانب من المقاومة الثقافية ضد الرومنة في الجزائر القديمة، الملتقى الوطني، المقاومة عبر العصور، المتحف العمومي، سطيف، 11 و 12 ديسمبر 2012، ص 19-23.

³ M. Benabou, la résistance Africaine à la romanisation, éd Maspero, Paris, 1976, p 30.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

ينحدر الوافدون من مختلف الأعراق البشرية، توافدوا على بلاد المغرب أثناء فترة الاحتلال، في صور مزارعين أو تجار، رجال أعمال، جنود وإداريين، وكان أغلبهم من العنصر الإيطالي إضافة إلى عناصر متوسطية أخرى مثل: الإيبيريون والغالليون والإغريق والسوريون، وقد تركزوا في مناطق العمران المدني والريفي الخصب مع عدد معتبر من السكان المحليين، بينما تركز السكان المحليون في الأرياف والبادي مشكلين فيها الأغلبية¹.

كان مجتمع إفريقيا الرومانية يضم العديد من الطبقات الاجتماعية المتفاوتة في الحقوق والواجبات، وأرقى صنف منهم حسب القانون الروماني هم الطبقة التي تتمتع بالمواطنة الرومانية "Civis"، وهم على نوعين: صنف ورث هذه الصفة عن طريق النسب، وصنف آخر حصل عليها كامتياز بفضل الترقيات التي كان الأباطرة يقدمونها للأفراد، وكانت هذه الطبقة تضم الفئة البرجوازية التي تحتكر الثروة والمناصب الراقية، وتضم أيضا المواطنين العاديين "Incolae".

تأتي في المرتبة الثانية فئة الأحرار المرفعين "Perfectissimus" المنحدرين من عائلات الفرسان والضباط، ثم فئة رجال الدين، ثم فئة الموظفين والإداريين، أما في الريف فقد كانت تنصده فئة ملاك الأراضي، ثم الموظفين والمزارعين من الأحرار، ثم فئة مستأجري الأرض والأجراء الموسميين، وكانت هذا الأخيرة من السكان المحليين الذين ينعتهم القانون الروماني بالأجانب "Peregrini" الغير مواطنين، رغم أنهم يشكلون الأغلبية، ويأتي في أسفل الهرم الاجتماعي طبقة العبيد المحرومة من كل الحقوق².

2-مصادر الدراسة

تبقى الكتابات الأدبية رغم قلة المعلومات المستقاة منها هي أهم المصادر التي لا يمكن الاستغناء عنها لتكوين صورة عن الوضعية الاجتماعية لمجتمع إفريقيا الرومانية بصفة عامة، ومكانة الطفل والطفولة في المجتمع نفسه بصفة خاصة، وتأتي في مقدمة هذه المصادر الأدبية

¹ محمد البشير شنييتي، نظرة على الوضع الديموغرافي، ص 10-13.

² محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 277-278.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

من حيث الأهمية كتابات المؤرخين والمفكرين الذين ولدوا وعاشوا في شمال إفريقيا، وأرخوا لتاريخ المنطقة سواء في الفترة الوثنية أو في الفترة المسيحية.

يعتبر أبيليوس المداورشي هو أبرز هؤلاء المفكرين الذين ولدوا في شمال إفريقيا، وذلك سنة 125 م في بلدة مادوروش "Madaura" في أعالي نهر مجردة بالجزائر، وتوفي حوالي سنة 180 م، تلقى علومه في كل من قرطاجة وأثينا وروما، وعرف باهتمامه بالفلسفة والأدب والتاريخ والطب وعلوم أخرى، ونال شهرةً واسعةً بفضل كتبه التي تعد من أهم ما أنتجته الثقافة اللاتينية في العصور القديمة، وأبرز ما وصل إلينا هو: كتاب الأزاهير "Florida" وهي مجموعة محاضرات في الفلسفة والأدب، وكتاب الدفاع "Apologai" وهو عبارة عن مرافعة راقية ألقاها في مدينة صبراتة دفاعاً عن نفسه، عندما اتهم باستعمال السحر من أجل أن يتزوج من امرأة ثرية في أويا (طرابلس)، ولعل أحسن ما قدمه هذا الكاتب هو رواية الحمار الذهبي أو التحولات "Metamorphoses" والتي امتازت بالطابع الأدبي الأسطوري¹، وقد استفدنا من بعض الإشارات التي قدمها هذا المفكر عن الحياة الاجتماعية آنذاك في بعض كتبه، خاصة وضعية المرأة الطفل ومكانتهما في مجتمع إفريقيا الرومانية.

في الفترة المسيحية فقد ظهرت كتابات رجال الدين، الذين حاولوا الدفاع على هذا الدين الجديد في شمال إفريقيا، ومن أبرزهم نذكر الأسقف ترتيليانوس الذي ولد في قرطاجة ما بين 155-160 م من عائلة وثنية، ودرس القانون والبلاغة والأدب والفلسفة في قرطاجة، وبعد اعتناقه للمسيحية كرّس كل وقته للدفاع عنها مستخدماً البلاغة والخطابة، وكان له العديد من الكتب والمقالات من أهمها نذكر: كتاب الشهداء "Aux Martyrs"، وكتاب المرافعة "Apogétique"²، وقد اعتمدنا على بعض الفقرات التي كتبها هذا المفكر خاصة لما يتكلم على التربية المسيحية، وعندما ينقد المظاهر السلبية التي تخص النساء وكيفية التعامل مع الأطفال في حياة الوثنيين.

ولد القديس أوغسطينوس سنة 354 م في تاغست "Tagaste" (سوق أهراس) بالجزائر وتوفي سنة 383م، تلقى تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه، وتعليمه الثانوي في مادوروش

¹ أبوليوس، تحولات الجحش الذهبي، ترجمة: علي فهمي خشيم، المؤسسة العامة للثقافة، ليبيا، 2009، ص 7-8.
² P. Monceaux, Histoire littéraire de L'Afrique Chrétienne, Edi, 1901, p17.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

وتعليمه العالي في قرطاجة، وبعدها انتقل إلى روما وحصل على لقب أستاذ في الريطوريقيا، وبعدها اعتنق المسيحية وعُين أسقفاً في كنيسة مدينة هيبون "Hippone"، وكان له العديد من الكتب أهمها: مدينة الله "De civitate die"، وكتاب الاعترافات "Les Confessions" الذي قام فيه بعرض سيرته الخاصة، وتناول فيه كل المسائل التي يمكن أن تعترض النفس البشرية¹، وقد خصّ القديس أوغسطينوس مرحلة الطفولة بنوع من التفصيل خاصة في خاصة في الجزء الأول منه، حيث تكلم على طفولته ومرحلة تعليمه وأسقطها على جميع الأطفال الذين عاشوا في فترته.

تكتسي المصادر المادية مثل النّصب ولوحات الفسيفساء والمعالم الأثرية كالمعابد والمقابر ومحتوياتها أهمية بالغة بالنسبة لدراسة التاريخ الاجتماعي لبلاد المغرب القديم بصفة عامة، ولدراسة موضوع الطّفل ومكانته في مجتمع إفريقيا الرومانية بصفة خاصة.

تعتبر الأنصاب من أهم الشواهد المادية التي تعكس لنا الحياة الدينية والمعتقدات السائدة والطقوس الممارسة في مجتمع إفريقيا الرومانية، وهي من العناصر المعمارية التي وجدت على واجهات المعابد وكشواهد للقبور، منها من يحمل صبغة جنائزية، ومنها من يحمل صبغة إهدائية أو نذرية، وتختلف أنواع هذه الأنصاب من ناحية الشكل، فمنها ذات القمة المثلثة ومنها ذات القمة المستديرة، ومنها ذات القمة المسطحة، وتختلف أيضاً من ناحية المحتوى، فمنها من كتب عليها نصوص جنائزية لتخليد ذكرى الميت، ومنها من احتوت على مجموعة من الصور البشرية والحيوانية والنباتية وبعض الرموز الدينية، وتكون منحوتة بشكل بارز أو بشكل غائر على واجهة النّصب².

تضمّ شمال إفريقيا عددا هائلا من الأنصاب بمختلف أنواعها، موزعةً عبر مختلف المواقع الأثرية، وقد استعنا بعدد منها لمحاولة أخذ بعض المعطيات عن فئة الأطفال، سواء من الجنائزية والدينية، أو من الناحية الاجتماعية ووضعية هذه الفئة في الأسرة والمجتمع، أو من

¹ عبد السلام بن ميس، مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة (دراسة في العلوم الصورية وتطبيقها)، منتدى سور الأزيكية، الرباط، 2010، ص 189.

² كردين سهيلة، دراسة فنية لأنصاب الموقع الأثري مادوروش، مجلة منبر التراث الأثري، عدد 8، 2019، ص 40-58، ص 44-45.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

الناحية المادية خاصة أنواع وطرق الألبسة وقصات الشعر، أو من الناحية الديموغرافية من أجل دراسة إحصائية تخص نسبة الخصوبة ونسبة وفيات الأطفال وما شابه ذلك.

تعتبر النقوش اللاتينية المدونة على الحجر أو على الرخام أو على لوحات الفسيفساء والتي بلغ عددها حوالي 1433 نقيشة بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الرابع ميلادي من أهم المصادر المادية التي اعتمدنا عليها لمعرفة بعض المعطيات الجنائزية والاجتماعية على حياة الأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية¹.

تعتبر شمال إفريقيا من أغنى المقاطعات الرومانية التي قدمت مجموعة كبيرة من لوحات الفسيفساء النادرة، والتي تشكل مورداً أثرياً هاماً يتيح للمؤرخين وعلماء الآثار والمختصين في التاريخ القديم لبلاد المغرب من إعادة تصور واستقراء التركيبة الاجتماعية والثقافية والدينية، وحتى السياسية والاقتصادية للمجتمع الإفريقي خلال الفترة الرومانية².

تعتبر الفسيفساء أحسن شاهد على الحياة المادية لمجتمع إفريقيا الرومانية، لأنها تقدم صور غاية في الوضوح لنمط معيشة السكان، من مأكّل ومشرب وملبس، كما أن دراستها تساعدنا على فهم مضمون اللوحة من صور ومعاني الرموز والأشكال المستعملة فيها، وكذا تفسير الأساطير والعقائد الدينية، ونحن بدورنا استفدنا منها لمعرفة بعض الجوانب من الحياة المادية الخاصة بالأطفال كاللباس، وكذا معرفة صورة الطّفّل في الميثولوجيا والأساطير الرومانية.

تحوز شمال إفريقيا على عدد كبير من المقابر التي تعود لفترة الاحتلال الروماني للمنطقة، وضمت هذه الأخيرة عدداً هائلاً من المخلفات الأثرية كالبقايا العظمية والفخاريات والحلي المعدنية، والمسكوكات وبعض الأثاث والوسائل التي تستعمل في الحياة اليومية، وقد اعتمدنا على هذه المعالم والبقايا الأثرية لمحاولة تكوين صورة عن الوضعية الجنائزية للأطفال من جهة، والوضعية المادية والصحية من جهة أخرى³.

¹ C. I. L, VIII.

² بل كامل البضاوية، مظاهر اقتصادية من خلال فسيفساء الشمال الإفريقي، دار القلم، الرباط، 2003، ص 5.

³ S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires autour des inhumations en fosse d'enfants en Afrique romaine à l'époque païenne, l'enfant et la mort dans l'Antiquité II, Centre d'études Alexandrines, Alexandrines, Novembre 2009, p-p 501-538.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

أمام هذه المصادر المتنوعة التي تؤرخ للحياة الاجتماعية والثقافية لمجتمع إفريقيا الرومانية، حري بنا أن نتساءل: ما هي مكانة الأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية؟، وهل تكفي هذه المصادر لتكوين صورة واضحة عن الوضعية الاجتماعية والثقافية والدينية والقانونية لهذه الفئة؟

3- مفهوم الطفولة في الفكر الروماني

توجد العديد من المفردات في اللغة اللاتينية والإغريقية التي تعبر عن مفهوم الطفل والطفولة، فبصرف النظر عن كلمة "Pais" في اللغة الإغريقية، وكلمة "Puer" في اللغة اللاتينية، توجد مفردات أخرى تعبر على نفس الفترة من حياة الإنسان مثل: "brphos", "infantai" و "infans" وقد شاع استخدام مصطلح "nepios, teknon, paidion, paidarion" في الأدب اللاتيني بدايةً من القرن الأول قبل الميلاد للتعبير عن فترة الطفولة، وهناك مفردات أخرى في اللغة اللاتينية تعبر على فترة معينة من حياة الطفل مثل: "bimus, bimulus" والتي تعني الطفل الذي يبلغ العامين من عمره، وكلمة "puer bimulus" التي تعني الطفل الرضيع، وتتغير المفردات التي تخص الطفل في كل مرحلة تطور من حياته¹.

شبه المفكرون الرومان حياة الإنسان بالخط المستقيم، الذي يبدأ بنقطة تتمثل في الولادة وينتهي إلى نقطة أخرى تتمثل في الموت، والفارق الزمني بين هاتين النقطتين هي حياة الفرد، والتي قسموها إلى العديد من المراحل، متفقين في أنّ مرحلة الطفولة التي تبدأ بالولادة وتنتهي عند البلوغ هي أولى المراحل وأهمها في حياة الإنسان، ومن أشهر هؤلاء المفكرين نذكر: فارو "Varro" الذي أكد أن حياة الإنسان تنقسم إلى خمس مراحل هي: الطفولة "Puer" إلى 15 سنة، البلوغ "Adulescens" إلى 30 سنة، الشباب "iuuenis" إلى 45 سنة، الكهول "Sinior" إلى 60 سنة، الشيخوخة "Senex" أكبر من 60 سنة.

أمّا المفكر الروماني هوراس "Horace" فقد قسمها إلى 4 مراحل فقط هي: الطفولة، البلوغ، الشباب، الشيخوخة². أمّا الخطيب كيكرو "Cicero" فقد قسمها إلى ثلاث مراحل هي:

¹ V. Dasen, Childbirth and Infancy in Greek and Roman Antiquity, A Companion to Families in the Greek and Roman Worlds, CHAPTER 18, edited by Beryl Rawson, 2011, p291-314.

² B. Rawson, Children and Childhood in Roman Italy, Oxford University Press, New York, 2003, p136.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

مرحلة الطفولة والتي أشار إليها بالمصطلح اللاتيني أمفيميتاس "Imfimitas" والذي يعنى: الضعاف أو العاجزين، أما مرحلة الشباب فقد استعمل لوصفها مصطلح غراويتاس "Grauitas" والذي يعنى القوة والشدة، واستعمل مصطلح ماتيريتاس "Maturitas" والذي يعنى النضج والحكمة للتعبير عن مرحلة الشيخوخة¹.

فُسمت مرحلة الطفولة بدورها من أغلب المفكرين إلى للعديد من المراحل، نوجزها فيما يلي: مرحلة الجنين (مرحلة الحمل)، مرحلة الرضيع (تدوم لثلاث سنوات)، مرحلة الطفولة المبكرة التي تستمر إلى عمر السبع سنوات، مرحلة الطفولة المتأخرة التي تنتهي مع مرحلة البلوغ.

أكد القديس أوغسطينوس أن مرحلة الطفولة تبدأ منذ أن يخلق الإنسان في رحم أمه، حيث تطرق إلى قضية خلق الطفل في رحم أمه في كتابه الاعترافات وقال فيها: " أنا المخلوق من تراب ورماد، بعثتني (يقصد الاله) من أحدهما وسويتني في الآخر، وقد استقبلتني رأفتك في هذه الحياة ..."²، وبعد أن يخلق الطفل في رحم أمه تأتي مرحلة الحمل، حيث أكد القديس أنها جزء لا يتجزأ من حياة الطفل، وقد تساءل عن العمر الذي قضاه في رحم أمه؟، وقال إنه كان يرى نفسه في رحم أمه من خلال رؤيته للنساء الحوامل في عصره، بالرغم من أن أمه حدثته قليلا عن هذه الفترة من حياته³.

وصف الخطيب كيكرو المرحلة المبكرة من حياة الطفل بعد الولادة قائلا: "بعد أن يخرج الطفل من رحم أمه ويرضع من ثديها، يحاول الوقوف مستقيما، ويستخدم يدها للتعرف على الأشياء، يمشي على قدميه ببطء، يتعرف على المربين، يبدأ في اللعب مع أقرانه"⁴، وقد وصف القديس أوغسطينوس هذه المرحلة المبكرة بالمرحلة التي لا يتذكرها إطلاقا، ووصفها بناءً على تأمله للأطفال الصغار في مثل ذلك السن، والمرحلة الثانية من طفولته هي التي بقت في مخيلته⁵.

¹ Cicero, De finibus 5. 15. 42.

² S. Augustin, Confessios, VI, 7.

³ I bid, VI, 9

⁴ Cicero, De finibus 5. 15. 42.

⁵ S. Augustin, Les Confessios, VI, 7

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

تبدأ مرحلة الطفولة المتأخرة في سن السابعة أين يتخلى الطفل عن أسنانه اللبنية ويحصل على أسنان دائمة، ويصبح الطفل في هذا السن لديه مسؤوليات اجتماعية وثقافية ودينية، وقد وصف الخطيب كيكرو هذه المرحلة قائلا: " حين يبلغ الطفل السابعة من عمره فإنه يصبح مسؤولاً على سلوكه الاجتماعي والأخلاقي ويعاقب مباشرة إذا أخطأ، وحين يصل إلى هذا العمر يبدأ في التعلم، وتُغرس فيه الأخلاق الاجتماعية والتقاليد الثقافية، وفي هذه المرحلة يتولى الطفل أدواراً اجتماعيةً وجنسيةً جديدةً، إذ ينظم إلى مجموعات من أقرانه، ويُفصلون إلى مجموعات حسب جنسهم، ليصبح بعد ذلك أكثر تكاملاً في هيكله الاجتماعي"، وفي سن السابعة ينظم جنائزياً إلى عالم الكبار، وتُطبق عليه الطقوس الخاصة بالبالغين، مثل طقس الحرق والترديد، لأن الرومان كانوا لا يحرقون الأطفال دون سن السابعة، لأن أرواحهم كانت خالية من الشرور حسب اعتقادهم¹.

تنتهي مرحلة الطفولة عند سن البلوغ، وهو العمر الذي يتطور فيه الأطفال جسدياً ونفسياً، إذ ينتقلون من الطفولة إلى مرحلة الشباب، وتحدث في هذه المرحلة مجموعة متسلسلة من الأمور، والتي تؤدي في نهاية الأمر إلى ظهور الخصائص الجسدية الخاصة بالبالغين، إذ يصبحوا مؤهلين للزواج والتكاثر، ويختلف سن البلوغ من طفل لآخر ومن منطقة إلى أخرى، لكن مجملاً تبدأ العلامات بالظهور لدى الفتيات من عمر 8-14 سنة بمتوسط عمر 11 عاماً، بينما تبدأ علامات البلوغ بالظهور عند الذكور من عمر 9-15 عام بمتوسط 12 عاماً، ويتطلب اكتمال عملية البلوغ الكامل سنوات أخرى، تصل إلى الست سنوات بالنسبة للذكور، بينما تحتاج الإناث إلى أربع سنوات على الأقل ليصلن إلى مرحلة النضج الجنسي الكامل.

كانت سن البلوغ والنضوج الجسدي هي الفيصل في تحديد سن الزواج بالنسبة للذكور والإناث في إفريقيا الرومانية، فالفتاة أو الفتى بمجرد أن يصل إلى سن البلوغ وتظهر عليه علامات البلوغ يصبح مؤهلاً للزواج، وقد أشار القديس أوغسطينوس إلى هذه اللحظة الفارقة من حياته وقال فيها: " في السنة السادسة عشر من عمري، انقطعت عن الدراسة فترة من الزمن ولازمت بيت والدي، وفي تلك السنة علت رأسي أشواك الشهوات ولم أستطع أن أفلح

¹ B. Rawson, op-cit, p139.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

عنها، أضف إلى ذلك أن أبي لما رأى في الحمام علامات بلوغي الأولى فرح فرحا شديدا وأخبر أُمي بسرعة، لأنه تخيل نفسه جدا وله أحفاد في القريب العاجل..¹.

كان يقام في روما حفل خاص على شرف أبناء الأشراف الذي بلغوا سن السادسة عشر، ويقام هذا الحفل في بداية فصل الربيع من كل عام، حيث كانوا يخلعون التوغا برايتيكسا "Toga Praetexta" الخاصة بالأطفال، ويلبسون التوغا فيريسيل "Toga Virilis"، وهي جبة بيضاء تدل على أن الفتى أصبح مؤهلاً للمشاركة في الحياة السياسية والعسكرية، وتهدي التوغا برايتيكسا إلى المعبد، ويسجل الطفل في سجل المواطنين الكاملين "Tabularium"².

ناقش بعض الباحثين قضية سن البلوغ وعلاقته بالزواج المبكر، حيث تختلف السن الأدنى للزواج بين مختلف مقاطعات الإمبراطورية الرومانية، ففي روما تتراوح بين 11 إلى 13 سنة بالنسبة للذكور وبين 13-14 سنة بالنسبة للإناث، وفي عموم إيطاليا كانت بين 11-16 سنة على وجه العموم³، أما في إفريقيا الرومانية فقد أشار جون ماري لاسير إلى شيوع ظاهرة الزواج المبكر التي تتراوح بين 11-13 سنة بالنسبة للإناث و15 إلى 17 سنة بالنسبة للذكور، وذلك من خلال دراسته لجل النقائش اللاتينية التي تخص النساء المتزوجات في المقاطعات الإفريقية⁴، وأكد محمد البشير شنييتي أن سن الزواج قد يتأخر في المناطق المرتفعة والجبلية في شمال إفريقيا لتأخر سن البلوغ بالنسبة للذكور والإناث وبالتالي احترام الحقائق الفيزيولوجية لهم⁵.

¹ S. Augustin, Les Confessios, III.6.

² G.S Aldrete, Daily life in the roman city: Rome, Pompeii, and Ostia, USA, 2004, P 55-57.

³ M. Pierre, Remarques sur l'âge du mariage des jeunes Romaines en Italie et en Afrique, In : Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 133^e année, N. 3, 1989. pp. 656-669 ; P 664.

⁴ J.M Lassère, J-M Lassère, Vbique Populus. Peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146 av. J.-C. – 235 ap. J.-C), Éditions du Centre National de la Recherche Scientifique, Paris, 1977, p489.

⁵ محمد البشير شنييتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 207.

4- الوضعية الاجتماعية للأطفال في الأسرة

1-4 الأطفال الشرعيون:

يمكن تعريف الزّواج في مجتمع إفريقيا الرومانية بأنه اتحاد شرعي بين الرّجل والمرأة بقصد إنجاب أولاد شرعيين يأمنون بقاء الأسرة ودوام الدين العائلي¹، وهي الفكرة التي تشاركها فيها كل من السّكان المحليين والرومان الوافدين، فبمجرد أن يولد الطّفل الشرعي كان يتوجب على الأب التصريح به وتقييده في دار السّجلات العامة في المدينة التي يقطن فيها، وقد أشار أبوليوس المداورشي إلى هذه العملية بالتفصيل حين تكلم على زوجته بودنتيلا حينما صرح بها والدها وسجلها بشكل رسمي في دار السّجلات العامة بحضور قاضيين: " في مسألة عمر بودنتيلا التي كذبوا أنني تزوجتها في عمر السّنتين، فقد صرح أبوها بميلاد ابنته على عادة سكان المدينة، فجزء من سجلات ميلادها محفوظة في دار السّجلات العامة بالمدينة والجزء الآخر محفوظ في البيت، وستعرض تلك الوثائق ليتم التعرف على الخواتيم المبصومة عليها، واسم القاضيين في ذلك التاريخ، فهي لا تتجاوز الأربعين"².

يسهل التعرف على الأطفال الشرعيين من فئة الأحرار من خلال النّصب، وذلك من خلال التعرف على الاسم العائلي الذي يكون مرفوقاً بالنّسب، حيث يذكر خط النّسب الذكوري في صورة اسم الأب والجد، حيث يرث الطّفل اللّقب العائلي الذي يرفق باسمه الشخصي، وهو نفس اللّقب الذي تحمله المجموعة العائلية أو العشائرية التي ينتمي إليها، وتؤكد النّقائش اللّاتينية الموجودة في شمال إفريقيا أن الأسرة كانت قوامها نظام الأبوة القائم على القدرة الأبوية، والذي يخلص بانتساب الولد إلى أبيه واتصاله من حيث القرابة بأقرباء أبيه لا بأقرباء أمه، رغم وجود بعض النّصب القليلة التي ينسب فيها الولد إلى أمه، حين يكون الوالد فيها غير معروف وهي حالات شاذة جداً³.

¹ محمد محسن البرازي، محاضرات في الحقوق الرومانية، مؤسسة هنداوي، مصر، 2017، ص 103.

² لوكيوس أبوليوس، المرافعة أو دفاع صبراتة، ترجمة عمار الجلاصي، المكتبة الأمازيغية، تونس، 2001، ص 104-105.

³ J.M Lassère, *Onomastica africana XVIII, Gentilices romains d'origine africaine*, Identités et cultures dans l'Algérie antique, sous la direction de C Briand-Ponsart, Rouen, 2005, pp. 179-192.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

توجد عديد الأمثلة من النقائش اللاتينية التي تؤكد النسب على الخط الذكوري في مجتمع إفريقيا الرومانية، ففي الغالب يذكر اسم الولد ولقبه وكنيته سواء كان ذكر أو أنثى، وبعد ذلك يذكر والده ولقبه وكنيته، ويضاف في أحيانا أخرى اسم الجد ولقبه وكنيته، ويربط بين الأسماء بالعبرة النسبية Fil(ia) بمعنى ابنة عندما يكون الولد أنثى، وبلفظة F(ilus) بمعنى ابن حينما يكون الولد ذكرا، وفي الجدول رقم 12 بعض النقائش التي تؤكد النسب على الخط الذكوري.

توجد خاصية أخرى في الأنوماستية الرومانية في شمال إفريقيا موروثه من التقاليد الليبية القديمة، وهي ذكر خط النسب الذكوري عن طريق ذكر الحروف المختصرة لاسم الابن والوالد والجد، مثل النقيشة الخاصة بـ: "X.Y.Z Filii Filius"، بحيث يمثل حرف X: اسم الابن، Y: اسم الوالد، Z: اسم الجد¹.

جدول رقم 12: نماذج من النقائش اللاتينية التي تؤكد النسب على الخط الذكوري في مجتمع إفريقيا الرومانية

الولد	الأب	الجد	المصدر
لوكياس أكتافوس سيكوندوس Luccius Octavius Secundus	أوكتافوس أليانوس Octavius Aelianus	-	CIL, VIII, 9148
لوكيوس لوكيوس سوكوندوس Lucius Lucceius Secundus	لوكيوس لوكيائي ليوكياني Lucius Luccei Luciani	-	CIL, VIII, 3138
إيلوليا سينتيا Iuliae Sintiai	إيوليوس فورتوناتوس Iulius Fortunatus	-	CIL, VIII, 9132
كايو كالبورنيو ماكسيميانو Caio Kalpurnio Maximiano	كايس كالبورنيوس Caius kalpurnius	كايس ماكسيموس Cai Maximus	CIL, VIII, 20767

كانت القوانين تحمي الأنساب وتتدخل في كثير من الأحيان لإثبات نسب الأطفال محل النزاع، خاصة لما تطرح مسألة الزواج والطلاق المتكرر بالنسبة للآباء والأمهات، فقد ورد

¹ J.M Lassère, Onomastica Africana..., p 182

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

في إحدى النقائش اسم سيدة تدعى لوسيا فاليريا ماكسيميليا "Lucai Valerai Maximilla" من تيمغاد، والتي تزوجت عدة مرات، وأسفر ذلك عن اختلاف أنساب أبنائها واحتاج الأمر إلى تدخل القانون لإثبات نسبهم¹.

كان يتوجب على الأسرة الإفريقية أن تختار اسما يليق بمولودها الجديد مباشرة بعد ولادته، وهناك من يطلقه في اليوم الثامن أو التاسع من ولادة الطفل، وهو الاسم الذي يحمله طول حياته، ينادى به ويكتب في وثائقه الرسمية، وينقش على قبره حين يموت، وأكد الباحثون في صورة كامبس أن الأسر كانت تستبشر بالأسماء التي ترمز للحظ والنجاح والتفوق والسعادة وكل الأمور الإيجابية، أو التي تتعلق بالفكر الديني والآلهة تيمناً وتبركا بها، حيث أحصى 38 اسم ذكوريا و10 أسماء أنثوية مشتقة من آلهة محلية².

توجد العديد من الأسماء التي وردت في مختلف النقائش اللاتينية في شمال إفريقيا، لكن هناك بعض الأسماء قد تكررت باستمرار وهي حوالي ستة عشر أو سبعة عشر اسما (الجدول رقم 13)، وكانت هناك قاعدة عامة تحكم الأسماء وهي أن الاسم دائما ما يرد مختصرا في حالة ما أتبع بلقب أو كنية³.

يعد علم الإبيغرافيا من بين العلوم التي اهتمت بالخصوصية الأنوماستية في مجتمع إفريقيا الرومانية، حيث لاحظ الباحثون أن هذه المنظومة تتكون من خمسة عناصر أساسية هي: الاسم الشخصي (البراينومين، Prenomen) الذي يأتي في بداية التركيبة الإسمية وفي العادة يكون مختصرا، الاسم العائلي (النومين، nomen) ويأتي وراء الاسم الشخصي ويشترك فيه كل الأفراد الذين ينتمون لنفس العائلة، بالإضافة إلى صيغة النسب إلى الوالد واسم القبيلة التي ينتمي إليها، واسم الكنية (الكوغنومين، Cognomen) وتطلق هذه في العادة على الطفل مباشرة بعد ولادته مقترنة مع اسمه الشخصي، وفي أحيانا أخرى قد تطلق بعد سنوات قليلة من حياته، وعادة ما يحمل الابن البكر كنية والده دون أن يغير من شكلها، ويحمل الابن

¹ M. Corbier, le divorce et l'adoption as romains familial stratégie, ed B. Rawson, 1991, p362.

² G. Camps, Liste onomastique..., p 212.

³ R. Cagnat, cours d'épigraphie latine, ED 4, Roma, 1964, p38.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

الثاني كنية والدته، والثالث يحمل كنية والده لكن بصيغة مصغرة، كما يمكن للطفل أن يحمل كنية تميزه عن باقي أفراد أسرته¹.

جدول رقم 13: اختصارات أكثر الأسماء تكرارا في النقائش اللاتينية

الاسم	الاختصار	كتابته باللغة العربية
AVLIVS	A	أليوس
APPIVS	APP	أبيوس
CAIVS	C	كاوس
CNAEVS	CN	كنايوس
DECIMVS	D	ديكيموس
LVCIVS	L	لوكيوس
MARCVS	M	ماركوس
MANIVS	M/	مانيوس
NVMERIVS	N	نوميوريوس
PVBLIVS	P	بوبليوس
QVINTVS	Q	كوينتوس
SERVIVS	SER	سيرفيوس
SEXTVS	SEX	سيكتوس
SPVRIVS	S ou SP	سبوريوس
TIBERIVS	TI ou TIB	تبيريوس
TITVS	T	تيتوس
VIBIVS	V	فببوس

المصدر: خاشة السعيد، دراسة مجتمع أوزيا من خلال الكتابات اللاتينية، أطروحة ماجستير، معهد الآثار، الجزائر، ص 115.

تختلف مدلولات الكنى ومعانيها، فهناك كنى مشتقة من أصل جغرافي مثل أفريكوس "Africus"، لاتينوس "Latinus"، وكنى مشتقة من الصفات الجسدية مثل: الوسيم "Pulcher"، وكنى مشتقة من الصفات الخلقية مثل: اللطيف "Clemens"، وكنى مرتبطة بالولادة مثل: الابن الأكبر "Major"، الابن الأصغر "Minor"، وهناك كنى أخرى مشتقة من المهن أو من أسماء الحيوانات والجماد، وهناك من يحمل كنى ساخرة تتعلق بالصفات والتشوهات الخلقية التي قد يولد الطفل وهو يحملها، ومن أبرز هذه الكنى التي وردت في

¹ لخضر فاضل، مقارنة للأسماء المحلية في الأنوماستيكا الرومانية (بعض مدن نوميديا نموذجا)، مجلة عصور جديدة، عدد 20-19، 2015، ص 36-42، ص 41-42.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

النقائش اللاتينية في شمال إفريقيا نذكر: الأسود "Niger" ، الأحول "Strabo" ، النحيف "Macrines" ، طويل الأذنين "Flaccus" ، كبير الرأس "Capito" ، الذي يتلعثم في الكلام "Balbus"¹.

أكد أغلب الباحثون الذين درسوا علم الأنوماستية في إفريقيا الرومانية أن الأسماء كانت لها أصول مختلفة، نذكر منها الأسماء ذات الأصول المحلية الليبية، والأسماء ذات الأصل البوني الفينيقي، والأسماء ذات الأصل الروماني، وقلة من أسماء أخرى من أصول إغريقية وجرمانية وسامية، وهذا إن دل عن شيء فإنما يدل على الفسيفساء الاجتماعية التي كانت تميز بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية².

حاول السّكان المحليون المحافظة على الأسماء التقليدية الليبية خلال الفترة الرومانية، سواء بشكلها الأصلي أو محورة حسب متطلبات اللغة اللاتينية مثل: ماكوس "Macus" ، مارو "Marau" ، سيليديو "Selidiu" ، سيسو "Sisso" ، وهو نوع من الوفاء لتقاليد الأجداد من جهة، ورفض ضمني لسياسة الرومنة من جهة أخرى، خاصة لما استحدثوا بعض الأسماء العشائرية ذات الأصول المحلية كبديل عن أسماء العشائر الرومانية، مثل "جودايوس" "Goddæus" ، ماتيبوس "Mattius" ، إيديباليس "Iddibalis"³.

بدأ بعض العائلات المحلية تحمل الأسماء الرومانية بشكل تدريجي، وذلك تماشياً مع سياسة الرومنة والظروف السياسية والاجتماعية التي فرضها الرومان في المنطقة، حيث رسمت اللغة اللاتينية للتعامل في مجال الإدارة، فاضطر السّكان المحليون لتعلمها وتداولها حتى يتسنى لهم التعامل مع الإدارة الرومانية خاصة الذين طالبوا بحق المواطنة كنوع من الارتقاء الاجتماعي، وقد أشار الباحث جون ماري لاسير إلى ظاهرة حمل السّكان المحليين لأسماء رومانية، حيث لاحظ العديد من النقائش التي تثبت ذلك، حيث يكون اسم الجد ليبي

¹ حياة بوسليماني، أهم الكنى الساخرة بمقاطعة نوميديا من خلال النقائش اللاتينية، مجلة دراسات أثرية، مجلد 15، عدد 1، ص 186-189. ص 182-195

² G. Camps, Liste onomastique libyque...., p 211-212.

³ لخضر فاضل، المرجع السابق، ص 36-42

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

واسم الوالد بوني واسم الولد روماني، وأكد أن هذا كان من ثمار سياسية الرومنة في المنطقة¹.

2-4 الأطفال الغير شرعيين

شاعت العلاقات الغير الشرعية في مجتمع إفريقيا الرومانية، رغم الأعراف والقوانين التي تحارب الخيانة الزوجية والعلاقات المحرمة، فإذا ثبت على المرأة الخيانة فإنها تنقاد إلى الساحة العامة وتفضح وتعذب، إلا أن هذه القوانين لم تحد من انتشار هذه الظاهرة، وحتى الزواج الذي يطلق عليه اسم الكونتوباريوم "Contubernium"، هو زواج غير شرعي وغير مسجل بعقد وغير معلن عليه بحفل ومراسيم دينية، وإنما هو مجرد علاقة بين رجل ومراة، تكون خليلية وصديقة أكثر منها زوجة، والأطفال الذين ينجبون عن هذه العلاقة هو بالضرورة غير شرعيين في نظر القانون الروماني، لأنهم لا يستطيعون تسجيلهم في السجلات المدنية، لأن الزواج غير مؤسس إطلاقاً، وانتشر هذا النوع من العلاقات عند الأسياد مع إمائهم في المناطق العسكرية، وعند الجنود الذين اضطروا إلى اللجوء إلى هذا النوع من العلاقات، لأن الزواج محرماً عليهم حتى يكملوا خدمتهم العسكرية².

كان الرجال من العائلات الغنية في إفريقيا الرومانية يملكون العديد من العاهرات "meretrix"، وهنّ جزء من الموظفين المستعبدين في المنزل، واللّاتي يمكن المتاجرة بهنّ، وقد وجدت قلادة في مدينة بلا ريجيا "Bulla Regia" مكتوب عليها: أديلتيرا العاهرة "Adultera meretrix"³، وقد ندّد القديس أوغسطينوس بكثرة هذا النوع من النساء في المدينة نفسها⁴.

¹ J.-M. Lassère, « Onomastique : Période romaine », Encyc. berb, 35, Aix-en-Provence, Edisud, 2013, p. 5780.

² N. Benseddik, être femme dans le Maghreb ancien, Awal, N° 20, 1999, p 128.

³ N. Benseddik, « Manus lanis occupate ». Femmes et métiers en Afrique, In : Antiquités africaines, 45, 2009, p 106.

⁴ S. Augustin, Sermo, Patrologie Latine, 17, 7, éd : Migne, Paris, 1845.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

ندد أباء الكنيسة بهذه الظاهرة وقدموا العديد من المواعظ والإرشادات في حقها، فقد أكد القديس أوغسطينوس¹ في اعترافاته أنه ليس من حق السيد التمتع مع أمته أو خادمتها، لأن ذلك يفسد الأخلاق وينجر من خلاله أبناء غير شرعيين مرميين في الشوارع²، كما أشار تارتيليانوس إلى حياة الفسق اللاتي كانت تعيشها النسوة في مجتمع إفريقيا الرومانية خلال القرن الثاني ميلادي، وشدد في انتقاد طريقة عيشهن حتى أنه شبه المرأة ببوابة الشيطان، وقال أنه لا يمكن التفريق بين السيدة والعاهرة إلا من خلال اللباس³، وأشار المؤرخ نفسه إلى المخاطر الكبرى التي يمكن تتجر من وراء هذه العلاقات الغير شرعية، إذ قال في هذا الصدد: "إن انجاب أولاد غير شرعيين وإهمالهم يؤدي إلى اتساع النسل والعائلة، وقد تقع الجريمة الكبرى بانعقاد علاقات غير شرعية بين المحارم دون علم منهم...."⁴.

تشير بعض النصب إلى الأطفال غير الشرعيين أو مجهولو النسب من خلال بعض العبارات المشهورة، كعبارة "Spurii" والتي تعني في اللغة اللاتينية: ابن زنا، وقد وردت في النقيشة التي وجدت في أمايدرة:

**Spurii f(ilia) Spuria uitam finivit: relictis miserrimis patri naturali suo
et Aelia Victorina matre qui hoc pii dederunt fecerunt**

وهي نقيشة جنازية لابنة غير شرعية ذكر فيها إلا اسم والدتها الحزينة عليها أليا فيرونیکا "Aelia Victorina"⁵، أو من خلال عبارة "Naturales Partris" بمعنى الأب الطبيعي أو "Naturales Puirii" بمعنى الابن الطبيعي، والتي وردت في نصب جنازي في مستوطنة حيدرة⁶.

توجد عبارات أخرى تدل على الأطفال الغير الشرعيين، مثل عبارة "Filio Communi" بمعنى ولدنا المشترك والتي توحى بأن الابن غير شرعي، مثلما كتبت على نقيشة جنازية

¹ رغم تنديد القديس أوغسطينوس بحياة المجون والعلاقات غير شرعية، إلا أنه كان في شبابه كان يعيش حياة اللهو والمجون، ودخل في علاقة غير شرعية مع بائعة البنفسج لمدة خمسة عشر عام ورفض الزواج بها رغم أنها أنجبت منه طفلاً يدعى ايديوكتاتوس "Adeoctatus" أنظر:

S. Augustin, Les Confessios, VI, 25.

² A.G Hamman, la vie quotidienne au temps de saint Augustine , Hachette, Paris, 1986, p97-98.

³ Tertullien, IV, 15.

⁴ Tertullien, IX, 17.18.

⁵ ILA 173.

⁶ خديجة منصوري، النصب الجنازية للأطفال بموريطانيا القيصرية خلال الفترة الرومانية، آثار الوطن العربي، العدد 4، 2003، ص 73.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

لأولبيوس هامونيوس "M. Ulpus Hammonius"¹، وهناك بعض النقائش التي ينسب فيها الابن إلى أمه، فهو في هذه الحالة ليس ابنا غير شرعي بالضرورة، وإنما يمكن يكون طفلا من للسكان المحليين التي شاع عندهم النسب على الخط الأموسي².

حاول القانون الروماني دمج الأطفال الطبيعيين (الغير شرعيين) في الأسرة وفي المجتمع، وذلك بالعديد من الطرق والقوانين، فالطريقة الأولى هي التي أقرها الإمبراطور قسطنطينوس "Constantinus" وتتم بزواج الرجل من أم أولاده الطبيعيين، فيصبح الطفل في هذه الحالة ابن شرعي ويحمل اسم والده، وفي حالة غياب أو وفاة أم الأولاد الطبيعيين فيمكن يلتمس الوالد الطبيعي أمرا إمبراطوريا يسمح له بإلحاق ابنه لكي يحمل اسمه، أو يكون الالتماس من الأطفال أنفسهم في حالة وفاة والدهم، وهي الطريقة التي أقرها الإمبراطور جوستنيان³.

3-4 التبني

شاعت ظاهرة التبني في مجتمع إفريقيا الرومانية، وكان الغاية منها هو إنشاء قدرة أبوية لشخص ما على شخص آخر وإيجاد قرابة بينهما، وهناك نوعين من التبني: النوع الأول هو المعروف ب: أدوبسيو "Adoption" وهو أن يكون الطفل المتبني متكلا، أي خاضع لسلطة أبوية، ولا يتم التبني إلا إذا وافق والده، أما النوع الثاني فهو المعروف ب: أدروغاسيو "Adrogation" وهو أن المتبني شخصا مستقلا خال من السلطة الأبوية، في صورة الأطفال اليتامى والمهجورين، ويجب أن تتوفر العديد من الشروط في المتبني والمتبني حتى تتم العملية، حيث يجب أن يكون المتبني رب أسرة حتى يمارس السلطة الأبوية على متبناه، لذا كانت النساء محرومات من هذا الحق إلى غاية فترة الإمبراطور ديوكليسيان الذي سمح لهنّ بالتبني، ويجب أن يكون هناك فرق سني واضح بين المتبني والمتبني حتى تكون العلاقة بينهما علاقة الوالد بابنه، ويشترط في المتبني أن يكون حرا وليس عبدا⁴.

¹ ILA, 21333.

² خديجة منصوري، المرجع السابق، ص 73

³ محمد محسن البرازي، المرجع السابق، ص 140-142.

⁴ محمد محسن البرازي، المرجع السابق، ص 132-134.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

توجد العديد من النقائش اللاتينية التي تدل على فعل التبني داخل الأسر في مجتمع إفريقيا الرومانية، مثل النقيشة المرقمة 12778 من الجزء الثامن من مدونة النقائش اللاتينية التي تتحدث على يوليا أولتريكس "Iulia Ultrix" التي تبنت طفلين، وذكرت نقيشة أخرى أوليبيا بوتيلولانا "Ulpai Putiolana" التي تبنت ولدا وبنتا¹، وفي حيدرة تبنت يوليا ساتيرمينا "Iulia Saturmina" بنت تسمى يوليا بريما "Iulai Prima"²، وفي المزاق تبني أليوس فيكتور "L. Aelius Victor" بنتا تسمى أيليا فورتيناتا "Aelai Fortunata"³

أشار الباحث جون ماري لاسير إلى 26 نقيشة في شمال إفريقيا تؤرخ لظاهرة التبني في مجتمع إفريقيا الرومانية (الجدول رقم 14)⁴، مما يدل على أن هذه الظاهرة كانت منتشرة بشكل معتبر وسط الأسر والعائلات، وقد أشرنا إلى خلفية هذه الظاهرة سابقا في المجتمع اللوبي القديم عندما تبني الإقليد ميكبسا ابن أخيه يوغرطة، مما يدل على أن فعل التبني لم يكن موضة رومانية خالصة.

شاعت العديد من الألقاب والنعوت في النقائش اللاتينية التي تشير إلى الأطفال المتبنين في إفريقيا الرومانية، مثل نعت ألمانوس "Alumnus" وثريبتوس "Thereptus" بمعنى الطفل المكفول أو المعال، وهناك نعوت أخرى مثل ويكاريوس "Vicarius" والذي يقصد به ذلك الطفل الذي كفله ورباه عبد، ولغويا معناه البديل، لأن العبد ليس من حقه التبني في القانون الروماني، أما نعت بروجيكتيتوس "Projectitus" فيقصد به الطفل المهجور الذي تم تبنيه وإعالتة، وهناك نعوت أخرى مثل فروجيفر "Frugifer" وبروجسكتوس "Projectus" والتي تصب في نفس المعنى⁵.

¹ CIL, VIII, 12778, 9172.

² CIL, VIII, 11575.

³ CIL, VIII, 22928.

⁴ J-M Lassère, *Vbique Populus*....., p 504.

⁵ بنت النبي مقدم، الأسرة في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني خلال العهد الروماني الإمبراطوري الأعلى (27 ق.م، 284م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، 2012-2013، ص 89-90.

جدول رقم 14: عدد حالات التبني من خلال النقائش اللاتينية

الموقع	عدد حالات التبني	المصدر
سوسة Hadrméte	2	CIL, VIII, 22928 ; 22993
هنشير Uchi Majus	1	CIL, VIII, 26272
قصرين Cillium	1	CIL, VIII, 23209
حيدرة Ammadra	1	CIL, VIII, 11576
تبسة Théveste	3	CIL, VIII, 16565 ; 16586 ; 16590
جنوب تبسة	1	CIL, VIII, 2084
تازولت Lambése	4	CIL, VIII, 2773 ; 3002 ; 3827 ; 3968
ضواحي تازولت	1	CIL, VIII, 3288
تيمقاد Thamugadi	1	Libyca, IV, 1956, p. 109, n° 20
سريانة Lamiggig	1	CIL, VIII, 4376
حمام الدراجي Bulla regia	1	CRAI, 1909, p. 58
خميسة Thubursicu Numidarum	1	CIL, VIII, 5064
مادوروش Mador	1	ILA, tome1, 2298
قسنطينة cirta	1	CIL, VIII, 7078
جميلة Cuicul	1	BCTH, 1894, p. 346
سور الغزلان Auzai	2	CIL, VIII, 9172 ; 9173
قرطاجة Carthage	3	CIL, VIII, 12778 ; 12878 ; 24687

J.M Lassère, op-cit, p 504

تساءل الباحثون عن سبب انتشار ظاهرة التبني بكثرة وسط الأسر في مجتمع إفريقيا الرومانية، وعن الأسباب التي تدفع الأسر إلى اللجوء إلى تبني وإلى كفالة طفل ما ؟، وقد اتفق أغلبهم إلى أن السبب هو انتشار ظاهرة التخلي والإعراض عن الأطفال في المجتمع نفسه، فعادة ما يتم التكفل بالأطفال الذين يوجدون مرميين في الشارع، حيث تضطر الأسر التي تجدهم إلى إعالتهم وتبنيهم، فكلما زاد الأطفال المهجورين زاد عدد الأطفال المتبنين¹، والسبب الثاني هو سبب طبيعي، حيث تضطر الأسرة التي لا تتجب أطفالا إلى تبنيهم، حيث يتمكن الشخص العاقر من تخليد اسم أسرته وإبقاء المذهب العائلي الذي يحمله الطفل المتبني،

¹ J-M Lassère, Vbique Populus....., p 503-504.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

حيث يرث الاسم والمال والدين، وهو الأمر السائد في أغلب الحضارات عبر مختلف العصور.

لكن هذا لا يعني أن الأسر التي لديها أطفالا شرعيين لا تقوم بتبني أطفالا آخرين، فعلى العكس من ذلك توجد العديد من الأسر في إفريقيا الرومانية قامت بتبني أطفالا صغار رغم أنها قد أنجبت قبلهم آخرين، فغالبا ما يُتخذ الطّفل المكفول في هذه الحالة من أجل اللعب به واللّهو معه وتدليله حتى يضيف نوع من الحيوية والبهجة في البيت. وهناك فوائد أخرى للتبني قد تكون سياسية أو اجتماعية، حيث يستطيع الطّفل أن يكتسب حقوق المواطنة إذا كان متبنيه يملكها، ويمكنه كذلك أن ينتقل من طبقة إلى طبقة أخرى إذا كان متبنيه من هذه الطبقة، كأن ينتقل من الطبقة الوسطى إلى البقة الأرستقراطية¹.

شجّع رجال الكنيسة على تبني الأطفال اليتامى والفقراء من المسيحيين والأطفال الذين تم التخلي عنهم من أبناء الوثنيين، وقد أصدر الإمبراطور قسطنطينوس مرسوما سنة 331م يحرم الأولياء من حقهم في استرجاع أبنائهم من كافليهم متى شاءوا، وأعطى الحق للمتبني بالاحتفاظ بالطّفل واتخاذ كاهن أو كعبد².

5- الطّفل والمعتقد:

كان للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية مكانة وحيزا في الحياة العقائدية والدينية آنذاك، سواء في الفترة الوثنية أو في فترة بروز وانتشار الدين المسيحي في المنطقة.

1-5 في المعتقد الوثني

كان الطّفل حين يولد في الأسرة في مجتمع إفريقيا الرومانية يوضع تحت أقدام أبيه فإما يرفعه من الأرض ويصبح فردا من الأسرة، وإما يعرض عنه ويرمى في الشارع، وتقام الاحتفالات في البيت في حالة ما أعترف الأب بابنه³، وفي اليوم التاسع من ولادته يلقب باسم

¹ محمد محسن البرازي، المرجع السابق، ص 131.

² بنت النبي مقدم، المرجع السابق، ص 90.

³ يشترك في هذا الحفل جميع أفراد الأسرة والأقارب ويتضمن هذا الاحتفال طقوس دينية معينة، حيث تضرم النار في المذبح الخاص بالمعبد، وتوضع أكاليل من الزهور عند باب المعبد، وتقدم الأضاحي على شرف المولود الجديد. أنظر:

B. Rawson, op-cit, p 134-135.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

يحمله طول حياته، ويطهر إما في البيت أو في المعبد ويسمى هذا اليوم بيوم التطهير "dies lustricus"، وعادة ما تقدم أضحية للمعبد على شرف المولود الجديد¹.

سادت جملة من الاعتقادات التي تخص فئة الأطفال وسط المجتمع في جل المقاطعات الرومانية خلال العصر الإمبراطوري، حيث اعتقدوا أن الإفراط في العطف على الأطفال يجعلهم ضعاف الشخصية، لذا كانوا يقومون بغسلهم في الحمام بالماء البارد ضناً منهم أنه يزيد في رجولتهم، وعادة ما يضع الأطفال على أعناقهم تميمة تدعى بـ: "Bulla"، وهي عبارة عن حقيبة جلدية صغيرة جداً مليئة بالتمائم، ترافق الطفل منذ ولادته لاعتقادهم أنها تقيه من الأمراض والأضرار والأرواح الشريرة، وكان الأطفال يمنعون من الأكل وهم في وضعية الاستلقاء، ويمنعون أيضاً من النوم الكثير بداية من سن السادسة أو السابعة، ضناً منهم أن النوم الكثير يؤثر في شخصية الطفل ويعطل نومه، ويتربى أطفال الأسياد رفقة أطفال العبيد وقد يرضعون من ثدي واحد، وبالتالي يكون العبد حين يكبر أكثر وفاء لسيده ويصعب عليه تركه أو خيانتته².

كشفت الأبحاث الأثرية في شمال إفريقيا أن الأطفال كانوا يرتدون العديد من التمام ذات الطابع السحري، ضناً منهم أنها تحميهم من الأمراض والأذى والشرور، وتختلف أشكال هذه التمام المعدنية، فهناك منها من تحمل شكل هلال وهي خاصة بالبنات، وهناك من تشبه الأجراس الصغيرة أو القرون المستديرة وهي خاصة بالصبيان³، وأكّد بلين الكبير أن التميمة الخاصة بالأطفال الأكثر شهرة في روما هي التميمة الذهبية، وهي خاصة بأبناء الأغنياء فقط وذلك غلاء ثمنها⁴.

استعملت الميثولوجيا الرومانية في شمال إفريقيا صورة الطفل الصغير للتعبير على بعض الأفكار الدينية الوثنية، ولتجسيد بعض شخصيات الآلهة والمعبودات، فقد صور الإله إيروس "Eros" رب الحب والمودة في صورة طفل مجنح ممتلئ الجسم لا يتجاوز الثماني

¹ G.S Aldrete, op-cit, P 55-57.

² خاشة السعيد، الأسرة وطقوس الزواج وتعليم الأطفال في الفترة الرومانية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، عدد 11، 2017، ص-ص 57-68، ص 60-61.

³ V. Dasen, op-cit, p 311.

⁴ Plinie L'Ancien, 33.10.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

سنوات، تعلوا محياه نضرة هادئة وذكية وهو مكلل بالورود، ويحمل قوسا وجعبة مليئة بالسهام، وقد صور في العديد من الوضعيات، فأحيانا صور وهو يقود عربة أو يمتطي أسدا أو نمرا أو دلفينا، ويحمل الإله إيروس العديد من الأسماء في قاموس الميثولوجيا الرومانية مثل كوبيدون "Cupidon" أو أمور "Amor"، ويدعى أيضا بالملاك الصغير أو الجني الصغير وهو رمز الحب والوسيط بين العشاق¹.

صوّرت هذه الشخصية في مشاهد متنوعة من الفن الروماني في شمال إفريقيا سواء في النّصب أو في لوحات الفسيفساء أو في تلك التماثيل الرخامية المنحوتة، حيث تناولت الميثولوجيا الرومانية في مختلف مراحل الطفولة بدءاً بالرضيع المجنح العاري ذو الوجنتين إلى الطفل الصغير إلى الطفل المراهق، وصُور الأطفال المجنحون مع مختلف الآلهة خاصة مع الإله باخوس وهي تقطف العنب وتملاً السلال، ويظهرون أيضا مع الإله ديونيزوس² وهم يلعبون دور الوسيط بين هذا الإله وعشيقتة.

يظهرون أيضا على توابيت الأطفال ويرافقون الميت إلى الحياة الأخرى، وقد حاول المؤرخون البحث عن تفسير لرمزية صورة الطفل وعلاقتها مع هذه الآلهة، حيث اعتبر الباحث كومان أن الأجنحة التي تظهر على ظهورهم هي علامة تأليههم واعتبرهم كأحسن مثال لتجسيد الأرواح السعيدة ولتكليفها بالمهمات البريئة والمرحة، لأن شخصية الطفل في الواقع خالية من الأحقاد والأمور السيئة وأحسن شخصية يمكن أن تحمل لواء الحب والسعادة في الأساطير الرومانية³.

تُعج شمال إفريقيا بلوحات الفسيفساء التي تصور الأطفال المجنحون، مثل اللوحة المعروضة في متحف عنابة، التي تصور مجموعة من الأطفال الصغار قاطفي العنب وسط أغصان الدالية، وتجسد هذه اللوحة الإله باخوس (شكل رقم 28-ب)، ويظهر الطفل المجنح مرة أخرى في فسيفساء انتصار باخوس المعروضة في متحف سوسة بتونس (شكل رقم 28-ج)، حيث يظهر الطفل عارياً ومكلاً بالورود، ويمتطي أسدا ويمسك بيده آلة تشبه المنجل

¹ F. Cumont, Recherches sur le symbolisme funéraire des Romains, Paris, 1942, p 343.

² ديونيزوس: رب النباتات والعنب ومانح نشوة الهذيان، من أصل إغريقي ويطابق من حيث الوظيفة باخوس الروماني.

³ F. Cumont, op-cit, p 347.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

وفي يده الأخرى كأساً، وهو يرافق موكب الآلهة باخوس الذي يضم مجموعة من النمر وبعض الشخصيات البشرية.

صوّر زوج من الأطفال المجنحون على واجهة تابوت الطّفّل المعروض في متحف الآثار القديمة في الجزائر العاصمة، ويتوسطهما صورة الطّفّل المتوفي (أنظر الشكل رقم 35)، وتوحي الصورة أن الطّفّلان المجنحان يرافقان الميت إلى العالم الآخر في صبغة جنائزية بحتة، ويظهر الأطفال المجنحون أيضاً في إحدى النصب المعروضة في متحف تيمقاد (صورة رقم 28-أ)، حيث يظهر طفلان مجنحان في أعلى النصب عاريان تماماً ويمتطيان دلفينين، رفقة مجموعة من الشخصيات البشرية والحيوانية (امراة، أطفال، خروف، ثعبان)، حيث يعبر المشهد ككل عن طقس التضحية لأحد الآلهة، ويلعب الطّفّلان المجنحان دور الوسيط في هذه العملية، ويرمز الدلفين في العادة إلى الحب والتسامح ويتناسب تماماً مع أوصاف الطّفّل¹.

شكل رقم 28: صورة الأطفال المجنحون على مختلف المصادر المادية



ب- فسيفساء متحف غنابة (تصوير الباحث)



أ- نصب متحف تيمقاد (تصوير الباحث)



ج- فسيفساء متحف سوسة عبر موقع: <https://g.co/kgs/g7JVSU>

¹ F. Cumont, op-cit, p 347.

2-5 في المعتقد المسيحي

بمجرد أن يولد الطّفل في الأسرة المسيحية يقوم القس بزيارتها في البيت، ليشاركها فرحة المولود الجديد، ويصلي للطفل ولأمه وبياركهما، ويسجل اسمه ويدعوا لأن يكون هذا الاسم محفوظا في كتاب الحياة، ويأخذ موعدا للعماد الذي يكون في الكنيسة، حيث تأتي الأسرة بطفلها وتقام مجموعة من الطقوس الخاصة بسر المعمودية، حيث تبدأ بتلاوة مجموعة من الصلوات التي تتضمن صلاة الشكر، والصلاة من أجل الأم ومن أجل الطّفل، والصلاة من أجل إعلان الإيمان، ثم يدهن المولود بالزيت ضنا منهم أن هذه المادة مقدسة وتطرد الأرواح الشريرة، ثم يحضر حوض التعميد الذي يملأ بالمياه ويقرأ القس مجموعة من الصلوات على المياه من أجل أن تصبح مقدسة، ثم يتسلم الكاهن الطّفل من اليسار ويغسله ثلاث مرات ويقرأ الكاهن فصولا معينة من العهد القديم اختصت بطقس المعمودية، ثم يلبس الطّفل ملابس بيضاء، ويختتم الطقس بمجموعة من الدعوات والصلوات¹.

كان طقس المعمودية والتطهير يمارس على الأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية، على غرار كل المناطق التي انتشرت فيهم الديانة المسيحية، وقد خلفت الآثار المعمارية في شمال إفريقيا نماذجاً من بيوت التعميد التي كان يمارس فيها هذا الطقس، وهي مباني منعزلة تبنى بالقرب البازيليكا في الأحياء الكنسية، ومن أشهر هذه النماذج نذكر بيت التعميد في مدينة كويكول الذي يقع غرب البازليكا الشمالية، شكله رفقة ملحقاته هو رباعي الأضلاع غير منتظم، طوله حوالي 23 م وعرضه حوالي 20 م، به أربعة أبواب ورواق دائري وغرفة دائرية مركزية تعلوها قبة صغيرة، ويتوسط هذه الغرفة حوض التعميد الذي يبلغ عمقه حوالي 0.73 م وينزل إليه بدرجتين وهو مغطى تماماً بالفسيفساء². (شكل رقم 29)

أشار القديس أوغسطينوس إلى طقس التعميد وفضله الكبير على حياة الطّفل، حيث قال: "عندما كنت صبيا أصبت بحمى شديدة وانقباض في المعدة وكدت أموت وأنا صغيراً، لذا كانت أُمي المؤمنة تهتم كثيراً بأن ألقن في أقرب وقت السر الشافي وأن أتطهر وأنا معترف

¹ متى المسكين، المعمودية الأصول الأولى للمسيحية، ط1، مطبعة دير القديس أنبا مقار، القاهرة، 2000، ص 169-170
² عيد عبد الحق، المجمع الكنسي بكويكول - جميلة - دراسة فنية معمارية، أطروحة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2014-2015، ص 34

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

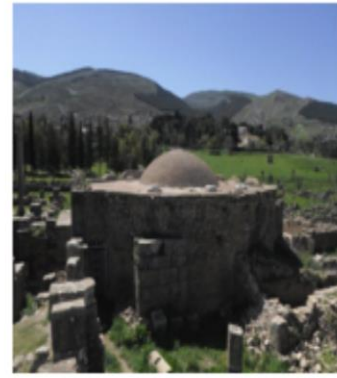
بك، مولاي اليسوع للتكفير عن الذنوب، فإذا بكربي ينفرج فجأة، ولهذا قاموا بتأخير بتطهيري، كأنه كان ضروريا أن أنجس من جديد وأعود إلى الحياة، لأنني لو عمدت في حينها لوقعت بعدها في أحوال الذنوب، ولكانت مسؤوليتي أكبر وأخطر.¹

شكل رقم 29: بيت وحوض التعميد في مدينة كويكول

ب-حوض التعميد



أ-بيت التعميد



المصدر: عيد عبد الحق، المرجع السابق، ص 177-179.

أشار القديس أوغسطينوس إلى قضية الفساد المتأصل في النفس البشرية جراء الخطيئة الأولى، وتظهر هذه الميول الشريرة حسبه منذ أن يكون الانسان طفلا صغيرا، لذا قال: " من يذكرني بخطيئة طفولتي، بما أنه لا أحد منزّه عن الخطيئة أمامك، حتى الطّفل الذي لم يعيش على وجه الأرض إلا يوما واحدا..".

بدأ يشرح تلك الشرور الغريزية التي تسكن روح الطّفل، مثل إصراره بالدموع والبكاء على طلب حليب أمه وإصراره على بعض النزوات التي قد تكون في بعض الأحيان ضارة له، فلو كان هذا الإصرار في غير سنه لوبخ توبيخا كبيرا، وأكد أن الطّفل الصغير لا يطبق أن يشاركه أحد في أمه وفي غذائه، وقال أيضا: " وهكذا فإن براء الأطفال تكمن في

¹ S. Augustin, Les Confessios, XI.17.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

أعضائهم الضعيفة أما أرواحهم فآتمة، رأيت مرة صبيا حسودا وتمعننت فيه، كان لم ينطق بعد، وكان شاحب اللون يحدق بمرارة في أخيه من الرضاعة"¹.

حاول آباء الكنيسة في شمال إفريقيا الدفاع على فئة الأطفال ضد تصرفات الوثنيين وتعاملهم مع الصغار، خاصة ضد ظاهرة ترك الأطفال في الشارع والإعراض عنهم وبيعهم، وكذلك ضد ظاهرة قتل الأطفال سواء بعمليات الإجهاض أو قتلهم عندما يولدوا خوفا من الفقر أو من صعوبة إعالتهم، كما حاربوا العلاقات الغير الشرعية الشائعة آنذاك التي تشجع على الإجهاض وقتل الأطفال، وفي نفس الوقت تخلف أطفال مجهولي النسب يصعب اندماجهم في المجتمع، كما شجع آباء الكنيسة على بعض المظاهر الحسنة مثل التبني وإعالة الأطفال المتروكين في الشارع، وكذلك شجعوا الأسر على انتهاج التربية السليمة المبنية على أسس الدين المسيحي².

6- القانون والطفل

حدّد القانون الروماني وضعية الأطفال عند الولادة بين أن يكونوا أحرارا أو عبيدا، حيث يأخذ كل طفل مولود من علاقة شرعية بين مواطنين رومانيين وضعية أبيه أثناء الحمل حتى لو دخلت أمه في العبودية أثناء الوضع، ونفس الشيء إذا كانت أمه جارية وبعد ذلك عتقت، أما إذا ولد الطفل من علاقة زواج بين مواطنين غير رمانيين فإن الطفل يتبع وضعية أمه، فإذا كانت عبدة فهو بالضرورة يولد عبدا، وإذا كانت حرة ووقعت في العبودية قبل الوضع فالطفل يولد عبدا بالضرورة، أما إذا كانت تحصلت على حريتها قبل الوضع فالطفل يولد حرا حتى ولم يعرف أبوه.

وهناك حالات أخرى يسقط فيها الطفل في العبودية مثل المولود الذي يكون عبر علاقة بين مواطنة رومانية وعبد بدون علم سيده، حيث أن المرأة تبقى حرة والطفل يولد عبدا ويتبع سيد والده، أما العلاقة التي تكون بين رجل حر وجارية كان يضمن أنها حرة، في هذه الحالة يولد الأطفال ذكور أحرار وإناث يصبحن ملكاً لسيد الجارية، وهناك حالة أخرى قد يصبح

¹ S. Augustin, Les Confessions, VII, 11.

² J.M Lassère, Vbique Populus....., p 503-506.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

فيها الطّفل الحر عبدا وهي أن يقوم الأب ببيعه، كما يمكنه رده إلى سلطته في حالة عتقه مرتين متتاليتين ليفقد سلطته عليه في المرة الثالثة¹.

قسّم القانون الروماني الأطفال إلى ثلاث أصناف في بعض المسائل المتعلقة بالوصاية، الصنف الأول هم الأطفال "infants" وهم الصغار عاجزين عن الكلام، أما الصنف الثاني فهم الصبيان: "infant ia proximi" الذين تجاوزوا المرحلة الأولى وأصبحوا قادرين على الكلام لكن دون أن يدركوا ما يقولون، أما الصنف الثالث والآخر فهم الغلمان المراهقون الذين قاربوا مرحلة البلوغ وصاروا يفقهون ما يقولون ويفعلون².

أعطى القانون الروماني بعض الاهتمام لمناقشة وتحديد الأعمار التي يمكن فيها اعتبار الطّفل مسؤولا اجتماعيا وأخلاقيا، فالطّفل الذي بلغ أول عيد ميلاد له مؤهل للحصول على امتيازات قانونية مختلفة: على سبيل المثال طلب الحصول على الجنسية الرومانية الكاملة. وتبدأ المسؤولية العسكرية في سن السابعة عشر بالنسبة للذكور، وتبدأ المسؤولية الاقتصادية في منتصف العشرينات، وتحت سن الرابعة عشر يعتبر الطّفل عاجز عسكريا واقتصاديا، لكن لديه مسؤولية أخلاقية واجتماعية على الأقل³.

تمكننا النّصب الرومانية المتواجدة في شمال إفريقيا من معرفة العديد من المعطيات المدنية والاجتماعية التي تخص فئة الأطفال، فمن خلال الاسم المذكور في النقيشة يمكن التمييز بين الأطفال الذين ينتمون إلى فئة الأحرار ويتمتعون بالمواطنة الرومانية، من خلال الاسم العائلي "gentilis" أو من خلال الاسم الثنائي للأب⁴، مثل سيتيوس فليكس C. Sitius Felix الذي توفي وعمره 13 سنة وثمانية أشهر في مدينة تيبازة⁵، أو إفيليا ستيكابيا Ivlai Sticapai التي توفيت في العاشرة من عمرها في مدينة هيبون⁶، ويمكن تمييز الأطفال الذين هم في نظر القانون الروماني أجناب "Peregrini" وهم الذين يحملون الاسم الأحادي مع

¹ C.A Pllat, Institutes de Gaius, tome 1, Thorel, Libraire, Successeure d'Alex Gobelet, Paris, 1844, p31-41.

² محمد محسن البرازي، المرجع السابق، ص 148.

³ B. Rawson, op-cit, p136.

⁴ خديجة منصوري، المرجع السابق، ص 72

⁵ I L A, 2023.

⁶ I L A, 372.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

الإشارة إلى نسبهم¹، مثل نامفامو "Namphamo" من سور الغزلان²، وجيتوليكوس "Gaetulicus" من رابديوم³، وآتم "Atm" من القيصرية⁴.

كان قانون الألواح 12⁵ يعطي الحق للأب في قتل ابنه أو بيعه أو رميه إذا ثبت أنه كان نتيجة علاقة غير شرعية، كما يفرض القانون نفسه على الآباء المعترفين بأبنائهم توفير كل ما يحتاجونه من مأكّل وملبس وعلاج، كما كان من واجباتهم السهر على تعليمهم والمساهمة في تربيتهم وتقويم سلوكهم⁶.

كان قانون فابيا يفرض غرامات مالية كبيرة على كل من يرتكب جريمة خطف الأحرار وبيعهم خاصة الأطفال منهم، وفي سنة 316 م أصدر الإمبراطور قسطنطينوس قانون ينص على عقوبة المؤبد مع الأشغال الشاقة في المناجم حتى الموت، أو رميهم أمام الحيوانات المفترسة إذا كان مرتكبي هذه الجريمة من العبيد وأضاف أن كل شخص يخطف حراً وهو يعلم بأصله فإنه يحكم عليه بالموت قتلاً بالسيف⁷.

7- الأطفال والهبات المالية

أثبتت النقائش اللاتينية في بلاد المغرب وجود الهبات المالية "Evergesies"⁸ التي كانت تخصص لفائدة الأطفال من الجنسين، من قبل بعض الشخصيات المرموقة أو من قبل بعض الجمعيات، وكان هدف هذه الجهات من وراء تقديم الهبات المالية هو كسب احترام وحب الناس من جهة، واعتلاء المراكز السياسية من جهة أخرى، وقد اعتمدتها الإمبراطورية الرومانية من أجل تحريك القطاع الاقتصادي ودعم الفئات الهشة في المجتمع، ومن أشهر

¹ J.M Lassère, Vbique Populus....., p 498.

² CIL, VIII, 9146.

³ CIL, VIII, 9208.

⁴ CIL, VIII, 9442.

⁵ قانون الألواح الاثني عشر: صدر القانون سنة 452 ق م في روما من قبل هيئة مكونة من عشرة حكام يعرفون ب: ديسمفير "decemvirs"، حيث وضعوا مشروعاً متضمناً مجموعة من المواد القانونية مدونة على عشرة ألواح خشبية. لمزيد من المعلومات أنظر: محمد محسن البرازي، المرجع السابق، 26-28.

⁶ بنت النبي مقدم، المرجع السابق، ص 70.

⁷ المرجع نفسه، ص 86.

⁸ Evergesies : أطلق هذا المصطلح في القرن العشرين من قبل المؤرخ "A. Boulanger"، الذي أكد أن أصل هذه الكلمة هو إغريقي، ومشتقة من الكلمة الإغريقية "Euergeteo"، ومعناها هو الذي يقوم بالخير، وهي أي هبة تعطى للمجتمع بشكل عام، قد تكون مواد غذائية أو أموال، أو بناء مباني ومنشآت ذات طابع اجتماعي واقتصادي. للمزيد من المعلومات أنظر: جهيدة مهنتل، الهبات المالية -Evergesies- في النظام المحلي لمدن المغرب القديم من خلال النقائش، مجلة دراسات أثرية، مجلد 12، عدد 1، 2015، ص 95-105.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

النقائش اللاتينية في بلاد المغرب التي تؤرخ لظاهرة الهبات المالية لفائدة الأطفال هي النقيشة التي وجدت في مدينة الكاف بتونس، ويتعلق الأمر بمؤسسة خاصة في شكل جمعية تعهد مؤسسها بالاعتناء بـ 300 طفل و200 فتاة صغيرة¹.

نص النقيشة²:

P. Licinio M. f. Quir (in tribu) / Papiriano
procur (atori) / Augg (ustorum) Imp (eratoris) Caes (aris) M. Aureli / Antonini Aug (usti)
Germanic (i) / Sarmatic maximi. P (atris) P (atriae). et divi Veri a
rationibus cui / splendidissimus ordo Siccen / sium obmeritaeius et cur (am)
Municipibus meis Cirthensibus / Siccensibus carissimis mihi dare / volo
sestersium MCCC (milia) carissimifidei committo / minicipes carissimi. ut ex
usiris / ei us summae quincubus quonda / nis alantur pueri CCC et
puellae CC. pueri (s) / ab annis tribus ad annos XV et
accipiant / singuli pueri / (denarios) III s (emis) menstruos puellae / ab annis tribus ad
annos XIII / (denarios) III Legi / autem debent municipes item
in / colae. dumtaxat incolae qui
intra / continenti coloniae nostrae /ae / difficiam orabuntur ; quos si vo / bis videbitur
optimum erit per / duos viros cuiusque annu legi. Cura / ri autem oportet ut in locum
ad / ultiveldemortui cuiusque stas / tims substituat. Ut semper ple / nus numerus
alatur

ترجمة النقيشة:

إلى بيليوسل كنيوس بابريانوس ابن ماركوس من قبيلة كويرينا المفوض المالي للإمبراطورين الاغسطيين الإمبراطور قيصر أغسطس ماركوس أورالي وسانطنينوس إلى أغسطس المنتصر على الجرمانيين المنتصر الكبير على السمارتيين أب الوطن والمقدس فيروس له المجلس المحلي الرائع جدا لسكان سيكا نظرا لفضائله وللعناية...

¹ جريدة مهنتل، المرجع السابق، ص 98.

² CIL, VIII, 1641.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

إلى مواطني كرتا سيكا أريد أن أهب مليون و3 مائة ألف سسترس، أوكل لكم مواطني الأعراء مهمة الاعتناء مع فائدة 5 في المائة لهذا المبلغ ب 300 طفل و200 فتاة. بالنسبة للأطفال من سن 3 إلى السن 15، سيحصلون يوميا على دونيين ونصف. بالنسبة للفتيات من سن 3 إلى سن 13، ستحصلن على دونيين. يجب أن يختار مواطنين يسكنون داخل أحياء مستعمرتنا. الأحسن إذا كنتم موافقين على أن يختاروا من طرف الحكام الثنائيين كل سنة. وأن تحرصوا عند بلوغ أو موت هؤلاء الأطفال أن تستبدلوهم بآخرين.

تؤرخ النقيشة ما بين سنة 175م و180م، حيث خصص صاحبها قيمة مالية كبيرة قدرت ب مليون و3 مائة ألف سسترس، وخصص 5 بالمئة من هذا المبلغ للاعتناء بالأطفال في مدينة الكاف من الجنسين أي ما يقارب 65 ألف سسترس، وهي قيمة كافية لتكاليف تزويدهم بالغذاء، ونلاحظ أن الواهب فصل بين الجنسين وحدد السن والعدد بالتحديد، حيث وهب دونيين ونصف للطفل الذكر الذي يكون عمره من 3 إلى 15 سنة، ودونيين فقط بالنسبة للفتاة التي يكون عمرها ما بين 3 إلى 13 سنة، وربما حدد هذا السن بالتحديد لأن الفتيات في العادة يبلغن قبل الذكور ويتزوجن مبكرا، وتبقى هذه الهبة سارية حتى يبلغ هؤلاء الأطفال ويستبدلون بأطفال آخرين من نفس المستعمرة¹.

تظهر هذه النقيشة من جهة أخرى عن مكانة فئة الأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية، حيث تعتبر من الفئات الهشة العاجزة التي تحتاج إلى الدعم بالمال والغذاء، لذا وجهت لها هذه الهبات التي تحمل صبغة اجتماعية وإنسانية بحتة، حتى ولو كانت خلفياتها اقتصادية وسياسية.

8- الجانب المظلم من حياة الأطفال

تعرضت فئة الأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية للعديد من المظاهر والسلوكيات السلبية من طرف الأسرة والمجتمع، مما أثر سلبا على تنشئتهم الاجتماعية وانعكس على سلوكياتهم طوال فترة حياتهم، وتبدأ هذه الممارسات منذ يكون الطفل جنينا في رحم أمه وتستمر بعد الولادة، ومن بين هذه الممارسات نذكر:

¹ جريدة مهنتل، المرجع السابق، ص 97-98.

1-8 منع الحمل والإجهاض

كانت النسوة في إفريقيا الرومانية يلجأن إلى العديد من الطرق لتنظيم ولادتهنّ، وذلك من أجل الحفاظ على جمالهنّ ورشاقة أجسادهنّ، نظرا للتغيرات الفيزيولوجية التي تطرأ على جسد المرأة أثناء فترة الحمل وبعد الولادة، ومن بين هذه الطرق هي تناول عقاقير منع الحمل، حيث تكلم بلين الصغير عن مادة النينوفار "Nénuphar" اللاتي تتناولها النسوة من أجل كبح الشهوة الجنسية لمدة أربعين يوما¹، وهناك أعشاب أخرى مستخلصة من نباتات مختلفة تحول دون وقوع الحمل، وقد أشارت الباحثة نصيرة بن صديق إلى عمليات جراحية قام بها الرومان لسد عنق الرحم بواسطة أدوات معدنية دقيقة²، أما القديس أوغسطينوس فقد انتقد استعمال المرأة لموانع الحمل بمختلف أنواعها واعتبرها سموما تقضي على تكاثر النسل التي أمرت به تعاليم الديانة المسيحية³.

تلجأ النسوة لعمليات الإجهاض في حالة وقوع الحمل الغير مرغوب فيه، وقد شاعت هذه الظاهرة في الإمبراطورية الرومانية بصفة خاصة، فقد ذكر الشاعر الروماني أوفيد أن أكثر النساء الثريات في زمنه كنّ يلجأن للإجهاض من أجل الحفاظ على جمالهنّ⁴، وقد ورد الحديث عن وصفات طبيعية استعملت للتخلص من الجنين، أو باستعمال وسائل أخرى مثل المنظار المهبل "Vaginal Spealum" الذي اكتشفه علماء الآثار في أحد المواقع الأثرية⁵.

أشار خطيب روما كيكرو "Cicéron" إلى هذه العادة اللاأخلاقية التي كانت نساء الإمبراطورية يفعلنها، ويؤكد لاسير ذلك نقلا عن المؤرخ سورانوس "Soranos" الذي يشير أن النساء كنّ يتناولن العقاقير ويذهبن إلى الأمور السحرية من أجل منع حملهنّ، ولم يكن القانون الروماني في البداية يدين هذه الممارسات باستثناء بعض التحفظات في المادة 12 من قانون "Lex regia" الذي جعلها مسألة شخصية عائلية فقط⁶، وكان لعمليات الإجهاض تداعيات خطيرة على النساء اللاتي قمن بها، حيث سجلت النقائش معدلا كبيرا من النسوة

¹ Pline L'ancien, XXVI.

² N. Benseddik, être femme dans....., p 131.

³ S. Augustin, Les Confessions, II, 3.

⁴ Ovide, les Fastes, 3, Texte établi et traduit et commenté P. Schilling, les belles lettres, 1993.

⁵ N. Benseddik, être femme dans....., p 131

⁶ J.M Lassère, Vbique Populus....., p 502.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

اللاتي متن وهنّ صغار في السنّ، ولعل ظاهرة الإجهاض هي أحد الأسباب الرئيسة للوفيات.

كانت وفيات النساء الحوامل وأثناء فترة الولادة مرتفعة جدا في مجتمع إفريقيا الرومانية، أي بين سن 14 – 49 سنة، هذه السنّ التي بإمكان المرأة فيها الإنجاب، حيث أحصى لاسير 2163 امرأة توفيت فيها هذا السنّ من مجموع 5139 امرأة في المجموع العام، أي بنسبة 42 %، وهو معدل مرتفع جداً، وقد أرجع الباحثون هذا إلى مضاعفات الحمل والولادة، ولعمليات الإجهاض المتكررة، ونقص الموارد الصحية لمكافحة الأمراض التي تصيب الحوامل، وقد ذكرت مادة في "Lex Regia" تقيد ضرورة إقامة عملية قيصرية على المرأة الحامل التي توفيت أثناء الولادة لاستخراج الطّفل إذا كان مازال حي¹.

أما في شمال إفريقيا فقد ندد أباء الكنيسة بهذه العادة المشينة التي يمارسها الوثنيون، إذ أظهر ترتليانوس غضبه إزاء هذه العادة في قرطاجة في بداية القرن الثالث ميلادي، حيث قال: "... أما بالنسبة لنا، فإن القتل ممنوع مرة واحدة ولأبد، فلا يجوز لنا أن نقتل الطّفل في رحم أمه، لأن الانسان يبدأ منذ أن يسري الدم في عروقه، إن منع الولادة تعد جريمة عمدية سواء قتل قبل أو عند ولادته..."²، ويقول في موضع آخر: " تعرف القابلات فقط عدد الأطفال الموتى، الذين يقتلون خوفا من فضيحة الزنا"³، وأشار في فقرة أخرى إلى الأداة التي كانت تستعمل لقتل الطّفل وهو في رحم أمه: " هناك أيضا إبرة نحاسية تستخدم لقتل الجنين سرا وهو في رحم أمه، ويطلق على هذه الأداة اسم الجنين لأن وظيفتها الوحيدة هي قتل الأطفال، وبالتالي فإنها جريمة كون أن الجنين حي وتم قتله عمدا"⁴.

نقل الباحث جون ماري لاسير عن المؤرخ أكتويس "Octavius" قولاً يشنع فيه هذا المؤرخ العادة التي تقضي بقتل الأجنة قبل موتهم: "هناك نساء يتعاطين المخدرات من أجل قتل الأجنة في أرحامهنّ، وبالتالي فهي جريمة قتل ما قبل الولادة"⁵، لذا فكل هذه الفقرات

¹ J.M Lassère, Vbique Populus....., p 561.

² Tertullian, Apology, IX, 8, texte établi et traduit par J.P Waltzing, avec la collaboration de Severyns, 2eme édition, les belles lettres, Paris, 1961.

³ Tertullian, De Pudicitia, 5, trad : E.A de Genoude, paris, 1852.

⁴ Tertullian, De Anima, 25, trad : E.A de Genoude, paris, 1852.

⁵ J.M Lassère, Vbique Populus....., p 503.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

تؤكد وجود ظاهرة الإجهاض في إفريقيا الرومانية، إذ كان الوثنيون يقومون بها وندد بها أباء الكنيسة.

8-2 ترك الأطفال

شاعت ظاهرة أخرى في إفريقيا الرومانية وهي ظاهرة التخلي على الأطفال الرضع مباشرة بعد ولادتهم خوفا من التعرض لفضيحة الزنا، أو لعدم القدرة على إعالتهم، حيث يترك في زاوية ما في الشارع، فيكون مصيره إما الموت من شدة البرد والجوع، حتى أن هناك من الباحثين من جعلها سببا رئيسيا في ارتفاع نسبة الوفيات في فئة الرضع، وإما يكون مصيره الوقوع في يد تجار العبيد، وفي أفضل الأحوال تقوم إحدى الأسر اللاتي لم تنجب أطفالا من تربيته.

اختص هؤلاء الأطفال بكنى معينة أشهرها: ستركوروزيوس "Stercorosus"¹، ستركوربيوس "Stercorius"²، ستركولوس "Sterculus"³، ستركيوس "Sterceius"⁴، وهي كنى ساخرة ومشينة تعني ذلك الشخص الحقير، الأقل قيمة، كرية الرائحة، ووردت هذه الكنى في العديد من النقائش في سيرتا وقرطاج وسطيف وقيصرية.

يسمح قانون "قوة الأب" "La Patria Potestas"⁵ للأب الروماني الذي يملك حقوق المواطنة أن يتخلى عن ابنه عند الولادة، وليس مفروضا عليه تماما تربيته ورعايته ويمكنه تركه في الشارع أو بيعه أو حتى قتله دون أن يتعرض إلى مسائلة قانونية. وفي قانون الألواح الاثني عشر يحق الأب أن يتخلى على ابنه إذا ولد معوقا أو مشوها⁶.

¹ Stercorosus: CIL 21151, 21316, 26292; ILA 2, 899.

² Stercorius: CIL 14862.

³ Sterculus: CIL, 3404, 4119, 7791, 19640; ILA 2, 2228.

⁴ Sterceius: CIL, 24822, 2557, 19838; ILA 2, 2261, 2969.

⁵ سلطة الأب: هي سلطة يمارسها الأب على زوجته وأولاده فقد كان هو المسؤول الأول عليهم وهو الذي يقرر مصيرهم، وفي المقابل كان عليه واجب الحماية والرعاية وتأمين الحاجيات المعيشية.

⁶ A. Allély, « L'exposition des petites filles à Rome sous la République et sous le Principat », Annales de Bretagne et des Pays de l'Ouest, tome 124, no 3, 2017, p 52-53. p-p 49-64.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

أشار المؤرخ جون بوسويل "J. Boswell" إلى أن ظاهرة التخلي عن الأطفال الصغار عند الأسر الرومانية كان وسيلة فعالة للتنظيم الديموغرافي في المجتمع الروماني القديم، وذلك بالحد من اتساع عدد أفراد العائلات، وهو أفضل بكثير من قتلهم عند ولادتهم¹.

كانت ظاهرة التخلي على الأطفال موضوعا لأغلب الأعمال الأدبية المسرحية والكوميديا الرومانية، فقد تكررت قصة الطّفل الذي تم العثور عليه أو الفتاة التي تخلت عليها عائلتها، فقد ذكر تيرانس "Terene" في إحدى مسرحياته شخصية سوستارتا "Sostarta" الذي قال لزوجها: " هل تذكر عندما كنت حاملا وأخبرتني بأنها إذا كان في بطني أنثى فإنها لن تتربى بيننا"²، وذكر أبوليوس في كتابه التحولات الرّجل الذي ذهب مع زوجته في رحلة وقال لها: " إذا كانت ثمرة بطنك تنتمي إلى الجنس الضعيف فإنها سوف تقتل على الفور"³.

توجد مراسلات بين بلينيوس الصغير وبين بعض الأباطرة الرومان مثل تراجان حول مصير الأطفال الذين ولدوا أحرارا ثمّ تمّ التخلي عنهم من قبل أسرهم ثمّ أصبحوا عبيدا، وكان رد تراجان على النحو التالي: " إنّ السؤال الذي يخص الأطفال الذين ولدوا أحرار ثمّ تخلو عنهم ثمّ أصبحوا عبيدا، فقد تم مناقشة هذه القضية في الكثير من الأحيان، لكن لا يوجد شيء قابل للتطبيق، ورغم هذا لا نستطيع أن ننكر حق هؤلاء في ادعاء حريتهم أو حقهم في طلبها"⁴.

من أسباب التخلي على الأطفال هي: إذا كان الطّفل مشوها أو معوقا، أو إذا كان الطّفل نتج عن علاقة غير شرعية، فقد ورد في إحدى مسرحيات بلوت أن شخصية أمفيتريون "Amphitryon" الذي اتهم زوجته بخيانتة أثناء غيابه، لذا كان مستعدا أن يتخلى عنها وعن الطّفل الذي في بطنها من أجل أن يزيل آثار الخيانة⁵.

ربط المؤرخ يوليوس فيرمكوس ماترينوس "Iulius Firmicus Maternus" الذي عاش في القرن الرابع ميلادي بين ظاهرة التخلي عن الأطفال في روما القديمة وبين علم التنجيم،

¹ J. Boswell, the Kindness of Strangers: the Abandonment of Children in Western Europ from Late Antiquity to the Renaissance, New York, Pantheon Books, 1988, p 46-48.

² A. Allély, op-cit, p 54.

³ Apulius, Métamorphoses, x, 23, Coll. Bud, Violette, 1945.

⁴ Pline le Jeune, Lettres, x, 72, trad : Par de Sacy, Nouvelle édition, éd C. L. F Panckoucke, Paris, 1892.

⁵ Plaute, Amphitryon, Acte ii, sc. ii, v. 850, trad : H. Clouard, Librairie Garnier, Paris, 1897.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

حيث أكد أن هناك ثلة من الرومان الذين يتخلون على أبنائهم إلى تزامنت ولادتهم مع ظهور بعض الأبراج السماوية، لأنهم كانوا يتشاءمون منها.

يروى التاريخ الروماني حادثة فريدة تعود لسنة 19 قبل الميلاد، حيث توفي أحد الشخصيات الهامة والذي يسمى: جيرمانيكوس "Germanicus"، وقد روى بعض الكتاب القدامى أن في ذلك اليوم أعلن الحداد العام، وقام الرومان بإلقاء الحجارة من فوق المعابد، وقاموا برمي أطفالهم الذين ولدوا في ذلك اليوم "Partus Coniugum expositi"¹.

توجد أسباب أخرى تتعلق بالجانب المادي والاقتصادي، وفي هذا الصدد نقل أوفيد "Ovide" قول أحد الرجال الرومان الذي أنجبت له زوجته فتاة: "إن هذا المولود الذي هو من الجنس الآخر هو عبء ثقيل علينا، وليس لدينا الثروة التي تسمح لنا بتحمل نفقات تربيته"²، فقد كانت نفقات تربية الأنثى أكبر من الذكر، فعند الطبقات الأرستقراطية يجب يوظفوا مجموعة من المحضيات اللاتي ترافق الفتيات منذ صغرهنّ، وحين تبلغ مرحلة الزواج يجب أن يتكلف الأب بتجهيزها، وهو ما لا تطيقه بعض الأسر، وفي نص صريح لبلوتارخ "Plutarque" يؤكد مشروعية الربط بين الجانب المادي للأسر وظاهرة التخلي على الأطفال، حيث قال في هذا الصدد: "إن الرومان يتخلون على أطفالهم الذين لا يستطيعون إطعامهم، وفي الطبقة الوسطى يتخلى عنهم حتى لا ينظر لهم بنظرة دونية إذا لم يستطيعوا تعليم أطفالهم بالشكل الجيد..³".

أشار ديون كاسيوس "Dion Cassius" إلى أنه في القرن 18 ق م الميلاد كان هناك نوع من العجز الأنثوي، حيث فاق عدد الذكور عدد الإناث بشكل واضح، وذلك بسبب ظاهرة قتل المواليد من الإناث، أو التخلي عنهم مباشرة بعد ولادتهم.⁴ وقد استمر هذا الأمر عدة أجيال مما شجع على زواج الفتيات في سن مبكر جداً، وكانت النساء الأرامل والمطلقات يتزوجن مباشرة بعد انفرادهنّ، في حين بقي العديد من الرجال عازبين لأنهم لم يجدوا من يتزوجوا.⁵

¹ A. Allély, op-cit, p 60.

² Ovide, Métamorphoses, IX, 678, trad : en François, la compagnie des Libraires, Paris, 1953.

³ Plutarque, De l'amour de la progéniture, 497, texte établi et traduit par : R. Flacelière, éd les belles lettres, Paris, 1950.

⁴ Dion Cassius, Histoire romaine, liv, 16, 2, trad : E Gros et V. Boissée, éd Firmin Didot frères, 1845.

⁵ J. Boswell, op-cit, p 99-100.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

اعتبرت الكنيسة ظاهرة التخلي على الأطفال ممارسة شريرة ووجب تركها، وعلى العكس من ذلك حثت على التكفل بالأطفال اللقطاء ومجهولي النسب، وقد تأثر الشعب بالأفكار المسيحية وقد قلت ممارسة هذه الظاهرة مما ساهم في زيادة الكثافة السكانية في كل أرجاء الإمبراطورية الرومانية¹.

ندد أباء الكنيسة بظاهرة التخلي على الأطفال في إفريقيا الرومانية، حيث أكد ترتيليانوس على أن ظاهرة التخلي على الأطفال لا تقل جرماً وشناعة على قتلهم قبل الولادة، لذا فقد قال في هذا الصدد: "إذا لم تكن بنفس الدرجة، فأنت مع ذلك قاتل مثل الذي يقتل ابنه أثناء أو قبل الولادة، لأنك تركته أمام الموت البطيء المحتوم، مع البرد والجوع والوحوش..²"، وفي موضع آخر يقول: "قبل كل شيء، عندما تتخلي على ابنك حتى تكفله عائلة أحسن منك، فأنت فتحت باباً للصدفة، لأنه في الغالب سيسقط كمادة تجارية للسفاحين..³"، وتحدث أكتويس عن الظاهرة قائلاً: "في الحقيقة، أنت الذي أراك تتجرب الأطفال ثم تتركهم للحيوانات البرية أو للطيور، أو تقتلهم بطريقة شنيعة عن طريق خنقهم..⁴"، ولقد أصدر الإمبراطور قسطنطينوس قراراً يجرم كل من يتخلي على ابنه سنة 315 ميلادي، وامتد القرار ليشمل المقاطعات الإفريقية سنة 322 م، وشدد الإمبراطور من العقوبات بخصوص هذه الجريمة سنة 329 م⁵.

8-3 سرقة الأطفال وبيعهم

أشار المؤرخ الفرنسي ستيفان غزال إلى ظاهرة بيع الأطفال في إفريقيا الرومانية، حيث تكلمت المصادر عن بعض المناطق التي كان يعرض فيها الأطفال الرضع والصغار كعبيد، رغم أن الإمبراطور قسطنطينوس حاول منع هذه الظاهرة في كل أرجاء الإمبراطورية لكن دون جدوى⁶.

¹ V. Vuolanto, Infant Abandonment and the Christianization of Medieval Europe, The Dark Side of Childhood in Late Antiquity and the Middle Ages, OXBOW BOOKS Oxford and Oakville, 2011, p3-4. P-p 3-20.

² Tertullian, Ad nationes, I, 15, 3-4, trad: E.A de Genoude, Paris, 1852

³ I bid, 16, 10.

⁴ J.M Lassère, Vbique Populus....., p 504.

⁵ I bid, 504.

⁶ S. Gsell, Esclaves ruraux dans l'Afrique romaine, Mél. Glotz, Paris, 1932, p 399-415.

الفصل الرابع — الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

انتشرت ظاهرة أخرى تتعلق بظهور عصابات في إفريقيا الرومانية تقوم بسرقة الأطفال، حيث أصدر الإمبراطور قسطنطينوس مرسوماً¹ سنة 316 ميلادي أرسله إلى أسقف إفريقيا دوميتيوس كالسيوس "Domitus Caelsus" يجرم فيه سرقة الأطفال ويهدد بعقوبات قاسية تصل إلى حد الموت².

نستنتج مما سبق عرضه في هذا الفصل أن هناك العديد من الإشارات والمعلومات التي تحملها النصوص الأدبية والمصادر الأثرية فيما يخص الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية لفئة الأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية، حيث قدمت لنا النقوش اللاتينية مختلف المعطيات التي تخص النسب والجنس والوضعية الأسرية والأسماء والألقاب والكنى التي تخص الأطفال، وقدمت لنا الفسيفساء صورة الطفل ومكانته الدينية في الميثولوجيا الرومانية.

أما النصوص الأدبية رغم أنها قليلة نسبياً، فقد حملت لنا العديد من الإشارات التي تخص الطفل ووضعيته في الأسرة والمجتمع، هذا وقد حملت هذه النظم القانونية والاجتماعية والدينية في طياتها قيماً تحمي الطفل والطفولة، وتقنن علاقة هذه الفئة بالأسرة والمجتمع، وتضمن لهم حقوقهم في النسب والقرابة والرعاية، كما حملت من جهة أخرى العديد من الممارسات التي تعبر عن الجانب المظلم من حياة الطفل في هذا المجتمع، فقد قُتل الأطفال بدون أي ذنب وهم في أرحام أمهاتهم، وقُتلوا أيضاً بعدما ولدوا، وأُعرض عنهم في الشوارع بدون رحمة، ومورست في حقهم العنصرية الطبقيّة، وتعرضوا للسرقة والعبودية ومختلف الممارسات المشينة، ويعكس هذا الشيء الواقع المتباين في قيمه لمجتمع إفريقيا الرومانية.

Code Theodosianus, IX, 18,1

¹ للاطلاع على نص المرسوم أنظر:

² C. Wolf, A propos des Voleurs D'enfants, L'Africa Romana, 15, 3, 2004, pp1716.

الفصل الخامس

الفصل الخامس: التربية والتعليم في مجتمع إفريقيا الرومانية

1- تربية الأطفال:

1-1 المرأة والطفل:

1-1-1 الحمل والولادة

1-1-2 الرضاعة

1-1-3 الاعتناء بالأطفال

2-1 الأب والطفل

3-1 عاطفة الأسرة اتجاه الأطفال

4-1 اللعب والترفيه

5-1 لباس الأطفال:

1-5-1 لباس الذكور

2-5-1 لباس الإناث

3-5-1 تسريحات الشعر

2- تعليم الأطفال:

1-2 سن الالتحاق بالمدرسة

2-2 تفاصيل اليوم الدراسي

3-2 أماكن التعلم

4-2 البداغوغ ودوره التعليمي والتربوي

5-2 تعليم الإناث

الفصل الخامس: التربية والتعليم في مجتمع إفريقيا الرومانية

اتفق أغلب المفكرون على أنّ التربية تشمل كل العمليات التي ترمي إلى تكامل الفرد جسمياً وعقلياً وخلقياً ووجدانياً، وتهدف إلى إدماج الطّفل في صلب المجموعة وتأهيله لتحمل مسؤوليات اجتماعية واقتصادية وأخلاقية، ولهذا لم يخل أي مجتمع أو أي قبيلة أو أي أسرة من ممارسة فعل التربية لفائدة أبنائها، بدائية كانت أو متحضرة، وذلك لإيمانها الثابت بالتأثير العميق لفعل التربية عن كيان وديمومة أي مجتمع¹. وفي هذا الفصل سنحاول مناقشة موضوع التربية والتعليم في مجتمع إفريقيا الرومانية، وذلك داخل مؤسستين هامتين هما: الأسرة والمدرسة، وهذا يدفعنا لطرح الإشكالية الآتية: ما هو واقع التربية والتعليم في مجتمع إفريقيا الرومانية؟ وما هو تأثيرهما على فئة الأطفال؟

1- تربية الأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية:

توجد القليل من الدراسات التي اهتمت بتاريخ الطفولة وعلاقة الأبوين والأسرة بالتربية، حيث ظهرت بعض الدراسات الحديثة الجادة التي ركزت على سلوكيات الطّفل وتفاعله مع الحياة اليومية في أثينا وروما وعلاقته مع أسرته ومحيطه، بينما ضلت هذه الجوانب شبه غائبة عن التاريخ الاجتماعي لبلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية، لكن هذا لا يعني غياب المعلومة إطلاقاً، فبفضل بعض الإشارات التي قدمتها النصوص الأدبية والمصادر المادية الأثرية استطعنا لمس بعض الجوانب المهمة من حياة الطّفل وتفاعلاته مع أسرته ومحيطه.

1-1 المرأة والطّفل

كانت المرأة هي المسؤولة الأولى عن تربية الأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية، وكانت الوظيفة الأساسية لها بعد الزواج هي القيام بدورها البيولوجي، أي الحمل والإنجاب والرضاعة، وما يتبع ذلك من رعاية مادية ومعنوية لأطفالها.

¹ إبراهيم العبيدي التوزري، المرجع السابق، ص 9-10.

1-1-1 الحمل والولادة

كانت النسوة في مجتمع إفريقيا الرومانية يحبّذن الإنجاب ويهرعن إلى القابلات والمشعوذين في حالة تأخرهنّ عنه، لكن هناك فرق بين النساء اللّيبات المحليات اللاتي ينجبن أكثر قدر من الأطفال، وبين النساء الرومانيات الوافدات اللاتي يحبذن أقل عدد من الأطفال، وقد ذكرت النقوش في شمال إفريقيا العديد من النساء اللاتي أنجبن عددا معتبراً من الأطفال مثل: كسارجيا عمارا "Sergai Amare" التي أنجبت سبعة ذكور وبنت، وسوليبيكي فيكتوريا "Sulpicia Victorai" التي أنجبت 10 أطفال، ويوليا بريما "Iulai Prima" التي أنجبت سبعة أطفال، وبسكينيا كودولتديوس "Pescennai Quodulldus" التي أنجبت بنت وثلاثة ذكور¹.

ذكرت المصادر الأدبية المرأة الكاهنة روبريا فيستا "Rubrai Festa"، والتي وصفت على أنها الأمّ والزوجة المثالية، فبالإضافة إلى عملها خارج البيت ككاهنة في كنيسة شرشال، قامت هذه المرأة بإنجاب 10 أطفال، وتركت خمسة منهم أحياء بعد أن توفيت وعمرها 36 سنة، والغريب في الأمر أنها كانت ترضع أطفالها لمدة سنتين كاملتين².

اهتم بعض الأطباء³ بتقديم نصائح وإرشادات للنساء المقبلات على الحمل والولادة من أجل سلامتهنّ وصحة أجنتهنّ، حيث فسّروا لهنّ مختلف الطّرق السّليمة للتغذية، وعدّدوا لهنّ الأمور التي يجب أن يتجنّبها خلال هذه الفترة مثل القفز وحمل الأشياء الثّقيلة، وكانت النسوة يخفن من آلام الوضع والولادة لكون معظمهنّ ينجبن في سن صغيرة، وغالبا ما يلجأن إلى التضرع إلى ربة الولادة "ديانا" من أجل التخفيف عليهنّ، خاصة وأن معدل وفيات النساء عند الإنجاب كان مرتفعا جدا بسبب النزيف الحاد الذي قد يصيبهنّ أثناء الوضع⁴.

كانت القابلات هنّ اللاتي يشرفن على عملية الولادة، وقد ذكرت النقائش اللّاتينية في شمال إفريقيا أسماء بعض النساء اللاتي امتهّن مهنة القابلة، مثل أوبستيريكس

¹ بنت النبي مقدم، الأسرة.....، ص 77-79.

² Apulée de Madaure, Apologie ; Florides, LXXXVI, 710, Texte établi et traduit par Paul VALLETTE, Les Belles Lettres, Paris, 1960.

³ من بين هؤلاء الأطباء هو الطبيب الإغريقي صورانوس الأفسوسي صاحب كتاب أمراض النساء في القرن الثاني ميلادي. أنظر: نظار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة في المغرب القديم، ط1، دار القلم، الرباط، 2017، ص 114-115.

⁴ المرجع نفسه، ص 115.

راسيسيما "Obsterix Rassissima"، وقابة أخرى في مدينة تاغاست "Thagaste" عرفت باسم كاليا فيكتوريا "Caelai Victorai"¹، وكانت مهمة القابلات هي مساعدة المرأة على الوضع وعلاجها في حالة الإجهاض، وتخصص بعضهن في علاج أمراض العقم ومختلف أمراض النساء، إذ ذكرت النقائش اللاتينية أسماء العديد من اللاتي امتحن هذه المهنة².

كانت النساء العاقرات أقل قيمة من النسوة اللاتي لديهن قدرة على الإنجاب، وتتمظهر هذه القيمة أيام المعارك، حيث تُحمى النساء رفقة أبنائهن من السبي والخطف، بينما تُترك النساء العاقرات، وذكر المصادر التاريخية موقف الزعيم الليبي إيوداس "Iudas"³ الذي كلف جنوده بحراسة النساء وأبنائهم إبان الحروب البيزنطية، في المقابل تعرضت النساء اللواتي لم يرزقن بأطفال للسبي ونهبت حليهن لأنهن لم يحضين بالحماية الكافية، وكانت النساء العاقرات في كثير من الأحيان تطلقن من قبل أزواجهن بسبب عدم قدرتهن على الإنجاب، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل حاجة الأسرة للأطفال والنسل، وذكر الخطيب كيكرو نص يفرض ضريبة على الذكور العزاب في حالة تماطلهم على الزواج⁴.

يُغسل الطفل مباشرة بعد الولادة بالماء الدافئ، وهو الذي سماه المؤرخون الرومان بالحمام الأول، والذي يحمل العديد من الأبعاد الاجتماعية والطبية المهمة، حيث يتعرف الطفل على أهم العناصر الأرضية وهي الماء، وهي المرحلة التي تفصل جسد الطفل نهائيا عن حياة الرحم ويصبح مقبولا في الأسرة، وينصح الطبيب سورانوس "Soranus" القابلات بتنظيف الطفل بعد الولادة مباشرة، خاصة الفم والأنف والأذنين وفرك الجلد بالماء الدافئ والملح، وأكد أغلب المؤرخون أن الطفل كان يقمط بواسطة العديد من اللّفائف من الكتان من أجل حماية جسده الهزيل⁵.

¹ ILA, I, 877; 1377.

² N. Benseddik, être femme dans....., p 143.

³ إيوداس: هو أحد القادة الذي قادوا المقاومة الليبية اتجاه الغزو البيزنطي في القرن السادس ميلادي.

⁴ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 64.

⁵ V. Dasen, op-cit, p300.

2-1-1 الرضاعة

يعد موضوع الرضاعة الطبيعية من المواضيع الهامة التي تخص الأطفال، وقد طرح العديد من الأسئلة في هذا الصدد: هل كانت الأمهات في إفريقيا الرومانية ترضعن أبنائهن رضاعة طبيعية؟

أكد الباحثون أن أغلب الأمهات التي تنتمي إلى الطبقة الأرستوقراطية في إفريقيا الرومانية كنّ يميلن إلى عدم إرضاع أبنائهن بأنفسهنّ وذلك حفاظاً على جمالهنّ، خاصة وأن فترة الرضاعة كانت طويلة وتصل إلى حدود الثلاث سنوات، وكنّ يستعن بالمرضعات اللاتي كنّ من طبقات أدنى (طبقة العبيد، والطبقة الوسطى)، رغم أن بعض المفكرين مثل بلوتارخ أشاروا إلى أهمية الرضاعة وأوصوا الأمهات بإرضاع صغارهنّ رضاعة طبيعية لما في ذلك من مزايا على صحتهم ونمو عقولهم بشكل سليم¹.

ذكرت النقائش اللاتينية العديد من النساء اللاتي عملن كمرضعات "la nutrix" مثل جوليا "Gellia" في قرطاجة²، وأتيريا ينيريا "Ateria Ianuaria" في فريانة في تونس³، وستيرنيا "Saturnina" في راس الوادي في الجزائر⁴، وكنّ يخترن من اللواتي يتميزن بالأخلاق الفاضلة والذكاء، وجسد الشاعر المسرحي بلوتوريوس في إحدى مسرحياته الهزلية مشهداً يصور فيه شخصية كيدنيس "Guiddnis" مرضعة ابنتا حانون، والتي شبهها بالساحرة التي تفعل ما تريد بالبنتين، فقد غيرت لهما اسميهما ومارست عليهما العديد من السلوكيات المشينة⁵، وهذا المشهد يعكس في الواقع تأثير تلك المرضعات على شخصية الأطفال، لأن المشاهد المسرحية ما هي إلا انعكاس للواقع المعاش آنذاك.

كان موضوع الرضاعة الطبيعية موضوعاً للفن الروماني في شمال إفريقيا، حيث صورت الأمهات في كثير من الأحيان على لوحات الفسيفساء أو كتماثيل منحوتة من الرخام الأبيض وهنّ يرضعن أبنائهنّ، وقد تساءل الباحثون عن الهدف من وراء إبراز هذه الوظيفة

¹ Plutarque, Deuvres, I, 5. Trad V. Betaolaud, Hachette, Paris, 1870.

² CIL, VIII, 13191

³ CIL, VIII, 27988

⁴ CIL, VIII, 20592

⁵ Plaute, V, 1120.

في الميثولوجيا الوثنية؟ خاصة وأن هناك من ربطها بفكر الخصوبة في الدين الوثني في شمال إفريقيا، وبرزت قدسية وظيفة الرضاعة من خلال ظهور العديد من الرّبات كمرضعات للآلهة في الديانة الوثنية في إفريقيا الرومانية¹.

أشارت تعاليم الديانة المسيحية إلى ضرورة أن ترضع الأم ابنها بنفسها، كي يشبع من حنانها، وأكدت أنّ حليب الأم يساعد على نمو الطّفل بشكل طبيعي ويساهم في التنشئة الاجتماعية السليمة، وأشار القديس أوغسطينوس إلى فترة الرضاعة في شمال إفريقيا في كثير من المواضع، وأكد أنها كانت تدوم ثلاث سنوات كاملة، وحين يصل الطّفل إلى هذا السن يفطم، حيث كانت الأمهات أو المرضعات تحضرنّ محلولا كريها وتضعنه على أثنائهنّ حتى يكره الطّفل الحليب²، ويشير القديس أنه أخذ الحليب من ثدي أمه ومن ثدي مرضعته الحنونة، إلا أنه لم يكن مدينا لهما، وإنما الفضل كله يعود للآله الذي أنعم عليه الحليب الإنساني بواسطتهما³.

أشار القديس إلى المرضعات اللواتي أرضعنه، ولم يوضح هل كنّ من الخدم أم كنّ من المربيات اللواتي يشتغلنّ كمرضعات؟ ووصف القديس تلك المرضعات على أنهنّ حنونات ويغذينّ الأطفال حتى يتأكّدنّ من أنهم شعبوا⁴. وقد أشار القديس أيضا إلى سلوكيات الأطفال الصغار في فترة الرضاعة، وقد أسقطها على نفسه قائلا: " ثم بدأت أضحك أيضا في النوم وفي اليقظة، هذا ما قيل لي عن نفسي، وصدّقت ذلك لأنني أرى الأطفال الصغار هكذا، وقد كنت ألوح بأطرافي وصيحاتي لأبلغ حاجتي، وإذا لم يلبي الكبار حاجتي أنتقم منهم بالبكاء الذي يزعجهم"⁵.

1-1-3 الاعتناء بالأطفال

أشارت بعض النقائش الأيبغرافية إلى كفاءة المرأة في تربية أبنائها في مجتمع إفريقيا الرومانية، فقد كتب على شاهد قبر خاص بالسيدة بوستونيا ماترونيلّا "Postunai"

¹ Ch. Laes, Touching children in Roman Antiquity The sentimental discourse and the family, Children and Everyday Life in the Roman and Late Antique World, Routledge, New York, 2017, p 63-66.

² S. Augustin, Sermo, 311, 14.

³ S. Augustin, Les Confessios, I, VI, 7.

⁴ I bid, I, 6.7.

⁵ I bid, VI, 8.

"Matronilla عبارة تشهد بكفاءتها في تربية أطفالها: Labariosa efficax totius industriade matrona¹."

تكلم القديس أوغسطينوس عن والدته مونيكاً "Monica"²، التي كانت نموذجاً حقيقياً للأم التي كانت تهتم بزواجها وبيتها وتسهر على راحة أبنائها، ويؤكد القديس على فضلها الكبير في نجاحه، لأنها ملأت حياته بالحنان، حتى أنها كانت تناديه "بابني الحبيب"³، وكانت تحب البقاء بقربه طول الوقت، وكانت دائمة الصلاة له، وقد وصف القديس هذه العاطفة قائلاً: "كانت أُمي تبكي رحيلي عن قرطاج وسفري إلى روما في كل مرة .."، وقال أيضاً: "كانت تذهب للكنيسة مرتين: صباحاً ومساءً لتدعوا لابنها لنجاة روحه، ولم تهناً إلا بعد لحاقه إلى روما..."⁴.

تكلم القديس عن نموذج آخر للأم هي والدته أدودات "Adéodat"، والتي ارتكبت الخطيئة وأنجبت طفلاً عن علاقة غير شرعية، وعلى الرغم من أنها رفضت حملها في بادئ الأمر وانزعجت منه، إلا أنها حافظت عليه ولم تسقطه وأحبته بعد ولادته، وأعطته الاهتمام الكافي، الأمر الذي سمح له من البروز في فن الخطابة والمحاورة وهو في سن صغيرة، رغم أن أمه فارقتة فيها بعد وعادت إلى إفريقيا⁵.

أشار القديس أيضاً إلى بعض النماذج من الأمهات اللاتي قصرن في تربية أبنائهن، مثل والدته مونيكاً التي أهملت تربية ابنتها، وتركت مسؤولية التربية لعجوز من الخدم، هذه الأخيرة عجزت في التحكم في الفتاة الصغيرة ومراقبتها بسبب كبر سنها، مما سمح الفرصة للفتاة من تعلم العديد من العادات السلبية مثل الإفراط في شرب الخمر⁶.

¹ نزار الأندلسي، المرجع السابق، ص 124.

² مونيكاً: هي والدته القديس أوغسطين، مسيحية متدينة من أصول نوميديّة اشتهرت بصبرها وقوة تحملها، وهو ما مكنها من تحمل ميّز زوجها السيئ، وكان لها فضل كبير على نجاح القديس في حياته، توفيت في سن السادسة والخمسين بعد مرض ألم بها. أنظر: بنت النبي مقدم وعائشة سعدان، المرأة في الجزائر القديمة من خلال اعترافات القديس أوغسطينوس، مجلة عصور الجديدة مجلد 10، عدد 1، ص ص 31-45، ص 33.

³ S. Augustin, Les Confessios, II, VIII, 11.30.

⁴ I bid, II, V, 8.15.

⁵ I bid, II, IX, 6.14.

⁶ I bid, II, IX, 8.17.

الفصل الخامس _____ التربية والتعليم في مجتمع إفريقيا الرومانية

تأسف القديس على بعض الممارسات التربوية التي كانت تقدم للأطفال في تلك الفترة، وقد قال في هذا الصدد: " يا إلهي يا إلهي، كم عرفت من الوليات ومن خيبات الأمل، بسبب ما كان يقدم للطفل في تلك السن على أنه الحياة المستقيمة، أن أمتثل للمربين كي أتألق في هذه الدنيا، وأتفوق في فنون الثروة التي تجعل مني ذو مكانة عند الناس، وأن أحظى بالثروات الزائفة..."¹.

كانت الأسر الغنية في إفريقيا الرومانية تستعين بالمربيات² لمساعدة الأمهات في شؤون الأمومة ورعاية الأطفال، وكانت المربية تحضى بمكانة خاصة وسط الأسرة، ويظهر ذلك من خلال المراثيات التي كانت تقام على قبورهن، والتي تصف خصالهن الحميدة، مثل مراثية المربية بوسستيميا ماترونيلا "Postumai Matronilla" في مادور، والتي وصفت على أنها امرأة فعالة وتتنقن عملها³، وكذلك نقيشة المربية أنتونيا فيكتوريا "Antonia Victoria" في المدينة نفسها، والتي وصفت على أنها: " كانت حنونة ورصينة ومقتصدة، عاشت 43 سنة، كانت رائعة، عظيمة التقوى وعظيمة الفضيلة..."⁴، وفي المدينة نفسها توجد مراثية أقامها أحد الأزواج، للمربية أوريليا ماموسا "Aurelai Mammosa" التي وصفها بالعفة والاجتهاد، حيث كانت حارسة البيت ووصية على الأبناء⁵.

كرّمت المربية كاليا فيكتوريا "Caelai Victorai" وخلّدت ذكراها بعد أن توفيت وعمرها 26 عاما في مدينة سوق أهراس "Thagaste"، وذكرت النقيشة أنها عملت كقابلة وكمربية في الأسرة وتمنت لها أن ترقد بسلام في قبرها⁶.

¹ S. Augustin, Les Confessios, IX, 14.

² المربية: في اللغة اللاتينية تدعى ماترونا "Matrona"، وهي التي تشرف على المنزل وتساهم في تربية الأطفال ورعايتهم. أنظر:

N. Benseddik, Femmes et métiers, p 104.

³ CIL, VIII, 11294.

⁴ ILA I, 2239.

⁵ ILA I, 2242.

⁶ ILA, I, 887. "D.M.S CAELIAE VICTORIAE OBSTETRCI RARISSIMA EPIAE QVAE VIXIT ANNIS XXVI H.S."

1-2 الأب والطفل

يعتبر الأب هو المسؤول الثاني عن التربية، وصاحب السلطة على الأسرة ككل وعن الأطفال بشكل خاص، بحيث لديه الحق المطلق في التصرف في مصير أبنائه، ومن جهة أخرى كان من واجبه السهر على توفير حاجيات الأسرة من مأكّل وملبس ومأوى وحماية، كما يساهم من جهة في التربية والتنشئة الاجتماعية، ويكون تأثيره أكثر على الذكور، حيث يرافق الصبيان في العادة آباءهم خارج البيت لكي يتعلموا أصول المعاملة ضمن معشر الرجال، ويكتسبوا معلومات ومهارات حول مهنة أو صناعة الأب لكي يتقلدها عند الكبر.

يظهر الأب من خلال الكتابات الأدبية في الغالب بنوع من القوة والقسوة في المعاملة مع أبنائه الصغار، وعلى النقيض من ذلك تؤكد بعض النقائش اللاتينية العاطفة التي كانت تربط الآباء بالأبناء، فكثيرة هي النصب التذكارية والجنائزية في شمال إفريقيا التي أقامها الآباء على شرف أبنائهم ونفس الشيء بالنسبة للنصب التي أقامها الأبناء على شرف الآباء¹.

1-3 عاطفة الأسرة اتجاه الأطفال

يمكن أن نتعرف على عاطفة الأسرة اتجاه الطفل في أي مجتمع من خلال مختلف المصادر المادية الأثرية والنصوص الأدبية والنقائش اللاتينية، لذا حاول بعض الباحثين استقراء هذه المصادر وتسخيرها لتكوين صورة عن حياة الطفل داخل الأسرة، مثل الباحث "Christian Laes" الذي ركز على لغة الجسد أثناء دراسته لجوانب من حياة الأطفال في مقاطعات روما الإمبراطورية، وذلك من خلال استنطاق مختلف صور الأطفال على النصب الجنائزية، وأكد على أن الأسرة الرومانية تحذوها العاطفة الغريزية اتجاه الأطفال².

وأكد على هذه العاطفة من خلال تحليل بعض النصوص الأدبية التي أشارت إلى الخطاب العاطفي الذي يرافقه اتصال جسدي بين الوالدين وأبنائهم الصغار، فكثيرا ما وجدت عبارات مثل (التقبيل، الاحتضان، المعانقة، المرافقة. الخ)، وأبرز مثال قدمه هذا الباحث هو رثاء إحدى الأمهات المنقوش على أحد الأنصاب الجنائزية الموضوع على قبر ابنها الصغير:

¹ خاشة السعيد، المرجع السابق، ص 59.

² Ch. Laes, Touching children in Roman Antiquity The sentimental discourse and the family, Children and Everyday Life in the Roman and Late Antique World, Routledge, New York, 2017, p 60-79.

الفصل الخامس _____ التربية والتعليم في مجتمع إفريقيا الرومانية

"كم مرة أعطيت قبلاتك الحلوة لأمك، وكم مرت احتضنت ذراعيها عندما كنت على قيد الحياة، كنت الصديق اللطيف، ولو علمت أنه سوف يؤخذ مني هكذا وهو صغير، لتمنيت أن أرافقه إلى العالم السفلي..."¹.

نلاحظ عاطفة الحب اتجاه الأطفال في الأسرة في مجتمع إفريقيا الرومانية من خلال مختلف النصب التي تصور الأطفال الصغار رفقة والديهم، مثل النصب الذي وجد في سور الغزلان، والذي يصور أسرة جمنيوس ساتورنييوس "Geminus Saturninus" رفقة زوجته أوفيديا دونتا "Aufidai Donata" وابنه الصغير سباستيينوس "Sabastenus" وابنته الصغيرة سباستينيا "Sabastenia"، والشيء نفسه بالنسبة للنصب الذي وجد في مدينة تاكسبت (شكل رقم 30) والذي يصور أسرة صغيرة تجمع بين الأب والأم ويمسكان يدا ابنتهما الصغيرة التي تتوسطهما.²

شكل رقم 31: نصب مدينة قرطاجة



Musée national de Carthage:
<https://g.co/kgs/gwUGQA>

شكل رقم 30: نصب مدينة تاكسبت



بنت النبي مقدم، الأسرة...، ص 82

يوجد نصب آخر محفوظ في متحف قرطاج (شكل رقم 31)، يصور أسرة صغيرة مكونة من الأب الذي صور واقفا ويلبس سترة طويلة ويحمل بيده اليسرى كوبا ويده اليمنى ممدودة ناحية زوجته، التي تجلس على كرسي وتضع يدها على رأس ابنها الصغير الواقف بينهما، ومن خلال استقراء لغة الجسد في هذا النصب تظهر عاطفة الحب جليا من طرف الأم والأب

¹ Ch. Laes, op-cit, p 60-79.

² بنت النبي مقدم، الأسرة...، ص 82

الفصل الخامس _____ التربية والتعليم في مجتمع إفريقيا الرومانية

اتجاه ابنهما الصغير، لأنه يتوسط المشهد بين والديه، والأم تضع يدها على رأسه، وهي علامة تعبر عن عاطفة الحنان والعطف التي تكنها هذه الأسرة اتجاه ابنهم الوحيد.

يوجد نصب آخر معروض في متحف كويكول بجميلة طوله حوالي 0.57م، يصور أسرة داخل المعبد مكونة من أربعة أشخاص: الأم والأب والطفلين، حيث تقوم الأم بحمل الطفل الرضيع بكلتا يديها، ويتوسط الطفل الآخر المشهد وهو وافق على المذبح والأب يشير إليه بيده اليمنى، ومن خلال هذه المشهد والتركيبية أشار الباحث الفرنسي لوغلي "M. Leglay" إلى عاطفة الحب التي تجمع هذه الأسرة بين الوالدين وابنيهما¹.

شكل رقم 32: عاطفة الحب من خلال نصب في كويكول



معروض في متحف جميلة (تصوير الباحث)

تظهر عاطفة الحب اتجاه الأطفال من خلال العبارات التي كتبت على النقائش اللاتينية التشريفية أو الجنائزية، فكثيرة هي الأمثلة التي يكتب فيها الوالدين نقائش على شرف أبنائهم الصغار ويضمّنون فيها عبارات ودية تدل على مدى حبهم، مثل النقائش التشريفية التي كتبها كل من كايوس كالبورنيوس "Caius Kalpurnius" وكاليا إيوليا "Caelia Iulai" على شرف ابنهم الصغير كايو كالبورنيو "Caio Kalpurnio"، والليزان وصفاه بالطفل ذو المزاج الطيب "indolis Puero"².

¹ M. Leglay, Les Stèles à Saturne de Djemila – Cuicul, Libyca, I, 1953, p 67.

² CIL, VIII, 20767." C(aio) Kalpurnio C(ai) F(ilio) Q(uirina)/ Maximianobo/maie indolis Pue/ro C(ai) F(ilius) Q(uirina) Maximus et/ Caelia Iulai Filio dulcissimo"

ومثل النقيشة الجنائزية التي وضعتها كايكيا مالون "Caecila Mallon" في مدينة أوزيا (سور الغزلان)، لابنتها سانتياي فاوستاي "Sentiae Faustae"، حيث وصفتها بالفتاة البريئة بعد أن عاشت 12 سنة وثلاث أشهر¹.

وصف الأب لوكونيوس "Loconius" والأم فاوستا "Fausta" ابنتهما آيلياي "Aeliae" بالفتاة الحنونة لما وضعا نقيشتها الجنائزية، فرغم أنها عاشت إلا 11 شهرا وخمسة أيام إلا أنها حظيت بهذا الحب والتكريم²، ووصفت إيوليا سينتيا "Iuliae Sintiae" بالفتاة العذراء من قبل أبوها إيوليوس "Iulius" وأمها أوكيا "Occia"³، أما إيولياي بروكيساي "Iuliae Processae" التي عاشت 8 سنوات و6 أشهر و9 أيام فقد وصفت بالفتاة التقية من قبل أبيها⁴، ووصفت البنت كلوديا إيكونداي "Claudiae Iucundae" التي عاشت في سور الغزلان بالفتاة البريئة من قبل أسرتها⁵، ووصف الابن فلافيوس باولوس "Flavus Baolus" الذي عاش في المدينة نفسها بالابن اللطيف جدا من قبل أسرته بعد أن عاش 11 سنة⁶.

1-4 اللعب والترفيه

عرفت بلاد المغرب أثناء فترة الاحتلال الروماني إقبالا واسعا على الألعاب والأنشطة الترفيهية، التي عكف على ممارستها الكبار والصغار، حيث يطلق على ألعاب الكبار اسم "ludi maiores" وعلى ألعاب الصغار اسم "ludi minores"، وما يهمنا في هذا المبحث هو ألعاب الصغار بأنواعها وأبعادها وتأثيراتها الاجتماعية والثقافية والسلوكية على هذه الفئة من المجتمع. لكن قبل التعرف على هذه الأشياء وجب طرح السؤال الآتي: هل كان لأطفال مجتمع إفريقيا الرومانية وقت فراغ من أجل اللعب والترفيه؟

يعبر عن وقت الفراغ في اللغة اللاتينية بمصطلح أوتوم "otium" ويقصد به: وقت الفراغ الذي يكون فيه المرء قادرا على التحرر من العمل والمشاركة في التظاهرات

¹ CIL, VIII, 9061. " D(is) M(anibus) S(acrum)/ Sentiae Faustae/innocentissimae/ puellae/ V(ixit) a(anos) XI m(enses) III/ Caecila mal/lon mater F(ecit) //.

² CIL, VIII, 9078. "D(is) M(anibus) S(acrum) Aeliae Hono/rat(a)e Filia/ carissimae/ Laconius et Fausta parentes d(e) d(icaverunt)/ ne(nsium) XI d(ierum) V//.

³ CIL, VIII, 9132.

⁴ CIL, VIII, 20752.

⁵ CIL, VIII, 20769.

⁶ CIL, VIII, 20774.

الفصل الخامس _____ التربية والتعليم في مجتمع إفريقيا الرومانية

الترفيهية والسياسية والثقافية، أما بالنسبة للأطفال فيكونون قادرين على الذهاب إلى المدرسة والتعلم، وتخصيص وقت من أجل اللعب والترفيه.

يختلف وقت الفراغ بين مختلف الأطفال بناء على الوضع الاجتماعي والاقتصادي التي ينتمي له الطفل، فكلما كان الطفل ينتمي إلى طبقة أرقى كان يستفيد من وقت فراغه بما يساعده على بناء شخصية متكاملة، والعكس صحيح بالنسبة للأطفال الذين يحرمون من التعليم ويدفعون إلى العمل الشاق، حيث يصف الكاتب والخطيب لوكيانوس "Lucianus" كيف تم إرساله للعمل في مجال النحت وهو لم يتجاوز 13 سنة من عمره، وهناك نقش خاص بطفلة عمرها سبع سنين اضطرت للعمل وهي صغيرة كتب فيه: " اليوم يا إلهي عمري سبع سنوات، ويجب ألا أَلعب بعد الآن ها هو طوقي وكرتي احتفظ بهم جميعا يا إلهي"¹.

يعتبر الطفل الرضيع بالنسبة لوالديه ومربيته لعبة نفيسة يتسلون بها، وبمجرد أن يكبر قليلا يبدأ هو باللعب بالدمى المصنوعة من القماش والصوف أو من العاج والعظام، وقد وجدت هذه الأخيرة رفقة جثث الأطفال الصغار في قبورهم في مختلف المقابر الإفريقية، وقد أكد بعض الباحثون أنها كانت تستعمل في الحياة اليومية كلعب للأطفال²، في حين أشار البعض منهم أن لها وظيفة دينية وطقسية³، ومن ألعاب الأطفال أيضا نذكر لعبة الخشخاش المكونة من قرصين معدنيين مربوطان بخيط ومقبض، وتحدث أصواتا يتسلى بسماعها الأطفال بمجرد أن يصطدم القرصان مع بعضهما البعض، وقد وجد نموذج من هذه اللعبة في قبر طفل صغير في مقبرة تيمقاد وكان القرصان من معدن البرونز⁴.

لعب الأطفال مع الحيوانات الأليفة كالطيور والكلاب والقطط... الخ، ففي كثير من الأحيان يصور الأطفال رفقة هذه الحيوانات، حتى أن بعض الكنى الخاصة بالأطفال تحمل

¹ J. Toner, Leisure as a site of child socialisation, agency and resistance in the Roman empire, Children and Everyday Life in the Roman and Late Antique World, Routledge, New York, 2017, p 99-115.

² J.B Neroudau, Être enfant à Rome, Payot, Paris, 1996, p 290.

³ S. De Larminat, Les figurines en terre cuite dans les nécropoles d'Afrique romaine Terracotta figurines from the cemeteries of Roman Africa, Figurines grecques en contexte Présence muette dans le sanctuaire, la tombe et la maison, Presses universitaires du Septentrion, Villeneuve d'Ascq, 2015, p295.

⁴ S. de Larminat, les figurines en terre..., p 285.

اسم حيوان لطيف مثل كنية "الجرو اللطيف" "cutepuppy"¹. وقد وجدت العديد من التماثيل في شمال إفريقيا تصور الأطفال رفقة الحيوانات، مثل التمثال الطيني الذي وجد في بوبوت (تونس) يجسد فتاة صغيرة تحمل عصفورا صغيرا ومراة²، ويوجد تمثال آخر محفوظ في قسم المحفوظات بمتحف الآثار القديمة بالجزائر العاصمة يصور طفل عاري تماما ويحمل عصفورا صغيرا³، ويوجد نصب معروض في متحف تيمقاد يصور طفلا صغيرا رفقة والدته يمسك خروفا ويلعب معه (شكل رقم 28-أ).

كانت ألعاب الأطفال صورة مصغرة عن ألعاب الكبار نظرا للتقليد والمحاكاة، حيث كانوا يلعبون بالعربات الصغيرة وبينون البيوت الرملية على شاطئ البحر، ويلعبون بالتماثيل الصغيرة التي تجسد ألعاب الكبار، مثل التمثال الفخاري الذي وجد في قبر طفل صغير في بوبوت بتونس يجسد فارسا يمتطي حصانا، مما يدل على ولع هذا الطفل بلعبة ركوب الخيل⁴.

كانت منافسات سباق العربات⁵ من أشهر الألعاب التي كانت تحظى بإقبال كبير من الممارسين ومن المتفرجين، وكان قواد العربات يتعلمون هذه اللعبة في سن مبكرة جدا، أي في حدود الثانية عشر أو الثالثة عشر من العمر، وكان المتسابق الصغير يدعى "aurigae" أو "bigarii" وبعد أن يكتسب خبرة يطلق عليه اسم "agitator" أي المتسابق المحنك، وقد ذكرت النقوش اللاتينية في المغرب أسماء العديد من أبطال هذه اللعبة، مثل أوريليوس موليكوس "M. Aurelius Mollicius" الذي استطاع إحراز أكثر من 125 فوز في السباقات وتوفي وهو لم يتجاوز العشرين من عمره، أي أنه بدأ ممارسة هذه اللعبة وهو مازل طفلا،

¹ V. Dasen, op-cit, p311.

² S. de Larminat, les figurines en terre....., p300.

³ بنت النبيء مقدم، الأسرة.....، ص 161.

⁴ S. De Larminat, petite enfance et rites funéraires en Afrique romaine, Les Dossiers d'Archéologie / n° 356, 2012, p 236.

⁵ سباق العربات: تقام هذه اللعبة فوق ميدان مخصص لسباق العربات، بحيث يركب المتسابق فوق العربة ذات العجلتين والمقرونة بأربعة خيول، وتبدأ المنافسة مع إطلاق شارة البداية والذي يصل إلى خط الوصول أولا يعتبر فائزا، ويحظى بتكريم خاص وتقدم له قيمة مالية، وقد تألق السباقون من أصول إفريقية في هذه السباقات لأن ركوب العربة كان له خلفية تاريخية في التاريخ القديم. أنظر: رضا بن علل، منافسات سباق العربات في المغرب القديم ونماذج منها، مجلة الباحث، مجلد 8، عدد 2، 2016، ص 150-165.

ونفس الشيء بالنسبة كريس كانس الذي أحرز أكثر من 686 فوزا وتوفي وعمره لم يتجاوز 22 عاما¹.

صوّرت بعض مشاهد لوحات الفسيفساء في شمال إفريقيا مشاركة الأطفال في عمليات الصيد والقنص، مثل مشهد الطّف القناص في فسيفساء وجدت في قرطاج تعود للقرن IV م، حيث صور طفل صغير يلبس أجمل الثياب ويستعد للقنص، وتوجد لوحة أخرى وجدت في المدينة نفسها، تصور طفلين لابسين ثيابا جميلة، ويقتنصان مجموعة من الحيوانات كالطيور والأرانب والبط... إلخ، وتؤكد هذه اللوحات محاكات وتقليد الأطفال الصغار للكبار في نشاطاتهم الترفيهية وألعابهم وأعمالهم².

تكلّمت بعض النصوص الأدبية اللاتينية إلى حب الأطفال للعب خاصة في الطبيعة، حيث أشار بلينيوس الصغير إلى تنافس أطفال هيبوريغيوس (عنابة) على الصّيد والسباحة إلى درجة أن بعضهم كانوا يسبحون برفقة الدلافين، وأشار مينوكيوس فليكس "Minucius Filix" إلى ممارسة الأطفال لعبة رمي الشقف، وهي عبارة عن حصى مسطحة وملساء كان الأطفال يقومون برميها باتجاه البحر لتتنزلق وتتدحرج على المياه في حركات متكررة، وفي الوقت ذاته انتشرت بعض اللّعب الأخرى الخاصة بالأطفال مثل لعبة الركض وراء الدولاب، واللعب بالكريات الصغيرة "billes"، ولعبة الخدروف "Turbo" التي وصفها فريجيليوس على أن الأطفال كانوا يمارسونها في فناء البيت، ويقومون بلف السيور الجلدية حول الخدروف ويدورونه³.

أشار القديس أوغسطينوس في كتاب الاعترافات إلى بعض الألعاب الذي كان يحبها، حتى أنه كان ينصرف عن الدراسة لأجلها مثل كرة الراحة والمصارعة والمسرح وسماع القصص والأساطير، وكان يعتب على الكبار الذين يحرّمون الأطفال من اللعب، وفي نفس الوقت هم يلعبون طوال الوقت، لذا قال في هذا الصدد: " كنت أحب اللعب كثيرا، وكنت أعاقب بشدة إذا انصرفت عن الدراسة وعن حفظ دروسي وذهبت لألعب كرة الراحة، فلا

¹ المرجع نفسه، ص 151-152.

² نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 33.

³ رضا بن علّال، الألعاب في بلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، 2010-2011، ص 204-207.

أحد يرأف على الأطفال، رغم أن الكبار والكهول يحبون اللعب الذي يسمونه عملاً....¹، وقال في موقع آخر: "كنت أحب اللعب، فقد كنت أحب في المصارعة روعة الانتصار، وفي الأساطير والخرافات كانت الأخبار الكاذبة تدغدغ أذني وتبعث فيها شغفا أكثر، ويجرني فضولي بشدة إلى العروض المسرحية المسلية رغم أنها خصصت للكبار..²"

تعكس ألعاب الأطفال التسلسل الهرمي الاجتماعي في تلك الفترة، حيث كان الآباء من الطبقات الراقية يعلمون أبنائهم ركوب الخيل، لأن ركوبها هو علامة الطبقة الاجتماعية الراقية، ويقومون بشراء الأزياء العسكرية المقلدة لأطفالهم حتى يكون تفكيرهم يناسب تفكير الطبقة التي ينتمون إليها، بينما يتعلم أطفال الفقراء المهارات التي تجعلهم يتقنوا أعمال آبائهم³.

كانت جميع الأنشطة الترفيهية الخاصة بالأطفال بغض النظر عن خلفيتهم الاجتماعية تهدف إلى التنشئة الاجتماعية السليمة التي تكونهم وتهيئهم لأدوارهم المستقبلية، فبدءً بخشيشات الأطفال والأطواق وعظام المفاصل والدمى والكرات، بالإضافة على الألعاب القائمة على تقليد الأبطال مثل العربات، كانت كلها تكسب الأطفال العديد من المهارات التي تجعلهم ناجحين حين يصبحوا بالغين، وترتبط الدمى الأنثوية المصنوعة من الطين أو من القش والعرائس المزخرفة مع تسريحات الشعر البارزة والملابس الصغيرة بالفتيات الأكبر سناً اللاتي تجاوزن سن الثالثة من العمر، ولقد تم العثور العديد من هذه الدمى في قبور الأطفال في شمال إفريقيا، وهي نوع من الألعاب التي تكسب الفتيات هوية جنسية وتدريبهم على حياة الأمومة والتربية منذ الصغر⁴.

5-1 لباس الأطفال

يعتبر المظهر الخارجي للإنسان من أهم مظاهر الحياة التي تعكس أحوال الفرد المادية والاجتماعية، ويشكل اللباس بمختلف أنماطه وطرزه عاملاً مهماً في إظهار طبيعة البشر

¹ S. Augustin, Les Confessios, IX, 15.

² S. Augustin, Les Confessios, IX, 16.

³ J. Toner, op-cit, p 99-115.

⁴ V. Dasen, op-cit, p312.

وحياة المجتمع في عصر معين، ويوضح لنا من جهة أخرى جوانب السلوك النفسي للإنسان ويفتح باب بابا واسعا للتحليل الأنثروبولوجي والتاريخي.

تعد التماثيل الرخامية والحجرية والتحف الجصية هي أهم المصادر المادية التي تعطينا صور ومعلومات عن ألبسة الأطفال وأشكالها وأنواعها في مجتمع إفريقيا الرومانية، لأنها تمكننا من ملاحظة تفاصيل هذه الألبسة من أربعة زوايا، وهي الخاصية التي تغيب عن صور الألبسة المنحوتة أو المرسومة على الأنصاب، لكن هذا لا يقلل من أهمية هذا النوع من المصادر في الكشف عن المظهر الخارجي للأطفال في تلك الفترة، وتوجد مصادر أثرية أخرى يمكن الاستعانة بها للتعرف على ملابس الأطفال، وهي لا تقل أهمية عن المصادر سابقة الذكر، كلوحات الفسيفساء والرسومات الجدارية والتوابيت... الخ¹.

يظهر الأطفال الرضع في المصادر الأثرية المادية إما عراة وإما ملفوفين بقطعة قماش طويلة، فنرى الرضيع في تمثال الآلهة الأم أو الآلهة المرضعة المعروض في متحف البارود في تونس عاريا تماما ومجردا من الملابس (شكل رقم 18)²، والشيء نفسه بالنسبة للرضيع المصور في فسيفساء متحف تيمقاد، بينما يظهر الرضيع المصور في النصب المعروض في متحف كويكول وهو ملفوف بقطعة من القماش من أسفل رجليه إلى رقبته (شكل رقم 32)³، ونفس الشيء بالنسبة لذلك الطفل الرخامي الصغير الموجود في قسم المحفوظات في متحف الآثار القديمة بالجزائر العاصمة، الملفوف في قطعة قماش طويلة لا يظهر منها إلى رجليه الصغيرة⁴.

لم يكن للأطفال الأكبر سنا لباسا موحدا، وإنما تختلف أنواع وأشكال الملابس التي يرتدونها، فهناك من يرتدي قطعة واحدة تتمثل في جلباب أو رداء قد يكون قصيرا أو طويلا، وهناك من يرتدي أكثر من قطعة، وهناك من صور وهو عاري تماما خاصة أبناء الفقراء، وهو شيء طبيعي لأن اللباس دائما ما يظهر المستوى المعيشي للفرد في الحضارات القديمة،

¹ محمد خير أرفه لي، نماذج من اللباس القديم من خلال الأنصاب في موريطانيا القيصرية أصالتها واستمراريتها عبر العصور، مجلة آثار، مجلد 7، عدد 1، 2008، ص 115-126، ص 115.

² A. Merlin, op-cit, p8.

³ M. Leglay, Les Stèles à Saturne de Djemila..., p 66.

⁴ بنت النبيء مقدم، الأسرة.....، ص 161.

وتختلف كذلك ألبسة الذكور عن ألبسة الإناث من الأطفال، لأن اللباس في العادة يعتبر من الوسائل التي تحدد الهوية الجنسية للطفل منذ الصغر.

تشبه ملابس الصغار في العادة ملابس الكبار من حيث الشكل والنوع، وتختلف بطبيعة الحال من ناحية الحجم، ويظهر هذا التشابه في النصب التي تصور الأطفال رفقة آبائهم، حيث يقلد الصّبي لباس أبيه وتقلد الفتاة لباس أمها، مثل النصبين المعروضين في متحف جميلة (شكل رقم 33)، حيث تتشابه ملابس الأطفال بملابس آبائهم بشكل واضح¹، ونفس الشيء بالنسبة صورة الأب والطفل اللذان تتشابه ملابسهما في نصب معروض في متحف الآثار القديمة بالجزائر العاصمة (شكل رقم 34-أ)، وهذا التشابه ليس بمحض الصدفة وإنما يَنم عن طريقة خاصة في التربية يكون فيها الأب هو القدوة بالنسبة للصّبي، وتكون فيها الأم هي القدوة والمثال بالنسبة للفتاة، وذلك حتى في طرق ونوع اللباس وطريقة تسريحة الشعر.

شكل رقم 33: صورة توضح تشابه الملابس بين الكبار والصغار



معروض في متحف كويكول (تصوير الباحث)

1-5-1 ألبسة الذكور

تختلف ألبسة الذكور عن ألبسة الإناث من الأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية، وتبقى أهم القطع من الألبسة التي يرتديها الذكور هي:

القَمِيص الداخلي: يسمى في اللغة اللاتينية التونيك "Tunique"، يخاط من في العادة من القماش ويلبسه الكبار والصغار، ويشبه شكله المستطيل حين يكون دون أكمام، ويشبه حرف

¹ M. Leglay, Les Stèles à Saturne de Djemila..., p 70

الفصل الخامس _____ التربية والتعليم في مجتمع إفريقيا الرومانية

T حين يكون بالأكمام، أطواله مختلفة وفي العادة يصل إلى حدود الركبة، ويشد بحزام عند منطقة الخصر¹، وأصدق صورة عن هذا النوع من اللباس في شمال إفريقيا هي صور الطفل المصور على فسيفساء الأقزام في متحف شرشال، ويظهر لباس التونيك في هذه اللوحة بلون أزرق، وبأكمام طويلة تصل إلى الكوعين، مربوط بحزام عند الخصر، وطوله يصل إلى فوق الركبة. (شكل رقم 34- أ)، ويظهر لباس التونيك مرة أخرى في صورة الطفل رفقة والده المصورة على نصب معروض في متحف الآثار القديمة بالجزائر العاصمة، ويظهر هذه المرة أطول من الأول، حيث يصل إلى منتصف الركبة، أكمامه طويلة ومربوط بحزام عند الخصر (شكل رقم 34- أ).

شكل رقم 34: لباس التونيك في المصادر المادية

أ - فسيفساء متحف شرشال



National Museum of Antiquities and ancient Islamic:

<https://g.co/kgs/h9nnQB>



Museum of Cherchell:

<https://g.co/kgs/vLSs4H>

شكل رقم 35: صورة لباس التوجا على التابوت الرخامي بمتحف الآثار القديمة



National Museum of Antiquities and ancient Islamic:

<https://g.co/kgs/h9nnQB>

¹ P. miquel, La vie privée des Hommes au Temps des Romains, illustration de forme le call, Hachette, Paris, p56.

الرداء الخارجي: يسمى في اللغة اللاتينية التوجا "Toga"، ينسج من صوف الأغنام، يرتديه الصغار والكبار ويختص به الذكور دون الإناث، وهو عبارة عن لحاف طويل يلف به الجسم بطريقة خاصة، حيث يوضع الجانب المستقيم من اللحاف على الكتف الأيسر، ثم يجذب ويشد من تحت الذراع الأيمن ويوضع على الكتف الأيسر ويبقى الباقي خلف الظهر، وقد اتخذ لباس التوجا أسماء وألوانا مختلفة وذلك حسب كل طبقة اجتماعية معينة في المجتمع¹، وتمتاز التوجا الخاصة بالأطفال الأحرار باللون الأبيض وتكون مطرزة على الحواشي، أما التوجا الخاصة بأبناء الطبقة الأرستقراطية بذلك الشريط الأرجواني الذي يكون على طول حافتها وتعرف بـ: "Toga Praetexta"².

يظهر لباس التوجا في تابوت الطفل الرخامي والذي يعود للقرن الثالث ميلادي المعروض في متحف الآثار القديمة في الجزائر العاصمة بعدما عثر عليه في سوسة بتونس، حيث تتوسط صورة الطفل التابوت وسط دائرة، ولا يظهر منه إلا الجسم العلوي من جسمه، وتظهر التوجا بشكل واضح ملفوفة على كتفه الأيسر ومشدودة تحت إبط ذراعه الأيمن (شكل رقم 35).

الأحذية: يظهر الأطفال في بعض النصب والتماثيل وهم حفاة القدمين، وفي بعض الصور الأخرى يظهرون وهم يرتدون نوع من الصنادل ذات الأشرطة الكبيرة أو تلك الأحذية ذات الرقبة القصيرة والتي تربط إلى الساق (شكل رقم 36)، وهناك نوع من الأحذية المصنوعة من الجلد والذي يسمى كلكس "Calcse"، وهناك نوع آخر من الصنادل التي تتشكل من فراش سميك المربوط بعصابة من الجلد، أما أبناء العبيد والفقراء فإما كانوا حفاة أو أنهم انتعلوا بعض الخفاف المصنوعة من الكتان³.

¹ P. wingte, les romain "les petits malins", Usbornnepu blishingIrd, Coll, 1997, p599.

² خاشة السعيد، المرجع السابق، ص 60.

³ B. Mille, L. Rossetti, C. Rolley, Les deux statues d'enfant en bronze (Cap d'Adge) : étude iconographique et technique, in Martine Denoyelle, Sophie Descamps- Lequime, Benoît Mille and Stéphane Verger (dir.) » , Bronzes grecs et romains, recherches récentes » — Hommage à Claude Rolley, INHA (« Actes de colloques »), 2012, p 7.

1-5-2 لباس الإناث

كان لباس الفتيات الصغيرات يشبه كثيرا لباس النساء البالغات في كثير من الجزئيات، حيث كن يرتدين الأثواب والفساتين والتنانير الطويلة وبعض الأردية الخارجية المصنوعة من القماش والكتان أو من صوف الأغنام.

الأردية الداخلية: يعد لباس الستولا "Stola" من أشهر الألبسة التي ترتديها البنات والنساء في مجتمع إفريقيا الرومانية، وهو عبارة عن فستان طويل من القماش يصل إلى القدمين، تتميز بأكمام طويلة أو قصيرة، وفي العادة يكون مزين بالعديد من الطرز والثنايا¹، ويظهر هذا النوع من اللباس في تمثال الطفلة الجالسة الذي يعود إلى القرن الثاني ميلادي والمعروض في متحف عنابة، إذ يتميز بأكمام قصيرة تصل إلى المرفقين، ومزين بأزرار في منطقة الصدر ومشدود في منطقة الخصر (شكل رقم 37).

الأردية الخارجية: ترتدي البنات الصغار والنساء لباس البالا "Palla" وهو عبارة عن لحاف أو عباءة تصنع من الصوف أو من القطن والكتان، تلف على الجسم بطريقة خاصة حيث يمرر اللحف من الأمام على الكتف الأيسر إلى القدمين ويمرر حول الظهر إلى الجانب الأيمن أسفل الذراع الأيمن ثم على الصدر ويلتقي طرفها الآخر خلف الكتف الأيسر²، ويظهر هذا النوع من اللباس في إحدى النصب المعروضة في متحف كويكول، حيث صورت عائلة مكونة من الأب والأم وابنتهم الصغيرة التي تلبس الستولا كرداء داخلي وتضع فوقها لباس البالا الذي تلفه على جسمها من أعلى الكتفين إلى أسفل القدمين. (شكل رقم 38)

1-5-3 تسريحات الشعر

لاحظنا من خلال مختلف صور الأطفال التي عرضناها في هذا المبحث أن تسريحات شعر الأطفال وطريقة الحلاقة كانت متنوعة ومختلفة بين طفل وطفل آخر، فهناك من تم قص شعره ولم يبق منه إلا القليل، مثل تسريحة الصبي المصور على التابوت الرخامي

¹ M. Lillian, the clothing of the ancient Romans, Baltimore, p 155-156.

² I bid, p 150.

المعروض في متحف الآثار القديمة بالجزائر العاصمة (شكل رقم 35)، وهناك من الأطفال من ترك شعره على سجيته لينمو بطريقة عشوائية، مثل شعر الطفل المصور على فسيفساء الأقزام في متحف شرشال (شكل رقم 34-ب)، وهناك بعض القصص الخاصة مثل تسريحة شعر الطفل المصور على النصب المعروض في متحف الآثار القديمة بالجزائر (شكل رقم 34-أ)، حيث وجه شعره بشكل كامل ناحية الخلف، ويبدووا شعره كثيفا ومسرح بعناية فائقة، والمميز في الصورة هو تشابه تسريحة الطفل وتسريحة والده بشكل دقيق.

توجد قصص أخرى خص بها الأطفال في إفريقيا الرومانية، مثل قصة شعر تمثال الطفل البرونزي المعروض في متحف سيرتا (شكل رقم 39-أ)¹، حيث تم تسريح الشعر في شكل خصلات صغيرة مسدولة ومترتبة ناحية الجبهة وناحية العنق من الخلف، أما تسريحات البنات فكانت أكثر عناية وجمالا من تسريحات الذكور، حيث كانت الفتيات تبدأ في الاعتناء بشعرهن وزينتهن منذ صغرهن، وكانت الفتيات الصغيرات تقلدن النساء البالغات في طريقة قص الشعر وتسريحه، وقد ظهرت في مجتمع إفريقيا الرومانية طرق مميزة ومبتكرة في تسريح الشعر زادت من جمال النسوة آنذاك، وقد زينت صورهن مختلف النصب ولوحات الفسيفساء والجداريات.

توجد العديد من أنواع التسريحات التي تزينت بها الفتيات الصغيرات والنساء في مجتمع إفريقيا الرومانية، مثل تسريحة خصلات الشعر الكثيفة المسترسلة على الجبهة، وتسريحة الشعر المتوج في أعلى الرأس، والتسريحة التي تسمى التوتولوس "Tutulus"، والتي يتم فيها ظفر الشعر في شكل جدائل لتلف أعلى الرأس على شكل برج، وهناك تسريحة الشعر القصير والمموج الموجه ناحية الخلف، في صورة تسريحة شعر تمثال رأس الفتاة التي عثر عليه في البرواقية والذي يعود للقرن الثالث ميلادي (شكل رقم 39-ب)².

¹ بنت النبي مقدم، الأسرة.....، ص 166.

² المرجع نفسه، ص 154-155.

شكل رقم 37: تمثال الطفلة الجالسة



Musée des Ruines d'Hyppone :

<https://g.co/kgs/dcG8Tw>

شكل رقم 36: صنادل الأطفال



B. Mille, L. Rossetti, C. Rolley, op-cit, p7

شكل رقم 38: لباس البالا في نصب متحف جميلة



معروض في متحف كويكول (تصوير الباحث)

شكل رقم 39: حلقة الأطفال

ب-تسريحة شعر تمثال الفتاة في
متحف الآثار القديمة



National Museum of Antiquities and ancient Islamic:

<https://g.co/kgs/YA7ee>

أ-حلقة تمثال الصبي المعروض
في متحف سيرتا



Cirta Museum:

<https://g.co/kgs/h9nnQB>

2- تعليم الأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

إن كلمة "Humanitas" والتي تعني في اللغة اللاتينية القديمة الأنشطة التي يمارسها الإنسان من معرفة وتعليم وثقافة قد تكررت في مختلف النصوص الأدبية اللاتينية القديمة للدلالة على المصطلح نفسه، وأول من أشار إليها من الكتاب هو فارو "varro" والخطيب كيكرو وهي ترجمة للكلمة الإغريقية القديمة "αἰδία" "paideia" والتي تعني تربية الطفل وتعليمه¹، والتي ظهرت أول مرة في النصوص الأدبية في القرن السادس قبل الميلاد عند إيسخولوس "Aisklus" في إحدى مسرحياته، وقد تبلورت منذ القرن الخامس قبل الميلاد لتصبح كل ما يتسلح به الطفل منذ سنوات الدراسة الأولى ليصبح إنسانا فاضلا في المجتمع، وأصبحت بعد ذلك مرادفا لمصطلح الثقافة بمفهومها الشامل².

عرف المغرب القديم في الفترة الرومانية انتعاشا كبيرا في المجال الفكري والثقافي بصفة عامة وفي مجال التربية والتعليم بصفة خاصة، حيث كان الطالب يمر على ثلاث مراحل تعليمية كبرى ابتداءً من المرحلة الابتدائية ثم المرحلة الثانوية ثم مرحلة التعليم العالي، وكل مرحلة من هذه المراحل لديها خصوصيتها التي تتناسب مع عمر التلميذ أو الطالب، ولقد ركزنا على مرحلة التعليم الابتدائي لأنها تتناسب مع عمر الأطفال من جهة، ولأهمية هذه المرحلة وخصوصيتها التربوية من جهة أخرى، ولكشف خبايا هذه المرحلة من التعليم طرحنا الإشكالية الآتية: ما مدى نجاح مرحلة التعليم الابتدائي في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية؟ وما هي أبرز سمات هذه المرحلة من حيث سن الالتحاق وأماكن التمدريس وتفاصيل اليوم الدراسي وواقع تعليم الفتيات؟

2-1. سن الالتحاق بالمدرسة وسن التخرج منها

اختلف المفكرون والفلاسفة الإغريق والرومان القدماء حول السن التي يجب أن يلتحق فيها الطفل بالمدرسة الابتدائية والسن التي يجب أن يغادر منها، حيث يوصي الفيلسوف أفلاطون بأن السن المناسبة للالتحاق بالمدرسة هي السادسة من العمر، ويتفق معه أرسطو في فكرة أن الطفل يجب أن يستهل تعليمه في البيت في سن الرابعة ولا يلتحق بالمدرسة إلا

¹ M.M Compéré et A. CHervel, les humanités, l'histoire d'enseignement Français", n° 74, 1997, p 7. p-p 5-38.

² K. Robb, Literacy and paideia in Ancient Greece, Oxford, Paris, 1994, p185.

في سن السابعة، بينما يؤكد بعض المفكرين الرومان إلى أن السن المناسبة للالتحاق بالمدرسة هي حين يصبح الطفل قادر على التمييز بين الأشياء ويصل إلى حقيقة الإدراك والفهم، أي بين السادسة والسابعة من العمر، أما السن التي يجب أن يفرغ فيها التلميذ من المدرسة الابتدائية فيشير أرسطو إلى سن الرابعة عشر أو الخامسة عشر كحد أقصى حيث يصبح الطفل مؤهلاً لتلقي علوم أخرى تتناسب مع عمره في مرحلة أخرى¹.

تشير أغلب النصوص الأدبية اللاتينية إلى أن سن الالتحاق بالمدرسة في روما القديمة كان في السابعة من العمر، إلا أن الأمر قد يختلف بين فترة وفترة أخرى من تاريخ روما، ففي العهد الملكي والجمهوري قد يتأخر الطفل حتى سن العاشرة للالتحاق بالمدرسة الابتدائية²، ولا يختلف الأمر بالنسبة للمقاطعات الرومانية حيث يشير الباحث أمان "A-G. Hamman" إلى أن سن الالتحاق بالمدرسة في مقاطعات إفريقيا الرومانية يبدأ في السابعة من العمر³، ومثال ذلك هو الكاتب أبوليوس المداورشي الذي التحق بالمدرسة الابتدائية في سن السابعة في مسقط رأسه مادوروش⁴.

يتفرغ الطفل من المدرسة الابتدائية في مقاطعات إفريقيا الرومانية في الثالثة عشر من العمر⁵، أين يصبح التلميذ مراهقاً وهي السن التي كان الرومان يطلق عليها مصطلح "adulescens" أي الشاب المراهق في مرحلة النمو الجسدي، بينما كانوا يطلقون مصطلح "imbubes" على الصبي الذي لم يصل إلى سن البلوغ أو الطفل الذي مازل يدرس في المرحلة الابتدائية.

تختلف سن الالتحاق وسن المغادرة من المدرسة عند الأطفال الفقراء عن باقي الأطفال الآخرين، ففي كثير من الأحيان قد يتأخر الأطفال الذين ينتمون لعائلات فقيرة عن الالتحاق بالمدرسة نظراً لمحدودية إمكانياتهم المادية ومشقة تحمل تكاليف الدراسة، فربما يصل الطفل إلى سن العاشرة أو الحادية عشر ولم يلتحق بالمدرسة الابتدائية بعد ولا يفرغ منها إلا في

¹ مصطفى محمد قنديل زايد، التربية والتعليم في الحضارة الإغريقية والرومانية دراسة وثائقية وأثرية، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 2004، ص 31-33.

² H-I. Marrou, Histoire de l'éducation dans l'antiquité, tome 2, du seuil, Paris, 1984, p 265

³ A-G. Hamman, la vie quotidienne au temps de saint Augustine, Hachette, Paris, 1986, p 105.

⁴ P. Monceaux, les Africains études sur la littérature latine d'Afrique (le païens), le cène oudi net Cie, Paris, 1999, p. 267.

⁵ H-I. Marrou, op-cit, p 265.

سن السادسة عشر أو السابعة عشر باعتبار أن سنوات الدراسة في مرحلة التعليم الابتدائي هي خمس سنوات¹.

يتكلم القديس أوغسطينوس في هذا الصدد عن والده باتريكوس "Patricius" الذي كان محدود الدخل ولم يستطع تأمين تكاليف الدراسة لابنه، الذي اضطر لتأخير مواصلة دراسته ولم يذهب لقرطاج إلا في السادسة عشر من العمر بفضل مساعدة أحد أصدقاء العائلة الذي يدعى رومانيوس "Romanianus"، والذي دفع التكاليف ومكن أوغسطينوس من إكمال دراسته الثانوية، في هذا الصدد يقول القديس: "كنت في ذلك الوقت الشاب الفقير الذي أتيحت له فرصة الدراسة في مدينة أجنبية، وعندما فقدت إعانة أبي وجدتك أنت (مخاطبا صديق العائلة) الذي منحتني مكانا في منزلك وحتى في قلبك، وشجعتني بنصيحتك ومنحتني ثروتك من أجل إكمال هدفي"².

بقي التعليم الابتدائي في مقاطعة إفريقيا الرومانية حكرا على أبناء الأسر الموفرة وعلى أبناء المدينة، بينما حرم أغلب الأطفال في الأرياف من التعليم خاصة أبناء السكان المحليين، وهي استراتيجية مقصودة من السلطة الرومانية التي كان هدفها الوحيد من التعليم هو تكوين طبقة من النخبة تستطيع أن تنشر الثقافة الرومانية في المنطقة، وهذه الطبقة يجب أن تتمتع بالموطنة الرومانية وهي الصفة التي تغيب عن السكان المحليين وأبنائهم³.

2-2. تفاصيل اليوم الدراسي

أورد الباحث مصطفى محمد قنديل زايد نقلا عن الشاعر الروماني بلاوتونيوس "Blatonus" تفاصيل اليوم الدراسي في التعليم الروماني في إحدى مسرحياته حيث يقول: "إذا لم تصل (يخاطب التلميذ) مبكرا إلى المدرسة قبل شروق الشمس فإن معلم التربية البدنية يلحق بك عقابا صارما، وبعد عودتك إلى المنزل تذهب لتجلس على كرسي أمام مدرسك: وعندما تخطئ في مقطع لفظي واحد عند قراءتك لكتاب فإن المدرس سوف يجلد ظهرك بالسوط حتى يجعله مثل عباءة المربية البالية ..."⁴.

¹ F. Talbot, Apprendre et enseigner en Afrique proconsulaire L'éducation classique et la vie municipale africaine, du second siècle à la fin du monde antique, QUÉBEC: UNIVERSITÉ LAVA, 2007, p 78.

² S. Augustin, Les Confessios, III,5.

³ F. Talbot, op-cit, p 78.

⁴ مصطفى محمد قنديل زايد، المرجع السابق، ص 38-39

ذكر المؤرخ مارو نقلا عن الشاعر الروماني لوكيانوس الذي عاش في القرن الثاني ميلادي تفاصيل اليوم الدراسي للتلميذ في عصره، حيث قال: "أن يوم التلميذ كان شاقا جدا حيث يبدأ مع الفجر وذلك بالذهاب رفقة البداغوغ (المربي) إلى المدرسة ليتعلم القراءة والكتابة، ثم يعود إلى المنزل من أجل تناول وجبة الغداء وبعدها يذهب إلى البلايستر في النصف الثاني من اليوم ليمارس الألعاب الرياضية ولا يعود إلى المنزل إلا في عز المساء منهكا لينام مباشرة بعد وجبة العشاء"¹.

ذكر الباحث مارو تفاصيل اليوم الدراسي في المقاطعات الرومانية نقلا عن كتاب المحادثة لأحد الرجال الرومان الذي يروي ذكرياته عندما كان صغيرا قائلا: "عندما أستيقظ أنادي العبد وأسمح له أن يفتح النافذة، ثم أجلس على جانب السرير، وأطلب منه أن يجلب جوربي وحذائي لارتدائهما لأن الجو بارد جدا، ثم أغسل وجهي وأسنانني وأنفي، ثم أنزع لباس النوم وألبس ردائي وحزامي وأعطر نفسي وأمشط شعري وأرتدي عباءتي البيضاء وأضع الوشاح على رقبتني وأغادر الغرفة رفقة البداغوغ والخادمة، ثم ألقى التحية على أبي وأمي وأقبلهما، ثم أحضر القلم والمحبرة وكتاب التمارين وأعطيهم إلى العبد، وأتبع البداغوغ في رحلة السير إلى المدرسة، ثم ألتقي مع زملائي ونتبادل التحية، وحينما نصل إلى المدرسة أنزع عباءتي في الصالة وألقى التحية على الأستاذ وهو يرد التحية، والعبد يمسك ألواح الكتابة والقلم والمحبرة والمسطرة، ثم تحدث حالة من الفوضى بين الزملاء لتنافسنا حول المقاعد ومن يأتي الأول يأخذ مكان زميله، ثم عندما أنهى دروسي أطلب من المعلم العودة إلى البيت من أجل وجبة الغداء، فيسمح لي الأستاذ فأعود رفقة البداغوغ وأتناول الوجبة المكونة من الخبز الأبيض والبيض والجوز، وبعد ذلك نعود إلى المدرسة في الفترة المسائية لمواصلة الدراسة وبعد الانتهاء من هذه الفترة يأتي وقت الحمام وأتبع خادمي الذي يحمل المنشفة وأتسابق مع زملائي وأقول لمن يمسكني حماما هنيئا وعشاءا طيبا...."².

يُستنتج من خلال هذه النصوص بعض المعلومات عن اليوم الدراسي في المدرسة الرومانية، حيث يبدأ اليوم الدراسي في الصباح الباكر قبل شروق الشمس وذلك حتى في فصل الشتاء، حيث تذكر بعض النصوص أن الطّفّل يستعمل المصباح الذي تتصاعد منه

¹ H-I. Marrou, op-cit, p 398.

² I bid, p 378.

الأدخنة لكي يهتدي به طريق المدرسة في فصل الشتاء، ويُستنتج كذلك أن المنهج الدراسي في مرحلة التعليم الابتدائي كان قوامه تعلم القراءة والكتابة، ويتم ذلك على فترتين صباحية ومساءلية، وتفصل بينهما فترة راحة يتناول فيها الطفل وجبة الغداء، وينتهي اليوم الدراسي بحمام ساخن يزيل تعب اليوم الشاق، كما ذكرت هذه النصوص العديد من الأدوات المدرسية التي كان يستعملها الطفل مثل القلم والمحبرة وألواح الكتابة والمسطرة وكتاب التمارين... الخ، كما تكلمت هذه النصوص عن البداغوغ الذي يرافق الطفل إلى المدرسة ويشرف عليه في البيت، وتشير النصوص أن البداغوغ في الغالب يكون من أصول إفريقية¹.

كانت المدارس الرومانية في مختلف المقاطعات الإفريقية تغلق أبوابها في فصل الصيف من نهاية شهر جويلية وحتى منتصف أكتوبر، وكانت هناك إجازات أسبوعية كل يوم سبت، وربما اختاروا هذا اليوم بالذات نظرا لتأثر المجتمع الروماني باليهود الذين كانوا لهم عطلة في اليوم ذاته، وكانت هناك إجازات خاصة بكل تلميذ في عيد ميلاده أو بعض الأعياد الخاصة بأسرته، وقد يرخص له الغياب والراحة أثناء المرض أو السفر أو ما شابه ذلك²، كما تكلمت النصوص عن المدارس التي كانت تقيم الإحتفالات لتكريم الناجحين في نهاية كل سنة من أجل تحفيزهم ودفعهم إلى الاجتهاد أكثر³.

كانت طريقة تلقين الدروس في المدرسة تقليدية بواسطة التلقين الشفوي والقراءة بصوت مرتفع من طرف المعلم، مما يسمح للتلاميذ بطرح الأسئلة والمشاركة بالمناقشة وفتح باب الحوار بين المعلم والتلميذ، حتى يصل درس الأستاذ إلى أكبر عدد منهم⁴، كما يُجبر التلاميذ على حفظ الدروس والنصوص، ويبدأ التلميذ في المدرسة الابتدائية بدراسة القراءة والكتابة وتعلم الحساب من خلال إجراء العديد من التمارين وحفظ القواعد الحسابية عن ظهر قلب⁵، وفي سن 11-15 يدرس التلاميذ مادة النحو من خلال الاطلاع على كتب فريجيل وتيرانوس

¹ مصطفى محمد قنديل زايد، المرجع السابق، ص 42-43

² H-I. Marrou, op-cit, p149.

³ شافية شارن وبلقاسم رحمانى ومحمد الحبيب بشاري، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 261

⁴ بنت النبي مقدم، الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، العدد 8، جامعة وهران، 2018، ص 324 ص 319-348.

⁵ F. Talbot, op-cit, p 95-96.

"Tiranus" وكيكرو والقيام بعمليات شفوية وكتابية، كما استعملت الكتب المدرسية التي كانت في بادئ الأمر إغريقية ثم أصبحت لاتينية فيما بعد¹.

تبدأ المرحلة الثانية من الطفولة حسب رأي القديس حين يبدأ الطفل بتعلم الكلام، فهو يذكر هذه المرحلة من عمره، ويؤكد أنه لم يتكلم الكلام والكلمات وفقا لنظام منهجي ثابت كما تعلم الحروف من بعد، بل تعلمها وفقا للذكاء والفطرة التي وهبها إياه الإله، فقد كان يحفظ الكلمات والجمل بالذاكرة وبالتكرار، ويحفظ الأصوات وإشارات الجسم وحتى انفعالات النفس كان يدركها².

كان الأطفال يجبرون على التعلم وإلا مصيرهم السوط والعقاب لدرجة أن الواحد منهم يفضل الموت على العودة إلى سنوات الدراسة، وأشار القديس أوغسطينوس في العديد من المواقع لهذه الظاهرة، فهو يحكي عن تجربته حين أفحمه المعلم ضربا وقال له أن هذا في مصلحتك، وكان العقاب الذي تلقاه بوسائل مشينه حسب وصف القديس لأنه تلقاه أمام والده الذي سخر منه أمام جميع الحاضرين، وتحدث كذلك أوغسطينوس عن تجربته كمعلم في قرطاجة حيث ساد العنف المدرسي داخل وخارج المدرسة وأعطى العديد من الأمثلة عن تلاميذه والأعمال الذين كانوا يقومون بها³، ويقول أوغسطينوس في موضع آخر: " من منا لا تروعه طفولته ويتمنى الموت قبل أن يعيشها من جديد، وقد ورث هذا العنف عن طريق الأجداد والمعلمون الأوائل الذين كانوا يعتقدون أنه الأسلوب الأمثل لتربية وتعليم أمثل⁴."

2-3. أماكن التعليم

تشير بعض النصوص الأدبية إلى أن القرن الرابع ق م هو القرن الذي ظهرت فيه المدرسة الابتدائية التي تعلم الأطفال القراءة والكتابة، وابتداءً من القرن الثاني ق م عمت المدارس الابتدائية في روما والتي كانت أساليبها ومناهجها قائمة على اللغة الإغريقية لأن المعلمين كانوا كلهم إغريقا⁵.

¹ بنت النبي مقدم، الحياة الأدبية والفكرية ..، ص 324.

² S. Augustin, Les Confessios, VIII, 13.

³ F. Talbot, op-cit, p 95-96.

⁴ أوغسطين، اعترافات القديس أوغسطين، تر يوحنا الخوري، ط 4، دار المشرق، بيروت، 1991، ص 263.

⁵ R. Van den Bergh, The Role of Education in the Social and Legal Position of Women in Roman Society, Revue Internationale des droits de l'Antiquité, XLVII, 2000, p. 357.

فشلت الآثار إلى حد الآن في إيجاد أماكن كانت مخصصة بشكل صريح للتعليم الابتدائي في مقاطعات إفريقيا الرومانية وفي كل العالم الروماني القديم، على عكس العالم الإغريقي الذي تعج آثاره بالنقوش ذات الطابع التعليمي الخاصة بالتربية البدنية وصلات العرض والمدارس العمومية، لكن هذا لا ينفي وجود أماكن للتعليم في العالم الروماني بشكل عام وفي مقاطعات إفريقيا الرومانية بشكل خاص¹.

كان لمعلم المدرسة الابتدائية "Ludi Magistri" خياران بالنسبة لأماكن التعليم، فقد يقدم دروسه في بيت التلميذ خاصة لما يتعلق الأمر بأبناء العائلات الغنية، وقد يقدم دروسه في الخارج في أحد أطراف المدينة، ويكون هذا المكان مكشوفاً بغرض جلب طلاب جدد، وربما يستأجر المعلم أحد المتاجر ويجعلها قسماً دراسياً يمارس فيه مهنته، وربما يستغل أحد الأروقة الضيقة من المدينة ويسترها برداء لمنع تطفل العامة ومنع تسرب الحشرات إلى الداخل².

لم تتدخل الدولة في مسألة التعليم إلا في حالات قليلة، إلا أن البلديات كانت تهتم بإعادة هياكل التعليم وانتداب المعلمين ودفع رواتبهم، وقد يتطوع أحد الأغنياء أو مجموعة من الأفراد لتأسيس المدرسة، وتوجد العديد من النقوش البونية واللاتينية التي عثر عليها في شمال إفريقيا التي أشارت إلى شخصيات ساهمت في عملية إقامة منشآت ثقافية عامة، مثل نقش رأس الحدابة بمنطقة نزوهة في تونس ونقوش وادي العامود في إقليم المدن الثلاث في ليبيا³.

قدّمت لنا النصوص الأدبية بعض أماكن التعليم في المدن الإفريقية القديمة خاصة في مدينة قرطاج، حيث حدد أبوليوس المداورشي بعض أماكن التعليم في هذه المدينة، وكشفت كتاباته عن أسماء بعض الأماكن العامة في قرطاج التي كانت تُنقل فيها المعرفة كالمسرح والمكتبة ومعبد إسكالابيوس "Esculapus"، وكانت هذه الأماكن دافعاً أساسياً في ازدهار الثقافة والتعليم في قرطاج، لأن هذه الأماكن تعد أقطاب ثقافية ودينية يقصدها العديد من الناس والنخب⁴.

¹ F. Talbot, op-cit, p52

² A-G. Hamman, op-cit, p 105.

³ S. Gsell, H A A N, tome 6, p. 92.

⁴ Apulée de Madaure, 16.18.

تكلم المؤرخون على نموذج مدرسة مدينة قورينا التي أسسها الفيلسوف أرسطوس، والتي ارتادها العديد من التلاميذ والطلاب وكان لها دور كبير في انتشار الثقافة الإغريقية في المنطقة، حيث ارتكز التعليم فيها حسب ما جاء به دستور بطليموس، الذي ينص على أن الذين يقومون بالتعليم الأولي هم معلمو التربية البدنية الذي يعلمون التلاميذ استخدام القوس وركوب الخيل والمصارعة وذلك شبيه لما كان يحدث في المقاطعات الإغريقية، ومن أشهر المدارس كذلك مدرسة مداوروش التي يقصدها الطلاب من كل جهة حيث كانت ذائعة الصيت، حتى أن القديس أوغسطين درس فيها¹.

تكلم الباحث الفرنسي جبار شارل بيكار عن أول مركز تعليمي في قرطاج في الفترة الرومانية وسماه المنتدى، وهو عبارة عن مجموعة من الغرف المتجاورة التي يستأجرها المعلمون من أجل التدريس، كما أشار كذلك إلى الحمامات التي تستعمل هي الأخرى كفضاء للتعليم وقد أعطى مثال حمام أنطونينين "Antonin" في قرطاج².

لعبت المكتبات دورا كبيرا في العملية التعليمية في مقاطعة إفريقيا الرومانية، حيث تزخر شمال إفريقيا بالعديد من المكتبات التي تعود لتلك لفترة، وتبقى مكتبة تيمقاد واحدة من أفضل الأمثلة عن المكتبات التي كانت تعتبر كمبنى عام مخصص للتدريس، وقد بنيت هذه المكتبة بفضل التبرع الذي قدمه كوينتيانوس فلافيوس روغانتيانوس Quintianus Flavius "Rogatianus" أحد الشخصيات الأرستقراطية في مدينة تيمقاد، وتوجد العديد من النقائش اللاتينية على جدران هذه المكتبة والتي تؤكد توافد التلاميذ والطلاب عليها³.

يشير القديس أوغسطينوس إلى استحداث بعض المدارس النظامية في بعض المدن الرومانية في مقاطعة إفريقيا والتي تدرس قواعد اللغة اللاتينية حيث قال في هذا الصدد: "...لأي سبب كنت أكره اللغة اليونانية التي لفتتها طفلا صغيرا، ذلك بقي لغزا محيرا لحد الآن، فقد كنت أحببت اللغة اللاتينية، لا تلك التي يعلمها الملمون إلى الصبيان بل التي يدرسها النحويين، ففي ما يخص تلك البدايات التي كنا نتعلم فيها القراءة والكتابة والحساب، لم أكن أجدها أقل عبئا ومشقة من كامل اللغة..."⁴.

¹ شافية شارن وبلقاسم رحمانى ومحمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 260.

² G. Picard et C. Picard, op-cit, p161-162.

³ N. Tlili, Les bibliothèques en Afrique romaine, Dialogues d'histoire ancienne, 26/1, 2000, p151-175.

⁴ Ibid, X, 20.

كما أشار إلى كرهه للأدب الإغريقي الذي كان يدرس للأطفال في شمال إفريقيا: "لماذا كنت أكره الأدب اليوناني الذي يقص مثل هذه القصص؟ إذا كان هوميروس خبيراً في نسج هذه الأساطير عذبا جدا في خفته وعبثه، إلا أنني في طفولتي كنت أجه ثقيلاً مرا، وأضن أن الأطفال اليونانيون أيضا يجدون الثقل في كتابات فرجيليوس عندما كانوا يرغبون على حفظه مثلما أرغمت أنا.."¹.

2-4. البداغوغ ودوره التعليمي والتربوي

كانت الأسر الأرستقراطية في مقاطعات إفريقيا الرومانية تملك العديد من الخدم والعبيد الذين يشرفون على خدمتهم، وكان لهم بيت خاص بهم يسمى "Paedagigium"، وفي الغالب كان يُربى أبناء العبيد على كيفية إتقان وظيفتهم في خدمه أسيادهم، كما يختار أحد العبيد المثقفين من أجل أن يرافق ابن السيد في ذهابه وعودته من المدرسة والإشراف على مراجعة دروسه، ويسمى هذا الخادم بالبداغوغ "paedagogus" والتي تعني في اللغة اللاتينية العبد الذي يرافق الطفل إلى المدرسة، وقد نقلت هذه الكلمة عن اللغة الإغريقية من الكلمة ὁ δὲ ὑποδαγάζων والتي تعني ملازم الطفل²، وقد ذكرت هذه الوظيفة أول مرة عند المؤرخ هيرودوتوس في القرن الخامس قبل الميلاد، حين ذكر البداغوغ الذي كان يشرف على أبناء ثميسثوكليس³.

ينظر للبداغوغ قبل تعيينه للإشراف على أي طفل إلى أخلاقه وإلى إمكانياته الثقافية لضمان حماية التلميذ، وتشير أغلب النصوص الأدبية إلى أن الرومان كان يعتمدون على العبيد الإغريق كبداغوغ مرافقين لأبنائهم، حيث ذكر خطيب روما كيكرو صديقه أتيكوس "Atticus" الذي اتخذ بداغوغ إغريقي كمرافق لابنيه، وذكر بلينيوس الأكبر بنات صديقه اللاتي كان لهنّ معلم إغريقي خاص يعلمهنّ الفنون والنحو واللغة⁴، وتكلم القديس أوغسطينوس عن وظيفة البداغوغ في مقاطعات إفريقيا الرومانية قائلا: "البداغوغ لا يقتصر

¹ I bid, XIV, 23.

² مصطفى محمد قنديل زايد، المرجع السابق، ص 57-59.

³ Hérodote, VIII, 75.

⁴ R. Van den Bergh, 2000: p. 355

الفصل الخامس _____ التربية والتعليم في مجتمع إفريقيا الرومانية

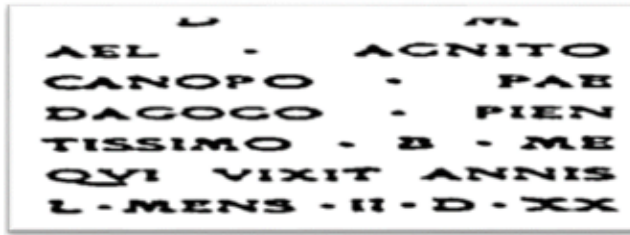
دوره على الإشراف على الطفل في البيت فقط، بل هو الذي يرافقه عند الذهاب إلى المعلم، والطفل عندما ينهي تعليمه يصبح غير خاضع لأي سلطة تربوية.¹

توجد بعض النقائش اللاتينية التي تتحدث على البداغوغ في مقاطعات إفريقيا الرومانية، مثل النقيشة التي وجدت في مدينة دوقة، والتي جاءت تحت رقم 1506 من الجزء الثامن من مدونة النقائش اللاتينية والتي تتحدث على كورنيليا فورتونا Cornelia "Fortunata" (شكل رقم 40-أ). والنقيشة التي وجدت في تبسة تحت رقم 3322 من المدونة نفسها، والتي تتحدث على البداغوغ كايوس أزياتسكوس فيلكس "Caius Asiaticus Felix" (شكل رقم 40-ب).²

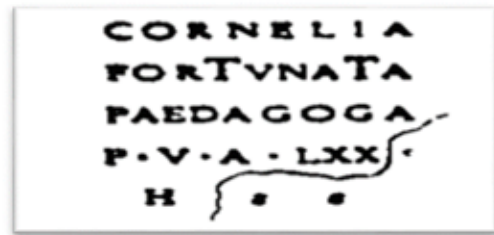
شكل رقم 40: النقائش اللاتينية التي تتحدث على البداغوغ في مقاطعات إفريقيا الرومانية

أ - نقيشة رقم: 1506

ب - نقيشة رقم: 3322



المصدر: CIL, VIII, 3322



المصدر: CIL, VIII, 1506

كان للبداغوغ دوران: دور تعليمي ودور تربوي، فهو المسؤول على رعاية الطفل والحفاظ على سلوكه والمسؤول أيضا على مرافقته إلى المدرسة، حيث يجلس في حجرة الدرس بالقرب من تلميذه وينظر بعناية إلى الأستاذ ويتلقى العلوم ثم يتلقى التلميذ لأنه هو من سيشرف على مراجعة دروسه في البيت، ولا بد أن تكون له دراية بالدروس والمناهج التي يتلقاها تلميذه، وتشير بعض النصوص الأدبية إلى أن البداغوغ أصبح فيما بعد مساعد للمعلم في المدرسة، وكان البداغوغ من الجنسين إناثا وذكورا فالإناث يشرفن على البنات والذكور يشرفون على الصبيان.

¹ F. Talbot, op-cit, p78.

² بنت النبي مقدم، الحياة الأدبية والفكرية ..، ص 324.

5-2. تعليم الإناث

تشير النصوص الأدبية إلى أن المرأة الرومانية لم تحض بحقها في التعليم مثلما حظي به أخوها الرجل، وذلك بسبب أن جل وقتها كان في البيت من أجل تربية أبنائها والقيام بأعمال المنزل، كما أن خروج البنات للتعليم كان محفوفًا بالمخاطر، فقد كان يخشى عليهنّ من الخطف في الشارع ويخشى عليهنّ حتى من المعلم في حد ذاته، وهو الشيء الذي حد من تعليمهنّ، لكن هذا لا يعني أن كل البنات كن أميات بل كن يتعلمن خاصة بنات الطبقة الأرستقراطية¹.

كان الهدف الأساسي من التعليم الروماني هو إعداد الرجال للحياة السياسية، وتم استبعاد النساء منه، لأنهنّ كنّ يتزوجن في سن مبكرة جدا مما يعيقهنّ في متابعة دراستهنّ، لكن هذا لا يعني استبعادهنّ نهائياً، بل ذكرت النصوص الأدبية العديد من الشخصيات الأنثوية المتعلمة والمتقفة سواء بالثقافة الإغريقية أو اللاتينية، والتي تؤكد أن هناك ثلة من البنات تعلمن مثلنّ مثل الذكور ووصلن مبلغاً كبيراً في العلم²، ومن أمثلة ذلك نذكر الأدبية سانت بيربتوا "Sainte perpetue" والتي كان لها بعض الروايات الأدبية، هذه الأخيرة تتميز بالنثر الإيقاعي وأسلوب الحوار والجدال، والتي تظهر مدى تمكنها في اللغة وبيان الأسلوب وتظهر أيضاً أنّ تدرجها في التعليم كان ممتازاً، كما ذكر أبوليوس المداورشي شخصية أيميليا بيدنتيلا "Aemilia Pudentella" وهي امرأة ثرية من فئة الفرسان وهي أيضاً متعلمة ومتقفة وتتنقن الأدب اللاتيني والإغريقي³.

ذكر المؤرخ تالبو "F. Talbot" نقلاً عن كونتيليانوس "Quintilianus" أن الأسر الغنية في مقاطعة إفريقيا الرومانية كانت تسهر على تعليم بناتها لضمان أشياء عديدة نذكر منها: عفة الزوجة، حسن إدارة الأسرة، الشجاعة، تعليم الأولاد فيما بعد... الخ، وتعليم البنات على حد قول كونتيليانوس كان خاصاً إلا بالأثرياء، لأنهم كانوا يستطيعون دفع تكاليف التعليم ويمكنهم استئجار المرشدة التربوية التي ترافق البنت في تعليمها⁴.

¹ مصطفى محمد قنديل زايد، المرجع السابق، ص 67-68.

² F. Talbot, op-cit, p37.

³ Apulée de Madaure, 30.11.82.

⁴ F. Talbot, op-cit, p 38.

يوجد نص في منسوب لمجلس قرطاج يشير إلى أن المرأة لا يمكن لها أن تتولى أي مهمة تعليمية، ويكمن أن تتعلم القراءة والكتابة فقط من قبل زوجها، إلا أن هناك بعض الإشارات التي تؤكد أن بعض النساء عملن في مجال التعليم، حيث وجدت نقيشة في شرشال لامرأة اسمها فوليسيا تيرتيلينيا "Volusia Tertullina" التي كانت تعمل كمدرسة في مادة النحو "grammatica"، وقد وجدت صورة في القيروان بتونس "Marsa" لامرأة في كامل زينتها تجلس فوق كرسي وتقرأ كتاب (شكل رقم 41)، وتوجد صورة أخرى لامرأة تقوم بفعل القراءة مصورة على تابوت يعود للقرن الثاني ميلادي في مدينة تبسة بالجزائر، وتوجد نقيشة في حدرموت لزوج حزين على زوجته التي وصفها بالفيلسوفة "filosofa"¹، وقد أشار القديس أوغسطينوس إلى أمه مونيك التي كانت تشارك في النقاشات الفلسفية التي يفتحها هو بفعالية، مما يدل على تعلمها وذكاها².

شكل رقم 41: صورة لامرأة وهي تقرأ كتاب وجدت بالقيروان في تونس



N. Benseddik, être femme dans....., p 110.

وجدت العديد من النقائش اللاتينية في شمال إفريقيا تعود للفترة المسيحية، وتؤكد هذه النقائش أن الفتيات كن يتعلمن خاصة العلوم الدينية التي تتعلق بالمسيحية، مثل نقيشة الفتاة الصغيرة التي تدعى ريسيتيوتا "Restitiuta" والتي وصفت على أنها فتاة: " ضليعة في علم

¹ N. Benseddik, être femme dans....., p 110.

² S. Augustin, Les Confessios, IX, 4.

الكتاب المقدس "Sacrae Scripturae Studiis Optime Eridita"، وهناك نقيشة أخرى لفئة صغيرة تدعى أبييتينا فيكتوريا "Abitina Victorai" كانت قد درست مع شقيقها في قرطاج "hic ... nobis hic studentibus"¹، وتوجد نقيشة في مدينة قالمة "Calama" تعود لأب مسيحي كتب على قبره أنه قدم كل ما يملك من أجل أن يحصل ولداه سيوس وسيا "Seius et Seia" على تعليم قوي يؤهلها لأن تكون سيرتهما جد حسنة².

والهدف من تعليم الفتيات الصغيرات في الفترة المسيحية هو الرغبة أن يكونوا فتيات قويات الإيمان وناضجات أكبر من سنهن، وهي الصفات التي ذكرت أحد الكتاب القدامى في حق الفتاة المتعلمة فيكتوريا: "فيكتوريا مقدسة جدا بين النساء، زهرة العذارى، معروف عليها حسن السيرة، مشرفة بالولادة، محبة جدا للدين، متمسكة بالأخلاق، تلمع بتواضع دون انحرافات حيث يتوافق جمال الجسد بجمال الروح المليء بالإيمان والبراعة والقداسة، ورغم حداثة سنّها إلا أنها صادقة وناضجة العقل"³، وهناك العديد من المراثيات في إفريقيا الرومانية تعود لفتيات مسيحيات توفين في سن مبكرة ووصفن بصفة تجمع بين الفضائل الأربع: الحكمة، الشجاعة، ضبط النفس، العدالة⁴.

من خلال ما سبق عرضه في هذا الفصل نستنتج أنّ الأسرة هي أهم مؤسسة تربوية في مجتمع إفريقيا الرومانية، حيث تحتضن الطفل منذ ولادته وإلى أن يصل إلى مرحلة البلوغ، والدلائل الكتابية والأثرية كثيرة عن مدى الحب الذي تكنّه الأسرة لفئة الأطفال في هذا المجتمع، حيث كانت الأم هي المسؤول الأول والفاعل الرئيسي في دور التربية، فبالإضافة إلى دورها البيولوجي في الحمل والولادة والرضاعة، كانت تحمل على عاتقها أدوارا أخرى في الرعاية والتنشئة الاجتماعية، ويساعدها الأب بشكل نسبي في هذه الأدوار، لكن هذا لا يعني أن التربية الأسرية في تلك الفترة كانت مثالية، بل سجلنا بعض

¹ F. Sabine et H. Christine, L'image de la femme africaine dans les Passions : réalités sociales et élaboration d'un modèle chrétien, In : Antiquités africaines, 45, 2009, pp. 139-152, p144

² CIL, VIII, 5370.

³ "Etenim Victoria, sanctissima feminarum, flos uirginum, decus et dignitas confessorum, honesta natalibus, religione sanctissima, moribus temperata, in qua naturae bonum candida pudicitiae lucebat respondebatque pulchritudine corporis fides pulchrior mentis et integritas sanctitatis (...) et in rudibus adhuc canis parebat rigor castissimus mentis" voir: F. Sabine et H. Christine, op-cit, p 144.

⁴ CIL, VIII, 646 à Mactar ; CIL, VIII, 27505 à Masculula ; ILAlg 1, 2247, à Madaure

الممارسات السلبية التي تتم عن تقصير أو إهمال نسبي من قبل الأمهات والآباء في تربية أبنائهم.

تعد المدرسة هي المؤسسة التربوية الثانية في سلم التنشئة الاجتماعية في مجتمع إفريقيا الرومانية، حيث يبدأ الطفل في الالتحاق بمعلم المرحلة الابتدائية في سن السابعة ولا يغادر منها إلا في سن الثالثة عشر أو الرابعة عشر، يدرس فيها القراءة والكتابة والحساب ويتعرض للعقاب في حالة تقصيره. وكتقييم لهذه المرحلة يمكن أن نقول أنّ مرحلة التعليم الابتدائي في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية كانت ناجحة إلى حد ما، بالرغم من أنها اقتصرّت على فئة معينة دون الفئات الأخرى وعلى الذكور دون الإناث، لأنها وفرت كل السبل والإمكانيات للطفل من أجل أن يكون له تحصيل علمي ناجح، بدايةً بالبداغوغ والمعلم، إضافةً إلى الاستعانة بالكتب والأفكار الإغريقية التي أثبتت نجاحها سابقاً وأنجبت لنا حضارة يضرب بها المثل في الفكر والفلسفة والثقافة، لذا فنجاح أي منظومة تربوية قديمة أو حديثة يتعلق أساساً بنجاح المرحلة الابتدائية منها.

الفصل السادس

الفصل السادس: الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

1- بنية الدراسة الإحصائية

2- معدل المواليد

3- أسباب انخفاض معدل الخصوبة

4- نسبة الجنس

5- معدل الوفيات

6- أسباب وفيات الأطفال

الفصل السادس — الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

الفصل السادس: الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

الديموغرافيا "Demography" هي علم السّكان، وهي كلمة إغريقية مكونة من شقين: "Demos" ويقصد بها الشعب أو السّكان، "graphy" وتعني الوصف، ليكون المعنى الحرفي لهذا المصطلح هو وصف السّكان، وهو علم يهتم بالتأريخ الكمي للسكان من مختلف الجوانب، ويهتم بدراسة بنيتهم من خلال الحجم والنمو والتطور بما في ذلك توزيعهم الجغرافي وتركيباتهم العمرية والجنسية والنوعية، كما يتبع الإحصائيات التي تخص معدل المواليد والوفيات والهجرة والزواج.... إلخ¹.

كانت التركيبة الديموغرافية في الإمبراطورية الرومانية جد معقدة، نظرا لسياسة الامتداد والتوسع التي انتهجها الأباطرة الرومان، مما فتح المجال للعديد من الشعوب للالتحاق بالتركيبة الاجتماعية الرومانية، ولم تكن المقاطعات الإفريقية بمنأى عن هذه الفسيفساء الاجتماعية، حيث عرفت شمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية ظاهرة ديموغرافية متميزة، كان أساسها تواجد بشري متنوع الأصول والأعراق، وبنية اجتماعية معقدة التركيب وأوضاع قانونية ومدنية متباينة أثرت في الشكل العام للمجتمع في هذه المنطقة².

لا يهدف هذا البحث لدراسة الوضع الديموغرافي العام للسكان في مقاطعات إفريقيا الرومانية، بل يخص بالدراسة والإحصاء فئة عمرية مميزة هي فئة الأطفال، وسنركز على ثلاث نقاط رئيسية تخص هذه الفئة بعد القيام بعملية الجرد والإحصاء، وهي معدل المواليد ونسبة الخصوبة وسط العائلات والأسر في إفريقيا الرومانية بين مختلف المواقع من جهة وبين مختلف الطبقات الاجتماعية من جهة أخرى، والنقطة الثانية تخص التركيبة الجنسية (الذكور والإناث) وسط فئة الأطفال، أما النقطة الثالثة فتخص نسبة الوفيات في هذه الفئة بين الذكور والإناث، وفي كل نقطة من هذه النقاط سنرفقها بمجموعة من الجداول والمنحنيات البيانية التي من شأنها توضيح البنية الديموغرافية لهذه الفئة، وكذلك سترفق بمجموعة من الملاحظات والشروحات والمقارنات وذلك بالاستعانة بالمراجع والدراسات السابقة.

¹ محمد صفوح الأخرص، علم السكان وقضايا التنمية والتخطيط لها، وزارة الثقافة، دمشق، 1980، ص 120.
² محمد البشير شنييتي، نظرة على الوضع الديموغرافي والاجتماعي في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤتمر الدولي الثاني لحضارة وتاريخ المغرب، وهران، نوفمبر 1982، ص 10.

1- بنية الدراسة الإحصائية

تقوم هذه الدراسة أساسا على النقائش اللاتينية التي خلفتها الحضارة الرومانية في شمال إفريقيا، هذه الأخيرة جُمعت في العديد من السجلات والدوريات، لأنها تعد مصدرا ماديا ثريا بالمعلومات التي استطاع الباحثون استنطاقها واستثمارها في مجالات عدة في علم التاريخ والآثار، وقد استثمرت خاصة في علم الديموغرافيا القديمة. وتبقى أهم الدراسات الديموغرافية التي اعتمدت على النقائش اللاتينية في مقاطعات إفريقيا الرومانية هي الدراسة التي قام بها الباحث الفرنسي جون ماري لاسير¹ سنة 1971، كما استعنا كذلك بالدراسة التي قامت بها الباحثة الجزائرية خديجة منصوري على النصب الجنائزية للأطفال في مقاطعة موريطانيا القيصرية سنة 2003².

تتوفر شمال إفريقيا على عدد هائل من النقائش اللاتينية بمختلف أنواعها، وإذا وضعنا جانبا تلك التي لا تمت بصلة للجانب الاجتماعي كالنقائش العسكرية والإمبراطورية والدينية والنذرية لأنها لا تحتوي على المعطيات اللازمة في الدراسة الديموغرافية، لتبقى النقائش الجنائزية هي الوحيدة التي يمكننا من خلالها بناء دراسة إحصائية لفئة الأطفال في شمال إفريقيا، لأنها في الغالب تحتوي على معلومات مهمة تخص الفرد المدفون، كالاسم واللقب والكنية وسن الوفاة، وهي المعلومات التي حاولنا من خلالها تتبع وإحصاء النقائش الجنائزية الخاصة بالأطفال في إفريقيا الرومانية، وذلك بالاعتماد على المجلد الثامن من سجل النقوش اللاتينية "CIL, VIII"³، والجزء الأول من سجل النقوش اللاتينية في الجزائر "ILA"⁴.

قمنا بإحصاء 506 نصب جنائزي تخص 546 طفل تتراوح أعمارهم ما بين 0 إلى 15 سنة، ويختلف عدد الأنصاب مع عدد الأطفال لأن بعض الأنصاب تحتوي على أكثر من نقيشة واحدة، إذ تم إحصاء 40 نصب من هذا النوع، ولقد حاولنا التركيز على أهم المدن والمواقع التي تحتوي على عدد أكبر من الأنصاب لكي تكون الأرقام أقرب إلى الحقيقة الديموغرافية، واكتفينا بـ: 18 موقع من أربع مقاطعات إفريقية مختلفة: إفريقيا البروقنصلية،

¹ J-M Lassère, *Vbique Populus.....*, p 6-423.

² خديجة منصوري، المرجع السابق، 67-82.

³ CIL, VIII.

⁴ ILA.

الفصل السادس — الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

نوميديا، موريطانيا السطايفية، موريطانيا القيصرية، ورتبناها في الجدول التالي وفقا لعدد الأطفال ابتداء من الأكثر إلى الأقل عددا.

جدول رقم 15: النقائش اللاتينية الخاصة بالأطفال في إفريقيا الرومانية

المدينة	عدد الأنصاب	عدد الأطفال	الذكور	الإناث	المصدر
تازولت Lambèse	122	128	78	50	CIL, VIII, 2771; 2808; 2829; 2847; 2857; 2872; 2918; 2953; 3022; 3075; 3103; 3145; 3148; 3170; 3208; 3212; 3226; 3268; 3300; 3331; 3325; 3338; 3348; 3367; 3362; 3382; 3384; 3406; 3404; 3442; 3459; 3460; 3485; 3488; 3490; 3502; 3496; 3491; 3517; 3509; 3514; 3523; 3519; 3525; 3549; 3542; 3532; 3557; 3558; 3556; 3572; 3568; 3570; 3592; 3593; 3614; 3613; 3606; 3605; 3609; 3626; 3622; 3618; 3639; 3660; 3688; 3689; 3699; 3698; 3700; 3715; 3728; 3747; 3748; 3749; 3755; 3756; 3781; 3803; 3802; 3795; 3843; 3850; 3857; 3854; 3872; 3871; 3886; 3906; 3910; 3909; 3897; 3918; 3952; 3958; 3972; 3969; 3981; 3982; 3990; 3991; 4005; 4004; 3996; 4001; 4012; 4015; 4042; 4051; 4065; 4059; 4080; 4081; 4100; 4096; 4124; 4159; 4174; 4175; 4173; 4183; 4179.
قسنطينة Cirta	78	79	43	36	CIL, VIII, 7109; 7177; 7189; 7210; 7217; 7212; 7234; 7236; 7239; 7268; 7270; 7274; 7303; 1291; 7305; 7294; 7323; 7351; 7349; 7346; 7374; 7369; 7390; 7394; 7388; 7399; 7392; 7383; 7405; 7423; 7410; 7443; 7440; 7427; 7458; 7466; 7475; 7471; 7486; 7519; 7526; 7525; 7535; 7540; 7557; 7581; 7591; 7577;

الفصل السادس — الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

7594; 7601; 7600; 7624; 7673; 7675; 7677; 7703; 7712; 7702; 7729; 7721; 7720; 7734; 7733; 7753; 7748; 7749; 7767; 7770; 7788; 7821; 7819; 7809; 7825; 7833; 7843; 7863; 7848; 7885.					
ILA, 2214; 2236; 2261; 2262; 2279; 2282; 2313; 2313; 2329; 2347; 2353; 2356; 2378; 2385; 2399; 2399; 2407; 2416; 2417; 2423; 2426; 2427; 2453; 2470; 2487; 2490; 2496; 2507; 2508; 2514; 2522; 2530; 2542; 2546; 2447; 2554; 2550; 2588; 2595; 2596; 2597; 2606; 2610; 2619; 2618; 2627; 2633; 2644; 2660; 2667; 2671; 2677; 2691; 2720; 2753; 2763; 2777; 2775; 2785; 2786; 2795.	40	41	81	61	مادوروش Madaure
ILA, 3120; 3133; 3126; 3143; 3139; 3155; 3162; 3163; 3165; 3166; 3187; 3190; 3193; 3204; 3205; 3210; 3209; 3278; 3259; 3275; 3291; 3299; 3306; 3307; 3321; 3328; 3334; 3335; 3342; 3353; 3361; 3362; 3372; 3390; 3399; 3420; 3426; 3445; 3444; 3445; 3449; 3452; 3457; 3471; 3475; 3481; 3525; 3653; 3734; 3732; 3737; 3771; 3813; 3814.	19	35	54	54	تبسة Theveste
ILA, 1342; 1394; 1414; 1426; 1447; 1490; 1517; 1520; 1525; 1552; 1563; 1573; 1631; 1643; 1676; 1979; 1696; 1699; 1718; 1725; 1729; 1731; 1734; 1760; 1779; 1802; 1805; 1881 ; 1882; 1903; 1910; 1914; 1975.	17	16	33	33	خميسة Thubursi Numedarum
CIL, VIII, 9048; 9061; 9060; 9078; 9064; 9099; 9101; 9114; 9122; 9126; 9132; 9135; 9143; 9146; 9153; 9149; 9151; 9173; 9172; 20752; 20768; 20774;	11	16	27	23	سور الغزلان Auzai

الفصل السادس — الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

20793.					
ILA, 197; 269; 336; 357; 371; 372; 375; 381; 388; 389; 396; 397; 414; 422; 323; 479; 494; 503; 508.	8	16	24	20	قالمة Calama
CIL, VIII, 7938; 7955; 8004; 8046; 8039; 8033; 8052; 8073; 8063; 8062; 8068; 8100; 8107; 8124; 8167; 8168; 8163; 8169; 8173.	4	15	19	19	سكيدة Ruscada
CIL, VIII, 8515; 8525; 8544; 8538; 8558; 8549; 8585; 8583; 8578; 8598; 8609; 8603; 8595; 8617; 8614; 8652; 8653; 8648.	8	14	22	18	سطيف Sétif
ILA, 1113; 1117; 1129; 1134; 1140; 1146; 1140; 1152; 1157; 1178; 1181.	5	7	12	11	كسيبة Ciuitas Pophthensis
ILA, 56; 57; 63; 64; 90; 98; 102; 112; 141; 153; 160.	6	5	11	11	عنابة Hippon
ILA, 575; 599; 603; 607; 622; 651; 675; 698; 709; 731; 737.	4	7	11	11	قلاع بوعطفان Guelaa Bou Atfane
CIL, VIII, 8944; 8947; 8943; 8962; 8961; 8951; 8948; 8970; 8978.	5	4	9	9	بجاية Saldai
CIL, VIII, 1674; 1680; 1701; 1699; 1725; 1724; 1722; 1727; 1764.	3	6	9	9	سيكا Cicca Venerai
ILA, 1044; 1051; 1054; 1056; 1059; 1061; 1070; 1073; 1085.	2	7	9	9	تاورة Thagura
CIL, VIII, 1040; 1078; 1081; 1105; 1128; 1153; 1157; 1160.	3	5	8	8	قرطاجة Carthage
ILA, 1991; 2008; 2012; 2013; 2023.	1	4	5	5	تبياسة Tibasa
ILA, 2837; 2858; 2860; 2893; 2972.	2	3	5	5	موزولامي Musulamii
CIL, VIII ; ILA, tome 1.	224	322	546	506	المجموع

إنجاز الباحث

الفصل السادس — الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

توجد العديد من الملاحظات والانطباعات الأولية التي شدتنا من خلال هذه الدراسة ومن خلال هذا الجدول، حيث لاحظنا تباينا واضحا في عدد الأطفال بين مختلف المواقع، حيث سجلنا أكبر عدد في مدينة تازولت ب 128 طفل وفي مدينة قسنطينة ب 79 طفل، بينما سجلنا أقل نسبة في مدينة تيبازة وموقع الموزولامي ب 5 أطفال فقط، وهذا الأمر لا يتعلق إطلاقا بتباين الكثافة السكانية بين هذه المواقع، لأن مدينة كقرطاجة المعروفة بالكثافة السكانية في الفترة الرومانية أحصينا فيها 8 أطفال فقط، وهو رقم لا يعكس بتاتا عدد سكان هذه المدينة وعدد أطفالها.

تبقى هذه الأرقام والمعطيات التي قدمناها في الجدول أعلاه نسبية إلى حد ما لعدة اعتبارات تتعلق أساسا بالنصب الجنائزية من جهة، خاصة وأن هذه الأخيرة كانت تستعمل من قبل فئة معينة دون الفئات الأخرى، لأن العائلة يجب أن تدفع مقابلا ماديا معتبرا لصناعة هذه النصب، وليس بإمكان كل العائلات دفع هذا المقابل، خاصة العائلات الفقيرة وعائلات السكان المحليين، ومن جهة أخرى يمكن أن نرجع نسبية هذه المعطيات إلى جملة الصعوبات التي واجهتنا في التعامل مع النقائش اللاتينية، ففي أغلب الأحيان تكون هذه الأخيرة ناقصة، يذكر فيها الاسم واللقب والكنية فقط دون سن الوفاة، وفي بعض الأحيان يذكر سن الوفاة فقط دون ذكر الاسم واللقب، وكثيرا ما تظهر النقيشة مشوهة أو ناقصة لأنها تعرضت للكسر أو التلف، مما يشكل لنا صعوبة في قراءتها وتحديد صاحبها، ومن جملة العراقيل أيضا هو صعوبة الفصل بين النقائش الخاصة بالإناث والنقائش الخاصة بالذكور.

قامت الباحثة الجزائرية خديجة منصوري من جمع 213 نصب جنائزي خاص بالأطفال من جملة 1736 نصب تتوزع على 37 موقع في موريطانيا القيصرية، أي بنسبة 12.26%. وذلك من خلال المجلد الثامن لسجل النقوش اللاتينية "CIL"، والدورية السنوية للنقوش "L'Année Épigraphique"، وفي الجدول الآتي سنقدم أهم المواقع التي وجدت فيها نصب الأطفال في موريطانيا القيصرية مرفقة بالأعداد والنسب المئوية¹.

¹ خديجة منصوري، المرجع السابق، 67-82.

الفصل السادس — الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

جدول رقم 16: عدد الأطفال في موريطانيا القيصرية من خلال النقائش اللاتينية

النسبة %	العدد	الموقع
43.39	84	Caesarea (شرشال)
62.11	24	Sitifis (سطيف)
12.11	17	Auzia (سور الغزلان)
98.7	12	Altava (أولاد ميمون)
63.5	12	Saldae (بجاية)
81.2	06	Castellum Citofactense (خربة عين السلطان)
34.2	05	Regiae (أغبال)
34.2	05	Tubusuctu (تيكلات)
87.8	04	Rapidum (سور الجواب)
87.8	04	Albulae (عين تومشنت)
87.8	04	Pomaria (تلمسان)
40.01	03	Satafis (عين الكبيرة)
40.01	03	Icosium (الجزائر)
40.01	03	Tipasa (تبيازة)
93	02	الغارة
93	02	Castellum Auziense (عين بسام)
93	02	Cartenna (تنس)
46	01	Malliana (خميس مليانة)
46	01	Portus Magnus (بطوية)
46	01	Thanaramusa Castra (البرواقية)
46	01	Rusguniae (تامنتقوست)
46	01	Mopht (مونص)
46	01	Horrea عين الروى
46	01	تيارت
46	01	موقع عند التقاء واد ديفله بواد عدوان
46	01	عمي موسى
46	01	عين خيال
46	01	عين بريدج
46	01	Choba (زياما منصورية)
46	01	عرباون

الفصل السادس — الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

46	01	القصور (بني حواء)
46	01	وهران
46	01	ممر مسيد بضواحي جيجل
46	01	Ad Sava (حمام قرقرور)
46	01	Sufasar (عمورة)
46	01	Rusippisir (تاكسبت)
46	01	Alamiliaria
46	01	دوار بلاعة

خديجة منصوري، المرجع السابق، ص 67-69.

يبرز الجدول رقم 16 ذلك التفاوت الواضح في أعداد النصب الجنائزية الخاصة بالأطفال بين مختلف المواقع في موريطانيا القيصرية، إذ تحتل مدينة قيصرية الصدارة بـ: 84 نصب تليها مستوطنة ستيفيس بـ: 24 نصب، ثم مدينة أوزيا بـ: 17 نصب، ثم منطقة أولاد ميمون ومدينة صلداي بـ: 12 نصب، أما باقي المناطق فقد وجدت فيها نصب قليلة، تتراوح ما بين 1-6 أنصاب في المدينة الواحدة. وربما يرجع هذا التفاوت لاختلاف الكثافة السكانية بين المناطق المدنية والمناطق الريفية، إلا أن هذا يبقى حكما عاما في ضل وجود بعض المستوطنات المبكرة التي لم يوجد فيها ولا نصب خاص بالأطفال، وربما يرجع هذا التفاوت على حد قول الباحثة منصوري في كون أن هذه المواقع لم تحضى بنفس الاهتمام من قبل المنقبون وعلماء الآثار¹.

2- معدل المواليد

يحسب الديموغرافيون المعاصرون معدل الوفيات والخصوبة في المجتمع من خلال ربط عدد الأطفال بعدد النساء في سن الإنجاب (من سن 15 إلى سن 49 سنة)، وهذه الطريقة قد تحفظ عليها أغلب المؤرخين، فقد لاحظنا أن العديد من المراثيات في إفريقيا الرومانية المتعلقة بالنساء المتزوجات ذكر فيها إلا الاسم والسن فقط، ولم يذكر فيها عدد الأطفال الذين أنجبتهن هذه المرأة، والأمر نفسه ينطبق على النقائش التي تخص الأطفال، ففي كثير من الأحيان

¹ خديجة منصوري، المرجع السابق، ص 69.

الفصل السادس — الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

يذكر الطّفل وحده دون ذكر عائلته وعدد إخوته، وهناك بعض النقائش الأخرى التي هي بمثابة مراثيات لعائلات بأكملها ولا تقدم عدد الأطفال في كل أسرة، وكذلك هناك أمر آخر غاية في الأهمية وهو أن هذه النقائش لا تذكر الأطفال الصغار التي ماتوا أثناء الولادة أو الذين ماتوا في الأشهر الأولى من حياتهم، وتقتصر على ذكر الأولاد الذين عاشوا مدة من الزمن وتعلق بهم أوليائهم فخصصوا لهم هذه النقائش، لذا فالاعتماد على النقائش لحساب معدل الخصوبة والوفيات لا يقدم لنا الأرقام الحقيقية ولكن يعطينا أرقام تقريبية فقط قد تزيل بعض الغموض في هذا الخصوص.

قام الباحث جون ماري لاسير بإحصاء 528 نقيشة في إفريقيا الرومانية تخص 528 عائلة من 36 مدينة في شمال إفريقيا، وقام بإحصاء مجموع عدد الأطفال الذين ضمتهم هذه الأسر، حيث بلغ الرقم: 1186 طفل من مجموع 528 أسرة أي بمعدل 2.25 طفل في الأسرة، ففي كل أربع أسر هناك 9 أطفال. أي أن أغلب الأسر تنجب من طفل إلى ثلاثة أو أربعة أطفال على الأكثر، معدا بعض الأسر التي كان فيها معدل الإنجاب مرتفع، مثل الأسرة التي أنجبت 12 طفل في عناية، وأسرتين أنجبتا 7 أطفال لكل منهما في سطيف، وأسرة أنجبت 6 أطفال في أرسكال، وسجل الباحث 14 أسرة كان معدل الإنجاب فيها 5 أطفال في كل أسرة، وقد أشار لاسير أن المناطق الجبلية والريفية (سهول سطيف)، كان معدل الولادات مرتفعة مقارنة بالمناطق الأخرى، والعكس من ذلك فلقد لوحظت أدنى معدلات الولادات في المدن مثل سيرتا وسيكا وفوبيليس وخاصة قرطاجة التي سجل فيها أدنى معدل¹.

جدول رقم 17: معدل المواليد في إفريقيا الرومانية

المدينة	عدد الأسر	عدد الأطفال	معدل المواليد
أرسكال	1	6	6
عناية	4	17	4.25
تبسة	7	21	3
ميلة	1	3	3

¹ J-M Lassère, *Vbique Populus.....*, p 493- 494.

الفصل السادس — الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

3	3	1	Caldis	كالديس
2.9	44	15	Ammaedara	أمايدرة
2.8	17	6	Cillium	سيليوم
2.8	17	6	verecunda	فيركوندا
2.8	17	6	جنوب سطيف	
2.7	19	7	Thugga	ثوجا
2.6	8	3	Rapidum	سور الجواب
2.6	26	10	Césarée	شرشال
2.5	5	2	Thmugadi	تيمقاد
2.5	10	4	Rusicad	سكيكة
2.5	25	10	Sigus	سيغوس
2.3	7	3	Mascula	ماسكولا
2.3	7	3	Casae	كازاي
2.3	44	19	Cuicul	جميلة
2.3	104	46	Auzai	سور الغزلان
2.25	18	8	Calama	قالمة
2.25	9	4	Novar	نوفار
2.1	38	18	Cirta	قسنطينة
2	4	2	thala	ثالا
2	12	6	Musti	موستي
2	8	4	Musulames	موزيلامي
2	28	13	Numidarum Thubursicu	خميسة
2	132	66	Madaure	مادور
2	303	149	Lambèse	تازولت
2	40	19	Sétif	سطيف
2	16	8	Volubilis	وليلي
1.7	7	4	el-Hamman	الحمان
1.6	25	14	Mactar	مكتر
1.5	15	10	Sicca Venerai	سيكا
1.5	6	4	Thribilis	تريبيليس
1.4	7	5	Simitthus	سيميتوس
1.3	25	14	Carthage	قرطاجة
2,25	1189	528	المجموع	

J-M Lassère, Vbique Populus....., p 495

الفصل السادس — الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

يختلف معدل الخصوبة بين مختلف الطبقات في مجتمع إفريقيا الرومانية، وسنحاول تقديم نماذج عائلات بارزة من مختلف الطبقات، مثل عائلة سوبتيم سيفار "Septime Sévère" المعروفة من الطبقة الأرستوقراطية، حيث كان لجدّه أربعة أطفال من بينهم بنت، وكان لوالده 3 أولاد من بينهم بنت، وهذه الأخيرة كان لها أربعة أطفال من بينهم ابنتان، وهناك عائلة ديدوس يوليانوس "Didius Iulianus Hadrumétin" الذي عاشت في حدرموت (تونس)، حيث كان له من ناحية أمه شقيقان وربما كان له إخوة آخرون لا نعرفهم، وهناك عائلة أخرى للمحافظ البريتوري الذي يسمى فلاويوس بوليو فلاويانوس Flavius Pollio "Flavianus"، هذا الأخير كان له ابن يسمى بلوتيس هورتينسيانوس Plautius "Hortensianus" وابنة تسمى بيبليا فولويا بلوتيليا "Publia Fuluia Plautilla" وهذه العائلة كانت تعيش في أمايدرة "Amaedara"¹.

نذكر من طبقة الفرسان عائلة أميكوس "Amicus" الذي يعد الابن الثالث في العائلة التي عاشت في أويا، وقد تزوج بأميليا بودنتيلا "Aemilia Pudentilla"، وكان له ولدان فقط بودينز "Pudens"، وبونتيانوس "Pontianus"، هذا الأخير تزوج من هيرينيا "Herennia" في 158 ميلادي، وتوفي بعد فترة وجيزة بدون أطفال، وهناك عائلة أخرى من نفس الطبقة قد عاشت في مادور وهي عائلة غابيانوس فوريناتوس "Gabinus Fortunatus"، هذا الأخير كان له ولدين فقط صبي وبنت، ونفس الشيء لعائلة فيتيديوس موستيوس "Mustius Vetidius" التي عاشت في تيبيرسكي نوميداروم، حيث كان له ولدان فقط موستوليوس وفليكس "Mustiolus et Felix"، موستوليوس كان له ابن وابنة، وفليكس كان له ابنان².

وهناك عائلة يوليوس كريسينز ديدوس كريسليانوس C. Iulius Crescens Didius "Crescentianus" التي عاشت في كويكول، وتزوج هذا الأخير من نيفيا "Naevia" وكان منها ثلاثة أولاد: ذكر وأنثيان، أما بالنسبة للعائلة الغالية التي استقرت في روسيكاد: سيسيليوس جاليوس "C. Caecilius Gallus" والتي كان لها أربع أولاد: صبيان وبنتان³.

¹ J-M Lassère, *Vbique Populus.....*, p 496.

² CIL, VIII, 2248

³ ILA, 36 et 71.

الفصل السادس — الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

ومن طبقة النبلاء ذكر لاسير عائلة يوليوي "Iulii" التي عاشت في موستيس "Mustis" والتي تتبع فيها الباحث خمسة أجيال منها، وأكد أن الأجيال الثلاثة الأخيرة دائماً كانت الأسرة تنجب ولدين فقط وأغلبهم صبيان معداً فتاة واحدة قد عملت كفلامينا، ونفس الشيء بالنسبة لعائلة كايسلي "Caecilii" التي عاشت في المدينة نفسها، حيث كان لها ثلاثة أولاد في الجيل الثاني، وولدان في الجيل الثاني. أما عائلات قدماء المحاربين فقد أحصى لاسير منهم 31 أسرة، وأحصى معهم 76 طفل أي بمعدل 2.4 طفل في الأسرة الواحدة، والعدد الأقصى للإنجاب هو 5 أطفال في الأسرة الواحدة وورد مرتين فقط. وبالنسبة لمعدل المواليد عند فئة الأجانب الأحرار الذي كانوا يزورون المقاطعات الإفريقية بغرض التجارة، فقد كانت النقائش في حقهم قليلة جداً، فقد أحصى لاسير 22 عائلة وأحصى معهم 42 طفل فقط، أي حوالي طفلين في العائلة الواحدة.

أحصى لاسير 42 أسرة محلية وقدر معدل الإنجاب فيها بـ: 2.5 إلى 3 طفل في الأسرة الواحدة، لكنه تحفظ عن هذا المعدل، بحكم أن أغلب النقائش ذكرت الأبناء الذكور فقط دون الإناث كنوع من التحفظ، وهو ما يؤكد أن معدل الإنجاب عند السكان المحليين كان مرتفعاً مقارنة بباقي العائلات الأخرى، مثل عائلة ثينوبا "Thinoba" من ثوجا "Thugga" التي كانت لها أربعة أبناء كلهم ذكور، وهناك عائلة محلية ذكرتها النقائش في أوزيا لها أربعة أبناء وبنت¹، وذكرت نقيشة في بانزا (سيدي علي بوجنون) أن هناك عائلة محلية بلغ عدد أطفالها أربعة، وهي التي طلبت حق المواطنة الرومانية من الإمبراطور². لذا فالمعدل الحقيقي عند الأسر المحلية قد يصل إلى 4-5 أطفال في كل أسرة.

أما بالنسبة لعائلات العبيد وبالرغم من قلة النقائش التي تخصهم، فإن الباحث جون ماري لاسير قد أحصى 33 أسرة منهم و82 امرأة متزوجة و42 مولود، أي بنسبة 1.28 طفل في كل أسرة و0.5 طفل لكل امرأة متزوجة، إلا أن هذه الأرقام لا تعبر عن الواقع الحقيقي لهذه الفئة بحكم أن أغلبهم كانوا لا يستطيعون دفع مبلغ كتابة النقائش الإهدائية ولا الجنائزية³.

¹ J-M Lassère, *Vbique Populus*....., p 498.

² محمد البشير شنييتي، نظرة على الوضع الديموغرافي، ص 12.

³ J-M Lassère, *Vbique Populus*....., p 499.

3- أسباب انخفاض معدل الخصوبة

عدد المؤرخون الأسباب التي جعلت معدل المواليد منخفض على العموم خلال الفترة الرومانية، إذ يقول بوليبيوس: " إن الرومان يرفضون إنجاب أكثر عدد من الأبناء ويكتفون بابن أو اثنين على الأكثر، حتى يستطيعون إعالتهم بشكل جيد، ويسمح لهم العدد القليل في الأسرة من التوفير وتكوين الثروة"¹، ويقول المؤرخ هيزيودوس "Hesiodus": " الأحسن أن يكون لك ابن واحد فقط لكي تطعمه جيدا، وتنموا لك الثروة في المنزل، لتتركه مكانك بعد موتك"².

سادت ثقافة تحديد النسل في مجتمع إفريقيا الرومانية، وهو ما أدى إلى انقطاعه في العديد من العائلات التي قد يتوفى فيها الابن الوحيد لها بعد موت والديه، وينقطع بعده نسل العائلة، مثلما حدث لعائلة يوليوس روجاتوس "C. Iulius Rogatus"، التي كانت تعيش في سيدي عايش، حيث كتب رب الأسرة نقيشة جنازية لزوجته ولابنه الوحيد وزوجته اللذان توفيا في عمر 25 و20 سنة³.

والسبب الثاني هو ظاهرة الإجهاض ومنع الحمل التي عكفت عليها النسوة في تلك الفترة، إذ عرفت العصور القديمة العديد من أشكال منع الحمل، وقد أشار العديد من المؤرخون إلى هذه العادة اللاأخلاقية التي كانت نساء الإمبراطورية يفعلنها، رغم القانون كان يعاقب عليها⁴، وكان لعمليات الإجهاض تداعيات خطيرة على النساء اللاتي قمنّ بها، حيث سجلت النقائش معدلا كبيرا من النسوة اللاتي متنّ وهنّ صغار في السنّ، ولعل ظاهرة الإجهاض هي أحد الأسباب الرئيسة للوفيات.

ومن بين الأسباب التي ساهمت في ارتفاع نسبة الوفيات هي ظاهرة التخلي على الأطفال الرضع مباشرة بعد ولادتهم خوفا من التعرض لفضيحة الزنا، أو لعدم القدرة على إعالتهم، حيث يترك في زاوية ما في الشارع، فيكون مصيره إما الموت من شدة البرد والجوع، وإما

¹ Polybe, XXXVI, 17.

² Hésiode, Les travaux et les Jours, texte établi et traduit par : Paul Mazon, les belles lettres, Paris, 376-377.

³ CIL, VIII, 162.

⁴ J-M Lassère, Vbique Populus....., p 502.

الفصل السادس — الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

يكون مصيره الوقوع في يد تجار العبيد، وفي أفضل الأحوال تقوم إحدى الأسر اللاتينية لا تنجب أطفال من تبنيه¹.

4- نسبة الجنس

نقصد به نسبة الذكور والإناث في مجتمع ما، وتشير الإحصائيات التي أقيمت على مستوى النقائش اللاتينية في إفريقيا أن معدل الذكورة كان مرتفع جدا على حساب معدل الإناث، ويؤكد الباحثون أن هذا المعدل كان الأكبر في كل مقاطعات الإمبراطورية، وقد فسر الباحثون ذلك في كون أن جزء كبير من هذه النقائش تعود للجنود والعساكر، بالإضافة إلى ظاهرة الهجرة التي كانت سببا في ارتفاع معدل الذكورة كون الذين قدموا إلى إفريقيا الرومانية أغلبهم من الذكور، كما أن ارتفاع نسبة الوفيات عند الإناث في مرحلة الحمل والأمومة رجح كفة الذكور².

أما في فئة الأطفال فقد قمنا بإحصاء 546 طفل من خلال 504 نصب جنائزي منتشرة في أغلب المقاطعات الإفريقية، حيث سجلنا 322 ذكر بنسبة 59 % مقابل 224 أنثى بنسبة 41 %، أي بنسبة عامة تقدر ب 144 % أي أن كل 100 أنثى يقابها 144 ذكر، وتُظهر أرقام الجدول رقم 15 ذلك الفرق الواضح بين عدد الذكور وعدد الإناث في فئة الأطفال في أغلب المواقع المدروسة إلا في مدينة بجاية وعنابة وخميسة التي كان فيها عدد الإناث أكبر من عدد الذكور لكن بفارق ضئيل جدا.

أحصى الباحث جون ماري لاسير 468 طفل تتراوح أعمارهم ما بين 0-9 سنوات، 256 منهم ذكور و212 منهم إناث وذلك بمعدل 120 ذكر مقابل أنثى 100، وأحصى 772 آخرين تتراوح أعمارهم ما بين 10-19 سنة، منهم 437 ذكور و335 منهم إناث، أي بمعدل 130 ذكر مقابل 100 أنثى. ونلاحظ من خلال هذه الإحصائيات أن نسبة الذكور أكثر من نسبة

¹ J-M Lassère, *Vbique Populus*....., p 504.

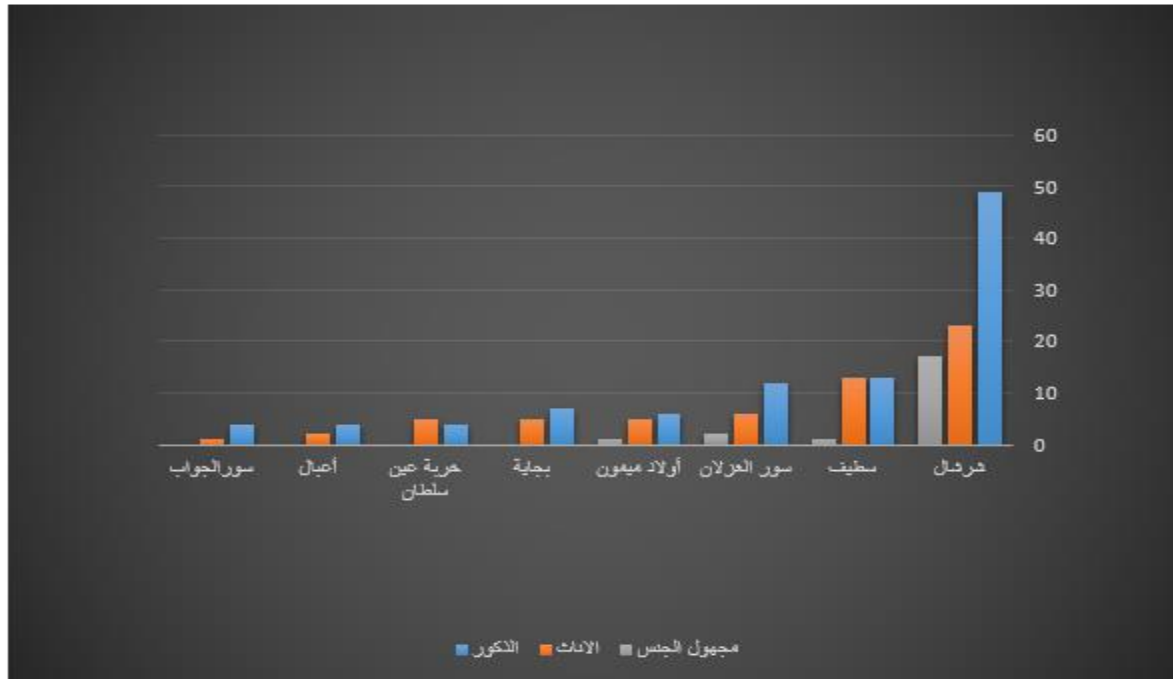
² J.C. Russell, *Late Ancient and Medieval Population*, TAPhS, N.S., XLVIII, 3, 1958, p. 13-14.

الفصل السادس — الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

الإناث في مرحلة الطفولة، وربما يرجع ذلك في تفضيل العائلات الذكور على حساب الإناث اللاتي في الغالب يتم التخلي عنهم عند ولادتهن¹.

أحصت الباحثة الجزائرية خديجة منصوري 234 طفل من خلال النصب الجنائزية في إفريقيا الرومانية، منهم 134 صبي أي بنسبة 26.57 %، و72 بنت أي بنسبة 48.32 %، 24 طفل آخرين لم يعرف جنسهم، إما لأن الاسم غير وارد أو أنه ورد ناقصاً، من بينهم 4 توأم²: توأم (ولد وبنت) بقيصرية³، وتوأم (ولد وبنت) بأوزيا⁴، وتوأم (ولدان) في أغبال⁵، وتوأم (ولدان) في وهران⁶. وفي منحنى الأعمدة التالي اخترنا أهم المواقع في موريطانيا القيصرية التي كان فيها أكبر عدد من النصب الجنائزية الخاصة بالأطفال، لنقارن بين نسبة الإناث ونسبة الذكور في كل منطقة.

شكل رقم 42: الفرق بين عدد الذكور والإناث في موريطانيا القيصرية



خديجة منصوري، المرجع السابق، ص 71.

¹ J-M Lassère, *Vbique Populus*....., p 504.

² خديجة منصوري، المرجع السابق، ص 70.

³ CIL, VIII, 9509

⁴ CIL, VIII, 1901

⁵ CIL, VIII, 21634.

⁶ CIL, VIII, 21280.

الفصل السادس — الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

إن أول ما يتجلى من خلال هذا المنحنى هو ارتفاع عدد الأطفال الذكور على حساب الإناث على وجه العموم في موريطانيا القيصرية، رغم أن هذا التفاوت يختلف بين موقع وآخر، إذ يظهر الفرق واضح بين الجنسين في شرشال عاصمة المقاطعة: 49 طفل مقابل 23 أنثى، وفي سور الغزلان: 12 ذكر مقابل 6 إناث، بينما تقتارب الأعداد في كل من بجاية: 7 ذكور مقابل 5 إناث، وفي أولاد ميمون: 6 ذكور و 5 إناث، بينما تتساوى النسب في سطيف: 13 ذكر مقابل 13 أنثى¹.

شكل رقم 43: مقارنة بين مختلف الإحصائيات الخاصة بنسب الذكور والإناث



J-M Lassère, op-cit, p 504



خديجة منصوري، المرجع السابق، ص 72.

¹ خديجة منصوري، المرجع السابق، ص 72.

الفصل السادس — الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

نلاحظ من خلال الدوائر النسبية السابقة أن الإحصائيات الثلاثة متقاربة جدا فيما يخص نسبة الذكور مقارنة بنسبة الإناث وهذا شيء طبيعي لأن المصادر المعتمدة عليها هي واحدة بالنسبة لكل الباحثين، ولكننا حاولنا التأكيد أن نسبة الذكور تفوق نسبة الإناث في فئة الأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية وفقا لما قدمته لنا النقائش الجنائزية من معطيات، ولم نجد تفسيراً واضحاً لهذا التفاوت، لكن يمكن أن نشير أن المجتمع الإفريقي وحتى المجتمع الروماني هو مجتمع ذكوري بامتياز، كان يفضل الذكر على الأنثى في كثير من الأحيان، وربما يحضى الطفل الذكر بنصب جنائزي على قبره لكي يخلد ذكره، بينما لا تكلف العائلة نفسها في وضعه على قبر الأنثى، لأن حزنهم على وفاة الذكر أكبر من حزنهم في وفاة الأنثى، وتبقى هذه التفسيرات مجرد فرضيات تحتاج التأكيد بأدلة من مصادر أدبية أو أثرية.

5- نسبة الوفيات عند الأطفال

إن أهم الأشياء التي تميز أغلب النصب الجنائزية الخاصة بالأطفال هو الدقة في تحديد سن الوفاة، حيث يحدد بالسنة والشهر وحتى في بعض الأحيان باليوم والساعة، ويرجع ذلك للتعليمات التي قدمها الإمبراطور ماركوس أوريلوس "Marcus Aurelius" لتدعيم السجل المدني من أجل التجنيد¹.

حاول بعض الباحثين حساب نسبة وفيات الأطفال في شمال إفريقيا بالاعتماد على النقائش اللاتينية خاصة الجنائزية منها التي تذكر عمر الشخص المتوفي، إلا أن هذه الطريقة لم تسلم الانتقادات من قبل بعض الباحثين الآخرين، الذين أشاروا إلا أن الأرقام المقدمة غير صحيحة ولا تعبر تماماً عن الوضع الديموغرافي الحقيقي الذي يخص أمد الحياة ونسبة الوفيات في مختلف الفئات العمرية، وبرروا ذلك في كون أن هناك بعض النقائش يغيب فيها عمر المتوفي إما لأنه لم يكتب أصلاً أو أنه محي أو تمت إزالته من النقائش بفعل عوامل التلف، وهناك من أكد على أن مؤشرات وفيات الرضع غير مكتملة خاصة للذين يموتون أثناء الولادة مباشرة، لأن النقائش خصت فقط الأطفال الذين عاشوا مع الأسر مدة من الزمن،

¹ خديجة منصوري، المرجع السابق، ص 86.

الفصل السادس — الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

وهناك من أشار إلى ذلك الفرق الشاسع بين النقائش الجنائزية وعدد القبور في المقابر، لأن النقائش لم تكن بحوزة جميع الناس وجميع الطبقات وفي جميع المناطق¹.

حاولنا تتبع عدد وفيات الأطفال بين الذكور والإناث في أهم المواقع الإفريقية ومقارنتها مع سن الوفاة، بعد تقسيمهم إلى فئات عمرية محددة في سنة واحدة، لكي نتمكن من معرفة ما هي الفئات العمرية التي تزداد فيها الوفيات وما هي الفئات التي تقل فيها؟، لكل نقدم فرضيات عن أسباب الوفيات في فئة الأطفال، وقد جمعنا كل المعطيات فيما يلي:

جدول رقم 18: عدد وفيات الأطفال بين الذكور والإناث مقارنة مع سن الوفيات

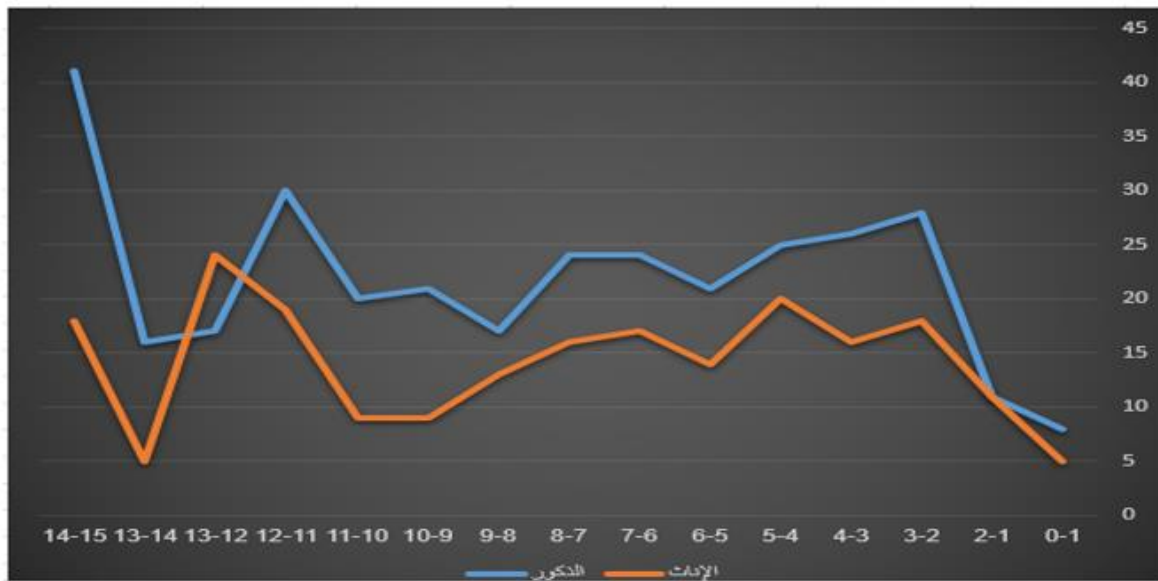
الفئات	الذكور	الإناث
1-0	8	5
2-1	11	11
3-2	28	18
4-3	26	16
5-4	25	20
6-5	21	14
7-6	24	17
8-7	24	16
9-8	17	13
10-9	21	9
11-10	20	9
12-11	30	19
13-12	17	24
14-13	16	5
15-14	41	18

إنجاز الباحث

¹ J.D. Durand, Mortality estimates from Roman Tombstones Inscriptions, in Am Journ, Of Sociology, t. LXV, 1959-1960, p. 365-373.

الفصل السادس — الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

شكل رقم 44: منحنى بياني يوضح تطور نسبة الوفيات عند الأطفال مقارنة بالفئات العمرية



إنجاز الباحث

نلاحظ من خلال الجدول والمنحنى السابقين قلة الوفيات سواء عند الذكور والإناث في الفئة العمرية ما بين 1-0 سنة، وهو أمر معاكس تماما لما قدمته لنا إحصائيات البقايا العظمية للأطفال في إفريقيا الرومانية¹، والسبب وراء ذلك هو قلة النصب الجنائزية لهذه الفئة لأن العائلة لم تكن تكلف نفسها لصناعة نصب خاص بجنين مات عند ولادته أو بعد أسابيع أو أشهر عند ولادته، وعلى العكس من ذلك نلاحظ ارتفاع عدد الوفيات في الفئة العمرية من 15-14 سنة خاصة عند الذكور، وهي التي لم نجد لها تفسير خاصة وإن الطفل في هذا السن يكون بصحة جيدة ومقبل على مرحلة الشباب، ومن الملاحظات التي تحفظنا عليها أيضا هو انخفاض نسبة الوفيات عند الأطفال الذكور في الخمس سنين الأولى وارتفاعها في الخمس سنين الثانية وارتفاعها أكثر في الخمس السنين الثالثة، أما عند البنات فتقل في الخمس سنين الثانية مقارنة بالخمس سنين الأولى وترتفع مجددا في الخمس سنين الثالثة، وهو الأمر الذي يخالف ما قدمته لنا إحصائيات البقايا العظمية للأطفال، أين ترتفع نسب الوفيات في الخمس سنين الأولى وتقل تدريجيا كل كبر الطفل.

¹ P.A Février et R. Guéry, Les rites funéraires de la nécropole orientale de Sétif. In : Antiquités africaines, 15, 1980, p 119.

الفصل السادس — الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

جدول رقم 19: عدد وفيات الأطفال في أهم المواقع في إفريقيا الرومانية

العمر	10-1	1-2	2-3	3-4	4-5	5-6	6-7	7-8	8-9	9-10	10-11	11-12	12-13	13-14	14-15	15-16	الوقت
الوفيات	2	3	2	9	4	4	2	5	4	3	1	9	3	1	6	6	المواقع
تقريباً	1	0	1	3	2	4	5	3	2	6	4	0	5	3	1	6	تقريباً
مقدونيا	0	0	1	0	3	4	3	4	2	6	4	1	4	3	2	6	مقدونيا
تيسية	1	0	1	3	1	4	3	1	2	0	1	1	4	3	0	9	تيسية
خبيصة	0	0	0	0	0	0	1	0	0	0	0	0	1	4	1	3	خبيصة
سور التران	2	1	0	0	0	0	2	1	2	0	2	0	3	2	1	2	سور التران
قلعة	0	1	1	0	0	0	1	2	2	0	0	1	2	1	0	2	قلعة
سكيكدة	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	1	0	سكيكدة
سلف	0	0	0	0	0	0	1	1	1	0	0	1	1	0	0	1	سلف
كسيبة	0	0	0	0	0	1	1	0	0	0	1	1	3	0	0	3	كسيبة
عجينة	0	0	0	0	0	1	1	0	0	0	1	0	2	2	0	2	عجينة
الآح	0	1	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	1	الآح
بوعظمان	0	2	0	0	2	0	1	0	1	1	0	0	2	0	0	2	بوعظمان
بجاية	0	1	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	1	0	0	بجاية
سجلا	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	سجلا
توزة	0	1	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	توزة
فرطجة	0	2	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	فرطجة
تيزة	0	1	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	تيزة
موزلايس	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	موزلايس
المجموع	36	22	42	45	35	41	40	30	30	29	45	41	21	57	18	41	المجموع

إنجاز الباحث

الفصل السادس — الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

ركز الباحث الفرنسي جون ماري لاسير على وفيات الأطفال الذين فارقوا الحياة ما بين 0-10 سنوات، وقد أحصى 697 طفل من الجنسين، 420 منهم ذكور وذلك بنسبة 60.25 %، و27 منهم إناث وذلك بنسبة 39.75 %، والجدول التالي يوضح مختلف الأرقام والنسب التي تخص وفيات الأطفال من الجنسين في شمال إفريقيا¹.

جدول رقم 20: نسبة وفيات الأطفال من الجنسين في إفريقيا الرومانية

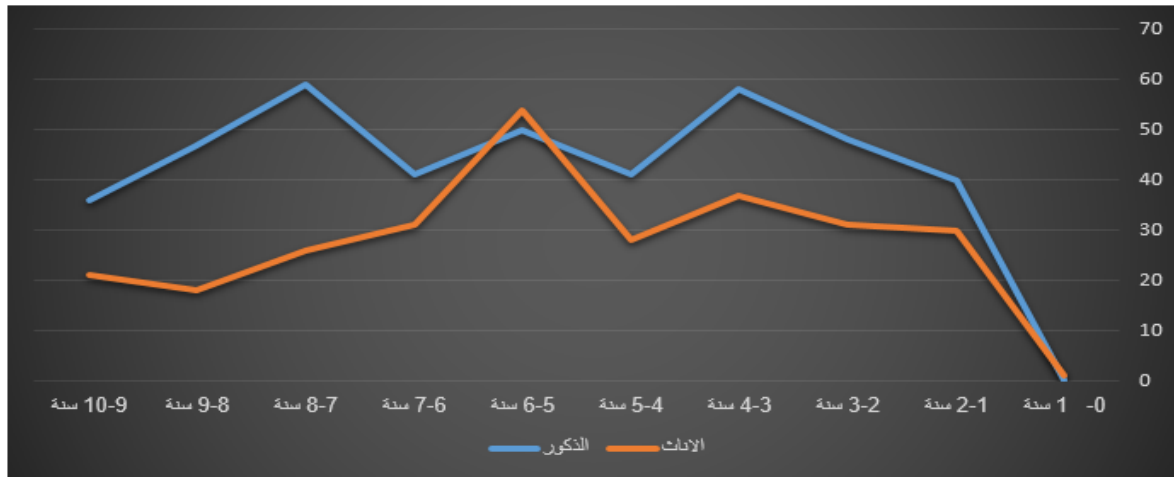
السن	الذكور		الإناث	
	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %
0-1 سنة	-	-	1	0.36
1-2 سنة	40	9.52	30	10.83
2-3 سنة	48	11.42	31	11.19
3-4 سنة	58	13.80	37	13.35
4-5 سنة	41	9.76	28	10.10
5-6 سنة	50	11.90	54	19.49
6-7 سنة	41	9.76	31	11.19
7-8 سنة	59	14.04	26	9.38
8-9 سنة	47	11.19	18	6.49
9-10 سنة	36	8.57	21	7.58
المجموع	420	60.25 %	277	39.75 %

J-M Lassère, *Vbique Populus.....*, p 557

¹ J-M Lassère, *Vbique Populus.....*, p 557.

الفصل السادس — الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

شكل رقم 45: منحى تطور نسبة وفيات الأطفال بين الذكور والإناث



J-M Lassère, op-cit, p 558

توجد العديد الملاحظات التي أخذنها من الجدول والمنحنى السابقين، ففي البداية لاحظنا غياب النقائش التي تخص الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين 1-0 سنة ماعدا واحدة فقط، لتتأكد المعلومة التي قدمناها سابقا، وهي أن الأسرة في العادة لا تكتب نقائش جنائزية لهذه الفئة، أما الملاحظة الثانية فهي عدم التكافؤ بين نسبة وفيات الذكور والإناث، إذ أن 100 طفلة متوفية يقابلها 150 طفل، وهو الرقم الذي أثار حفيظة المؤرخ ووضع عليه عده استفسارات، كما أن المنحنى أثبت نسب الوفيات متقاربة بين الفئات السنية للأطفال فلم نلاحظ تفاوت كبيرا في النسب بين الأطفال الذين ماتوا ما بين 1-5 سنوات و الأطفال المتوفين ما بين 5-10 سنوات¹.

نلاحظ كذلك أن أكبر نسبة وفيات عند الأطفال الذكور كانت عند الذين ماتوا في سن 8-7 سنوات بنسبة 14.04 %، وعند الذين توفوا في سن 4-3 سنوات، وسجلنا أضعف نسبة عند فئة 10-9 سنوات، أما عند الإناث فأكبر نسبة سجلت عند اللاتي متن ما بين 6-5 سنوات، وسجلت أضعف نسبة للوفيات في فئة 9-8 سنوات. وتبقى هذه الأرقام نسبية ولا يكمن الأخذ بها، لأن المنطق والبقايا العظمية للأطفال تؤكد نسبة الوفيات عند الأطفال تكون في الخمس سنين الأولى وتتناقص في الخمس سنين الثانية.

¹ J-M Lassère, Vbique Populus....., p 558-589.

الفصل السادس — الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

قام الباحث قاسم محمد بإحصاء 231 طفل تتراوح أعمارهم ما بين 0-10 سنوات من خلال النقائش اللاتينية في غرب موريطانيا القيصرية¹ في الفترة الممتدة 42 ميلادي إلى 284 ميلادي، وتقدر نسبة الأطفال ب: 17 % من المجموع العام لمختلف الفئات العمرية في هذه المنطقة، ومن بين 231 طفل يوجد 124 ذكر و 107 أنثى، وتركزت أعلى نسبة لوفيات الأطفال في منطقة بطيو "Portu Magnus" تلتها منطقة تنس "Cartennae"، وسجلت أدنى نسبة في منطقة علي بن يعقوب "Kaputtascura"، ولاحظ الباحث أن نسبة الوفيات مرتفعة في الأطفال الذين ماتوا ما بين 5 إلى 10 سنوات، حيث تم تسجيل 72 نقيشة بنسبة 38 %، بينما تقل عند الأطفال الذين ماتوا ما بين سنة إلى 5 سنوات، حيث سجلت 42 نقيشة فقط بنسبة 23 %².

قامت الباحثة خديجة منصوري من إحصاء 234 طفل، من خلال الأنصاب في موريطانيا القيصرية، تتراوح أعمارهم ما بين 0-10 سنوات وفي الجدول والمنحنى التاليين سنقدم أهم الأرقام والنسب التي تخص هذا الموضوع.

جدول رقم 21: عدد الوفيات من الجنسين في موريطانيا القيصرية

سن الوفاة	ذكور	إناث	مجهول الجنس	المجموع	النسبة %
1-0	17	3	3	23	9,28
2-1	24	14	2	40	17,09
3-2	18	15	2	34	14,52
4-3	13	16	4	33	14,1
5-4	16	3	2	21	8,97
6-5	10	4	2	16	6,83
7-6	17	7	1	25	10,68
8-7	7	4	2	13	5,55
9-8	5	6	1	12	5,12
10-9	7	4	5	16	6,83
المجموع	134	76	24	234	100

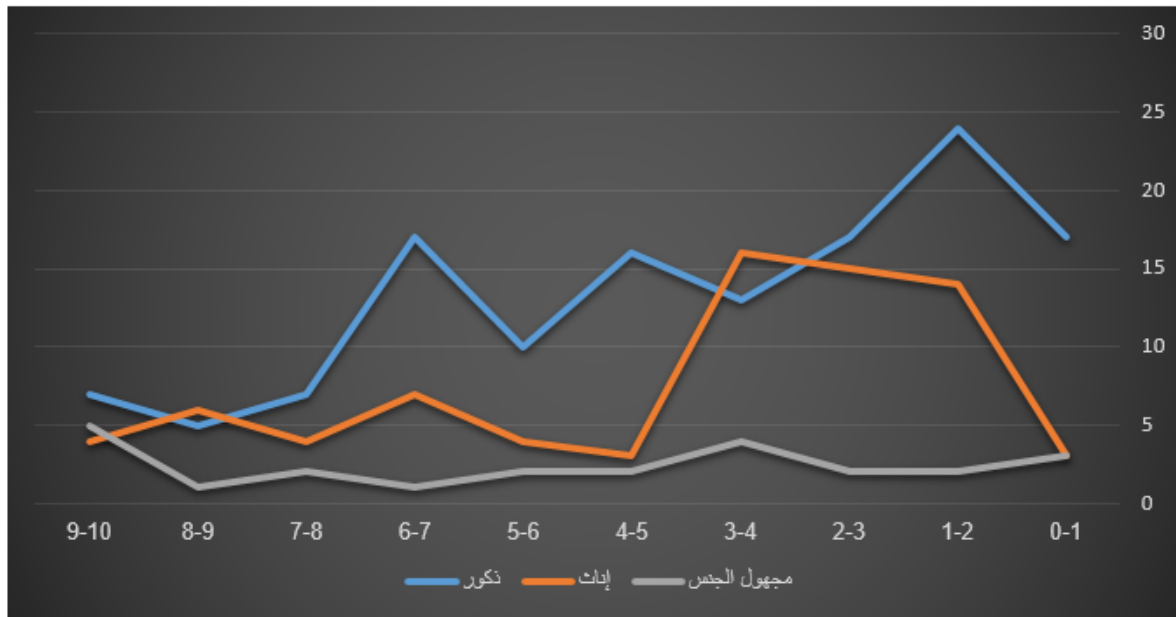
المصدر: خديجة منصوري، المرجع السابق، ص 85

¹ غرب موريطانيا القيصرية: التي تمثل حاليا الغرب الجزائري، وهو الإقليم الذي يمتد غرب القيصرية من نهر الملوية غربا إلى غاية تنس، ومن أهم مناطقه نذكر: أولاد عباس "Tigava Gastla"، الشلف "Gastellein Tingitanum"، غليزان "Mina"، سيدي الحسني "Columnta"، المحمدية "Castra Nova"، بلال "Ballene Paraesidium"... أنظر: قاسم محمد، الوضعية الاجتماعية والديموغرافية لغرب موريطانيا القيصرية من 42 م إلى سنة 284 م، أطروحة ماجستير، جامعة وهران 1، 2014-2015، ص 10.

² المرجع نفسه، ص 160.

الفصل السادس — الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

شكل رقم 46: منحنى تطور نسبة وفيات الأطفال في موريطانيا القيصرية



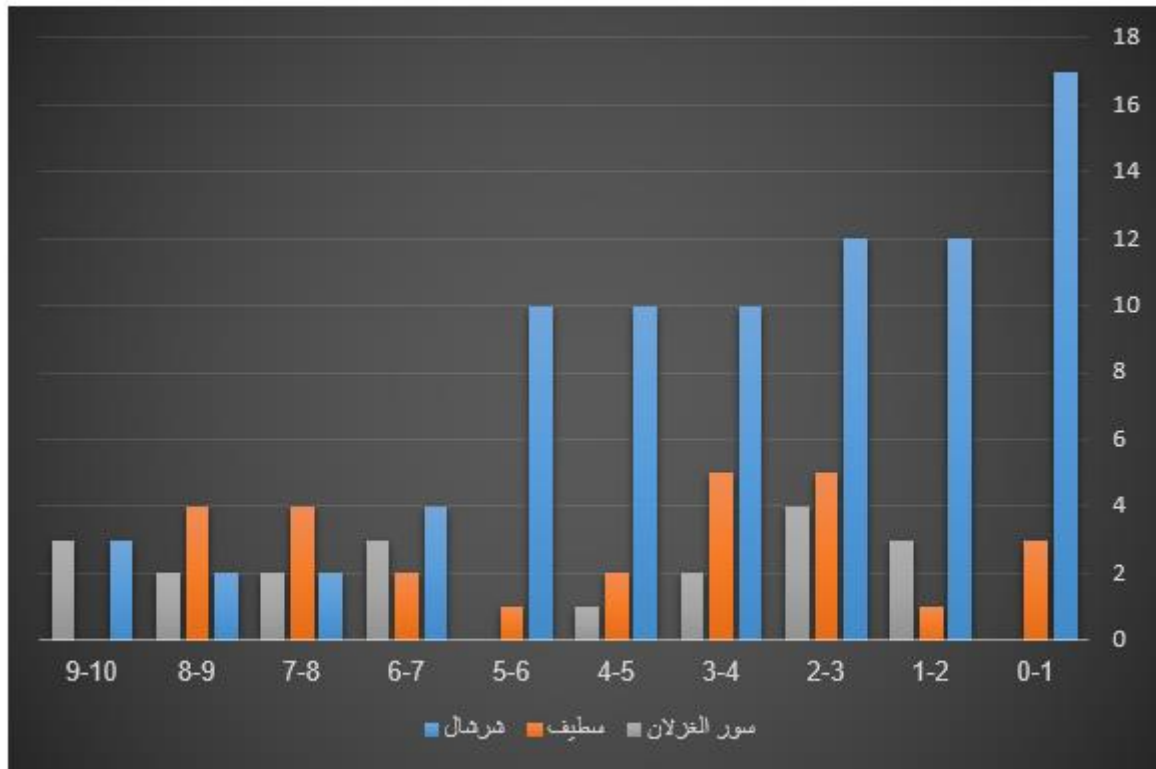
خديجة منصوري، المرجع السابق، ص 85

من خلال الجدول والمنحنى السابقين نلاحظ العديد من الملاحظات:

- ارتفاع نسبة الوفيات عند الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين 1-2 سنة بنسبة 17.09 %، وأضعف نسبة هي عند الأطفال الذين ماتوا فيما بين 8-9 سنوات بنسبة 5.12 %.
- ارتفاع نسبة وفيات الأطفال في الخمس سنين الأولى من حياتهم، وتراجعها في الخمس سنين الثانية.
- ارتفاع نسبة الوفيات عند الذكور الذين تتراوح أعمارهم 1-2 سنة، وأضعف نسبة سجلت عند الأطفال الذين ماتوا فيما بين 8-9 سنوات.
- ارتفاع نسبة الوفيات عند الإناث الذين تتراوح أعمارهم ما بين 3-4 سنوات، وأضعف نسبة سجلت عند الذين ماتوا فيما بين 4-5 سنوات.
- تقارب في النسب بين وفيات الإناث والذكور على العموم¹.

¹ خديجة منصوري، المرجع السابق، ص 75-76.

شكل رقم 47: وفيات الأطفال في أهم مدن موريطانيا القيصرية



خديجة منصوري، المرجع السابق، ص 78-81.

نلاحظ من خلال المنحنى السابق تفاوتاً في نسب الوفيات بين منطقة وأخرى، فعلى سبيل المثال سجلت أعلى نسب الوفيات عند الأطفال في شرشال عند الذين ماتوا ما بين 0-1 سنة، بينما في سطيف سجلت عند الأطفال الذين ماتوا ما بين 2-4 سنوات، بينما في سور الغزلان سجلت عند الذين ماتوا ما بين 2-3 سنوات، وتبقى هذه النتائج مقبولة في شرشال بحكم أن أغلب الوفيات عند الأطفال كانت في الأشهر الأولى من حياتهم وهو ما أكدته البقايا العظمية في المقابر، بينما تبقى النتائج التي تخص سطيف وسور الغزلان نسبية جداً إن لم نقل غير مقبول بحكم غياب النقائش التي تخص الأطفال الذي ماتوا قبل أن يبلغوا سنة من عمرهم، وهي حقيقة تنفيها قبور الأطفال في الموقعين¹.

¹ خديجة منصوري، المرجع السابق، ص 81.

6- أسباب وفيات الأطفال

لم تشر النّصب الجنائزية إلى أسباب الوفاة ماعدا نصب وجد في مستوطنة أوزيا 'سور الغزلان)، هذا الأخير يذكر أن الطّفل الذي يسمى كليمانس "Clemens" ذو الست سنوات وستة أشهر وثلاثة وعشرون يوما توفي هو وأخته فانسانتيا "Vincentia" التي لم يذكر سنّها، إثر إصابتها بوباء الطاعون، كما أن الوفاة الجماعية لبعض الأفراد الأسرة في نفس الفترة أو في فترات قريبة توحى أن سبب الوفاة هي الأمراض، مثل النّصب الجنائزي لسيمبليكيّا "Simplicia" التي توفيت في 10 ماي 265 م، وقبلها ابنها إكسوبوس "Exupius" الذي توفي 19 أفريل من نفس السنة، ثم ابنتها مونيكّا "Monnica" التي توفيت 18 جوان في السنة نفسها¹، ونفس الشيء بالنسبة للشخص الذي يسمى كالسيوس هيرقلوس "Calceus Herculis" الذي فقد زوجته وأطفاله في نفس الوقت².

من أهم أسباب المرض عند الأطفال في إفريقيا الرومانية هو إصابتهم بالحمى الشديد، أو بعدوى أحد الأوبئة القاتلة كالطاعون، ويظهر ذلك من خلال نقش جنائزي وجدت في مدينة سيكا يذكر الشقيقتين زوسيمّا "Zosima" ويوريكليّا "Euryclia" اللتان توفيتا بسبب الطاعون، بعد أن عاشتا ثماني سنين وثلاث أشهر على التوالي³، نقل الباحث جون ماري لاسير عن بعض الكتاب القدامى أمثل بوزيدينيوس "Poseidonios" الذين ذكروا إفريقيا تعرضت لوباء قاتل سنة 127 ميلادي راح ضحيته الكثير من السّكان، ووصفوا أعراضه التي تتمثل في نوبات كبيرة متقّية تظهر في الساقين والذراعين⁴.

ربط الباحث جون ماري لاسير بين نسبة الوفيات وعلاقتها بأشهر السنة، حيث أحصى 19 طفل تتراوح أعمارهم ما بين 0-10 سنوات من ثلاث مواقع هي قرطاجة، جبل نيف النسر (عين مليلة بالجزائر)، أولاد ميمون "ALTAVA"، ولاحظ أن 63 % منهم ماتوا ما بين شهر سبتمبر وشهر جانفي، يعني أواخر شهر الخريف وفصل الشتاء بينما تقل الوفيات في فصل الصيف والربيع، وهو ما أكد عليها الباحث لأن الأطفال لا يتحملون برد الشتاء

¹ المرجع نفسه، ص 82.

² A E, 1965, 274.

³ J-M Lassère, Vbique Populus....., p 549.

⁴ I bid, p 551.

الفصل السادس — الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

والأمراض التي تصاحبه فتزداد نسبة الوفيات عند الأطفال، بينما تقل في الأشهر الأخرى لأن الجو يكون مناسب للحياة. لذا فالتقلبات المناخية الفصلية دور كبير في التحكم في نسبة الوفيات عند الأطفال¹.

في الأخير يمكن أن نستنتج من هذا الفصل العديد من المعطيات الهامة، لكن قبل ذلك يجب أن ننوه بقيمة النقائش اللاتينية التي تعد مصدرا ماديا مهما ولا يمكن إغفاله بسهولة، لأن عددها كبير جدا في شمال إفريقيا والمعلومات التي قدمتها بالغة الأهمية، بالرغم من التحفظات التي أبدتها بعض المؤرخين حول استعمالها في الدراسات الديموغرافية والإحصائية.

أكدت الدراسات الديموغرافية التي اعتمدت على النقائش الجنائزية الخاصة بالأطفال أن معدل الخصوبة والمواليد كان متباينا بين مختلف الطبقات في مجتمع إفريقيا الرومانية، حيث كان منخفضا عند العائلات الرومانية في حدود طفلين أو ثلاثة أطفال في الأسرة الواحدة، ومرتفع نسبيا عند السكان المحليين ليصل المعدل إلى أربعة أو خمسة أطفال أو أكثر من ذلك في الأسرة الواحدة، وتتحكم في هذا المعدل جملة من العوامل الثقافية والظواهر الاجتماعية السلبية، كالأجهاض وثقافة تحديد النسل ورمي الأطفال في الشارع أو بيعهم... إلخ.

أكدت الدراسات الديموغرافية أيضا أن مجتمع إفريقيا الرومانية كان مجتمع ذكوريا بامتياز، مع تفوق واضح في عدد الذكور على عدد الذكور في فئة الأطفال وحتى في الفئات العمرية الأخرى، أما فيما يخص وفيات الأطفال فقد أظهرت الدراسات الديموغرافية ارتفاعها في فئة الأطفال خاصة في الخمس سنين الأولى من حياتهم، وذلك لعدة أسباب تتعلق بالظواهر الاجتماعية السلبية السابقة الذكر، وكذلك بسبب الأمراض والأوبئة كالطاعون أو بسبب تأثير العوامل المناخية وعدم قدرة الأطفال على تحمل قساوة البرد الذي تمتاز به شمال إفريقيا في فصل الشتاء.

¹ J-M Lassère, *Vbique Populus.....*, p 556.

الفصل السابع

الفصل السابع: مقابر الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

- 1- الدراسات السابقة 2-3-3 حمامات الجير
- 2- المعطيات الأنثروبولوجية 4-3 إيداع الجثة وإغلاق القبر
1-2 مقبرة سطيف
2-2 مقبرة ذيسدروس
3-2 مقبرة بوبوت
4-2 مقابر أخرى
- 3- ترتيبات الدفن
1-3 تجهيز الجثة
1-1-3 الكفن
2-1-3 تزيين الأطفال قبل الدفن
3-1-3 تغليف الجثة بالجص السائل
2-3 اختيار حاوية الدفن
1-2-3 التوابيت الحجرية
2-2-3 التوابيت الرصاصية والخشبية
3-2-3 الأمفورات
4-2-3 الأحواض الطينية
3-3 تحظير الحفرة
1-3-3 الأسرة والوسائد الجنائزية
- 4- الأثاث الجنائزي
1-4 أنواع الأثاث الموضوع في قبور الأطفال
1-1-4 الأواني الفخارية
2-1-4 المصابيح
3-1-4 العملات
4-1-4 أقدية العطور
5-1-4 الأحذية
6-1-4 الحلي والألعاب
7-1-4 الأغذية
2-4 تموضع الأثاث الجنائزي في قبور الأطفال
- 5- الموت والأطفال في الفكر الديني في بلاد المغرب القديم.

الفصل السابع: قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

1- الدراسات السابقة

إن الدراسات التي اهتمت بقبور الأطفال في شمال إفريقيا بشكل خاص خلال الفترة الرومانية قليلة جداً، رغم أن هناك العديد من الحفريات التي خصت المقابر الإفريقية التي تعود لهذه الفترة، خاصة في نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، إلا أن الباحثين لم يميزوا في البداية بين قبور الأطفال وقبور البالغين إلا في مرات قليلة حين يتضح أن حجم القبر أو الهيكل يعود لأحد الأطفال.

بعد عام 1980 تطورت عمليات التنقيب وأدخلت طرق جديدة تعتمد على الطبقات الستراتيغرافية، وأصبح وصف القبور أكثر دقة، والتعامل مع البقايا العظمية أكثر احترافية وعلمية، وأصبح الباحثون يميزون بين قبر البالغ وقبر الطفل، وصار بإمكان معرفة السن التقريبي للهيكل العظمي بناءً على فحص الجمجمة أو الأسنان، وأصبح التمييز ممكناً حتى بين الجنين والرضيع والصّبي، والطفل قبل فترة البلوغ.

ومن أشهر هذه الأبحاث التي كانت مفصلة نذكر: الدراسة التي قام بها الباحث الفرنسي جيرى "R. Guéry" حول الحفريات التي كانت في مقبرة سطيف سنة 1966/1967 والتي نشرت عام 1985¹، والدراسة التي قامت بها الباحثة التونسية لطيفة سليم "L. Slim" حول مقبرة ذيسروس في الجم بتونس سنة 1984²، والدراسة التي قام بها الباحثان: عائشة بن عابد "A. Ben Abed" ومارك جيريسهايمر "M. Griesheimer" حول مقبرة بوبوت في تونس سنة 2001³.

تبقى الدراسة التي قامت بها الباحثة الفرنسية سولين دو لارمينا "S. De Larminat" هي الوحيدة لحد الآن التي ركزت على قبور الأطفال في شمال إفريقيا بشكل خاص خلال الفترة

¹ R. Guéry, La nécropole orientale de Sitifis (Sétif, Algérie) ; fouilles de 1966-1967, CNRS, Paris, 1985.

² L. Slim, A propos d'un cimetière d'enfants à Thysdrus, Africa Romana, tome 1, 1984, p. 166-177.

³ A. Ben Abed, M. Griesheimer, Fouilles de la nécropole romaine de Pupput (Tunisie), In : Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 145^e année, N. 1, 2001, p 453-454.

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

الرومانية، في كل من إفريقيا البروقنصلية ونوميديا وموريطانيا القيصرية، وكانت هذه الدراسة في شكل أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الآثار، نوقشت سنة 2011 في جامعة إكس مارسيليا¹، وجاءت تحت عنوان: موت الأطفال في إفريقيا الرومانية: الإيماءات والممارسات والطقوس: إفريقيا البروقنصلية، نوميديا، وموريطانيا القيصرية، القرنان الأول والثالث ميلادي¹، ونشرت الباحثة نفسها العديد من المقالات في الموضوع نفسه، ومن أبرزها نذكر: مقال نشر سنة 2009 في المؤتمر الموسوم ب: الطفولة والموت في القديم²، جاء تحت عنوان: الإيماءات والممارسات الجنائزية حول الدفن في قبور الأطفال في إفريقيا الرومانية²، وهناك مقال آخر عنوانه: الأثاث الجنائزي الموضوع في قبور الأطفال في إفريقيا الرومانية، والذي نوقش في مؤتمر الطفولة والموت في القديم³، والذي أقيم في فرنسا سنة 2011³.

2- المعطيات الأنثروبولوجية

تتوزع البقايا العظمية الخاصة بالأطفال عبر مختلف المقابر التي تعود إلى الفترة الرومانية، أي منذ القرن الأول قبل الميلاد إلى غاية نهاية القرن الرابع ميلادي، ولقد ميزنا ثلاث طرق لدفن الأطفال في هذه المقابر: النوع الأول يميزه الدفن العادي للجثة داخل القبر، والنوع الثاني يتميز بوضع جثة الطفل داخل الحاوية ثم وضعها داخل القبر، وقد تكون هذه الحاوية إما تابوتاً وإما أمفورةً وإما شيء آخر، والنوع الثالث من الدفن هو حرق الجثة ودفن رمادها داخل القبر مباشرة أو بعد وضعه في أنية فخارية، وسنحاول تسليط الضوء على أبرز المقابر، وسنتتبع مدافن الأطفال وكل شيء يتعلق بها من ناحية الطقوس والعمارة والأثاث الجنائزي....إلخ.

2-1 مقبرة سطيف

توجد مقبرة تعود للفترة الرومانية في مدينة سطيف بالجزائر، تؤرخ ما بين نهاية القرن الأول ميلادي إلى غاية منتصف القرن الرابع ميلادي، وتحتوي على 352 قبر، من بينهم 170

¹ S. De Larminat, mourir enfant en Afrique Romaine : gestes, pratiques et rituels : Afrique Proconsulaire, Numidie et Mauritanie Césarienne, I er – III e siècle de notre ère, Thèse doctorat en Archéologie, Aix-Marseille1, 2011.

² S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p-p 501-538.

³ S. De Larminat, Le mobilier déposé dans les sépultures d'enfants en Afrique du Nord à l'époque romaine, Actes de la table ronde internationale organisée à la Maison Méditerranéenne des Sciences de l'Homme(MMSH) d'Aix-en-Provence, L'ENFANT ET LA MORT DANS L'ANTIQUITÉ III le matériel associé aux tombes d'enfants, 20-22 janvier 2011, p 293 – 312.

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

قبر خاص بالأطفال، وهم الذين تتراوح أعمارهم ما بين 0-16 سنة، بالإضافة إلى فئة الأجنة الذين ولدوا أثناء الولادة أو قبلها، ونسبة قبور الأطفال في هذه المقبرة هو 48 % من المجموع العام.

رتب الباحثون عمليات الدفن في هذه المقبرة إلى ثلاث مراحل رئيسية: تبدأ المرحلة الأولى من نهاية القرن الأول ميلادي إلى منتصف القرن الثاني ميلادي، وتتسم بالدفن العادي للجثث وهي الأخرى قسمت إلى ثلاث أنواع (I-A; I-B; I-C) وذلك وفقا لشكل القبور وتصميمها، ولقد تم إحصاء 67 طفل في هذه المرحلة، أما المرحلة الثانية فتبدأ من منتصف القرن الثاني ميلادي إلى بداية القرن الثالث ميلادي، حيث أصبحت جثث الموتى تحرق وتدفن بقايا رمادها في الجرار أو في القبور، واستطاع الباحثون إحصاء 18 قبر طفل في هذه المرحلة، أما المرحلة الثالثة فتميزت بالعودة إلى طريقة الدفن العادي للجثث والتخلي على ظاهرة الحرق، واستمرت هذه الظاهرة إلى غاية منتصف القرن الرابع ميلادي، وقسمت قبور هذه المرحلة إلى نوعين (III-A; III-B)، ولقد تم إحصاء 85 قبر طفل في هذه المرحلة¹.

استطاع الباحثون تحديد سن الأطفال المدفونين في مقبرة سطيف، من خلال فحص الجمجمة التي تعطينا السن التقريبي للطفل، أو من خلال تقدير حجم الهيكل العظمي أو حجم القبر، وقد استطاع الباحثان الفرنسيان جيرى وبول ألبرت فيفري "P.A Février" تمييز العديد من الفئات السنّية في فئة الأطفال، وهي كالاتي: الجنين أم المولود الميت²، إلى سن 3 أشهر، من 3 إلى 12 شهر، من سنة إلى 4 سنوات، من 4 إلى 7 سنوات، من 7 إلى 10 سنوات، من 10 إلى 16 سنة³ (جدول رقم 22). وقد لاحظنا ارتفاع نسبة الوفيات عند فئة الأجنة التي تموت في فترة حملها أو عند الولادة مباشرة بنسبة 25%، وترتفع النسبة أيضا خلال الأشهر الأولى من حياة الطفل بنسبة 24%، وتبدأ نسبة الوفيات في التناقص كلما زاد عمر الطفل، وربما يرجع ذلك لنقص الرعاية الصحيّة للنساء في فترة الحمل وعند الولادة، وللأطفال في أشهرهم الأولى.

¹ R. Guéry, op-cit, p40-46.

² الذي مات أثناء الولادة أو قبل فترة الولادة (في حالة الإجهاض)

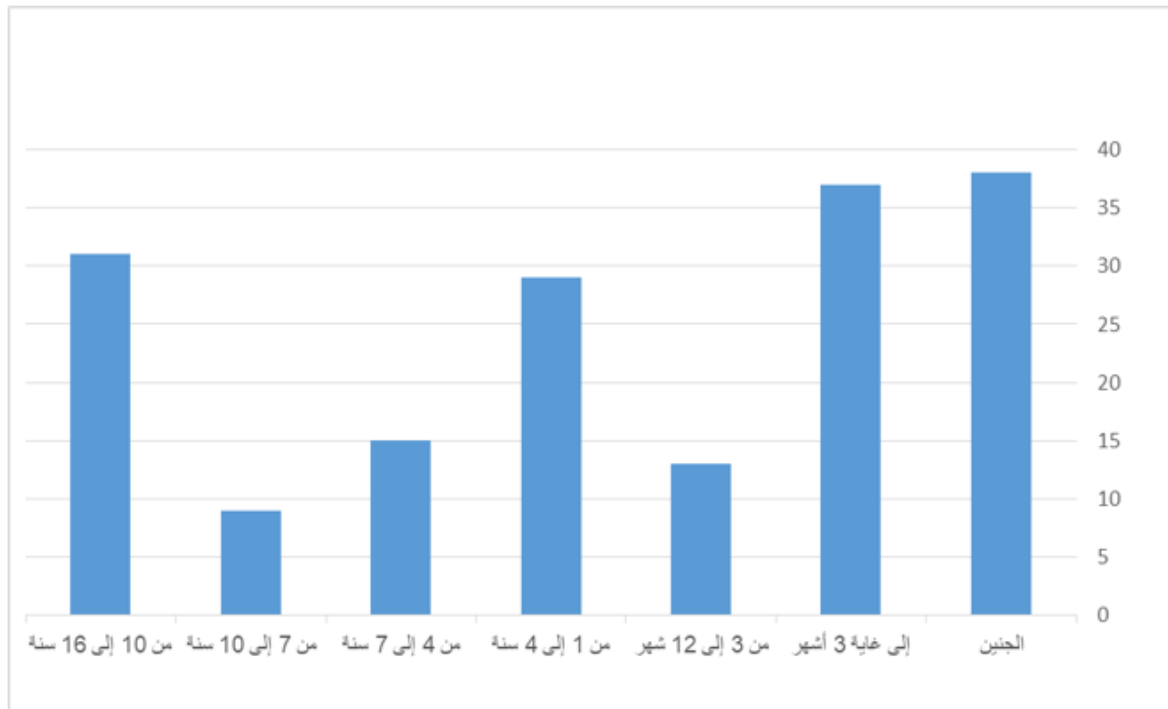
³ P.A Février, R. Guéry, op-cit, 119.

جدول رقم 22: نسبة الوفيات عند الفئات العمرية للأطفال في مقبرة سطيف.

النسبة	المجموع	III	I-C	I-B	I-A	السن
%25	38	24	6	8		الجنين
%24	37	11	13	6	7	إلى غاية 3 أشهر
%9	13	9	3	1		من 3 إلى 12 شهر
%19	29	13	11	3	2	من 1 إلى 4 سنة
%10	15	10	3	1	1	من 4 إلى 7 سنة
%6	9	6	3			من 7 إلى 10 سنة
%20	31	12	10	8	1	من 10 إلى 16 سنة
%100	152	85	29	27	11	المجموع

P.A Février, R. Guéry, op-cit, p 119

شكل رقم 48: الفئات العمرية للأطفال في مقبرة سطيف



P.A Février, R. Guéry, op-cit, p 119

2-2 مقبرة ذيسدروس¹ Thysdrus

وجدت في هذه المدينة واحدة من أهم الاكتشافات الأثرية التي تعود للفترة الرومانية، وهي مقبرة خصصت بشكل كامل لدفن الأطفال، واستغلت هذه الأخيرة من نهاية القرن الأول ميلادي إلى بداية القرن الثالث ميلادي، وتتداخل فيها الطقوس الجنائزية البونية والليبية المحلية وكذا التأثيرات الرومانية الخارجية.

بدأ الباحث سوماني "CH. Saumagni" العمل على هذه المقبرة في سنة 1938 من خلال بعض اللوحات الجنائزية التي اكتشفت في الموقع، وبعد العديد من التنقيبات أكتشفت أجزاء المقبرة على بعد 950 م من المدرج الكبير للمدينة، ووجدت أغلب قبورها مدمرة ومنهوبة، الأمر الذي شكل صعوبة بالغة أمام الباحثين من أجل كشف معالمها، وفُدرت مساحتها بشكل تقريبي ما بين 1000 متر مربع و1500 متر مربع، وكانت المقبرة محاطة بصور من جوانبها الأربعة، والجدار الشمالي هو الوحيد الذي بقيت آثاره واقفة بشكل كامل: طوله 30 متر وارتفاعه 1.20 متر وسمك جدرانه 0.50 م، مبني بالحجارة الصغيرة المحكومة بالملاط الجيري، أما الجدار الشرقي فلا تزال إلا 25 متر من بقاياها، أما الجدار الغربي فقد زال أغلبه إلا ثمانية أمتار، والجدار الجنوبي مفقود تماما.

تتضمن المقبرة ثلاثة مستويات ستراتيغرافية مختلفة من حيث الأهمية ومن حيث حالة الحفظ: المستوى الأول عمقه حوالي 0.90 متر يعود للقرن الأول ميلادي، وقد أحصي فيه 60 قبر طفل في مساحة قدرت بـ 25 متر مربع، وتم العثور على 25 هيكل عظمي للأطفال، والعديد من الجماجم المطلية بالمغرة الحمراء وفقا للتقاليد الليبية والبونوية القديمة، ووجد في هذا المستوى العديد من الأثاث الجنائزي كالأطباق والفخاريات والمصابيح والأشياء الزجاجية، أما المستوى الثاني فقد دمر بالكامل ولم تبقى آثاره².

¹ ذيسدروس: هي مدينة الجم الحالية في تونس، تقع بين مدينة تونس ومدينة قابس وبين مدينة سوسة ومدينة صفاقس وكانت من أهم المدن في الفترة الرومانية لأن موقعها كان محوري بين الشرق والغرب والشمال والجنوب وكانت معبر كل الطرق التجارية، لذا شهدت تطورا ملحوظا منذ القرن الأول ميلادي وبلغت ذروة تطورها في نهاية القرن الثاني ميلادي في عهد السفيرين. أنظر:

L. Slim, A propos d'un cimetière....., p 166.

² I bid, p 172-173.

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

يتراوح عمق المستوى الثالث ما بين 1.5 متر و 2 متر، ووجدت فيه العديد من المقابر الفخمة المبنية بشكل جميل، تؤرخ ما بين القرن الثاني وبداية القرن الثالث ميلادي، وعثر فيه على العديد من النقائش الجنائزية، ومن خلال هذه الأخيرة تم إحصاء 15 طفلاً مدفوناً في هذا المستوى، تتراوح أعمارهم ما بين 1 إلى 15 سنة، إذ جاءت أعمارهم على النحو التالي: واحد عمره 15 سنة، ثلاثة عمرهم 8 سنوات، اثنان عمرهم 4 إلى 5 سنوات، واحد عمره 3 سنوات و 6 أشهر، 1 عمره سنتين و 4 أشهر، أربعة عمرهم ما بين سنة وسنة و 6 أشهر، واحد عمره 5 أشهر، وكان معدل العمر في هذا المستوى هو 25 شهراً، كما تأكد الباحثون من وجود العديد من الأجنة المدفونين الذين ماتوا قبل الولادة أو أثناء الولادة¹.

شكل رقم 49: قبران لطفلين من مقبرة ذيسدروس



L. Slim, op-cit, p179.183.

2-3 مقبرة بوبوت² Poppot

قام الباحثان عائشة بن عابد ومارك جريسهايمر بإجراء العديد من عمليات التنقيب في مقبرة بوبوت في تونس سنة 2001 ، إذ تؤرخ هذه المقبرة ما بين نهاية القرن الأول ميلادي إلى منتصف القرن الرابع ميلادي، وتقع على أرض غير مستوية على ارتفاع 6 م من سطح

¹ L. Slim, A propos d'un cimetière....., p174.

² بوبوت: تقع مدينة بوبوت الرومانية على بعد 70 كم جنوب شرق قرطاجة وعلى بعد 3 كلم جنوب مدينة الحمامات، وتقع بالضبط في مكان يسمى سوق العبيود، أقيمت فيها العديد من الحفريات خاصة التي قام بها الباحثان عائشة بن عابد ومارك جريسهايمر بشراكة تونسية فرنسية على مستوى مقبرة بوبوت الرومانية. أنظر:

A. Ben Abed, M. Griesheimer, op-cit, p 453-454

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

البحر طولها حوالي 190 م من الشمال إلى الجنوب، وعرضها 100 م متر من الشرق إلى الغرب، وتبلغ مساحتها حوالي 2 هكتار، تنقسم هذه المقبرة للعديد من القطع غير المتساوية في المساحة والمفصولة بجدران قصيرة من الخرسانة، وقد تم إحصاء 70 قطعة (شكل رقم 50)، ولوحظ نوعين من طرق الدفن في هذه المقبرة: فإما تدفن جثة الميت بشكل عادي وتوضع في القبر أو في حاوية الدفن وهذه الطريقة هي الأكثر شيوعا، وإما تحرق الجثة ويدفن رمادها المتبقي في القبر أو في الحاوية¹.

تم إحصاء 393 قبر خصص لدفن الأطفال في مقبرة بوبوت، 264 من هذه القبور احتوت على بقايا عظمية تتمثل في هياكل عظمية كاملة أو بقايا منفصلة، 159 قبر تم التعرف عليها على أنها مخصصة للأطفال من خلال حجم القبر أو الحاوية، كما تم إحصاء 30 عملية حرق لجثث الأطفال، وعلى العموم فإن أهم ما يميز دفن الأطفال في هذه المقبرة هو أن أغلبهم قد خصصت لهم حاوية دفن مميزة وهي الأمفورة الفخارية التي تقص وتدخل فيها جثة الطفل وبعد ذلك توضع في القبر بشكل أفقي، ولقد تم إحصاء 128 أمفورة في مقبرة بوبوت².

شكل رقم 50 : قبور الأطفال في مقبرة بوبوت



A. Ben Abed, M. Griesheimer, op-cit, p 559

¹ I bid, p 455-457.

² S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p504.

2-4 مقابر أخرى

تم إحصاء خمسة قبور خاصة بالأطفال في مقبرة شرشال¹، حيث وجد هيكل عظمي لطفل لم يحدد عمره مدفون في قبر موجه ناحية الشمال، وهذا الهيكل مستند على طبقة من الرماد في وضعية الاستلقاء على الظهر واليدين مطوية على الصدر، ودفنت معه خمسة قطع نقدية تؤرخ إلى القرن الرابع ميلادي. ووجد قبر آخر مقاسه 1 م على 0.50 م، يحتوي على هيكل عظمي لطفل في حالة حفظ سيئة جداً، الرأس موجه ناحية الشرق والبقايا العظمية الأخرى تالفة إلا بعض العناصر من الأطراف السفلية وأصابع القدمين وبعض الشظايا من الفخار²، ووجدت في المقبرة نفسها ثلاث مدافن أخرى خاصة بأطفال تحتوي على جماجم، اثنتان منهما في حالة حفظ جيدة والثالثة تبدوا متضررة، وقد تأكد أن أحد هؤلاء الأطفال كان تحت سن الخامسة من خلال فحص أسنانه³.

بدأت الحفريات على المقابر الرومانية في قرطاجة بداية من سنة 1970 من طرف بعض البعثات التابعة لمنظمة اليونسكو، وما بين سنتي 1992 – 2001 كانت أول الدراسات الأنثروبوجية للهياكل العظمية في موقع ليبتيمينوس "Leptiminus" والتي تؤرخ إلى ما بين القرنين الثاني والرابع ميلادي، وكشفت الحفريات فيها على 35 هيكل عظمي خاص بأطفال.

خصصت بعض المقابر للأطفال دون سن الثلاث سنوات، وكانت كلها مجمعة في مكان واحد مثل مقبرة سفيطة⁴ في تونس "Sufetula"، وتظهر بعض النقائش أن بعض العائلات كان لها مكان مخصص لدفن أطفالها مثل ما وجد في مقبرة بوبوت في تونس ومقبرة شرشال

¹ مقبرة شرشال: مقبرة رومانية اكتشفت في مدينة شرشال بالجزائر سنة 1990، من طرف شراكة أثرية جزائرية فرنسية، عثر فيها على العديد من المباني الجنائزية وحاويات الدفن تؤرخ ما بين القرن الثاني إلى القرن الخامس ميلادي. أنظر:

Ph. Leveau, Fouilles sur la nécropole de la gare routière de Cherchell, Algérie (1992-1993). In: Antiquités africaines, tome 35, 1999, p 77.

² I bid, p 86-87.

³ Ibid, p108.

⁴ سفيطة: هي مدينة رومانية تقع في ولاية القصرين بتونس، فيها العديد من الآثار الرومانية، كبوابة أنطونيوس والمعبد وقوس النصر والحمامات، كما تحتوي على مقبرة رومانية تعود إلى القرن الأول ميلادي. أنظر:

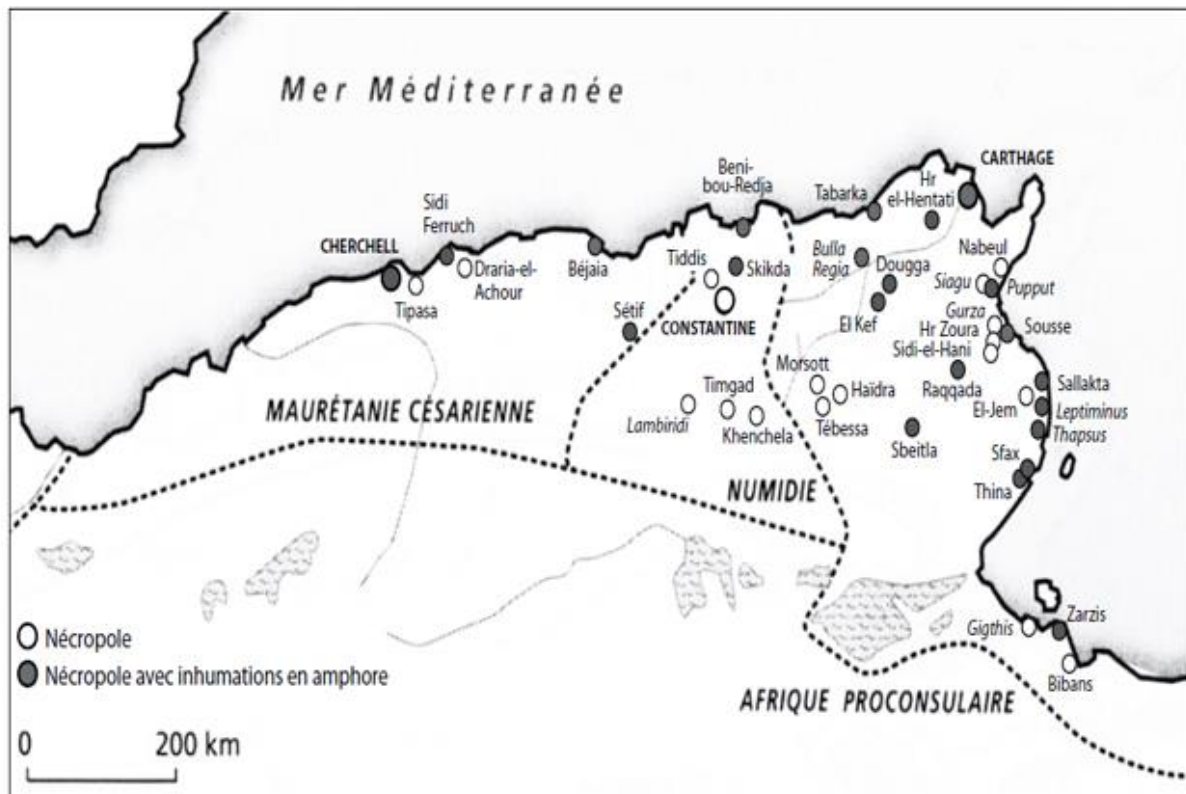
D. Noël. Nouvelles recherches d'archéologie et d'épigraphie chrétiennes à Sufetula (Byzacène). In : Mélanges d'archéologie et d'histoire, tome 68, 1956, 248-249.

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

في الجزائر، أو في مقبرة حدرموت في تونس الذي وجد فيها نقش باتجاه الجنوب من الجزء الداخلي فيها مكتوب عليه نرحب بالأطفال دون سن الثالثة¹.

توجد العديد من المقابر في شمال إفريقيا التي تعود لفترة الاحتلال الروماني، والتي احتوت على قبور الأطفال، ونحن حاولنا التركيز فقط على أهم النماذج منها، لأن المجال لا يسمح لنا بأن نذكرها كلها بشيء من التفصيل، لذا سنذكر فقط أهمها: مقبرة تيبازة، مقبرة درارية بالعاشور، مقبرة بجاية، مقبرة تيمقاد، مقبرة سكيكدة، مقبرة الكاف، مقبرة بيلاريجيا، مقبرة سوسة، مقبرة دوقة، مقبرة طبرقة، مقبرة ثينا... إلخ، وسنستعين بخريطة الباحثة سولين دو لارمينا التي حددت أهم قبور الأطفال في كل من موريطانيا القيصرية، نوميديا، إفريقيا البروقنصلية².

خريطة رقم 1: أهم مواقع مقابر الأطفال في إفريقيا الرومانية



S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 505

¹ S. De Larminat, petite enfance et rites....., p37.

² S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 505.

3- ترتيبات دفن الأطفال:

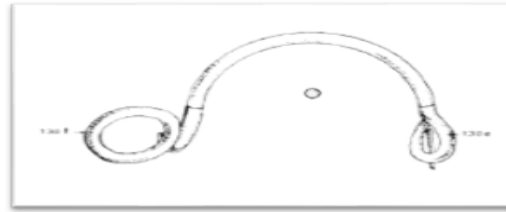
إن أهم الأسئلة التي يجب أن نطرحها ونجيب عليها في هذا الفصل هو: كيف كان يُعامل مع الأطفال الموتى عند الدفن وما هي أهم ترتيباته في شمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية؟

1-3 تجهيز الجثة:

1-1-3 الكفن

تساءل بعض الباحثين عن قضية الكفن وهل كان الأطفال يلفون به قبل دفنهم؟ ولقد بحثوا عن الإجابة من خلال بعض البقايا المادية التي وجدت في القبور الخاصة بالأطفال، ففي مقبرة بوبوت وجدت بعض الشظايا الصغيرة من القماش التي يصعب عزوها إلى ملابس أو كفن في قبر طفل صغير، وفي مقبرة لبيتيمنوس وجدت بقعة سواد على صدر مولود جديد رجع الباحثون أنها تعود لآثار لباس أو كفن¹، ومن بين العناصر التي وجدت في قبور الأطفال والتي تدل على استعمال الكفن عند الدفن هي تلك الالبزيمات المعدنية الماسكة، فقد وجد عنصرين من هذه الالبزيمات في قبرين لطفلين في مقبرة تيبازة، فالإبزيم الأول مصنوع من البرونز وهو عبارة عن كماشة على شكل نابض ومزينة بزخرفات على شكل انحناءات والإبزيم الثاني مصنوع من البرونز ويشبه في شكله الإبزيم الأول²، وفي مقبرة سطيف وجد إبزيم على شكل قوس مصنوع من الحديد (شكل رقم 50) موضوع في الجانب الأيمن لصدر طفل يتراوح عمره بين 10 و 16 سنة³.

شكل رقم 50: شكل الإبزيم الحديدي الذي وجد في قبر طفل في سطيف



R. Guéry , op-cit, p267.

¹ S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires.....,P 504.

² S. Lancel, Tipasitana IV : La nécropole romaine occidentale de la porte de Césarée. Rapport préliminaire, BAAlg, tome IV, 1970, P211.

³ R. Guéry, op-cit, p267.

يمكن أيضا اكتشاف بقايا الكفن من خلال بصماته المحفوظة في الجسم أو في الجص الذي عادة ما يحاط به الميت عند الدفن، ففي مقبرة الكاف وجد هيكل طفل مغمور في قالب جيري، هذا الأخير عليه بصمات لطية خاصة بسترّة أو رداء لف بها الطّفل، ووجدت هذه الظاهرة أيضا في قبور البالغين أو تلك التي لم يحدد فيها عمر الميت، مثل المقبرة الرومانية في "GIGHTIS" والتي وجد فيها قالب من الجص ظهرت فيه تفاصيل الوجه والشعر وطيات الثوب وشكل الركبتين، وقد تأكدت قضية الكفن من خلال فسيفساء كورنيليا أربيليا "CORNELIA" و "URBANILLA" التي وجدت في قبو في موقع لامبيردي¹ "LAMBIRIDI" في الجزائر والتي تم تمثيلها في تابوت ملفوفة بكفن مربوطة بشرائط والوجه مغطى بالكامل. لكن هذا لا يعني أن كل جثث الأطفال تكفن قبل دفنها، حيث أكدت الأبحاث أن بعض الهياكل العظمية للأطفال في كل من سطيف وتيبازة وثينا قد دفنت عارية دون ملابس أو كفن، وتأكدوا من ذلك من خلال غياب بصماتها على القوالب الجيرية التي عمر فيها الأطفال².

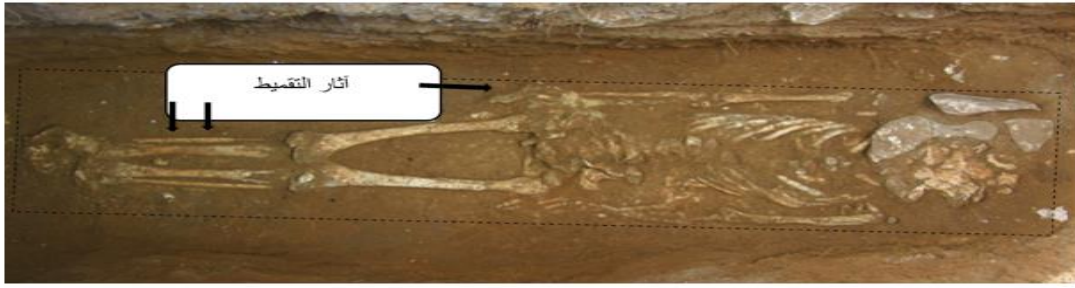
لاحظ الباحثون ظاهرة أخرى في بعض القبور تتمثل في أن الجسم يكون مضغوطا والأطراف تكون ملتصقة ومضمومة مع البدن، ولقد فسروا هذه الظاهرة في كون أن الجسم يتعرض للضغط بفعل التقييط ولف الجسم بالقماش، كما يمكن أن يحدث ذلك بفعل ضيق التابوت أو الحفرة، لكن ضغط الأجزاء السفلية والأطراف لا يكون إلا عندما يشد الجسم بواسطة كفن أو قماط، فثلث الأفراد الذين تتراوح أعمارهم بين شهر واحد إلى ثلاث سنوات في مقبرة بوبوت كانت ضمت ركبهم وأقدامهم مضمومة معا بطريقة متوازية، والصورة التالية تظهر هيكل عظمي لطفل عمره ما بين 7 – 8 سنوات من مقبرة بوبوت مدفون في تابوت خشبي وتظهر عليه آثار التقييط من خلال أطرافه العلوية والسفلية المضمومة (شكل رقم 51)³.

¹ مقبرة رومانية في ولاية باتنة بالجزائر.

² S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 505.

³ I bid, p506.

شكل رقم 51: هيكل عظمي لطفل مدفون في مقبرة بوبوت أطرافه مضمومة بفعل التقييط



S. DE LARMINAT, GESTES ET PRATIQUES FUNÉRAIRES..., P 505

3-1-2 تزيين الأطفال قبل الدفن:

أكدت الأبحاث الأثرية أن الأطفال كانوا يزينون بالحلي قبل دفنهم، حيث وجدت معظم الهياكل العظمية الخاصة بالأطفال في المقابر الإفريقية خلال الفترة الرومانية مزينة بالحلي والمجوهرات، هذه الأخيرة كانت في شكل أقراط أو قلائد أو أساور، حيث أحصت الباحثة الفرنسية لارمينا 21 قبر خاص بأطفال من مقابر مختلفة: مقبرة سطيف، مقبرة بوبوت، مقبرة تيبازة، مقبرة سوسة، وكل هذه القبور وجدت فيها أقراط وقلائد مصنوعة من الحديد أو البرونز أو النحاس أو من الفضة، ومن بينهم زوجين من الأقراط الذهبية في شكل سلك بسيط¹.

تكلم الباحثان الفرنسيان هانزو و لاكومبل "De Lacomble, G. Hannezo" عن القلادة التي وجدت ملفوفة على عنق طفل مغمور في الجير عمره ستة سنوات في مقبرة سوسة، والمكونة من 12 قطعة زجاجية مربوطة بسلك نحاسي²، وأشار الباحث جيرى إلى العديد من القطع الزجاجية التي وجدت في قبر طفل في مقبرة سطيف، وقد رجح الباحث أنها بقايا قلادة زجاجية زين بها الطفل أثناء دفنه والذي عمره ما بين سنتين إلى أربع سنوات³، وفي مقبرة درارية بالعاشر وجد في قبر يعود إلى بداية القرن الرابع ميلادي قلادة حول عنق طفل عمره ما بين 4 إلى 6 سنوات، وهذه القلادة تتكون من 453 خرز زجاجي⁴، وفي مقبرة جيرزا⁵ "GURZA" وجدت قطع من العاج موضوعة على صدر طفل يحتمل أنها كانت جزء من قلادة زين بها

¹ S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 507.

² De Lacomble, G. Hannezo, fouilles exécutées dans la nécropole Romaine D'Hadrumète, BACT, 1889, p 125.

³ R. Guéry, op – cit, p 73.

⁴ G. Camps, La nécropole de Draria-El-Achour, Libya, tome III, 1955, p 248.

⁵ مقبرة جيرزا: مقبرة تعود للفترة الرومانية تقع بالقرب من مدينة سوسة في تونس.

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

الطفل ، وفي مقبرة سوسة وجد في قبور الأطفال العديد من قطع العظام الصغيرة والخيوط البرونزية الصغيرة التي كانت تلبس كأقراط¹.

تم العثور على العديد من الأساور في بعض المدافن الخاصة بالأطفال المتواجدة على مستوى المقابر التي تعود للفترة الرومانية، وهي عبارة على حلقات بسيطة توضع في الكاحل أو في المعصم قد تكون مفتوحة وقد تكون مغلقة، وهي في الغالب مصنوعة من الحديد أو البرونز أو النحاس، ولقد أحصت الباحثة الفرنسية دو لارمينا سبع مدافن في شمال إفريقيا خاصة بالأطفال وجدت فيها هذه الأساور². تكلم الباحث الفرنسي كامبس عن طفل يرتدي ثلاث أسلاك برونزية ملفوفة حول ذراعه الأيسر في مقبرة درارية بالعشور³، وفي مقبرة سطيف هناك العديد من قبور الأطفال التي وجدت فيها الأساور الحديدية والنحاسية، والتي تكون في العادة ملفوفة حول الساق أو المعصم⁴.

أشارت الباحثة لارمينا إلى وجود خاتمين فقط في مقابر الأطفال في الفترة الرومانية، الأول وجد في سطيف لطفل عمره ما بين سنتين إلى أربع سنوات، مصنوعة من الزجاج وموضوعة في إصبعه الأيسر من يده اليمنى، والثاني وجد في المقبرة الرومانية بشرشال لطفل عمره أكثر من خمس سنوات يضع خاتم بها عناصر زجاجية⁵.

وجد نوع آخر من الحلبي التي يزين بها الأطفال أثناء دفنهم وهي الحلبي التي توضع في الرأس إلا أنها قليلة ونادرة، ففي مقبرة بوبوت وجدت شظايا برونزية صغيرة في ثلاث قبور خاصة بالأطفال موضوعة بالقرب من الصدغ الأمامي للرأس، وقد رجح الباحثون أن غرضها الأساسي هو التزيين⁶، وفي مقبرة سطيف تم اكتشاف عصابة مستديرة مكونة من 13 مسمار حديدي موضوعة على رأس طفل عمره بضعة أشهر، وفي المقبرة نفسها وجد سلك نحاسي على شكل حلقة موضوعة على الجانب الأيسر لرأس طفل عمره ما بين سنة وسنتين⁷.

¹ De Lacomble, G. Hannezo, op – cit, p 130.

² S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 508.

³ G. Camps, La nécropole de Draria....., p 241.

⁴ R. Guéry, op – cit, p 105.

⁵ S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 508.

⁶ I bid, p 509.

⁷ R. Guéry, op – cit, p 244.

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

تم التعرف على أنواع الحلي السابقة بفضل شكلها وبفضل تحديد مواقعها من الجسم، لكن توجد عناصر أخرى من الحلي وجدت معزولة ولم يعرف تحديد وظيفتها الزينية، ففي قبرين لطفلين في تيبازة وجد سن لخنزير بري مثقوب ورجح الباحثون أنه يستعمل للتزيين، وفي المقبرة نفسها وجد في قبور الأطفال العديد من الحلي مثل الدوائر البرونزية والأسلاك المعدنية المصنوعة من الحديد أو النحاس، وفي مقبرة ببوت وجد في قبر طفل قطع من المرجان المثقوبة وهي الأخرى تستعمل للتزيين¹.

قامت الباحثة لارمينا بتقديم بعض المعطيات الخاصة بتواجد الحلي في مقابر الأطفال في شمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية، حيث قامت بدراسة 44 قبر طفل في سبعة مقابر مختلفة وهي: درارية، الكاف، هنشير، بوبوت، سطيف، سوسة، تيبازة، وأحصت 53 قطعة من الحلي (أقراط، قلائد، خلخال، أساور، خواتم، حلي الرأس، عناصر معزولة)، أي بمعدل حوالي قطعة من الحلي في القبر الواحد، أي أن الطفل يتزين بقطعة واحدة على الأقل، وتبقى الأقراط والقلائد والخلخال هي الأكثر استعمالا مقارنة بالعناصر الأخرى، وكل هذه الخصائص محصورة في فئة سنية تبدأ من 0 إلى 8 سنوات، وفي الجدول التالي سنقدم أبرز المعطيات التي قدمتها الباحثة الفرنسية لارمينا.

جدول رقم 23: الحلي المتواجد في المقابر الإفريقية خلال الفترة الرومانية

المجموع	تيبازة	سوسة	سطيف	بوبوت	هنشير	الكاف	درارية	مقبرة حلي
44	4	3	10	24	1	1	1	عدد قبور
21	1	2	2	16				الأقراط
12		3	3	4	1		1	القلائد
16			5			1		الخلخال
1							1	الأسوار
2	1		1					خواتم

¹ S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 509.

حلي الرأس				3	2	1		6
عناصر معزولة				2			3	5
المجموع	2	2	1	25	13	6	5	53
العمر / سنة	7-6			8-2	4/2	أصغر من 3	7-0	8-0

S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 510

3-1-3 تغليف الجسم بالجص أو الجير

تؤكد المعطيات الأثرية أن الأطفال كانوا يغمرّون في حمامات الجص أو الجير قبل دفنهم، وذلك من أجل الحفاظ على الجثة وعلى شكلها العام، وقد وجدت بقايا قوالب الجير في بعض قبور الأطفال في مختلف المقابر الإفريقية التي تعود للفترة الرومانية، وما يؤكد ذلك هو ما رواه المؤرخ ديون كاسيوس "Dion Cassius" عن تغليف جثة بريتاننيكوس "Britannicus" بالجير قبل دفنه¹، أي أنها طقس جنازي روماني يخص الكبار والصغار على السواء، لكنه هذا الطقس لم يعمم بل اقتصر على بعض القبور دون الأخرى.

في مقبرة ثنا "Thina" لاحظ الباحث جدي "N. Jeddi" جثة طفل مدفون في أمفورة وجسمه مغلف بالجص، وتظهر على الجزء الخارجي من الجص بصمات النسيج مما يؤكد أن الطفل لفّ بقطع من القماش بعد أن غمر في الجص²، وتوجد جثة طفل معروضة في متحف الجم في تونس يبدو أنه خضع لنفس العملية لأن هيكله العظمي مغلف بطبقة صغيرة من الجص، وفي مقبرة بوبوت عثر على طفل عمره ما بين 1-2 سنة مغلف تماما بالجص باستثناء رأسه، وفي المقبرة نفسها عثر على أمفورة تضم بقايا عظمية لجنين عمره ما بين 8-9 أشهر مغطى تماما بالجص³ (شكل رقم 51).

¹ D. Cassius, LXI, 7.9.

² N. Jeddi, à propos d'une nécropole à Thina note préliminaire, L'Afrique du nord antique et Médiéval : monuments funéraires, institutions autochtones. vie colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du nord, paris, 1995, p 140.

³ S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 510

شكل رقم 51: بقايا الجص في أمفورة خصصت لدفن جنين في مقبرة بوبوت



S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 511

2-3 اختيار حاوية الدفن:

يعد اختيار حاوية الدفن من بين الأمور المهمة التي تقوم بها الأسرة قبل دفن ابنها، ويعتمد هذا الاختيار أساسا على القدرة المالية لهذه الأسرة، بحكم أن هذه الحاويات فيها العديد من الأنواع سواء من حيث الشكل أو من حيث مادة الصنع، ومن هذه الأنواع نذكر:

1-2-3 التوابيت الحجرية:

وجد في إفريقيا الرومانية عدد قليل من التوابيت الحجرية الكاملة، لكن في المقابل تم العثور على العديد من الشظايا الحجرية للتوابيت التي تثبت أنها تكسرت أو دمرت، ومن بين الدراسات التي اهتمت بهذا الموضوع هي التي قام الباحث فورنيت بيليبنكو "F.Pilipenko" من 1962 إلى غاية 1987 ، حيث قام بإحصاء 169 من التوابيت الحجرية في تونس، بينما في الجزائر لم تكن هناك دراسة من هذا النوع بل جاءت كلها متفرقة في عديد الأبحاث والدراسات وتم إحصاء حوالي 90 تابوت في شمال إفريقيا (كامل أو جزء منه)، ولقد ميز الباحثون بين توابيت البالغين وبين التوابيت المخصصة للأطفال من خلال حجم التابوت، وأكدوا جل أن التوابيت التي تكون أقل من 1.70 متر ترجع أكيد للأطفال¹.

قامت الباحثة الفرنسية سولين لارميني بإحصاء 17 تابوت حجري خصصت لدفن الأطفال في إفريقيا الرومانية ما بين القرن الثاني وبداية القرن الخامس ميلادي (جدول رقم 24)، وقدمت العديد من التفاصيل التي تخص هذه التوابيت كالطول والعرض والارتفاع وجنس

¹ F. Baratte, les Sarcophages dans L'Afrique antiques, Iconographie funéraire Romaine et Société, CRHISM, Paris, 2013, p 177.

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

وعمر الطّفّل المدفون فيه ومادة صنع هذا التابوت والتأريخ الذي يرجع إليه، هذا بالإضافة إلى المدينة التي وجد فيها، ولاحظنا أن طول هذه التوابيت هو ما بين 0.77 م إلى 1.62 م، وعرضها هو ما بين 0.23 م إلى 0.62 م، وارتفاعها 0.27 م إلى 0.43 م، وهذه المسافات تتناسب طبعاً مع عمر الطّفّل وحجمه، وهو ما يؤكد أنها تصنع خصيصاً للطفل المتوفي، لأنه لم تكن هناك توابيت موحدة بأشكال ومقاييس موحدة.

ولاحظنا أن أغلب هذه التوابيت نحتت من الرخام الأبيض وهي 9 توابيت من أصل 17 تابوت، ووجدت بشكل كبير في المدن الساحلية بسبب سهولة النقل ووجود المادة الأولية ومتعلق كذلك بمكان تركز العائلات الغنية، والباقي نحتت من الحجارة المحلية أو الحجارة الكلسية أو الحجارة الكلسية البيضاء، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل أن أصحاب هذه التوابيت كانوا من الطبقات الراقية الغنية بحكم غلاء سعر هذه المواد خاصة الحجر الرخامي¹.

وجد في بجاية سنة 1844 تابوت طفل مصنوع من الرخام الأبيض يتكون من حوض وغطاء، طوله 1.045 م وعرضه 0.48 م وعمقه 0.11 م، وهو معروض بمتحف اللوفر بباريس، مزخرف بحزوز وزخارف متنوعة ومكتوب عليه اسم المتوفي (شكل رقم 52-أ)²، وعثر على تابوت آخر خصص لدفن طفل مستطيل الشكل مكون من الحوض والغطاء وجد في الرواق الأوسط في البازيليكا الموجودة بالقرب من المقبرة الوثنية في لمباز، مصنوع من الحجر الجيري طوله 1.23 م وعرضه 0.68 م وارتفاعه 0.46 م، وهو معروض في متحف مدينة تيمقاد على مستوى الحديقة (شكل رقم 52-ب)³.

¹ S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 513.

² AD.H.AL Delamare, Exploration scientifique de l'Algérie, Pl. 7, fig 1-2

³ M. Christofle, Rapport sur les travaux de fouilles et consolidations effectuées en 1930-1931-1932 par le service des Monuments Historiques de l'Algérie. Alger, Jules Carbonel, 1935, P 366.

جدول رقم 24: التوابيت الحجرية في إفريقيا الرومانية

رقم	المقبرة	الطول/م	العرض/م	الارتفاع/م	الجنس/السن	مادة الصنع	التاريخ
1	حيدرة	-	-	-	أنثى / 7 سنوات	الحجارة المحلية	القرن 2-3 م
2	طبرقة	-	-	-	ذكر / 12 سنة	الرخام	القرن 3 م
3	قسنطينة	-	-	-	ذكر	الحجر الجيري	القرن 3 م
4	تيازة	-	-	-		الحجارة المحلية	القرن 2-3 م
5	تيازة	0.80	0.44		ذكر	الحجارة المحلية	القرن 2-3 م
6	سكيكة	0.77		0.33	ذكر		القرن 3 م
7	خنشلة	0.87	0.49	0.39		الحجارة المحلية	القرن 4-5 م
8	سكيكة	0.88		0.33	ذكر	الرخام	نهاية القرن 3 م
9	قرطاجة	1.02	0.45	0.43		الرخام	بداية القرن 3 م
10	بجاية	1.05	0.48	0.47	ذكر	الرخام	القرن 3 م
11	تيمقاد	1.08	0.52			الجيري الأبيض	القرن 2-3 م
12	سوسة	1.11	0.62	0.43	ذكر	الرخام	بداية القرن 3 م
13	دوقة	1.18	0.23	0.27	ذكر	الرخام	القرن 3 م
14	قرطاجة	1.30	0.45	0.42	أنثى	الرخام	نهاية القرن 3 م
15	تيمقاد	1.34	0.52			الجيري الأبيض	القرن 2-3 م
16	قرطاجة	1.62	0.45	0.32	ذكر	الرخام	القرن 3 م
17	قرطاجة	1.75	0.47	0.59	12 سنة	الرخام	بداية القرن 4 م

S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 512.

عثر على تابوت طفل مكون من حوض دون غطاء بالمقبرة الموجودة على طريق القل-سكيكدة، وهو ملك لمتحف سكيكدة، مصنوع من الرخام الأبيض طوله 0.88 م وارتفاعه 0.30 م مزخرف بالعديد من الزخارف الإنسانية والحيوانية¹ (شكل رقم 52-ج)، وعثر على تابوت طفل آخر في نفس الطريق وهو متواجد في نفس المتحف، مصنوع من الرخام الأبيض طوله 0.77 م وارتفاعه 0.33 م، مزخرف بتشكيلة يتوسطها طفل جالس على كرسي وبعض التماثيل الحيوانية ويحمل اسم الطفل الذي يسمى سيريانوس "Serianus"² (شكل رقم 52-ت). وفي مدينة قالمة عثر على حوض تابوت طفل بعد تهديم الصور الجنوبي للقلعة، طوله 1.53 م منحوت في الجهة الأمامية منه، ومزخرف ببعض الزخارف النباتية³ (شكل رقم 52-د)، ويبقى أجمل التوابيت هو تابوت الطفل المحفوظ في متحف الآثار القديمة بالجزائر العاصمة (شكل رقم 35).

3-2-2 التوابيت الرصاصية والخشبية

وجدت بعض توابيت الأطفال المصنوعة من الرصاص في شمال إفريقيا والتي تعود للفترة الرومانية، ففي سنة 1890 اكتشف الباحث كارتون في مقبرة بولاريجا تابوت رصاصي طوله 1.05 م وعرضه 0.30 م وارتفاعه 0.21 م، شكله شبه منحرف أي ضيق عند الرجلين⁴، وفي سنة 1902 وجد تابوت رصاصي طوله 0.60 م مستطيل الشكل في مدينة شرشال، وفي سنة 1909 عثر على تابوت رصاصي آخر في مدينة ثنا THINA بتونس طوله 0.60 م وعرضه 0.26 م وارتفاعه 0.20 م، وضع في تجايف أحد الأرصفة المحمية ببعض البلاطات الحجرية، وفي سنة 2007 اكتشف تابوت رصاصي في بوبوت طوله 1.05 م وعرضه 0.22 م وارتفاعه 0.26 م يحتوي على هيكل عظمي لطفل يتراوح عمره ما بين 1 - 2 سنة، وكان مستلقيا على ظهره والأطراف السفلية ممددة واليد اليسرى موضوعة على الحوض، والتابوت محمي بواسطة ألواح خشبية وضعت عليه أفقيا⁵.

¹ AD.H.AL Delamare, op-cit, Pl. 162, fig 7.

² S. Gsell, Musée de Philippeville, Pl. IV, Paris, 1898, Fig 2, P 34.

³ AD.H.AL Delamare, op-cit T.II. , Pl. 179, fig.15.

⁴ S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 514

⁵ L. Carton, rapport sur les fouilles faites à bulla Regia en 1890, BACT, 1892, p72

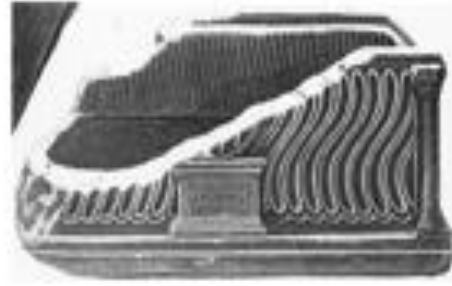
شكل 52: التوابيت الحجرية للأطفال في شمال إفريقيا

ب- توابيت لميخا



معروض بمتحف تيمقاد

أ- تابوت بجاية



AD.H.AL Delamare, op-cit, fig 1-2

د- توابيت قالمة



AD.H.AL Delamare, op-cit, fig 7; fig 15

ج- توابيت سكيكدة



ت- توابيت سكيكدة 2

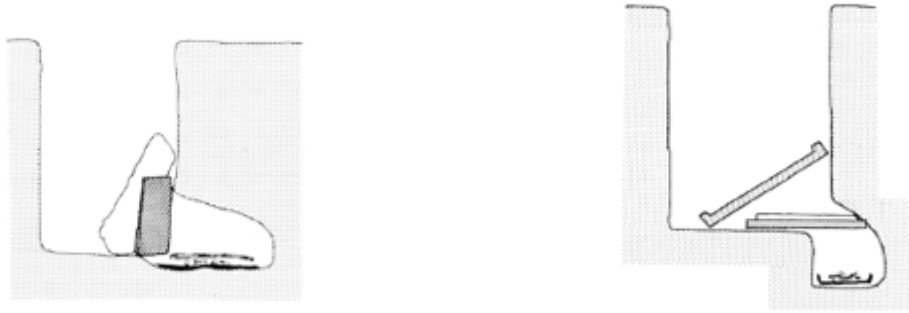


S. Gsell, Musée de Philippeville..., Fig. 2, p 36

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

وجدت بعد التوابيت الخشبية التي خصص لدفن الأطفال في شمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية، فهناك من وجدت كاملة وهناك من وجدت أجزاء منها فقط، ففي مقبرة سطيف وجدت بعض البقايا الخشبية في قبور الأطفال، مثل القبر الذي يحوي طفلا عمره ما بين شهر وثلاث أشهر وكان مغطى بلوح خشبي من الصنوبر الأسود ، ووجدت آثار لوح آخر وضعت عليه الجثة¹، وفي المقبرة نفسها هناك قبر صغير وجدت فيه أربع ألواح تشكل تابوت رباعي الزوايا، وهناك قبر آخر خصص لدفن جنين وجدت في آثار مجموعة من الألواح من خشب الأرز يرجح أنها كانت عبارة عن تابوت لحفظ الجثة(شكل رقم 53)².

شكل رقم 53: مقطع طولي لقبرين طفل يحوي على بقايا لتابوت خشبي



R. Guéry, op-cit, fig 44. Fig 40.

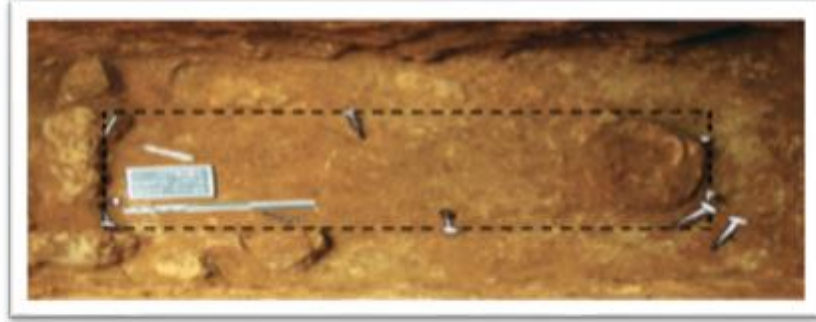
وجدت بعض التوابيت الخشبية مستطيلة الشكل ومثبتة بأوتاد خشبية وبعض المسامير في مقبرة بوبوت و مقبرة مدينة تينا، أما سطح التابوت فهو مسطح في بعض المقابر ومحدب في بعض المقابر الأخرى، وقد وجدت المسامير الحديدية في عديد المقابر مثل مقبرة شرشال التي وجدت فيها ملتصقة بألياف الخشب، وهناك من رجح أنها تستعمل لأغراض طقوسية لأنها وجدت بالقرب من موضع الراس أو القدمين، وهناك من الباحثين من رجح أنها تستعمل لتعليق التابوت أو لتعليق عناصر أخرى في التابوت، وقد وجد في مقبرة بوبوت في 32 قبر خاص بأطفال بها مسامير معزولة لم تبقى في موقعها مع وجود آثار لعناصر تالفة³.

¹ R. Guéry, op-cit, fig 40, p58

² R. Guéry, op-cit, fig 44, p60

³ S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 518.

شكل رقم 54: قبر طفل في مقبرة بوبوت يحتوي على المسامير التي كانت تثبت التابوت الخشبي



S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 519

3-2-3 الأمفورات Les amphores

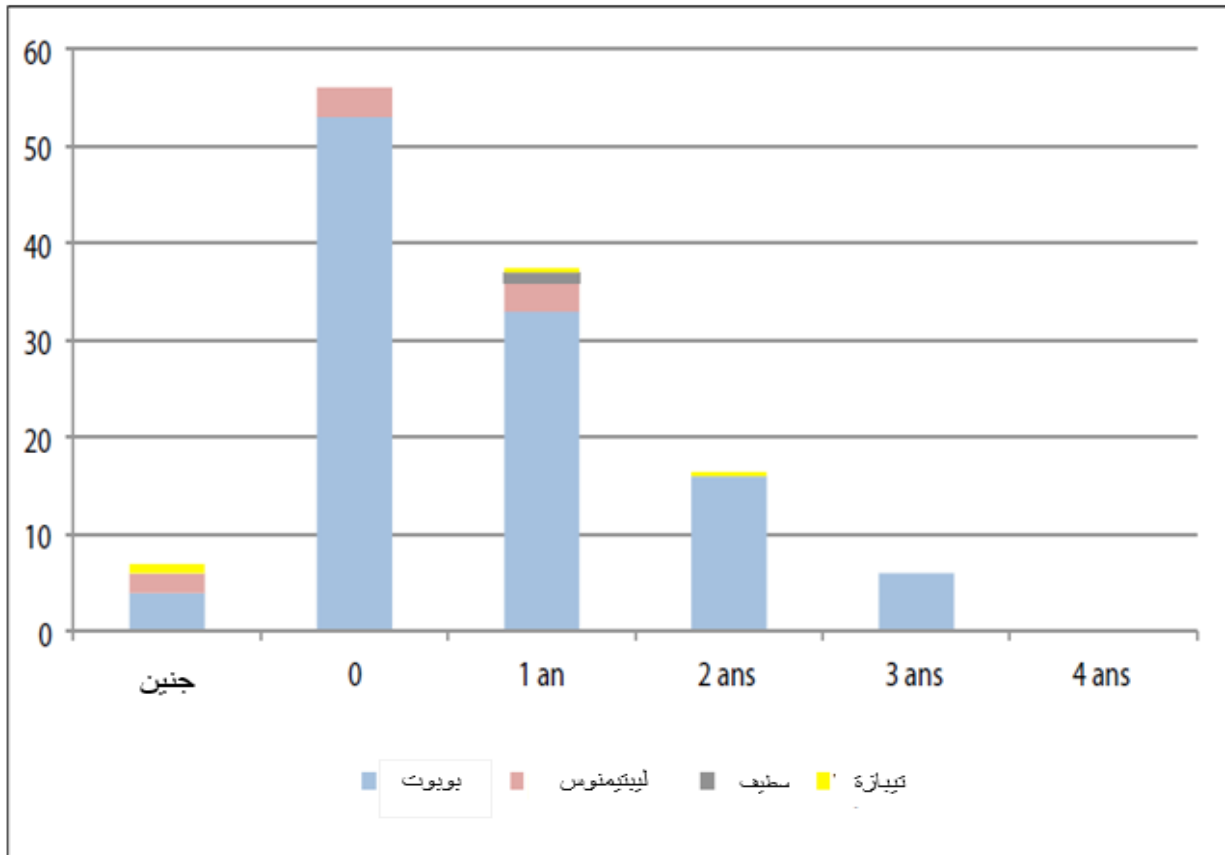
يطلق على هذا النوع من الحاويات عديد التسميات مثل الجرار الجنائزية، جرة العظام، جرة الدفن، الأمفورة، تابوت الجرة، وقد تم استخدام هذا النوع من الحاويات في شمال إفريقيا منذ فجر التاريخ، الفترة البنية، الفترة الرومانية، وكانت هذه الحاويات كانت تصنع خصيصا للاستعمال الجنائزي، فأحيانا تكون بلا قاع وأحيان بلا رقبة ومقابض وبقطر كبير، وتختار حجم الأمفورة في العادة حسب حجم الطفل¹.

قامت الباحثة سولين لارمينا بإحصاء 124 طفل مدفون في الأمفورات في كل من مقبرة بوبوت، ليبتيمنوس، سطيف، تيبازة، وكان هذا الإحصاء بحسب أعمار هؤلاء الأطفال ابتداء بفئة الأجنة ثم فئة 0-1 سنة، 1-2 سنة، 2-3 سنة، 3-4 سنوات (شكل رقم 55)، وقد قدم لنا هذا الإحصاء العديد من المعطيات الهامة التي تخص هذا النوع من الحاويات الجنائزية وعلاقتها مع الفئة العمرية، حيث لاحظنا أن الأمفورات خصصت فقط للطفولة المبكرة أي من فئة الأجنة إلى غاية أربع سنوات، ولم نسجل أي أمفورة تحتوي على طفل أكبر من سن الرابعة، ونلاحظ أن الفئة الأكبر التي دفنت في الأمفورات هم الأطفال الذين أعمارهم ما بين 0 سنة إلى سنة واحدة وذلك بنسبة 45 بالمئة من المجموع العام².

¹ S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., P 516.

² I bid, p 518

شكل رقم 55: أعمدة بيانية لعدد الأطفال المدفونين في الأمفورات وأعمارهم في مقابر إفريقيا الرومانية



S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 516

قامت الباحثة نفسها بإحصاء عدد الأطفال المدفونين في مقبرة بويوت، وقامت بالمقارنة بين عدد قبور الأطفال التي تحتوي على أمفورات وبين عدد قبور الأطفال التي لا تحتوي على أمفورات، مع التركيز على عامل السن (الشكل رقم 56)، ومن خلال هذه الدراسة لاحظنا الملاحظات التالية¹:

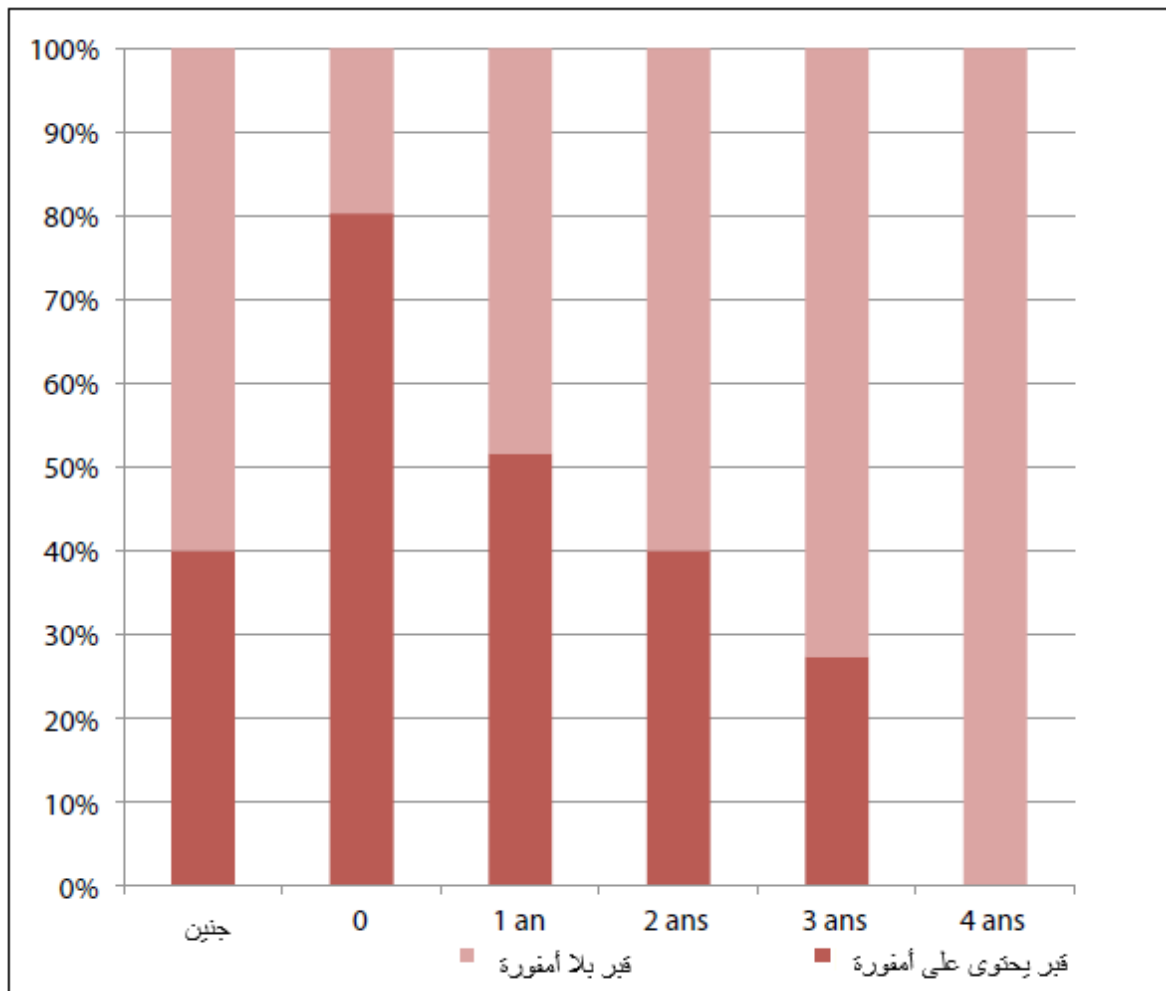
- الأمفورات استعملت لدفن الأجنة والأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 0 سنة و 4 سنوات، بينما لم نسجل أي استعمال للأمفورة لدفن الأطفال الذين أعمارهم أكبر من أربع سنوات.
- 40 % من فئة الأجنة دفنت في الأمفورات و 60 % منهم دفنوا في قبور دون أمفورات.

¹ S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 517

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

- 80 % من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 0 سنة و 1 سنة دفنوا في الأمفورات، وهي أعلى النسب مقارنة بالفئات الأخرى.
- كل ما زاد عمر الأطفال كلما قل استعمال الأمفورات وزاد الدفن العادي في القبور، ولاحظنا ذلك في الفئات: 1-2 سنة، 2-3 سنة، 3-4 سنة.
- في العادة الأمفورات تحتوي على طفل واحد معادا الأمفورات التي وجدت في مقبرة الكاف في تونس والتي احتوت على أكثر طفلين في نفي الأمفورة¹.

شكل رقم 56: نسبة الأطفال المدفونين في أمفورات حسب سنهم في مقبرة بوبوت



S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 517

¹ S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 517.

3-2-4 الأحواض الطينية:

يوجد نوع آخر من الحاويات التي استعملت لدفن الأطفال في المقابر الإفريقية خلال الفترة الرومانية وهي الأحواض الطينية، ففي سنة 1888 قام الباحثين هانزو ولاكومبل بالإشارة إلى الأطفال الصغار جداً الذين تم وضعهم في قاع القبور في مقبرة جنوب سوسة (مؤرخة من القرن الثاني والثاني بعد الميلاد)، ولاحظ أنهم كانوا يغطون بنوع من الأوعية الطينية المجوفة المقلوبة¹، وفي المقبرة نفسها أكتشف سنة 1903 حوضين مجوفين متراكبين، الحوض السفلي يحتوي على هيكل عظمي لطفل صغير والحوض العلوي تموضع كغطاء للحوض الأول.

وفي سنة 1904 لاحظ الباحثون عديد الأحواض الطينية الموضوعة بشكل أفقي ومقصوفة بشكل عرضي وتحتوي على بقايا عظمية لأطفال صغار، وكان الجزء الآخر من الأحواض يوضع كغطاء على الجزء الأول، وقد أكد الباحثون أن هذه الحاويات هي مخصصة للأطفال الذي ماتوا عندما ولدوا أو ماتوا في سن مبكرة، وفي مقبرة بوبوت وجدت ثلاث أحواض مؤرخة في القرن الثاني والثالث ميلادي، وهي تتوافق مع مواصفات الأحواض السابقة إلا أنها مستطيلة الشكل وصنعت من عجينة طينية برتقالية عمقها 10 – 12 سم وطولها 36 - 45 سم وعرضها 24-32 سم².

3-3 تحضير الحفرة:

3-3-1 الأسرة والوسائد الجنائزية

وجدت في بعض قبور الأطفال أسرة مستطيلة من البلاط في أسفل الحفرة ترقد فوقها الجثة، مثل تلك التي وجدت في مقبرة سطيف حيث عثر على هيكل عظمي راقد تحت سرير من البلاط أو القرميد وكان حجم السرير بحجم الطفل المتوفي (شكل رقم 57) وقد حدد عمر الطفل ي ما بين 2 - 4 سنوات³.

¹ De Lacomble, G. Hannezo, op – cit, p 112.

² S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 515.

³ R. Guéry, op-cit, fig 277, p281.

شكل رقم 57: طفل يرقد على سرير من الجير في مقبرة سطيف



R. Guéry, op-cit, fig 277, p281

تم العثور على هيكل عظمي خاص بطفل كامل موضوع فوق سرير من الرماد في مقبرة تبسة التي تعود للفترة الرومانية، وفي مقبرة "SIAGU" اكتشف هيكل طفل صغير موضوع على سرير من الرماد أم من الجص الرمادي، وفي مقبرة ليبتيمنوس اكتشفت أسرة من الجير والجص في مدافن خاصة بالأطفال، من بينها سرير من الجص الأبيض وضع عليه طفل عمره بين 4-5 سنة، وفي مقبرة ثينا وجد هيكل عظمي لطفل موضوع على سرير من الجبس أو الجير، وفي مقبرة شرشال وجدت بعض القبور الخاصة بالأطفال قاعدتها مصنوعة من الحجر أو الجص الأبيض¹.

أما الوسائد الجنائزية فهي نوع نادر في شمال إفريقيا وأول من ذكرها هو لاكمبل سنة 1888 في مقبرة سوسة إذ يشير إلى أن بعض رؤوس المتوفين موضوعة في بعض الأحيان على وسائد من الجير أو الجص²، وفي مقبرة بوبوت هناك قبرين لطفلين تتراوح أعمارهم بين 8-7 سنة (شكل رقم 49) وبين 12-13 سنة يميل الرأس فيها ويوضع على كتل من الجص بأبعاد مختلفة³.

3-2 حمامات الجير أو الجبس:

تم استعمال الجص والجبس في كثير من الأحيان لتغليف الأطفال أو لصنع أسرة ووسائد جنائزية، ويستعمل كذلك لصنع حمامات من الجير أو الجص أي أن الحفرة تملأ بالجير أو

¹ S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 521.

² De Lacomble, G. Hannzo, op – cit, p 128

³ S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 522.

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

الجص السائل وتغمر فيها الجثة. ويذكر عديد الباحثين أن الجص يسكب سابقا في القبر التي تغمر كليا بهذه المادة، وأكدت هذه الحالة في قبر في قرطاج وقبر طفل آخر في مدينة الكاف، حيث يذكر الملازم دينيس في الجص لا يزال سائل حين يوضع الجثة ويستعمل الجص للحفاظ على شكل الجثة وحجمها، في مقبرة بوبوت اكتشف طفل يبلغ 2-3 سنوات فوق كتلة جص مستطيلة الشكل طوله 1 م وعرضه 0.35 م و0.10 م واتخذ الجص شكل التابوت الذي وضع فيه (صورة رقم)، وفي القبر رقم 632 في بوبوت سكب الجص في أمفورة تحتوي على طفل عمره أقل من 6 أشهر وأخذ الجص شكلا الأمفورة¹.

شكل رقم 58: حمام الجص الذي وجد في قبر طفل في بوبوت



S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 523

4-3 إيداع الطّف وإغلاق القبر:

آخر مرحلة هي إيداع الطّف في الحاوية المختارة سابقا ووضعها في الحفرة وإغلاق القبر، وسنحاول تتبع هذه المراحل:

1-4-3 إدخال الطّف في الأمفورة

يتم إدخال جثة الطّف في الأمفورة عن طريق قطعها وإحداث فتحة في أحد المناطق، باستثناء بعض الأمفورات ذات الرقاب العريضة التي تسمح بدخول جثة الطّف دون قطع، وقد لوحظت آثار النشر في عديد الأمفورات في مقبرة بوبوت، والقطع يكون على مستوى الرقبة وفي بعض الأحيان يتم القطع على مستوى بطن الأمفورة بإزالة قطع بيضاوية أو

¹ I bid, p 522-523.

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

مستديرة، وأحيانا أخرى تقطع الأمفورات بشكل متساوي طوليا وتدخل جثة الميت، وبعد ذلك تغلق تلك الفتحة بنفس القطعة المقطوعة أو بقطع خزفية أو خشبية أو قطع من الحجارة، وفي العادة يودع الطّف في الأمفورة خارج الحفرة ويدخل الطّف عن طريق رجله ليبقى رأسه هو آخر عضو يدخل في الأمفورة.

قامت الباحثة الفرنسية سولين لارمينا بإحصاء 129 أمفورة جنائزية خصصت لدفن الأطفال في مقبرة بوبوت، وحددت مواقع القطع والمواد التي أغلقت بهم الأمفورات بعد إدخال جثة الطّف (جدول رقم 25)، وقدمت بعض الأرقام والنسب المهمة التي تعطينا فكرة على طريقة استعمال هذه الحاويات في الدفن، حيث أن 71 % من الأمفورات قطعت على مستوى العنق و 12 % قطعت على مستوى القاع و 12% منها قطعت على مستوى البطن و 5 % قطعت طوليا و 1% لم تقطع نهائيا، وفي ما يخص مواد الإغلاق ف 71 % من الأمفورات أغلقت بنفس الجزء المقطوع و 16 % منها أغلقت بقطعة من أمفورة أخرى، و 5% أغلقت بمواد قابلة للتلف و 5 % أغلقت بكومة من الحجارة و 5 % أغلقت ببلاط أو ألواح خشبية و 2 % منها أغلقت بنفس الجزء المقطوع لكن بشكل مقلوب¹.

جدول رقم 25: مواقع القطع ومواد الإغلاق في أمفورات مقبرة بوبوت

النسبة %	المجموع	الإغلاق						موقع القطع
		إعادة المقطوع		مواد قابلة للتلف	كومة من الحجارة	بلاط أو ألواح	قطعة من أمفورة مختلفة	
		بالمقلوب	بشكل عادي					
71	91	3	69	3	6	2	8	العنق
12	16	-	3	2	-	4	7	القاع
12	15	-	13	1	-	-	1	البطن
5	6	-	6	-	-	-	-	القطع الطولي
1	1	-	-	1	-	-	-	لم تقطع
100	129	3	91	7	6	6	16	المجموع
-	100	2	71	5	5	5	12	النسبة

S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 525

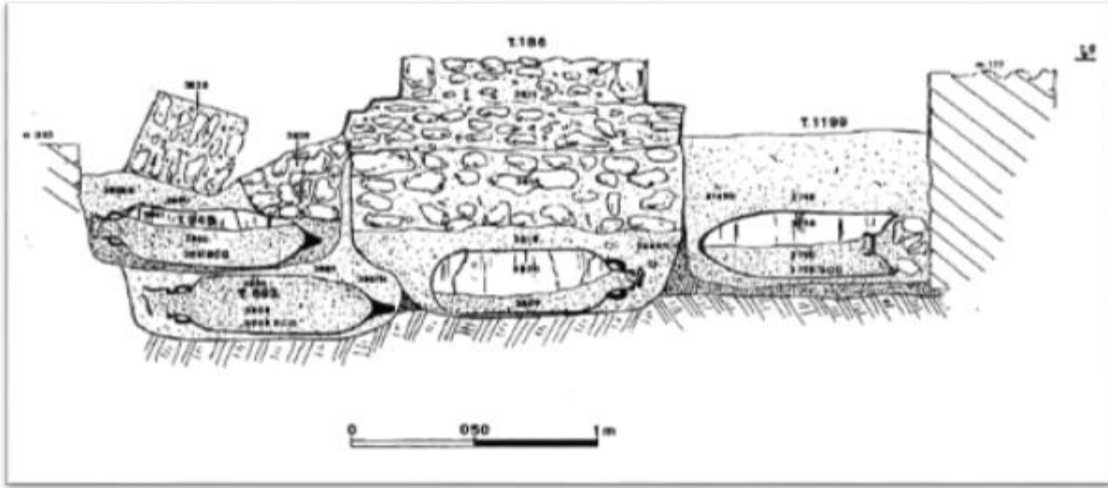
¹ S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 524

شكل رقم 59: أموقورة تحوي هيكل عظمي طفل في مقبرة بويوت



S. De Larminat, *petite enfance et rites...*, p36

شكل رقم 60: تموضع الأمقورات التي دفن فيها الأطفال في مقبرة بويوت



A. Ben Abed, M. Griesheimer, *op-cit*, p 574

3-4-2 وضعيات الدفن:

سجل الباحثون العديد من وضعيات الدفن في المقابر الإفريقية خلال الفترة الرومانية، ولم تكن هذه الوضعيات جديدة بل سجلت فيما قبل في فترات ما قبل التاريخ والفترة البونية¹، ولم تكن هذه الوضعيات خاصة بالأطفال فقط بل سجلت عند كل الفئات العمرية، وأشهر هذه الوضعيات هي وضعية الاستلقاء أي أن الجسم يكون ممددة على ظهره وأطرافه السفلية والعلوية ممددة مع الجسم، وهناك الوضعية الجنينية وتسمى كذلك وضعية القرفصاء أي أن الجسم يأخذ شكل الجنين في بطن أمه، وهناك الوضعية الجانبية أي أن الجسم يكون ممددا على

¹ P.A Février, R. Guéry, *op-cit*, p120.

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

الجانب الأيمن أو الجانب الأيسر، وقد سجلت كل هذه الوضعيات في مقابر الأطفال في شمال إفريقيا وتعلقت أساسا بشكل القبر وحجمه أو بشكل الحاوية وحجمها مقارنة بحجم الطفل .

قامت الباحثة لارمينا بدراسة وضعيات الدفن عند الأطفال في المقابر الإفريقية، وأحصت 421 طفل من مختلف المقابر مع مختلف الحاويات الجنائزية التي استعملت أنا ذاك، وأكدت أن الوضعية الأكثر استعمالا هي وضعية الاستلقاء وذلك بنسبة 81 % من المجموع العام، وكانت هي الوضعية المناسبة في كل الحاويات فقد سجلت 43 طفل دفن بهذه الوضعية في الأمفورة و 45 طفل في التوابيت و 115 في القبور العادية، والسر وراء انتشار هذه الوضعية هو حجم الأطفال الصغير الذي يتناسب مع كل القبور والحوايات، أما الوضعية الثانية من ناحية الاستعمال فهي وضعية الدفن على الجانب الأيمن بنسبة 10 % ، ثم وضعية الدفن على الجانب الأيسر بنسبة 7 % والوضعية الجنينية بنسبة 1 %¹.

جدول رقم 26: وضعيات الدفن في مقابر إفريقيا الرومانية

الوضعية الدفن	الأمفورات (4-0 سنة)	التوابيت (14 سنة -0)	قبر دون حاوية (0-14 سنة)	لم يوثق	المجموع	النسبة %
الاستلقاء	43	45	115	139	342	81%
الجنينية	4	0	0	0	4	1%
الجانب الأيمن	11	0	18	15	44	10%
الجانب الأيسر	5	1	11	14	31	7%
المجموع	63	46	144	168	421	100%

S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 526

أحصى الباحث جيرى 147 طفل في مقبرة سطيف ولاحظ وضعيات الدفن الخاصة بهم وقدم العديد من الأرقام والمعطيات الهامة، وأكد أن الوضعية الأكثر شيوعا في دفن الأطفال هي وضعية الاستلقاء على الظهر وذلك بنسبة 76 % من المجموع العام، وهذه الوضعية قسمها

¹ S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 526.

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

الباحث إلى ثلاث وضعيات أخرى هي كالاتي: الاستلقاء على الظهر والأطراف السفلية ممددة بنسبة 39 %، ووضعية الاستلقاء على الظهر والأطراف السفلية مثنية بنسبة 23 %، ووضعية الاستلقاء على الظهر والركبتين نحو الأعلى بنسبة 14 %، وسجلت وضعيات دفن أخرى في القبرة نفسها لكن بنسب أقل، وهي وضعية الدفن على الجانب الأيمن بنسبة 12 %، وضعية الدفن على الجانب الأيسر بنسبة 7 %، والوضعية الجنينية بنسبة 5 %¹⁰.

جدول رقم 27: وضعيات الدفن في مقبرة سطيف

النسبة %	المجموع	III.B	II.A	I.C	I.B	I.A	وضعية الدفن
39%	57	22	5	21	7	2	الاستلقاء على الظهر والأطراف السفلية ممددة
23%	34	22	1	1	5	5	الاستلقاء على الظهر والأطراف السفلية مثنية
14%	21	4	2	8	4	3	الاستلقاء على الظهر والركبتين نحو الأعلى
12%	17	8	2	1	4	2	على الجانب الأيمن
7%	10	5	2	2		1	على الجانب الأيسر
5%	8	5	1		1	1	الوضعية الجنينية
100	147	66	13	33	21	14	المجموع

R. Guéry, op-cit, p 64.88.90.116.118.120.127.250.298.299.300.301.302.303

تؤكد الدراسات الأخرى التي خصت مقابر إفريقيا الرومانية الأرقام والملاحظات التي قدمتها سولين لارمينا والباحث جيرى، ففي مقبرة سوسة دفن 90% من الأطفال على الظهر و6% على الجانب الأيمن و3% على الجانب الأيسر²، وفي مقبرة زيسدروس قامت الباحثة لطيفة سليم بإحصاء 52 طفلاً في منطقة حفر مساحتها 25 متراً مربعاً، وكانت الوضعية الأكثر

¹ R. Guéry, op-cit, p 64.88.90.116.118.120.127.250.298.299.300.301.302.303.

² De Lacombe, G. Hannzo, op – cit, p 112.

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

انتشارا هي وضعية الاستلقاء على الظهر بنسبة 56٪، بينما 30٪ دفنوا على الجانب الأيمن و14٪ على الجانب الأيسر و10٪ في وضعية جنينية¹.

شكل رقم 61: طفلان مدفونان مقبرة سطيف

ب- وضعية الاستلقاء على الظهر



أ- وضعية الدفن على الجانب الأيمن



R. Guéry, op-cit, fig 98.fig 55.

3-4-3 أنواع القبور وطريقة إغلاقها:

قام الباحث جيري بدراسة أنواع القبور وتصاميمها وطريقة إغلاقها في مقبرة سطيف، وقام بتقسيمها إلى عدة أنواع وفقها لشكلها المعماري، فمنها من يتكون من حفرة واحدة مستطيلة الشكل عمقها ما بين 0.33 م و 0.93 م تدفن الجثة في أسفلها بطريقة عادية، وهذا النوع هو الغالب بالنسبة لقبور الأطفال، وهناك نوع آخر مكون من حفرتين الحفرة الأولى مستطيلة الشكل تشبه حفرة النوع الأول من ناحية الشكل والعمق، والحفرة الثانية تكون أسفل الحفرة الأولى بعمق أقل وحجم أقل، وهي التي يوضع فيها الطفل المدفون، وهذا النوع بدوره ينقسم إلى أنواع أخرى وذلك حسب موقع الحفرة الصغيرة من الحفرة الكبيرة، فهناك من تقع مباشرة على أسفل الحافة اليمنى للحفرة الكبيرة (شكل رقم 62-د) وقد سجل حوالي 13 قبر طفل من هذا النوع في مقبرة سطيف.

وهناك نوع آخر تقع حفرة الدفن مباشرة أسفل وسط الحفرة الأولى (شكل رقم 62-ج) وقد سجل حوالي 11 قبر طفل من هذا النوع، والنوع الأخير هو الذي تقع فيه حفرة الدفن الصغيرة على الجانب الأيمن من حفرة الدفن (شكل رقم 62-ب) وقد سجلت أعداد قليلة من هذا النوع².

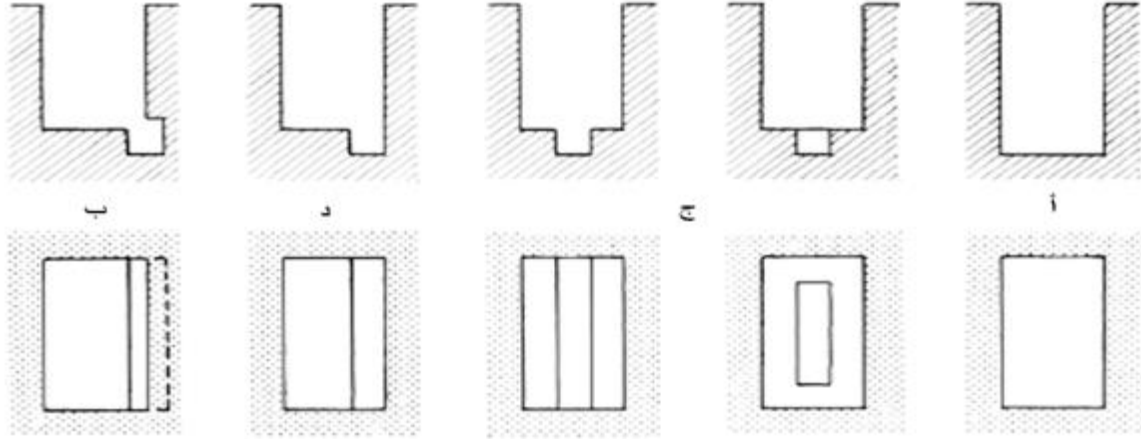
¹ L. Slim, A propos d'un cimetière....., p 172.

² R. Guéry, op-cit, p 40.

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

أما توجيه هذه القبور فكان أغلبها غرب - جنوب - غرب بنسبة 43 %، و 31 % توجيههم كان ناحية الغرب، و 10 % كان توجيههم ناحية جنوب - غرب¹.

شكل رقم 62: مقاطع طولية وعرضية لأنواع قبور الأطفال في مقبرة سطيف



R. Guéry, op-cit, fig 24, p 41

لاحظ الباحثون أن أغلب قبور الأطفال تكون محمية بغطاء من مواد مختلفة (ألواح خشبية، بلاط، أحجار غير مشبعة، طوب خام أو طين، يوضع بشكل أفقيا أو بشكل مائل أو على شكل كومة، وهناك قبور أخرى وجدت فيها بعض صفائح من الخشب أو من الحجارة داخل القبر وكانت تستعمل كدعامة لحماية الجثة أو الحاوية من تسرب التربة، وقد درست سولين دو لارمينا المواد التي استعملت في حماية الجثة وإغلاق القبر في المقابر الإفريقية، وقد سجلت أن 34 % من القبور أغلقت ببلاطات حجرية و 23 % بلاطات من القرميد، و 15 % أغلقت بالطوب الخام، و 12 % استعملوا فيها مجموعة من المواد، و 12 % استعملت فيها الشظايا الحجرية، وفي نفس الوقت درست طرق حماية القبر وإغلاقه وسجلت النسب التالية: 40% من القبور كان سقفها أفقي مسطح، و 15 % من القبور كان سقفها يشبه القارب المقلوب، و 23 % أغلقت بركام من مواد معينة، و 9 % أغلقت بالصندوقيات، و 7 % من القبور كان سقفها مائلا، و 2 % منها كان سقفها يشبه الطبق المقلوب².

¹ I Bid, p127.

² S. De Larminat, Gestes et pratiques funéraires..., p 529.

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

سجل الباحثون في مقبرة سطيف عدة طرق في إغلاق القبور الخاصة بالأطفال، فمنهم ما أغلق بلاطات حجرية أو خشبية بشكل أفقي أو مائل، وهناك من القبور ما أغلق بكومة من الحجارة ذات الحجم الكبير والصغير، وهناك من القبور ما أغلق طبقات من الطين أو الطوب الخام وكل هذه التشكيلات كان هدفها الوحيد حماية القبر والجثة من التلف ومن تسرب التربة، والجدل التالي يوضح عينة من قبور الأطفال في سطيف:

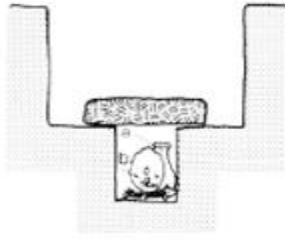
جدول رقم 28: عينة من طرق تغطية قبور الأطفال في مقبرة سطيف

رقم	عمق القبر	توجيه القبر	غطاء القبر	السن
1	0.93 م	شمال	بلاطات حجرية مائلة	1 سنة
2	0.49 م	جنوب	بلاطات خشبية مائلة وحجارة مسطحة	4سنة إلى 7 سنة
3	0.40 م	شمال	حجارة مسطحة مائلة	7- 10 سنة
4	0.30 م	جنوب	كومة من الشظايا الحجرية بشكل مائل	1-2 سنة
5	0.71 م	شمال	بلاطة مائلة. القبر يحوي على تابوت	1-3 أشهر
6	0.78 م	شمال	كومة من الحجار المركبة	11-16 م
7	0.47 م	جنوب	بلاطة من الجير مائلة	جنين
8	0.33 م	جنوب	بلاطة من الطوب مائلة	1-2 سنة
9	0.76 م	شمال	بلاطة حجرية. القبر يحتوي على تابوت	جنين
10	0.49 م	شمال	مليئة بالحجارة	جنين
11	-	شمال	شظايا صغيرة من الطوب والحجارة	1-2 سنة
12	-	شمال	بلاطة مسطحة	عدة أشهر

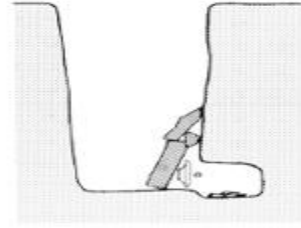
R. Guéry, op-cit, p64

شكل رقم 63: تغطية قبور الأطفال في مقبرة سطيف

ب- قبر محمي ببلاطة حجرية أفقية



أ- قبر محمي ببلاطة حجرية مائلة



R. Guéry, op-cit, fig 31, Fig 56

د- قبر مغطى بقطع من أمقورة



ج- قبر مغطى بقطع من الحجارة



R. Guéry, op-cit, fig187; Fig 229

4- الأثاث الجنائزي

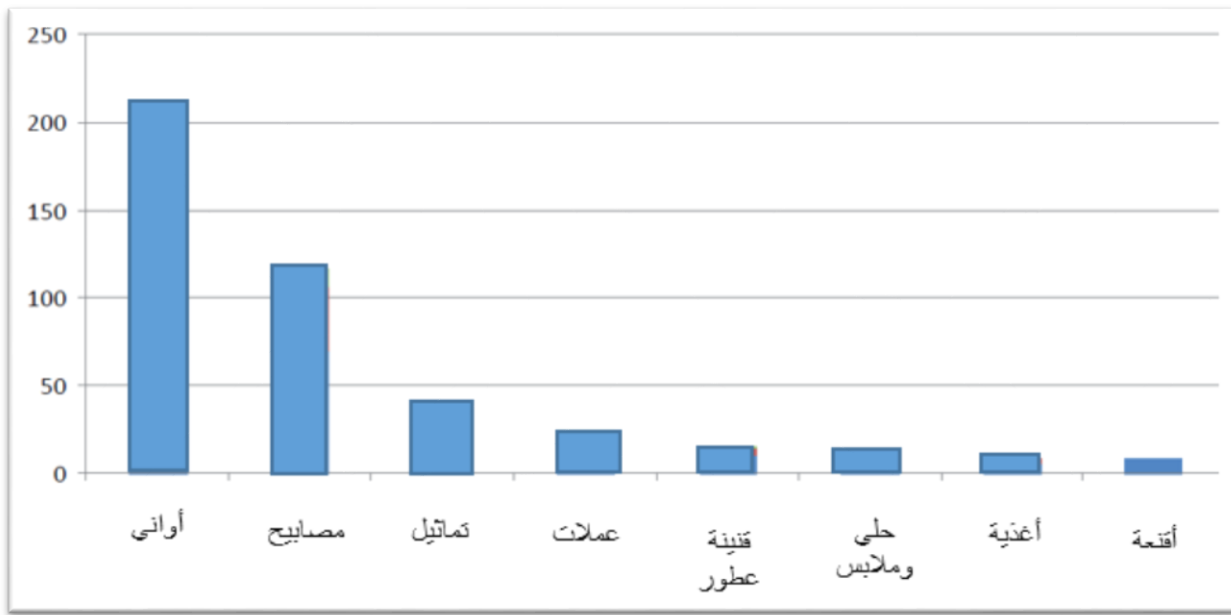
وضع الأثاث الجنائزي رفقة الميت في القبر هو عبارة عن طقس أو شعيرة ترتبط بالعقائد الدينية للشعوب، وقد أشارت أغلب الدراسات التي خست المقابر الإفريقية خلال الفترة الرومانية إلى الأثاث الجنائزي الذي وجد داخل القبور أو الذي كان معزولا عن سياقه الأثري، لأن أغلب الحفريات التي أقيمت بين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من قبل الجيش الفرنسي تم فيها فصل المواد الموجودة في القبور ووضعها في المتاحف، لذا فإن أغلب الدراسات نادرا ما تذكر عمر الميت أو موقع الأثاث من القبر، خاصة التي كانت بين 1960 و 1990 ، لذا فإن عدد قبور الأطفال التي اقترنت بالأثاث الجنائزي كانت قليلة جدا، لكن بعد ذلك تطورت عمليات التنقيب و أصبح الباحثون يصفون القبر وكل محتوياته ويقدمون معلومات حول عمر المتوفي بشكل تقريبي أو بشكل مؤكد¹.

¹ S. De Larminat, Le mobilier déposé..., p 293-294.

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

قامت الباحثة سولين دو لارمينا بدراسة الأثاث الجنائزي الذي وجد في قبور الأطفال خلال الفترة الرومانية في كل من نوميديا وموريطانيا القيصرية وإفريقيا البروقنصلية، وأكدت أن 60 % من القبور كانت مزودة بالأثاث الجنائزي، وقد أحصت 798 مادة أو نوع من هذا الأثاث (حلي، أواني، فخاريات، أغذية، عملات، تماثيل، مصابيح، ألعاب. إلخ) من جملة 250 قبر خاصة بالأطفال، تتراوح أعمارهم ما بين 0 إلى 15 سنة، 189 قبر منهم خصص للدفن العادي للجثث، و61 قبر منهم خصص لدفن رماد جثث الأطفال بعد حرقها¹.

شكل رقم64: أنواع وأعداد الأثاث الجنائزي الذي وجد في مقابر إفريقيا خلال الفترة الرومانية



S. De Larminat, Le mobilier déposé dans les sépultures..., p297

1-4 أنواع الأثاث الجنائزي الموضوع في قبور الأطفال:

1-1-4 الأواني الفخارية

نقصد بها الأدوات التي تستعمل للأكل أو لتخزين المواد الغذائية مثل الأطباق والصحون والقدر والحاويات الفخارية الكبيرة، وهناك من تستخدم لحفظ المواد الصلبة وهناك من استعملت لحفظ المواد السائلة كالماء والزيت، أما التي تستخدم للسوائل فتقسم إلى قسمين: أواني المزج وهي الأباريق والزجاجيات وأواني الشرب وهي الأكواب الكبيرة والكؤوس، أما الأواني

¹ S. De Larminat, Le mobilier déposé..., p 293-294.

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

التي تستعمل للمواد الصلبة فهي الأخرى تقسم إلى قسمين: أواني الطبخ مثل القدور، وأواني الأكل مثل الأطباق والصحون.

وجدت هذه الأواني في بعض قبور الأطفال في إفريقيا الرومانية، فقد أحصت الباحثة سولين دو لارمينا 96 أنية من جملة الأنواع الأخرى أي بنسبة 14 % من المجموع العام¹، وفي مقبرة سطيف تم إحصاء 79 أنية من 43 قبر طفل، 28 منها تستعمل للسوائل و33 تستعمل للمواد الصلبة و18 تستعمل لكلاهما²، وفي مقبرة الجم تم إحصاء 27 أنية من مجموع 11 قبر، 8 تستخدم للسوائل و11 للمواد الصلبة و8 لكلاهما³، وفي مقبرة بوبوت وجد 29 أنية من 24 قبر 15 منها تستخدم للسوائل و11 منها للمواد الصلبة و3 أواني لكلاهما⁴.

ومن الأواني الفخارية المميزة التي وجدت في قبور الأطفال والتي تتعلق أساسا بعمر الطفل هي "رضاعات الأطفال"، وهي عبارة عن أباريق أو أقتية صغيرة لا يتجاوز طولها 20 سم وعادة ما تحمل صور وأشكال حيوانية ونباتية، إذ تم اكتشاف أمثلة عنها في مقبرة تبسة وهي فخاريات صغيرة تتميز برقاب أقل سمكا من الجسم وتنتهي برأس حاد يشبه الرضاعة الحالية، وفي مقبرة شرشال وجدت قارورة صغيرة موضوعة في أمفورة في قبر طفل يتراوح عمره من 7 إلى 18 شهر رجح الباحثون أنها كانت تستعمل للرضاعة (شكل رقم 65-ج)، وفي مقبرة تيبازة وجدت إحدى الفخاريات ذات الفوهة المزدوجة في قبر طفل عمره أقل من سنتين (شكل رقم 65-أ)، وقد رجح الباحثون أنها تستعمل كرضاعة للأطفال⁵.

وفي مقبرة سطيف وجد نموذج متكرر لرضاعات الأطفال وهي عبارة عن فخاريات ذات أفواه مزدوجة والتي تشبه الطائر (شكل رقم 65-ب)، وقد انحصرت أوعية الشرب كالقارورات والأكواب في قبور الأطفال الذين تقل أعمارهم على السبع سنوات، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على النظام الغذائي الذي كان يقدم للأطفال، إذ كان نظامهم الغذائي في

¹ S. De Larminat, Le mobilier déposé dans les sépultures..., p 298

² R. Guéry, op-cit, p 131.

³ L. Slim, A propos d'un cimetière....., p 170.

⁴ S. De Larminat, Le mobilier déposé dans les sépultures..., p 298

⁵ I bid, p 300.

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

السنوات الأولى يركز على السوائل كالحليب والزيت ومع تقدم الطفل في العمر تدرج الأغذية الصلبة كالحبوب والخضروات في نظامه الغذائي¹.

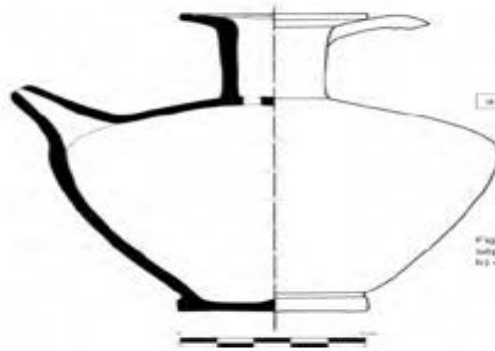
شكل رقم 65: رضعات الأطفال في شمال إفريقيا



ب-رضاعة الأطفال في سطيف



أ- رضاعة الأطفال في تيبازة



ج-رضاعة الأطفال في شرشال

S. De Larminat, *Le mobilier déposé dans les sépultures...*, p 298

4-1-2 المصابيح

من بين أكثر الأشياء تواجدا في قبور الأطفال هي المصابيح الزيتية بمعدل مصباح في كل قبر، إلا أن هناك بعض القبور وجد فيها أكثر من مصباح مثل قبر الطفل الذي وجد في بوبوت والذي يحوي أربع مصابيح، بينما هناك بعض المقابر التي وجدت خالية من المصابيح مثل مقبرة الأطفال في ديسدروس في تونس، ومن أجمل المصابيح التي وجدت في قبور الأطفال هو ذاك المصباح الذي وجد في قرطاجة، إذ زين بصورة طفل يحمل رأس ديك تتدفق منه

¹ R. Guéry, op-cit, p 188.245

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

الدماء، هذه الصورة تجسد طقس تقديم القرابين الحيوانية للآلهة، وقد تساءل الباحثون عن جدوى وضع المصابيح في القبور؟، وأشار البعض إلى أنها تستعمل للإضاءة عند الدفن بحكم أنها كانت مثبتة في القبور، وفي نفس الوقت هناك من لاحظ أن جزء من هذه المصابيح لم تضاء بحكم أن منقارها خال من الدخان، ورجحوا أنها توضع مع جثة الطفل لأغراض طقسية جنائزية¹.

4-1-3 العملات

وجدت العديد من العملات النقدية في قبور الأطفال لغاية طقوسية جنائزية، وأشارت الباحثة التونسية لطيفة سليم إلى العديد من العملات النقدية التي وجدت في المستوى الأول من مقبرة ذيسروس في تونس²، وفي مقبرة سطيف وجدت العديد من العملات الرومانية والنوميديّة في قبور الأطفال موضوعة بالقرب من جسد الميت³، وفي مقبرة بوبوت وجدت العملات النقدية في 2 % فقط من قبور الأطفال التي تعود إلى القرن الأول والثالث ميلادي، وارتفعت النسبة بعد ذلك في القرن الرابع إلى 13 %، واقتربت بالأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين سنة أو أقل وكذلك في قبور الأجنة. لم تقتصر عادة إيداع العملات في القبور على مدافن الأطفال فقط بل كانت كذلك في قبور البالغين، إلا أن الملاحظ حول هذه العملات هو أن قيمتها منخفضة أو أنها لم تكن متداولة في الوقت التي أودعت فيه، مما جعل بعض الباحثون يشيرون إلى أن إيداعها في القبور هو مجرد وسيلة للتخلص منها لأنها غير قابلة للتداول والتوفير⁴.

4-1-4 أقنية العطور

وجدت العديد من أقنية العطور في قبور الأطفال وهنا على نوعين: صغيرة الحجم التي تبلغ سعتها أقل 10 مل والتي تدعى "balsamaire"، والنوع الثاني تدعى "unguentaria" والتي تبلغ سعتها ما بين 10 إلى 15 مل، وتصنع هذه الأقنية في العادة من الفخار أو من المعدن أو من الزجاج، وقد وجدت نسخ منها في مقبرة ذيسدروس بتونس⁵، ووجدت كذلك واحدة منها

¹ S. De Larminat, Le mobilier déposé dans les sépultures..., p 301.

² L. Slim, A propos d'un cimetière....., P 171.

³ R. Guéry, op-cit, p 89.91.117.

⁴ S. De Larminat, Le mobilier déposé dans les sépultures..., p 301.

⁵ L. Slim, A propos d'un cimetière....., P 173.

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

في قبر طفل يبلغ من العمر ما بين 7 إلى 10 سنوات في تيبازة (شكل 66-أ)، ووجدت أقنية من النوع الكبير في المقبرة نفسها في قبور الأطفال الذين هم دون سن الثالثة¹، وفي مقبرة بوبوت وجدت 10 نسخ من أقنية العطور الصغيرة في مجموعة من القبور الخاص بالأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 8 أشهر إلى 10 سنوات (شكل رقم 66-ب)، وهي طويلة العنق وموضوعة بالقرب من الجسد بشكل أفقي، وفي مقبرة قرطاجة وضعت قنيتين من النوع الصغير في الجص السائل، إحداها على يمين الطفل والأخرى على يساره².

شكل رقم 66: أقنية العطور التي وجدت في قبور الأطفال



ب- في مقبرة بوبوت



أ - في مقبرة تيبازة

S. De Larminat, *Le mobilier déposé dans les sépultures...*, p301-302

4-1-5 الأحذية

وجدت بعض النعال الخاصة بالأطفال في قبورهم، مثل تلك وضعت في قبر طفل عمره خمسة سنوات في مقبرة بوبوت، ولم تكن هذه النعال ملبوسة وإنما وضع زوج في داخل الأمفورة والزوج الثاني موضوع في قاع حفرة الدفن، والغريب في الأمر أن هذه الأحذية مقاسها كبير (43-44)، وفي مقبرة ليبتيمنوس وجد نعل صغير ومجموعة المسامير الصغيرة التي كانت تثبته في قبر طفل عمره ما بين 2-7 سنوات، وكان أحد هذه النعال موضوع بالقرب

¹ S. Lance, *Tipasitana IV : La nécropole...*, p2.

² S. De Larminat, *Le mobilier déposé dans les sépultures...*, p 301-302.

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

من أرجل الطّف والنعل الثاني موضوع خارج الحاوية التي وضع فيها الطّف ، وفي المقبرة نفسها وجدت حذاء مقاسه 30 في قبر طفل عمره ما بين 11 إلى 13 سنة¹.

4-1-6 الحلي والألعاب

وجدت العديد من أنواع الحلي التي لم تكن ملبوسة في قبور الأطفال، وإنما كانت توضع في القبر بالقرب من الجسد، إذ لاحظ الباحث غابريال كامبس حلقات من البرونز موضوعة بالقرب من رأس طفل عمره ما بين 5 إلى 6 سنوات في مقبرة درارية للعاشور يعود إلى نهاية القرن الثالث ميلادي وبداية القرن الرابع²، وفي مقبرة بوبوت وضع سلكان ملتويان أحدهما من الحديد والآخر من البرونز على سفح قبر طفل عمره حوالي 9 إلى سنوات، واكتشفت قلادة في طبق داخل مدفن طفل في مقبرة حدرموت، هذه الأخيرة تتألف من 6 حبات زجاجية و6 حبات فخارية، قطعة من العظم، قرص عظمي به دوائر ملونة، جعران من الطين الملون، وربما يكون الغاية من هذه القلادة هي الحماية الروحية للطفل المتوفي³.

وجدت العديد من التماثيل والأصداف في قبور الأطفال في نيسروس بتونس، والتي تكون موضوعة بالقرب من الجسم⁴، وفي مقبرة تيمقاد وجدت لعبة "خشخشة الأطفال" في قبر طفل صغير وهي عبارة عن قرصين من البرونز ممسوكان بخيط ينتهي بمقبض، وتصدر هذه اللعبة أصوات الخشخشة التي تنتج بعد اصطدام القرصين في بعضها بعد تحريك المقبض وهي من الألعاب الشائعة التي كانت منتشرة خلال الفترة الرومانية⁵.

4-1-7 الأغذية

وجدت العديد من أنواع الأغذية في قبور الأطفال كاللحوم والبيض والخضروات والأسماك، فقد عثر في مقبرة شرشال على عظام دجاجة صغيرة موضوعة بالقرب من هيكل عظمي خاص بطفل عمره ما بين 3 إلى 5 سنوات⁶، وفي مقبرة سطيف عثر على عظام دجاجة محترقة

¹ I Bid, P 303.

² G. Camps, La nécropole de Draria-El-Achour....., p 248

³ S. De Larminat, Le mobilier déposé dans les sépultures..., p 303.

⁴ L. Slim, A propos d'un cimetière....., P 171.

⁵ M. Christoffle, op-cit, p 97.

⁶ PH. Leveau, op-cit, p 81.

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

موضوعة في صحن داخل قبر طفل عمره ما بين 7 إلى عشر سنوات¹، وفي مقبرة بوبوت عثر على عظام دجاجة بالقرب من جثة طفل عمره ما بين 3 إلى 5 سنوات، وعثر كذلك على عظام جناحي طائر داخل قبر طفل عمره حوالي 7 سنوات².

تم اكتشاف قشور البيض في ثلاث مدافن خاصة بالأطفال في مقبرة سطيف تتراوح أعمارهم ما بين 2 إلى 4 سنوات، ومن بينها قشور بيض النعام الذي له خلفية طقوسية في شمال إفريقيا منذ عصور ما قبل التاريخ³، وعثر كذلك على قشور بيض النعام في مقبرة بوبوت في قبر طفل عمره سنتين، وطول هذه القشرة هو 7 سم ورجح الباحثون أنه يستعمل لأغراض سحرية⁴. وجدت كذلك العديد من أنواع الخضروات في قبور الأطفال، مثل آثار الزيتون المحترق الذي وجد في قبر طفل في حدرموت، ووجدت رواسب أخرى في المقبرة نفسها لبعض النباتات الخضراء في عدد من قبور الأطفال⁵.

4-2 تموضع الأثاث الجنائزي في قبور الأطفال

توجد القليل من الدراسات التي ركزت على تموضع الأثاث الجنائزي في قبر الميت خلال الفترة الرومانية، لكن سنحاول الإحاطة بهذا الموضوع من خلال مقبرتي سطيف وبوبوت، لأن الدراسات في حقهما كانت مفصلة وذكرت هذا الجانب من الدفن. وقد لاحظ الباحثون أن طريقة تموضع الأثاث الجنائزي في مقبرة سطيف لم يتغير في أغلب فترات استخدام هذه المقبرة أي من القرن الأول إلى غاية نهاية القرن الثالث، خاصة في القبور التي كان فيها الدفن عادي، إذ يتركز أغلب الأثاث حول الرأس، ويتوزع باقي الأثاث من أواني فخارية و عملات ومصابيح في جميع أنحاء الجسم، على الجانب الأيمن، على الجانب الأيسر، أسفل الرجلين، فوق الجسم⁶، وقد لوحظ أن الجرار الفخارية سواء الصغيرة أو الكبيرة قد وضعت واقفة ومغلقة بقطع من الحجارة، وهذا دليل أنها تملأ بالسوائل كالزيت أو الحليب قبل الدفن، وقد لوحظ كذلك

¹ R. Guéry, op-cit, p 189.

² S. De Larminat, Le mobilier déposé dans les sépultures..., p 303

³ R. Guéry, op-cit, p 189.

⁴ S. De Larminat, Le mobilier déposé dans les sépultures..., p 305.

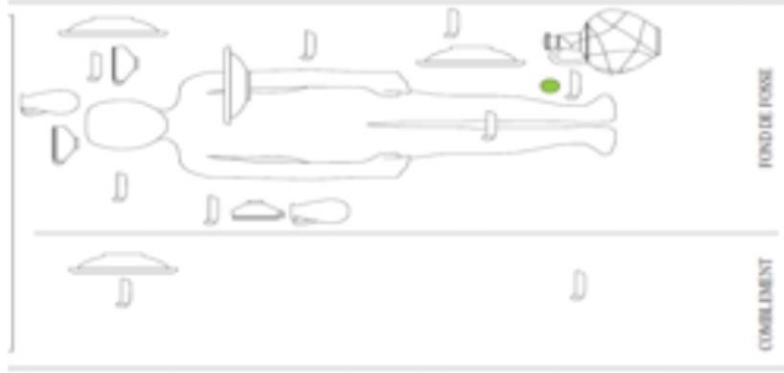
⁵ De Lacomble, G. Hannezo, p 111-112.

⁶ R. Guéry, op-cit, p 189.

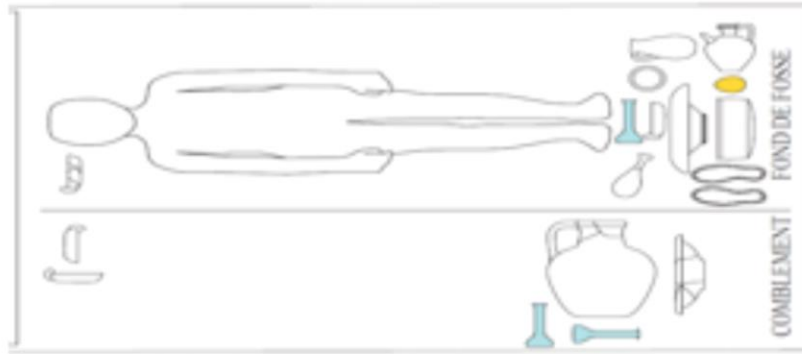
الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

أن الأطباق والأكواب قد وضعت بشكل وظيفي أمام بعضها البعض، وفي الغالب كانت هذه الأواني توضع سليمة وليس مقلوبة.

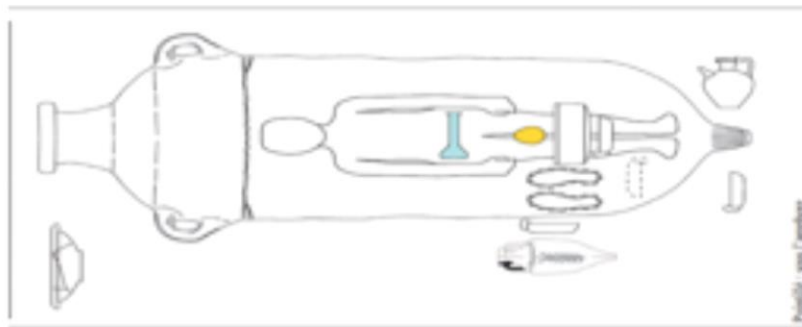
شكل رقم 67: تموضع الأثاث الجنائزي في مقبرتي سطيف ويويوت



أ- تموضع الأثاث الجنائزي في قبر طفل في سطيف



ب- تموضع الأثاث الجنائزي في قبر طفل في ويويوت



ج- تموضع الأثاث الجنائزي داخل أمقورة في قبر طفل في ويويوت.

S. De Larminat, Le mobilier déposé dans les sépultures..., p 306-307

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

يتموضع الأثاث الجنائزي في قبور الأطفال في مقبرة بوبوت بشكل أساسي عند أسفل الرجلين، باستثناء بعض القطع التي توضع فوق الجسم خاصة عندما يوضع الطفل في أمفورة بسبب صغر حجمها، وتكون في العادة مكسورة ومقلوبة، أما التي تكون عند أسفل الرجلين ففي العادة تكون مكتملة، وتوضع الأطباق والأكواب بشكل وضيئي أمام بعضها البعض، أما رضاعات الأطفال وأقنية العطور فتوضع مقلوبة على الجانب عمداً، ويبدو أن الجرار لم تكن مملوءة مثلما ملأت في مقبرة سطيف بحكم أن أغلبها وضع مقلوبا على الجانب. أما في مرحلة الحرق فإنه يتم كسر جميع المواد التي توضع مع رماد الجثة، معادا الفخاريات الكبيرة التي يكون عنقها فقط مكسورا، وتظهر المصابيح عند أسفل القبر عكس موقعها عند رأس الميت في مقابر سطيف¹.

5- الأطفال والموت في الفكر الديني في المغرب القديم

يتحكم الفكر الديني في أغلب الممارسات الجنائزية التي يقوم بها أي شعب من الشعوب، وقد نتج عن دخول الرومان إلى بلاد المغرب انتشار المعتقدات والممارسات الجنائزية الرومانية التي تداخلت مع المعتقدات والممارسات المحلية، حيث كان ينظر للموت على أنها هي التي تفرق بين الجسد والروح، وكانوا يعتقدون أن القبر هو مكان مقدس يستريح فيه الميت، لأنهم لطالما كتبوا على شواهد القبور عبارات تثبت ذلك مثل: " يستريح هنا، ليرتاح بسلام، ليكن الثرى خفيفا عليك... إلخ"، وكانوا يعتقدون أن الميت يعيش حياة أخرى في العالم الآخر لذا استلزم عليهم إطعامهم وحمايتهم والسهر على راحتهم، وهو ما دفعهم إلى إتقان عمارة القبور وحمايتها وإرفاقها بالعديد من الأواني والفخاريات والأغذية التي كانت توضع بالقرب من الميت².

كانت مراسيم الجنازة تستمر أيام عديدة، حيث تدخل عائلة الميت في حداد وحزن، وتعرض جثة الميت لمدة سبعة أيام في منزله وترمد في اليوم الثامن وتدفن في اليوم التاسع، أو تدفن

¹ S. De Larminat, Le mobilier déposé dans les sépultures..., p 305.

² I. Bayet, Histoire politique et psychologique de la religion romaine, éd Payot, Paris, 1969, p72

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

مباشرة في اليوم الثامن دون ترميد عبر موكب جنازي رفقة العائلة والأصدقاء، وكانت تقدم القرابين وتقام العديد من الطقوس طوال فترة الجنازة¹.

حضي الأطفال عند الدفن بخصوصية طقوسية نابعة من خلفية دينية، لتبرز بشكل جلي مكانة هذه الفئة في الفكر الديني في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية، ويمكننا كشف هذه الخلفية من خلال النقوش الجنائزية التي كتبت على شواهد قبور الأطفال، وكذلك من خلال مختلف التماثيل والأقنعة والتي وجدت داخل مدافن الأطفال، لأن الباحثون أكدوا أن هذه الأخيرة تحمل رمزية دينية واضحة².

استخدم سكان المغرب القديم خلال الفترة الرومانية شواهد القبور للتعبير عن أفكارهم وأحاسيسهم، وقد وجدت العديد من النقائش الجنائزية عند قبور الأطفال في مقبرة ذيسروس³، إذ قدمت لنا هذه النقائش العديد من المعلومات حول نظرة السكان الدينية لفئة الأطفال عند الموت، وقد وجدت في أغلب هذه النقائش عبارة جنائزية مشتركة هي:

ia tibi contingant quae cupis ut hoc sacrum non violes

وتبقى هذه الصيغة فريدة من نوعها في شمال إفريقيا وسجلت مرة واحدة فقط في مقبرة قرطاجة⁴، وهي عبارة تهدد كل من ينتهك قدسية القبر. إذ لم تكن مقبرة الجم مقبرة عادية خصصت لدفن الأطفال بل هي أكثر من ذلك، إذ كشفت لنا النقائش التي وجدت فيها أنها عبارة عن ملاذ حقيقي لجثث الأطفال الذين تحميمهم الآلهة⁵.

النقيشة الأولى⁶:

DIS. MANIBUS SACRUM

Q. AELIUS. FELIX. TUSCAE. F.

VIXIT ANNO. 1. MENS. III

ITA TIBI CONTING. DEA. PROP

HANC HABER UT HOC

¹ I bid, p73-74.

² S. De Larminat, petite enfance et rites..., p38.

³ L. Slim, A propos d'un cimetière....., p173.

⁴ CIL, VIII, 11102.

⁵ L. Slim, A propos d'un cimetière....., p173.

⁶ IL Tun 113

SACRUM. NON VIOLES

ترجمة النقيشة: إلى الإلهة المقدسة مانس، كوينتوس أيليوس فيليكس ابن توسكا، توفي في 1 سنة و 3 أشهر، قيل للمارة: أتمنى لك أن تحظى برعاية الإلهة ضد كل من يحاول انتهاك حرمة قدسي¹.

النقيشة الثانية²:

DIS. MANIBUS

CALVENTIAE MAIORINAE

VIXIT. AN.VIII. INITIATA

ITA TIBI CONTINGAT HUNC TEMPLUM PROP

ET QUAE CUPIS UT. TU OSSA. MEA NON VIOLES

ترجمة النقيشة: إلى الإلهة مانس وكالفينتيا مايورينا التي عاشت 8 سنوات، إنيتياتا تقول: أتمنى أن تستفيد من رعاية المعبد، ضد كل من ينتهك حرمة عظامك³.

تشير النقيشتان المهديتان إلى الإلهة مانس⁴ المقدسة إلى أن كل من الطفل ين كوينتوس أيليوس فيليكس وكالفينتيا مايورينا قد وضعا تحت رعاية الآلهة التي ستحميهم ضد كل من يحاول انتهاك حرمة قبريهما، وفي النقيشة الثانية ذكر اسم الإلهة الحامية وهي: "INITIATA" إنيتياتا، وهذه الأخيرة اختصت بحماية الأطفال فقط لأنها لم تذكر في النقائش الخاصة بالبالغين⁵.

أكدت النقائش الجنائزية أن الأطفال عندما يموتون في صغرهم فإنهم يتمتعون بالخلود بشبابهم في العالم الآخر، إذ تشير نقيشة جنائزية وجدت في شرشال إلى طفل اسمه بروكلوس "Proclos" مات وعمره 10 سنوات، وسيتمتع بخلود شبابه في العالم الآخر رفقة الحورية نيزا "Nysa" إحدى مرضعات الإله ديونيسوس، ووجدت نقيشة في أمايدرة خاصة بطفلة تسمى إيلوليا لبورينا "Iulia Leporita" والتي وعدت بالخلود "Sacratus"، وهو نفس الوعد الذي

¹ L. Slim, A propos d'un cimetière....., p175.

² IL Tun 112

³ L. Slim, A propos d'un cimetière....., p174.

⁴ الإلهة مانس: حسب المعتقد الوثني أن كل الأموات يحسب مع الآلهة مانس، لأنها تعبر على الاعتقاد بخلود الروح بعد انحلال الجسد، وكان الأحياء يلتمسون منها الحماية والعطف. أنظر

L. Herrmann, Quisque suos potimur Manes, Revue belge Philologie et d'Histoire, tome 12, 1993, pp 118-124.

⁵ L. Slim, A propos d'un cimetière....., p174-175.

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

كتب على نقيشة جنائزية خاصة بطفل في قرطاجة، وغالبا ما كانت العائلة تحزن حزنا شديدا على فقدان ابنها الصغير، لأنه يعتبر موتا سابقا لأوانه، فقد كانت الأمهات تلطمن وجوههن وتنتفن شعورهن، وهناك نقيشة في شرشال على لسان الميت الذي يدعوا أهله للكف عن هذه العادات السيئة : " أنا الذي أرتاح هنا، لقد أخذني القدر المهلك، لقد كنت لطيفا مع أهلي، توقفي يا أمي على نتف شعرك....، وأنت يا أخي خفف من حزنك"¹

تحمل التماثيل الطينية التي وجدت في القبور رمزية دينية وعقائدية، وكان للنتاج الفني المتنوع التي غصت به المقابر الإفريقية التي تعود للفترة الرومانية دوره الريادي في توضيح الأفكار العقائدية لسكان المغرب القديم، وسنسلط الضوء على التماثيل التي وجدت في قبور الأطفال لمعرفة النظرة العقائدية للمجتمع لهذه الفئة.

أحصت الباحثة سولين دو لارمينا 799 تمثال في شمال إفريقيا، 437 منهم وجدوا في المقابر، و63 منهم وجدوا في المعابد، و31 منهم وجدوا في أماكن أخرى، 232 وجدت خارج سياقها الأثري، وما يهمنا من هذه التماثيل هي تلك التي كانت في القبور حيث أكدت الباحثة نفسها أن أغلب هذه التماثيل وجدت داخل غرفة الدفن بالقرب من جثة الميت، وعدد قليل فقط هي التي عثر عليها خارج القبر، والغريب في الأمر هو أن هذه القبور أغلبها خاصة بالأطفال وذلك بنسبة 90 % من المجموع العام، حيث تم إحصاء 219 تمثال في قبور الأطفال².

تم العثور على إثنين من تماثيل الآلهة في قبور الأطفال بالجم: الأول عبارة عن تمثال متقن للآلهة الأم التي تجلس وتسند ذراعيها على عرش مهيب، ترتدي أفضل الأقمشة التي تصل على أسفل قدميها، وتبدو من خلال ملامحها وقصه شعراها رسمية وجادة تحمل في يدها اليسرى فاكهة وفي يدها اليمنى تحمل صولجان أو سنبل، أما التمثال الثاني فهو تمثال الإله "Diane – Artémis" ممثلا في شخصية تركب حصان خلال العدو الكامل يرتدي سترة قصيرة

¹ محمد بن عبد المومن، تطلعات سكان بلاد المغرب لما بعد الموت من خلال النقوش الجنائزية، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 16، ص 492-493. ص ص 491-502.

² S. de Larminat, les figurines en terre...., p293.

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

مطوية ثنائية الألوان، تنتهي أكماتها عند الكوع والجزء الثاني منها يطفو على يمينه بسبب الرياح لسرعة العدو، وأكدت الباحثة لطيفة سليم أن هذه التماثيل تمثل الآلهة الحامية للأطفال¹.

شكل رقم 68: تماثيل الآلهة في مقابر الأطفال بالجم

تمثال الإله ديان أرتميس



تمثال الإلهة الأم



L. Slim, op-cit, Tavola VIII, Fig 1.Fig 2.

إن أغلب الأطفال الذين احتوت قبورهم على التماثيل قد ماتوا قبل سن الثالثة من أعمارهم، وهو ما أكدته الباحثة غوتشي "Goetschy" حين قام بإجراء التنقيبات على 1200 قبر في مقبرة كامب سباتيه "Camp Sabatier"، إذ أشار أنه لم يجد أي تماثيل في قبور البالغين، بل كلها وجدت في قبور الأطفال الصغار الذي تتراوح أعمارهم بين 2-3 سنوات على الأكثر، ويضيف زميله في البحث تايلاد "Taillade" أن هذه التماثيل قد وضعت بكثرة في قبور الأطفال من كلا الجنسين، كما أنها وضعت في قبور الأجنة والأطفال حديثي الولادة.

وفي مقبرة ليبتمنوس ومقبرة ثينا لم يحدد الباحثون عمر الأطفال الذين وجدت في قبورهم التماثيل، لكنهم أكدوا أنهم كانوا ضمن قبور الأطفال الذين دفنوا في أمفورات، والمعروف أن هذا النوع من الحاويات مخصص للأطفال الذين ماتوا وأعمارهم دون الرابعة من العمر، وفي مقبرة بوبوت أكد الباحثون أن أغلب الأطفال الذين احتوت قبورهم على تماثيل كانوا دون سن الثالثة، وهو ما يؤكد خصوصية هذه الفئة دينيا واجتماعيا، لكن هذا لا ينفي وجود بعض التماثيل

¹ L. Slim, A propos d'un cimetière....., p 175.

الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

في قبور الأطفال الأكثر سنا من ذلك مثلما وجد في قبور الأطفال في حدرموت وبعض قبور الأطفال في بوبوت¹.

إن أغلب التماثيل التي وجدت في قبور الأطفال تحمل الطابع الأسطوري الديني (شكل رقم 69)، وقد تم إحصاء 125 تمثال من هذا النوع وذلك بنسبة 57 %، وتبقى تماثيل الإلهة فينوس² "Vénus" هي الأكثر تواجدا ب 80 تمثال في قبور الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 0-8 سنوات، ومن مهام هذه الإلهة هو حماية الأطفال وإبعاد الشرور عليها، كما أنها ترمز للخصب والتكاثر، وهناك العديد من تماثيل الآلهة الأخرى³ ك: "إيروس Éros ، بيس Bès ، نيتريكس Nutrix ، هيرميس Hermès ، أبولون Apollon ، أورفي Orphée ، سيلسني Silène ، ليذا Léda ، أروب Erope ، كييلي Cubéle ، ديان Diana ، الآلهة الأم"⁴، وكان الغرض الأول من إرفاق تماثيل هذه الآلهة هو حماية الأطفال من الشرور وتأمين راحتهم في قبورهم وضمان خلودهم في العالم الآخر.

تعد التماثيل البشرية هي ثاني أكثر الأنواع شيوعا في قبور الأطفال، وجاءت أغلبها في صورة نساء أو رجال أو أطفال أو تماثيل تصور مشاهد الصيد أو الحرب أو للحياة اليومية، أما تماثيل الأطفال فقد جاءت على صور مختلفة في الشكل والعمر والجنس، فهناك تماثيل يصور طفل حديث الولادة في المهد، وهناك تماثيل نصفية لطفل سمين وهو يضحك (مقبرة حدرموت) (شكل رقم 70)، وهناك تماثيل آخر يجسد فتاة صغيرة تحمل عصفور ومرأة (مقبرة بوبوت)، وقد رجح الباحثون أن هذه التماثيل هو تجسيد وتصوير للطفل المتوفي ويتم وضعها في القبر كنوع من التخليد له، أما تماثيل النساء والرجال فهي أقل عددا مقارنة بعدد تماثيل الأطفال، ورجح الباحثون أنها تصور وتجسد أحد أقرباء الطفل وفي الغالب قد تكون أمه أو

¹ S. De Larminat, Les figurines en terre....., p 295-296.

² فينوس: Vénus هي آلهة الحب والجمال والخصوبة عند الرومان والتي تعادلها الآلهة أفروديت عند الإغريق والإلهة عشتار في بلاد الرافدين، وتعد كذلك ربة القوة والطبيعة المنتجة وربة الحداث وحامية الأطفال، ودائما ما تصور امرأة عارية حسنة تبرز فيها مناطق الخصوبة. أنظر:

N. Abdelouhab, Le Cortège de Vénus, A.M.N.A, N° 5, 1996, p42.

³ للمزيد حول المعبودات الرومانية وخصائصها أنظر: محمد الصغير غانم، الملامح الباكورة للفكر الوثني في شمال إفريقيا، دار الهداية، الجزائر، 2005، ص 109-131.

⁴ وجدت ثلاث تماثيل للآلهة الأم في مقبرة بوبوت ونسخ منها في مقبرة سياجي في تونس وعادة ما تصور بإمرة ترضع طفلا ويؤكد أغلب الباحثين أنها امتداد لعبادة الآلهة تانيت في المنطقة لأنها تحمل نفس الصفات. أنظر.

S. De Larminat, Les figurines en terre....., p 295-296

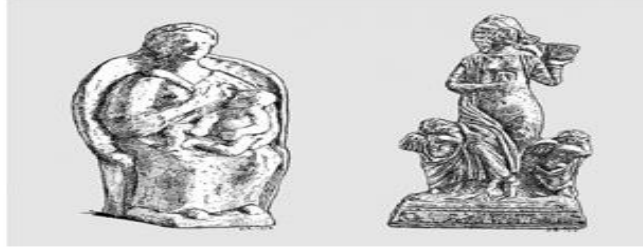
الفصل السابع _____ قبور الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

أبوه، والغاية من وضع هذه التماثيل في القبر هو اعتقادهم أنها تؤنس الطّفّل وترافقه في العالم الآخر¹.

كانت الأقنعة التي تشبه شكل وجه الإنسان توضع في قبور الأطفال، مثل تلك الذي وجدت في قبور الأطفال في بوبوت رفقة تماثيل بعض الآلهة (شكل رقم 71)، وأكد الباحثون أنها طقس وتقليد بوني استمر السكان في ممارسته خلال الفترة الرومانية، وكانت توضع بالقرب من جثة الطّفّل لاعتقادهم أنها تحميه من الأرواح الشريرة، وتوضع خارج غرفة الدفن كحارس للقبر، وتصنع من الزجاج الملون، أو من الفخار².

شكل رقم 69: تماثيل الآلهة التي وجد في قبور الأطفال

أ- تمثالان للإلهتين فينوس وتيتريكس وجدا في قبر طفل في مقبرة سياجي (تونس)



ب- تمثال أحد الآلهة وجد في قبر طفل في مقبرة حدرموت



S. De Larminat, Les figurines en terre....., fig 6, Fig 2

شكل رقم 70: تمثال طفل وامرأة وجدت في قبرين لطفلين في حدرموت



De Larminat, Les figurines en terre....., fig 8, Fig 9

¹ S. De Larminat, Les figurines en terre....., p 300.

² S. De Larminat, petite enfance et rites..., p39.

شكل رقم 71: أفتعة وجدت في قبر طفل في بويوت



S. De Larminat, petite enfance et rites....,p36

من خلال ما تم عرضه في هذا الفصل نستنتج أن العمارة الجنائزية تعد من أبرز المصادر المادية التي يمكن أن نستند إليها للبحث في تاريخ الطفولة في مجتمع بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية، خاصة بعد التنقيبات الكثيرة التي خصت هذه المقابر، والتي كشفت عن زخم جنائزي كبير امتزجت فيه الطقوس المحلية بالطقوس الرومانية الوافدة، وقد حضي الأطفال بمكانة هامة وخصوصية جنائزية فريدة من نوعها وسط هذا الزخم، تتم عن مكانتهم ووضعيتهم في المجتمع بصفة عامة، حيث كانت جثث الأطفال تكفن وتزين بالحلي قبل الدفن، وتوضع في التابوت الحجري أو الرصاصي أو الخشبي، وتضع جثث الأطفال دون سن الرابعة في الأمفورات تجهز حفرة الدفن وفق معايير معمارية مميزة وترفق بالعديد من الأثاث الجنائزي، وبعد الدفن تغلق الحفرة ببلاطات حجرية أو خشبية بشكل أفقي أو مائل، ويرفق هذه الشواهد المادية خصوصية طقوسية مستمدة من خلفية دينية، لتبرز بشكل جلي مكانة هذه الفئة في الفكر الديني في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية، ويمكننا كشف هذه الخلفية من خلال العبارات الجنائزية التي كتبت على شواهد قبور الأطفال، وكذا بعض الإشارات الدينية التي تحملها رمزية الأثاث الجنائزي.

خاتمة

بعد الدّراسة التي قمنا بها حول مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم استطعنا الخروج بالعديد من النّقاط الأساسية التي من شأنها أن توضح لنا وللقرّاء بصفة عامة الملامح الكبرى من حياة هذه الفئة الحساسة في المجتمع، وذلك منذ بداية العصور التاريخية لبلاد المغرب وإلى غاية نهاية الاحتلال الروماني للمنطقة، كما أنّه لا يحق لنا تعميم ما توصلنا إليه من نتائج على كل الإطار الزمني والمكاني المدروس، في ضلّ التّباين البشري والجغرافي بين مختلف مناطق بلاد المغرب القديم.

كما لا يمكننا إنكار عاملي الزمان والمكان وتأثيرهما على مختلف المظاهر الاجتماعية، فنحن لم نسلط الضوء على الطّفل المحلي فقط، وإنّما تعرضنا للطفل البوني والطفل المرومي والطفل الرّوماني الذي عاش في بلاد المغرب، لذا فكل فترة من الفترات المدروسة خصوصية اجتماعية وثقافية ودينية وسياسية تميّزها عن باقي الفترات الأخرى، لكن هذا لا ينفي أصالة المجتمع المحلي وتمسّكه بهويته وعاداته وتقاليده، وهو ما أطلق عليه الباحثون اسم "الديمومة البربرية"، هذه الأخيرة حافظت على استمراريتها رغم كل التأثيرات الخارجية التي اجتاحت بلاد المغرب القديم. ويمكن أن نوجز النتائج التي توصلنا إليها في النقاط التالية:

- إن الصّورة التي تشكّلت على مكانة الطّفل والطّفولة في مجتمع بلاد المغرب القديم في عصور ما قبل التاريخ جاءت بناءً على استقرار المصادر المادية المتمثلة أساساً في البقايا العظمية في المعالم الجنائزية ورسومات الفن الصّخري المنتشرة في كل أرجاء شمال إفريقيا، كما استعان الباحثون ببعض العلوم المساعدة مثل: علم الأمراض السّنية القديمة وعلم الديموغرافيا وغيرها من العلوم الأخرى، لتكوين صورة أكثر مصداقية عن مكانة الطّفل في تلك الفترة.

- احتل الأطفال مكانة هامة في مجتمع بلاد المغرب القديم في عصور ما قبل التاريخ والدليل على ذلك هو ذلك الاعتناء الخاص بمدافنهم من خلال البناء المحكم للقبور وممارسة العديد من الطّقوس الجنائزية، ووصلوا حتى إلى محاولة تحنيطهم، وتأكّدت هذه الأهمية من خلال الفن الصّخري ومختلف اللّوحات والجداريات التي عبرت على اهتمام الإنسان القديم وتقديسه لواقع الأمومة والطّفل، وربما يرجع اهتمام مجتمع بلاد المغرب القديم بهذه الفئة لقيمتها الاقتصادية والدفاعية، حيث تحرص الأسرة على الحصول على أكبر عدد من

الأطفال لأنهم هو من يقومون فيما بعد بالأعمال الاقتصادية من رعي وصيد وزراعة والتي تضمن الاكتفاء الغذائي للأسرة والقبيلة، وتضمن من جهة أخرى أمنهم واستمارتهم للأسرة والقبيلة التي تضم أكبر عدد من النفر هي الأسرة والقبيلة المثالية والأقوى.

- كانت حياة الطفل البوني لها وجهان مختلفان، الوجه الأول مستنير يحمل في طياته الكثير من المعطيات الاجتماعية والثقافية والدينية، التي كانت تحمي الطفل وتسهر على إدراجه في المجتمع عن طريق النسب والتربية والتعليم، من أجل أن تعدّه لكي يصبح فرداً فاعلاً في المجتمع مستقبلاً. أما الوجه الثاني فقد كان يبدوا قاتماً ومخيفاً ويشوبه الكثير من الغموض، ويتعلق الأمر بتلك الممارسة الدينية التي جعلتهم يذبحون ويحرقون أبنائهم الصغار دون رحمة، من أجل إرضاء الآلهة، وهو الشيء الذي ينافي قوانين الإنسانية، نقول هذا بتحفظ، لأن القضية لا تزال قيد النقاش والجدل بين الباحثين، لأن الشواهد المادية لم تقدم لنا الدليل الواضح على ظاهرة التضحية بالأطفال التي أثارته النصوص القديمة.
- في الفترة الليبية تظهر بشكل بارز الخصوصية الاجتماعية المحلية، والتي أثّرت إيجاباً على فئة الأطفال، بالرغم من محاولات الكتاب الإغريق والرومان ومن تبعهم من المؤرخين الأجانب المعاصرين تشويه المجتمع القديم وإبعاده عن كل صفات الحضارة، حيث قدّموا العديد من المغالطات التاريخية حول واقع المرأة والأسرة الليبية، وهو ما حاولنا نقده ونفيه بحجج منطقية تفند ما جاءوا به، وأكدنا أنّ الطفل ينسب في المجتمع بطريقة شرعية، وأن العائلة الليبية تسعى دائماً لإنجاب أكبر قدر من الأطفال، كما أنها تهتم بهم وتسعى لتربيتهم وتعليمهم وفق أصول التربية القبلية، فيحاكي الطفل عادات وأعراف وسلوكيات قبيلته، والشيء الإيجابي في الأمر أننا لم نسجل أيّاً من الممارسات المشينة ضد هذه الفئة في المجتمع الليبي، عكس ما سجلناه في المجتمع البوني، والمجتمع خلال الفترة الرومانية، وهذا إن دلّ عن شيء فإنما يدلّ على مدى صلابة النسيج الاجتماعي في المجتمع المحلي.
- تعتبر الفترة الرومانية في بلاد المغرب القديم الأكثر زخماً مقارنة بباقي الفترات الأخرى، نظراً لجملة المصادر المادية والأدبية التي أنتجت هذه الحقبة، وكذا تركيز الدراسات والمؤرخين المعاصرين على هذه الفترة، خاصة الذين ينتمون للمدرسة الفرنسية، التي حاولت كشف معالم هذه الفترة على حساب الفترات الأخرى، وذلك لأغراض دفيئة تحاول

إعطاء شرعية للاحتلال الفرنسي للمنطقة، وتكرار النموذج الروماني في شمال إفريقيا، ورغم هذه الأغراض اللاموضوعية، لا يمكننا أن نتغاضى بأي حال من الأحوال عن هذه الدراسات المعقمة، بل حاولنا الاستفادة منها فيما يخدمنا في موضوعنا.

- اتفق المفكرون الرومان أن فترة الطفولة هي أهم مراحل حياة الإنسان، وحاولوا تقديم العديد من المفاهيم التي تعبر عن هذه المرحلة، وأكدوا على أنها المرحلة التي يكتسب فيها الإنسان السمات الأساسية التي تجعله يتحمل مسؤوليات اجتماعية ودينية وثقافية مستقبلا، ويصبح فردا فعالا في المجتمع الذي ينتمي إليه.

- اختلفت الوضعية الاجتماعية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية، فمنهم الأطفال الشرعيون الذين ينسبون على طريق الخط الذكوري لأبائهم وأجدادهم، وبين الأطفال الغير الشرعيين الذين كانوا نتاج علاقة غير شرعية في نظر القانون الروماني، رغم أن النظم الاجتماعية القانونية حاولت إدماجهم في المجتمع، وبين الأطفال بالتبني، حيث عكفت الأسرة على ممارسة هذه الظاهرة لعدة أغراض اجتماعية وثقافية، وهو الأمر الذي أطره القانون واستحسنه رجال الدين.

- كان للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية مكانة وحيزا في الحياة العقائدية والدينية آنذاك، سواء في الفترة الوثنية أو في فترة بروز وانتشار الدين المسيحي في المنطقة، حيث كان الأطفال الوثنيون يقفون عند ولادتهم تحت رحمة السلطة الأبوية التي تقرر مصيرهم، وهي التي تلزمهم بالعديد من الممارسات التي تجعل منهم يندمجون في الحياة الدينية والاجتماعية التي يكتسبونها بالممارسة، كما استعملت الميثولوجيا الرومانية في شمال إفريقيا صورة الطفل الصغير للتعبير على بعض الأفكار الدينية الوثنية، ولتجسيد بعض شخصيات الآلهة والمعبودات. أما في الفترة المسيحية فقد حرصت الكنيسة أن يربى الطفل وفق التقاليد المسيحية، كما دافع آباء الكنيسة على فئة الأطفال ضد تصرفات الوثنيين.

- خصّص المشرع الروماني العديد من المواد القانونية التي تنظم وتقتن حياة الأطفال في الأسرة والمجتمع، وعالجت العديد من القضايا التي تخصهم مثل: قضية النسب، التبني، الوصايا، الحماية... الخ، هذا وقد كان للأطفال نصيب من الهبات المالية التي كان تقدمها الشخصيات المرموقة لفائدة المجتمع من أجل كسب المكانة السياسية والاقتصادية، ولقد

قدمنا مثالا عن ذلك ضمن النقيشة اللاتينية التي وجدت بمدينة الكاف في تونس، والتي تؤرخ للظاهرة.

- تعرضت فئة الأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية للعديد من المظاهر والسلوكيات السلبية من طرف الأسرة والمجتمع، مما أثر سلباً على تنشئتهم الاجتماعية وانعكس على سلوكياتهم طوال فترة حياتهم، وتبدأ هذه الممارسات منذ يكون الطفل جنينا في رحم أمه وتستمر بعد الولادة، مثل ظاهرة منع الحمل والولادة التي عكفت النسوة على ممارستها، وظاهرة ترك الأطفال والإعراض عنهم، وظاهرة سرقة الأطفال وبيعهم، وهذه الظواهر بقيت نقاطاً سلبية في مجتمع إفريقيا الرومانية.
- حملت الأسرة والمدرسة عاتق ومسؤولية التربية والتعليم في مجتمع إفريقيا الرومانية، أما على مستوى على الأسرة فقد كانت الأم هي الفاعل الرئيسي في فعل التربية، ففضلا عن دورها البيولوجي في الحمل والولادة والرضاعة، كانت تحمل على عاتقها أدواراً أخرى في الرعاية والتنشئة الاجتماعية، ويساعدها الأب بشكل نسبي في هذه الأدوار، لكن هذا لا يعني أن التربية الأسرية في تلك الفترة كانت مثالية، بل سجلنا بعض الممارسات السلبية التي تتم عن تقصير أو إهمال نسبي من قبل الأمهات والآباء في تربية أبنائهم.
- تعد المدرسة هي المؤسسة التربوية الثانية في سلم التنشئة الاجتماعية في مجتمع إفريقيا الرومانية، حيث يبدأ الطفل في الالتحاق بمعلم المرحلة الابتدائية في سن السابعة ولا يغادر منها إلا في سن الثالثة عشر أو الرابعة عشر، يدرس فيها القراءة والكتابة والحساب ويتعرض للعقاب في حالة تقصيره. وكتقييم لهذه المرحلة يمكن أن نقول أن مرحلة التعليم الابتدائي في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية كانت ناجحة إلى حد ما، بالرغم من أنها اقتصرت على فئة معينة دون الفئات الأخرى وعلى الذكور دون الإناث، لأنها وفرت كل السبل والإمكانيات للطفل من أجل أن يكون له تحصيل علمي ناجح، بدايةً بالبداوغ والمعلم، إضافةً إلى الاستعانة بالكتب والأفكار الإغريقية التي أثبتت نجاحها سابقاً وأنجبت لنا حضارة يضرب بها المثل في الفكر والفلسفة والثقافة.

- قدّمت لنا النقائش اللاتينية مختلف المعطيات الديموغرافية التي تخص فئة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب، مثل معدل الخصوبة، الذي كان منخفض نسبيا عند الأسر الرومانية الأسر المرونة، ومرتفع عند الأسرة المحلية التي حافظت على التقاليد الاجتماعية المحلية، أما في يخص نسبة الجنس، فقد أكّدت أن المجتمع في تلك الفترة كان ذكوريا بامتياز، يفوق فيه عدد الذكور عدد الإناث بشكل واضح، أما فيما يخص وفيات الأطفال فقد أظهرت الدراسات الديموغرافية ارتفاعها في فئة الأطفال خاصة في الخمس سنين الأولى من حياتهم، وذلك لعدة أسباب تتعلق بالظواهر الاجتماعية السلبية، وكذلك بسبب الأمراض والأوبئة.

- احتل الأطفال مكانة مهمة في الفكر الديني الجنائزي في مجتمع بلاد المغرب القديم، وتظهر هذه القيمة من خلال الخصوصية الجنائزية فريدة من نوعها، والتي أبرزتها التنقيبات الأثرية على مستوى مقابر الأطفال في المنطقة، حيث كانت جثث الأطفال تعامل بعناية فائقة، وتدفن في مدافن مبنية وفق معايير معمارية مميزة، ويصحب ذلك العديد من الطقوس التي تمجد هذه الفئة في حياتها وبعد مماتها، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على مكانة هذه الفئة في الفكر الديني في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية.

وكإجابة عن الإشكالية الرئيسية التي تمحورت عليها هذه الأطروحة يمكن أن نقول: أنّ للأطفال مكانة مهمة في مجتمع بلاد المغرب القديم، وتختلف هذه المكانة وتتباين بين فترة وفترة أخرى، وتتحكم فيها جملة من النظم الاجتماعية الدينية والثقافية والقانونية وحتى السياسية والاقتصادية، فبقدر ما توجد العديد من العوامل الإيجابية التي ساهمت في حماية الأطفال وتنشئتهم وفق المعايير السليمة، بقدر ما توجد عوامل سلبية أخرى أثرت بالنقيض على هذه الفئة وجعلتها تعاني في كثير من الأحيان. أمّا عن المصادر وهل كانت كافية لتغطية الموضوع؟ فيمكن أن نقول: أنها لم تكن كافية بالشكل الذي يجعلنا نسد كل الفجوات الموجودة ونكشف كل الجوانب الحياتية التي تخص فئة الأطفال، لكن حاولنا التعامل معها في إطار الممكن، وحاولنا كشف ولو جزء بسيط من هذا العالم الكبير، ورغم أنّ كل شيء إذا تمّ نقص، أملنا أن نكون قد ساهمنا ولو بالشيء اليسير في دراسة جزء من التاريخ الاجتماعي لبلاد المغرب القديم الذي يحتاج للمزيد والمزيد من العمل الجاد والدؤوب.

ورغم أنّ كل شيء إذا تمّ نقص، أملنا أن نكون قد ساهمنا ولو بالشيء اليسير في دراسة جزء من التاريخ الاجتماعي لبلاد المغرب القديم الذي يحتاج للمزيد والمزيد من العمل الجاد والدؤوب، كما يمكننا أن نضيف بعض التوصيات لفائدة المهتمين بتاريخ بلاد المغرب القديم، ويمكن أن نلخصها فيما يلي:

- يجب على الطلبة والباحثين في تاريخ المغرب القديم تسليط الضوء على المواضيع الاجتماعية والثقافية، التي مازالت تحتاج للدراسة، بدلا من المواضيع السياسية والعسكرية التي أخذت حلقها من الاهتمام.
- ضرورة إعادة قراءة النصوص الأدبية الإغريقية واللاتينية التي اهتمت التاريخ الاجتماعي للمغرب القديم، وتعرضها للنقد والتحليل، لأنها كثيرا ما حاولت تشويه السكان المحليين وإبعاد عنهم كل صفات الحضارة.
- ضرورة تدريس الطلبة في تخصص التاريخ القديم مقاييس تمكنهم من التعامل مع المصادر الأثرية، خاصة النقائش منها، كالنقائش اللاتينية والبونية وغيرها. لكي يسهل عليهم الأمر أثناء إنجاز مذكرات الماستر والدكتوراه.
- على المؤسسات والهيئات التي تعنى بالآثار والممتلكات الثقافية أن تضاعف مجهوداتها في حماية الآثار التي تعاني الإهمال، وفي نفس الوقت تعمل على تفعيل الحفريات الأثرية في العديد من المناطق التي تحتاج البحث والتنقيب، وهذا من شأنه أن يزيح الكثير من الغموض واللبس عن تاريخ بلاد المغرب القديم.
- موضوع الأطفال ومكانتهم في بلاد المغرب القديم لم ينل حقه من الدراسة بشكل كامل في هذه المذكرة، وإنما مازال يحتاج لدراسات أخرى توظف مصادر أخرى ومناهج أخرى، والمجال مفتوح للطلبة والباحثين للغوص في هذا الموضوع.

البيليو غرافيا

الببليو غرافيا

1- المصادر باللغة العربية:

- ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تونس، 1967.
- ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق سهيل زكار وآخرون، دار الفك، بيروت، 1967.
- أبو عبد الله ابن إبراهيم اللواتي الطنجي (ابن بطوطة)، رحلة ابن بطوطة تحفة النظر لغرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر، بيروت، 1992.
- أبوليوس لوكيوس، المرافعة أو دفاع صبراتة، ترجمة عمار الجلاصي، المكتبة الأمازيغية، تونس، 2001.
- أبوليوس، تحولات الجحش الذهبي، ترجمة: علي فهمي خشيم، المؤسسة العامة للثقافة، ليبيا، 2009.
- أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1857.
- أوغسطين، اعترافات القديس أوغسطين، ترجمة: يوحنا الخوري، ط 4، دار المشرق، بيروت، 1991.
- ساليستيوس، الحرب اليوغرطية، ترجمة: محمد مبروك الدويب، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، 2007.
- سفر إرميا.
- سفر الملوك الثاني.
- سفر حزقيال.
- سفر دانيال.
- الوزان حسن بن محمد الفاسي (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، ج 1، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط 2، بيروت، 1983.

2- المصادر باللغات الأجنبية:

- Ammien Marcellin, Histoire, XXIX, trad, firmin didot, Paris, 1862.
- Appein, Histoire Romaine, trad par D. Goukouwsky et E. Gaillard, éd C U F, Paris, 1997.
- Apulée de Madaure, Apologie ; Florides, LXXXVI, 710, Texte établi et traduit par Paul VALLETTE, Les Belles Lettres, Paris, 1960.
- Apulius, Métamorphoses, x, Coll. Bud, Violette, 1945.
- Aristote, Politique, II, Texte établi en traduit par J. Aubonnet, éd les belles Lettres, Paris, 1971.
- Cassius .D, Histoire romaine, liv, trad : E Gros et V. Boissée, éd Firmin Didot frères, 1845.
- Diodore de Sicile, Bibliothèque Historique, LXX, XXVI, trad par : A.F Miot, Paris, 1934.
- Hérodote, Histories d'Hérodote, IV, trad Parlarcher charpentier, éd librairie éditeur, Paris, 1850.
- Hésiode, Les travaux et les Jours, texte établi et traduit par : Paul Mazon, les belles lettres, Paris.
- Justinus, Histoires philippiques de Trogue pompeé, trad par : M.P Arnaud, paris, 1852.
- Marmol Caravajal, la description générale d'Africa, livre IV, vol II, paris.

- Ovide, les Fastes, Texte établi et traduit et commenté P. Schilling, les belles lettres, 1993.
- Ovide, Métamorphoses, IX, trad : en François, la compagnie des Libraires, Paris, 1953.
- Plaut, Poenulus texte établi, trad par A. Rivaud, les belles Letters, Paris, 1961.
- Plaute, Amphitryon, Acte II, sc. II, trad : H. Clouard, Librairie Garnier, Paris, 1897.
- Pline L'Ancien, Histoire Naturelle, trad par : J. Desakgbs, éd les belles Lettres, Paris, 1980.
- Pline le Jeune, Lettres, X, trad : Par de Sacy, Nouvelle édition, éd C. L. F Panckoucke, Paris, 1892.
- Plutarque, De l'amour de la progéniture, texte établi et traduit par : R. Flacelière, éd les belles lettres, Paris, 1950.
- Plutarque, De Superstition, trad Amyot, éd Janet et Cotelte, Paris, 1918.
- Plutarque, Deuvres, I, 5. Trad V. Betaolaud, Hachette, Paris, 1870.
- Polybe, Histoire générale, III, trad. Denis Roussel, éd. Gallimard, bibliothèque de la pléiade, Paris.1850.
- Pomponius Méla, Géographie, I, trad sous la direction de M .Nisard, éd J. Dubochet le chevalier et clé, Paris, 1850.
- Procope, la guerre contre les Vandales, II, trad par Roques, éd belle lettres, Paris, 1990.
- Saint Augustin, Les Confessios, VI, trad : M. Péronne, éd : Louis Vivés, Paris, 1870.
- Saint Augustin, Sermo, Patrologie Latine, éd : Migne, Paris, 1845
- Salluste, Jugurtha, trad : Ernout, Les belles Lettres, Paris, 1958.
- Solin, Polyhistor, XX, trad par M.A Agnant, éd C.E.I Panckoucke, Paris, 1847.
- Strabon, Géographie de Strabon, II, trad par : A. Tardieu, Librairie Hachette, Paris, 1881.
- Tertullian, Ad nationes, I, 15, trad: E.A de Genoude, Paris, 1852.
- Tertullian, Apology, IX, trans by G.H. Rendall, Cambridge ma Harvard University, London, 1984.
- Tertullian, De Anima, trad : E.A de Genoude, paris, 1852.
- Tertullian, De Pudicitia, trad : E.A de Genoude, paris, 1852.
- Tit Live, Histoire Romaine, XXX, trad. M. Nicard, J. J. Dubouchet et Compagne, Paris, 1839.

3- النقوش:

- Chabot .J.B, Recueil inscriptions Libyque, 1940, paris, 2013.
- Gsell .S, Inscriptions Latines de L'Algérie, tome 1, Librairie Ancienne Honoré Champion, Paris, 1922.
- L'Année Épigraphique (A.E).
- Wilmanns .G, Corpus Inscriptionum Latinarum (C. I. L), VIII, Berlin, 1881.

4- الكتب بالغة العربية:

- إبراهيم العبيدي التوزري، تاريخ التربية بتونس، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1967.
- الأخرص محمد صفوح، علم السكان وقضايا التنمية والتخطيط لها، وزارة الثقافة، دمشق، 1980
- إلبيرغ فينفرید، قرطاجنة مدينة البونيين والرومان والمسيحيين، ترجمة: عيد مرعي، دار الكتاب، دمشق، 2000.
- الأندلسي نظار، الحياة اليومية للمرأة في المغرب القديم، ط1، دار القلم، الرباط، 2017.

- بازمة محمد مصطفى، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، ط 1، منشورات مكتبة قورينة، بنغازي، 1975.
- بالو ليونال، الجزائر في ما قبل التاريخ، ترجمة: محمد الصغير غانم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2005.
- البرازي محمد محسن، محاضرات في الحقوق الرومانية، مؤسسة هنداي، مصر، 2017.
- البضاوية بلكمال، مظاهر اقتصادية من خلال فسيفساء الشمال الإفريقي، دار القلم، الرباط، 2003.
- بن بوزيد لخضر، الطاسيلي أزجر في ما قبل التاريخ المعتقدات والفن الصخري، الجزائر.
- بن شنهو عبد الحميد، الملك العالم يوبا الثاني وزوجته كليوباترا سيليني، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
- بن ميس عبد السلام، مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة (دراسة في العلوم الصورية وتطبيقها)، منتدى سور الأزيكية، الرباط، 2010.
- بورونية الشادلي وطاهر محمد، قرطاجة البونية تاريخ وحضارة، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999.
- جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 1، تر محمد ميزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1969.
- حارش محمد الهادي، التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995.
- حارش محمد الهادي، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومه، الجزائر، 2013.
- خالد محمد عبد الله الهدار، دراسة القبور الفردية وأثاثها الجنائزي في تاوخيلا (توكرة القديمة)، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، 2006.
- خشيم علي فهمي، نصوص ليبية، ط 1، منشورات المؤسسة العامة للثقافة، ليبيا، 2009.
- خشيم محمد فهمي، قراءات ليبية، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا.
- دانييلز تشارلز، الجرمنتيون سكان ليبيا القدماء، ترجمة: أحمد اليازوري، دار الفرجاني، طرابلس، 1991.
- دوكريه فرنسوا، قرطاجة الحضارة والتاريخ، ط 1، ترجمة: يوسف شلب الشام، دار طلاس، دمشق، 1994.
- روزاليند وياك يانس، الطفل المصري القديم، ترجمة: أحمد زهير أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997.
- زيربو ج. كي، الفن الإفريقي في ما قبل التاريخ، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الأول، جين أفريك اليونسكو، 1980.
- سحنوني محمد، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.
- سليم حسن، مصر الفرعونية عصر مرنبتاح ورمسيس الثالث، ج 7، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1992.
- السليمان أحمد وأكلي نورية وحموم توفيق، المكنون الحضاري الفينيقي القرطاجي في نوميديا القديمة الكائنة في الجزائر الحالية من خلال الدلالات واللقى والأنصاب النذرية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- السواح فراس، دين الإنسان بين ماهية المعتقد ومنشأ الدافع، ط 4، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 2002.

- شارن شافية وبلقاسم رحمانى ومحمد الحبيب بشاري، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- شنييتي محمد البشير، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب وسياسة الرومنة، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- شنييتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- الطاهر عبد الجليل، المجتمع الليبي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1969.
- عبد الله عبد الدايم، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، ط 5، دار العلم للملايين، بيروت، 1984.
- عقون محمد العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.
- غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ط 2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1982.
- غانم محمد الصغير، المعالم الحضارية في الشرق الجزائري فترة فجر التاريخ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006.
- غانم محمد الصغير، الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى، الجزائر، 2005.
- غانم محمد الصغير، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003.
- غانم محمد الصغير، مقالات وأراء في تاريخ الجزائر القديم، ج 2، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2010.
- غانم محمد الصغير، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، ط 1، دار الهدى، الجزائر، 2003.
- فرحاتي فتيحة، نوميديا من حكم الملك غايا إلى بداية الاحتلال الروماني الحياة السياسية والحضارية (213 ق م - 46 ق م)، منشورات أبيك، الجزائر، 2007.
- فريشاوور بول، الجنس في العالم القديم، ج 1، ط 1، ترجمة: فائق دحدوح، دار نينوى، العراق، 1999.
- فنطر محمد، الحرف والصورة في عالم قرطاج، مركز النشر الجامعي. أليف، تونس، 1999.
- كامب غابريال، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة: عبد الرحيم حزل، إفريقيا للشرق، المغرب، 2014.
- كامبس غابريال، في أصول بلاد المغرب. ماسينيسا وبداية التاريخ، ترجمة: محمد العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الأبيار، الجزائر.
- الماجدي خزعل، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ط 4، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1998.
- مارك إدوارد وستر، موسوعة تاريخ الزواج، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001.
- مازيل جان، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ترجمة: ربا الخش، ط 1، دار الحوار، سوريا، 1998.
- متى المسكين، المعمودية الأصول الأولى للمسيحية، ط 1، مطبعة دير القديس أنبا مقار، القاهرة، 2000.
- محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، ط 1، دار المصراطي للطباعة والنشر، طرابلس، ليبيا، 1969.
- مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1966.

- مصطفى محمد قنديل زايد، التربية والتعليم في الحضارة الإغريقية والرومانية دراسة وثائقية وأثرية، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 2004.
- موري فابريزيو، تادرات أكاكوس الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، منشورات مركز جهاد الليبيون ضد الاحتلال الإيطالي، الجماهيرية الليبية، 1988.
- الميار عبد الحفيظ، دراسة تحليلية للنقاش البونية في إقليم المدن الثلاث في ليبيا، منشورات جامعة الفتح، طرابلس، 2005.

5- الكتب باللغات الأجنبية:

- Aldrete G.S, Daily life in the roman city: Rome, Pompeii, and Ostia, USA, 2004.
- Balout .L et C.L Briggs, Mechta Elarbi, trav. Lab. Anthropologie Archéologie Préhistoriques Muse Bardo, Alger, 1951.
- Balout .L, préhistoire de L'Afrique du Nord Essai de chronologie, A M G, Paris, 1992.
- Bates .O, the Eastern Libyans, Macmillan co limited, London, 1914.
- Bayet .I, Histoire politique et psychologique de la religion romaine, éd Payot, Paris, 1969.
- Ben Younes .A.K, la présence Punique en pays Numide, Institut national Patrimoine, Tunis, 2002.
- Benabou .M, la résistance Africaine à la romanisation, éd Maspero, Paris, 1976.
- Boswell .J, the Kindness of Strangers: the Abandonment of Children in Western Europ from Late Antiquity to the Renaissance, New York, Pantheon Books, 1988.
- Brill E.J, la civilisation phénicienne et Punique Manuel recherche, éd Véronique Krings, New York, 1955.
- Cagnat .R, cours d'épigraphie latine, ED 4, Roma, 1964.
- Camps .G, Aux origines de la berbérie (Massinissa ou les débuts de l'histoire), imprimerie officielle, Alger, 1961.
- Camps .G, L'Afrique du Nord au Féminin, Perrin, Paris, 1992.
- Camps .G, La civilisation préhistorique de L'Afrique du Nord et du Sahara, éd Doin, Paris, 1994.
- Camps .G, Néolithique méditerranéen techniques et genres de vie, édisud, France, 1998.
- Camps .H.F et J. Bouchud et M. Chabeuf et M.C Chamla et M. Couvert et R. Dughi et F. Sirugue, Un gisement capsien de faciès sétifien Medjez II El-Eulma(Algérie), Éd du Centre National de la Recherche Scientifique, Paris, 1975.
- Christofle .M, Rapport sur les travaux de fouilles et consolidations effectuées en 1930-1931-1932 par le service des Monuments Historiques de l'Algérie. Alger, Jules Carbonel, 1935.
- Code Theodosianus, IX.
- Contenau .G, la civilisation phénicienne, Payot, Paris, 1949.
- Corbier .M, le divorce et l'adoption as romains familial stratégie, ed B.Rawson, 1991.
- Cumont .F, Recherches sur le symbolisme funéraire des Romains, Paris, 1942.
- Decret .F et M. Fantar, L'Afrique du Nord dans L'antiquité (des origines au V Siècle), Payot, Paris, 1981.

- Deleor .M, une inscription de la punique inédite trouvée à Carthage et conservée dans la région de Toulouse, leiden, brill, paris, 1976.
- Desanges .J, catalog de tribus Africaines de L'antiquité classique à oust du Nil, éd Pub de la section d'histoire, Drakkar, 1962.
- Dridi .H, Carthage et le monde Punique, éd le belle Letters, Paris, 2006.
- Eissfeldt .O, Molk ALS opferbegriff im punischen and hebraisehen and das eude des gottes Moloch Halle, Niemeyer, London, 1935.
- Fantar .M, Carthage Approche d'une Civilisation, tome 1, éd Alif, Tunis.
- Fantar M.H., Kerkoune une Cité Punique du Cap-bon, Tunis, 1987.
- Gautier E.F, le passé de l'Afrique du Nord, Payot, paris, 1937.
- Gsell .S, Esclaves ruraux dans l'Afrique romaine, Mél. Glotz, Paris, 1932.
- Gsell .S, H.A.A.N., tome 5, librairie Hachette Paris, 1927.
- Gsell .S, texte relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord (Hérodote), Alger, 1915.
- Guéry .R, La nécropole orientale de Sitifis (Sétif, Algérie) ; fouilles de 1966-1967, CNRS, Paris, 1985.
- Hachid .M, le Tassili de Ajjer : aux sources de L'Afrique 50 siècles avant les pyramides méditerranées, Edif, Paris, 2000.
- Hamman A.G, la vie quotidienne au temps de saint Augustine , Hachette, Paris, 1986.
- Laes .Ch, Children in the Roman Empire, Cambridge University press, London, 2011.
- Lancel .S, Hannibal, Cérès éditions, Tunis, 2000.
- Lassère J-M, Vbique Populus. Peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146 av. J.-C. – 235 ap. J.-C), Éditions du Centre National de la Recherche Scientifique, Paris, 1977.
- Le quellec J.L, Symbolise et art rupestre au Sahara, Le Harmattan, Paris, 1993.
- Lébert .Y, Regards sur la truphé étrusque, éd Presses univ, Limoges, 2006.
- Leroi .A, Gourhan, Dictionnaire de la préhistoire, P U F, Paris, 1997.
- Lhote .H, la Découverte des Fresques de Tassili, arethaud, Paris, 1958.
- Mahasa .H, bijoux et mobilier funéraire de tin – hinan abalessa Algérien, éd musée national du bardo, Algérien.
- Marrou .H-I, Histoire de l'éducation dans l'antiquité, tome 2, du seuil, Paris, 1984.
- Mazard .J, corpus Nummorum Numidiaie Mouretaniaeque, Arts et Métiers Graphiques, Paris, 1986.
- miquel .P, La vie privée des Hommes au Temps des Romains, illustration de forme le call, Hachette, Paris, 1983.
- Monceaux .P, Histoire littéraire de L'Afrique Chrétienne, Edi, 1901.
- Monceaux .P, les Africains études sur la littérature latine d'Afrique (les païens), la cène oudi net Cie, Paris, 1999.
- Muller .C, Géographie graeci minores, tome1, éd Diodot, Paris, 1855.
- Neroudau J.B, Être enfant à Rome, Payot, Paris, 1996.
- Picard .G et C. Picard, la vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal, Hachette, Paris, 1958.
- Picard G.H et C Picard, Vie et mort de Carthage, Hachette, Paris, 1970.
- REYNIERS .A, Démographie, Dictionnaire de la Civilisation Phénicienne et Punique, éd E. Lipinski, Brepls, 1992.

- Robb .K, Literacy and paideia in Ancient Greece, Oxford, Paris, 1994.
- Roller .D.W, the world of Juba II and Cleopatra Sellne, éd Taylor Francis Library, London, 2004.
- Sèbe .A, Tikatoutine .6000ans L'art Rupestre Saharien, Collection Tagoulmoust - 44 Imprimé En Italie : Par Antegrafica, Silva, 1991.
- Sibai .L.L, La Femme en Afrique A l'époque Romaine, Institut National du Patrimoine, Tunis, 2011.
- Toner .J, Leisure as a site of child socialisation, agency and resistance in the Roman empire, Children and Everyday Life in the Roman and Late Antique World, Routledge, New York, 2017.
- wingte .P, les romain "les petits malins", Usbornnepu blishingIrd, Coll, 1997.

6- المقالات باللغة العربية:

- أورفه لي محمد خير، نماذج من اللباس القديم من خلال الأنصاب في موريطانيا القيصرية أصالتها واستمراريتها عبر العصور، مجلة آثار، مجلد 7، عدد 1، 2008، ص 115-126.
- اسكان الحسين، المرأة الصنهاجية، مجلة أمل، عدد 13-14، الدار البيضاء، 1998، ص 65-75.
- أوزاني فريدة، البقايا الإنسانية للعصر الحجري القديم الأعلى والعصر الحجري الحديث في بلاد المغرب جرد ووصف أولي للعينات الموجودة بمركز البحث CNRPAH والمتحف الوطني العمومي البارود (الجزائر العاصمة)، مجلة آثار، مجلد 15، عدد 1، معهد الآثار، 2016، ص 29 – 49.
- أوزاني فريدة، دراسة مدى انتشار وتوزيع التسوس السني لدى أشخاص العصر الحجري القديم المتأخر والعصر الحجري الحديث بالمغرب، مجلة آثار، عدد 10، معهد الآثار، الجزائر، 2013، ص 9-28.
- بن بوزيد لخطر، دور المرأة في المجتمعات الرعوية خلال فترة ما قبل التاريخ، أعمال الملتقى الأول المدينة والريف في الجزائر القديمة، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2013، ص 225-246.
- بن عبد المومن محمد، تطلعات سكان بلاد المغرب لما بعد الموت من خلال النقوش الجنائزية، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 16، ص 491-502.
- بن علال رضا، منافسات سباق العربات في المغرب القديم ونماذج منها، مجلة الباحث، مجلد 8، عدد 2، 2016، ص 150-165.
- بوسليمان حياة، أهم الكنى الساخرة بمقاطعة نوميديا من خلال النقائش اللاتينية، مجلة دراسات أثرية، مجلد 15، عدد 1، ص 182-195.
- بوغرارة وفاء، التعليم في بلاد المغرب القديم، المفكر، المجلد 2، العدد 1، جامعة الجزائر 2، 2018، ص 244-291.
- جانيف مولاي محمد، إشكالية التفسير في علن الآثار: ظاهرة التضحية بالأطفال في قرطاج نموذجاً، دراسات تاريخية، عدد 77-78، جامعة دمشق، 2002، ص 3-24.
- خاشة السعيد، الأسرة وطقوس الزواج وتعليم الأطفال في الفترة الرومانية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، عدد 11، 2017، ص 57-68.
- خلفه عبد الرحمان، الإصابات والعنف خلال الثقافة الايبيرومغربية بالجزائر حالات من موقع أفالوبورمال وغمبيطة، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مجلد 6، عدد 13، الجزائر، مارس 2018، ص 49-65.
- خلفه عبد الرحمان، جوانب من المقاومة الثقافية ضد الرومنة في الجزائر القديمة، الملتقى الوطني، المقاومة عبر العصور، المتحف العمومي، سطيف، 11 و12 ديسمبر 2012.

- دعاس فارس وجراية محمد رشدي، واقع الأمومة والطفل في مجتمعات شمال إفريقيا في العصر النوليتي دراسة من خلال مشاهد الفن الصخري بمنطقة الطاسيلي ناجر، مجلة عصور، المجلد 18، عدد 1، جوان 2019، ص 9-18.
- ساعد عزيز طارق، الدلالات الرمزية للدفن في المجتمع الجزائري خلال فترة فجر التاريخ، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، عدد 6، جامعة الوادي، أفريل 2014. ص 59-74.
- شنيتي محمد البشير، جوانب من علاقة الدولة القرطاجية بالمغاربة المحتوى الوطني للجنود المأجور 240 – 237 ق م، مجلة التاريخ، عدد 4، 1977، ص 15-29.
- شنيتي محمد البشير، نظرة على الوضع الديموغرافي والاجتماعي في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤتمر الدولي الثاني لحضارة وتاريخ المغرب، وهران، نوفمبر 1982، ص 10-26.
- صفريون حسبية، بواذر النظام الأسري الأموسي في المجتمع الطاسيلي وعلاقته بظاهرة جمع القوات خلال المرحلة البوفيدية من خلال مشاهد الرسم الصخري، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، عدد 7، ص 427-433.
- صفريون حسبية، كيف كانت البربريات تلدن في الصحراء الوسطى منذ سبعة آلاف سنة، دراسات أثرية، مجلد 13، عدد 1، 2015، ص 16-26.
- العقون أم الخير، مظاهر المجتمع والحضارة الليبية من خلال الآثار المصرية القديمة، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، عدد 7، القاهرة، ص 1-24.
- عيساوي مها، عادات وتقاليد ريفية معاصرة في الشرق الجزائري، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، 2013، ص 104-115.
- غانم محمد الصغير، الرموز الكتابية الليبية في شمال إفريقيا، مجلة التراث، عدد 10، الجزائر، 1999، ص 11-20.
- فاضل لخضر، مقاربة للأسماء المحلية في الأنوماستيكا الرومانية (بعض مدن نوميديا نموذجا)، مجلة عصور جديدة، عدد 19-20، 2015، ص 36-42.
- فنتر محمد حسين، قبيلتان لوبيتان الجرمنتيون والناسمونس، مجلة أدماو، ع 5، الرياض، جانفي 2003، ص 45-52.
- فنطر محمد، الفرق بين الفينيقيين واليونانيين، الملتقى الدولي حول الحضارة الفينيقية في البحر الأبيض المتوسط، معهد دراسات الشرق الأدنى، روما، 1971، ص 847-848.
- كردين سهيلة، دراسة فنية لأنصاب الموقع الأثري مادوروش، مجلة منبر التراث الأثري، عدد 8، 2019، ص 40-58.
- مقدم بنت النبي وعائشة سعدان، المرأة من خلا اعترافات القديس أوغسطينوس، مجلة عصور الجديدة مجلد 10، عدد 1، 2020، ص 31-45.
- مقدم بنت النبي، الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، العدد 8، جامعة وهران، 2018، ص 319-348.
- منصوري خديجة، أصناف النساء ببلاد المغرب القديم من خلال الآثار المادية والمصادر الكتابية، مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مجلد 23، عدد 1، قسنطينة، 2008، ص 269-290.
- منصوري خديجة، النصب الجنائزية للأطفال بموريطانيا القيصرية خلال الفترة الرومانية، آثار الوطن العربي، العدد 4، 2003، ص 67-82.

- مهنتل جهيدة، الهبات المالية -Evergesies- في النظام المحلي لمدن المغرب القديم من خلال النقائش، مجلة دراسات أثرية، مجلد 12، عدد 1، 2015، ص 95-105.
- وابل محمد، الزراعة في منطقة الصحراء الوسطى خلال العصر الحجري، أعمال الملتقى الأول المدينة والريف في الجزائر القديمة، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2013، ص 205-224.

7- المقالات باللغة الفرنسية:

- Abdelouhab .N, Le Cortège de Vènus, A.M.N.A, N° 5, 1996, p-p 166-177.
- Allély .A, L'exposition des petites filles à Rome sous la République et sous le Principat, Annales de Bretagne et des Pays de l'Ouest, tome 124, no 3, 2017, p-p 49-64.
- Aumassip .G et G. Delibraï, Âges des depots néolithiques du gisement de Tin hanakatene (Tassili N- Ajjer Algeria), Libyca, tome 30-310, 1982-1983, p-p 207-211.
- Balout .L, les hommes préhistoriques du Maghreb et du Sahara inventaire descriptif et critique (paléolithique néolithique), Libyca, tome 2, 1955, p-p 61-378.
- Baratte .F, les Sarcophages dans L'Afrique antiques, Iconographie funéraire Romaine et Société, CRHISM, Paris, 2013, p-p 173-191.
- Basset .H, les influences Puniques chez les Berbères, Rev Afri, n° 62, 1921, p-p 340-373.
- Baurain .C, La Place des littératures Grecque et Puniques dans les bibliothèques de Carthage, l'antiquité classique, tome 61, 1992, p-p 158-177.
- Bedoui .H et H. Ben Younes et O. Dutour, Étude anthropologique préliminaire d'une population antique du Sahel de la Tunisie (cas de nécropol d'echt et de Zbidi), (Ras Dimes, Thpus), REPPAL, tome 12, Tunis, 2002, p-p 1-8.
- Ben Abed .A, M. Griesheimer, Fouilles de la nécropole romaine de Pupput (Tunisie), In : Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 145^e année, N. 1, 2001, p-p. 553-592.
- Ben Younes .H, la nécropole Punique d'El Hkayma, REPPAL, tome 4, Tunis, 1988, p-p 49-160
- Benseddik .N, « Manus lanis occupate ». Femmes et métiers en Afrique, In : Antiquités africaines, 45, 2009, pp 103-118.
- Benseddik .N, être femme dans le Maghreb ancien, Awal, N° 20, 1999, pp 113-150.
- Biraben J.D, Durée de la vie dans la population de Columnata (épipaléolithique Oranais), Population, 24^eannée, n° 3, 1969, pp 487-500.
- Camps .G, Amkni néolithique ancien du Hoggar, C R A P E, 10, Alger, 1969, p-p 26-27.
- Camps .G, Anzar, E .B, vol 4, Edisud Aix-en province, Paris, 1989, p 795-797.
- Camps .G, La nécropole de Draria-El-Achour, Libyca, tome III, 1955, P-P 225-264.
- Camps .G, les Numides et la Civilisation Punique, Ant Afr, tome 14, 1979, p-p 43-53.
- Camps .G, Liste onomastique Libyque Nouvelle édition, Ant Afr, 38-32, 2002, p-p 211-257.
- Carton .L, rapport sur les fouilles faites à bulla Regia en 1890, BACT, 1892, P-P 69-86.
- Chamla M.C, les hommes Épipaléolithiques de columnta (Algérie occidentale), C R A P E, XV, 1970, p-p 19-93.
- Cintas .P, le sanctuaire punique de Sousse, Rev Afr, tome 90, 1947, p-p 90-101.
- Compéré M.M et A. CHervel, les humanités, l'histoire d'enseignement Français", n° 74, 1997, p-p 5-38.

- Dasen .V, Childbirth and Infancy in Greek and Roman Antiquity, A Companion to Families in the Greek and Roman Worlds, CHAPTER 18, edited by Beryl Rawson, 2011, p-p 291-314.
- De Lacomble, G. Hannezo, fouilles exécutées dans la nécropole Romaine D'Hadrumète, BACT, 1889, P-P 110-131
- De Larminat .S, Gestes et pratiques funéraires autour des inhumations en fosse d'enfants en Afrique romaine à l'époque païenne, l'enfant et la mort dans l'Antiquité II, Centre d'études Alexandrines, Alexandrines, Novembre 2009, p-p 501-538.
- De Larminat .S, Le mobilier déposé dans les sépultures d'enfants en Afrique du Nord à l'époque romaine, Actes de la table ronde internationale organisée à la Maison Méditerranéenne des Sciences de l'Homme(MMSH) d'Aix-en-Provence, L'ENFANT ET LA MORT DANS L'ANTIQUITÉ III le matériel associé aux tombes d'enfants, 20-22 janvier 2011, P-P 293 – 312.
- De Larminat .S, Les figurines en terre cuite dans les nécropoles d'Afrique romaine Terracotta figurines from the cemeteries of Roman Africa, Figurines grecques en contexte Présence muette dans le sanctuaire, la tombe et la maison, Presses universitaires du Septentrion, Villeneuve d'Ascq, 2015, pp289-303.
- De Larminat S, petite enfance et rites funéraires en Afrique romaine, Les Dossiers d'Archéologie / n° 356, 2012, p-p 236-39.
- Delamare AD.H.AL, Exploration scientifique de l'Algérie, Pl. 7.
- Delattre A.L, figurines trouvées à Carthage dans nécropole Punique, l'Académie des inscriptions et belles – Letters, 47 années, N5, 1903, p-p 429-439.
- Derchain Ph, les plus anciens témoignages de Sacrifices d'enfants chez les Sémites Occidentaux, Vetus Testamentum, vol 20, p-p 351-355.
- Doumergue .F, Grotte du Cuartel (Oran), B S G AO, de la province d'Oran, tome XLVI, 1926, p-p 255-262.
- Durand J.D., Mortality estimates from Roman Tombstones Inscriptions, in Am Journ. Of Sociology, t. LXV, 1959-1960, P-P 365-373.
- Dussaud .R, précisions épigraphiques sur les Sacrifices Puniques d'enfants, C R A I, 1946, p 371-387.
- Fantar M.H., stèles Épigraphes du tophet de Sousse, Reppal, tome 9, Tunis, p-p 25-48.
- Février J.G, Molchomor, Revue de l'histoire des religions, tome 143, n° 1, 1953, p-p 8-18.
- Février J.G., les Sacrifices d'enfants, archéologie vivante, vol 1, n° 2, Paris, 1968, p-p 115-118.
- Février P.A et R. Guéry, Les rites funéraires de la nécropole orientale de Sétif. In : Antiquités africaines, 15,1980, P-P 91-124.
- Gobert E.G, L'abri Redeyef, L'Anthropologie, tome 23, 1912, p-p151-156.
- Gsell .S, Musée de Philippeville, Paris, 1898, Pl. IV.
- Gutron .C, la mémoire de Carthage en chantier les fouilles de tophet Salammbô et la question des Sacrifices d'enfants, l'année du Maghreb, tome 4, 2008, p-p 45-65.
- Harden .D, The pottery from the precinct of Tanit at Salammbô Carthage, Iraq, vol 4, 1937, P-P 59-90.

- Heim J.L et D. Hadjouis, L'enfant néolithique (Home 5) de Tin Hanakatene (Tassili N-Ajjer Algeria) Examen anthropologique et Paléo pathologique, Colloque de préhistoire Maghrébine, tome 2, C N R P, Tamanrasset, 5 .6.7 novembre 2007, p 27 -41.
- Herdner .A, Nouveaux textes alphabétiques de Ras Shamra XXIV campagne 1961, Uguritica VII, vol 18, 1978, p-p 1-74.
- Herrmann .L, Quisque suos potimur Manes, Revue belge Philologie et d'Histoire, tome 12, 1993, p-p 118-124.
- Huard .P et L. Allard, Gravures rupestres du Tadrart Akakous (Libye S.W.), In : Bulletin de la Société préhistorique française, Comptes rendus des séances mensuelles, tome 74, n°9, 1977, p-p 279-288.
- Janife M.M., les sacrifices d'enfants à Carthage l'hypothèse de L.W. Stager, REEPAL, tome 12, Tunis, 2012, p-p78-73.
- Jeddi .N, à propos d'une nécropole à Thina note préliminaire, L'Afrique du nord antique et Médiéval : monuments funéraires, institutions autochtones. vie colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du nord, paris, 1995, P-P 139-151.
- Laes .Ch, Touching children in Roman Antiquity The sentimental discourse and the family, Children and Everyday Life in the Roman and Late Antique World, Routledge, New York, 2017, p--p 60-79.
- Lancel .S, Tipasitana IV : La nécropole romaine occidentale de la porte de Césarée. Rapport préliminaire, BAA, tome IV, 1970, P-P 149-267
- Lassère J.-M, « Onomastique : Période romaine », E. B, 35, Aix-en-Provence, Edisud, 2013, p-p 5780-5812.
- Lassère J.M, Onomastica africana XVIII, Gentilices romains d'origine africaine », Identités et cultures dans l'Algérie antique, sous la direction de C Briand-Ponsart, Rouen, 2005, p-p 179-192.
- Le Du .R et S. de Roch, Le Gisement Capsien de Bakkaria commune mixte de Morstt département de Constantine, Libyca, tome 1, 1953, p-p 253-263.
- Leclant .J, les talismans Égyptiens dans les nécropoles, archéologie vivante, vol 1, n° 2, Paris, 1968, p-p 95-114.
- Leglay .M, Les Stèles à Saturne de Djemila – Cuicul, Libyca, I, 1952, p-p 37-86.
- Leveau .Ph, Fouilles sur la nécropole de la gare routière de Cherrhell, Algérie (1992-1993). In : Ant afr, tome 35,1999, P-P 77-114.
- Lhote H, Le peuplement du Sahara néolithique d'après l'interprétation des gravures et des peintures rupestres In : Journal de la Société des Africanistes, tome 40, fascicule 2, 1970, p-p 91-102.
- Lust .J, Molek and Apxon, Studia Phocnicia, tom9, 1991, p-p 193-208.
- Maes .C, L'Abillement Masculine à Carthage à L'époque des guerres Puniques, Studia Phoenica, 10, 1989, p-p 22-35.
- Mercier .G, L'Homme de Mechta - chateaudun (Algérie), B S P F, tome 12, n° 3, 1915, p-p160-166.
- Mille .B, L. Rossetti, C. Rolley, Les deux statues d'enfant en bronze (Cap d'Adge) : étude iconographique et technique, in Martine Denoyelle, Sophie Descamps- Lequime, Benoît

- Mille and Stéphane Verger (dir.) » ,Bronzes grecs et romains, recherches récentes » — Hommage à Claude Rolley, INHA (« Actes de colloques »), 2012, p-p 1-55.
- Mostefai .A, les représentations féminines d'Ozan Ehéré (Tassili –n- Azzjer Sahara central Alg), les cahiers de l'AARS, 16, Paris, 2013, p-p 207-230.
 - Noël .D, Nouvelles recherches d'archéologie et d'épigraphie chrétiennes à Sufetula (Byzacène). In : Mélanges d'archéologie et d'histoire, tome 68, 1956, pp. 247-298.
 - Peyron J.M, Ayyachi Jbel, E .B, vol 8, Aurés – Azrou, Aix-en –Provence, France, 1990, p-p 1202-1205.
 - Pierre .M, Remarques sur l'âge du mariage des jeunes Romaines en Italie et en Afrique, In : Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 133^e année, N. 3, 1989. P-P 656-669.
 - Pllat C.A, Institutes de Gaius, tome 1, Thorel, Libraire, Successeure d'Alex Gobelet, Paris, 1844, p-p 31-41.
 - Poitrat .M et J. Targowla, Pathologie dento-maxillaire comparée des Hommes d'Afalou et de Taforalt (Ibéromaurusiens du Maghreb), B M S A P, XII^e série tome 4 fascicule 4, 1977, p-p 389-394.
 - Reygasse .M, Les monuments funéraires préislamiques de L'Afrique du Nord, A M G, Paris, 1950, fig n° 6.8.9.
 - Russell J.C, Late Ancient and Medieval Population, TAPhS, N.S., XLVIII, 3, 1958, p-p 13-14.
 - Safar B.H, A propos des ossements humains du tophet de Carthage, rivista di studi Finici, tome 9, 1981, p-p 5-9.
 - Safar H.B, su l'incinération des enfants aux tophets de Carthage et de Sousse, revue de l'histoire des religions, tome 205, n 1, 1988, p-p 57-67.
 - Sahnouni .M et J. Heinzelin, The site of Ain Hanech Revisited New investigations at this lower paleistocene site in northern Algeria, journal of archaeological science, 25 , academice press, 1998, p-p 1083-1101.
 - Sehaeffr .O, une prière à Baal des ugaritains en danger, C R A I, 67, Paris, 1972, p-p 698-710.
 - Slim .L, A propos d'un cimetière d'enfants à Thysdrus, Africa Romana, tome 1, 1984, P-P 166-177.
 - Slim .L, Fouille dans la nécropole punique de Kerkoune (Aregel – Gharzouni), Africa, tome 3 et 4, 1972, Tunis, p-p 188-192.
 - Tlili .N, Les bibliothèques en Afrique romaine, Dialogues d'histoire ancienne, 26/1, 2000, p151-175. Sabine et H. Christine, L'image de la femme africaine dans les Passions : réalités sociales et élaboration d'un modèle chrétien, In : Antiquités africaines, 45, 2009, p-p. 139-152.
 - Van den Bergh .R, The Role of Education in the Social and Legal Position of Women in Roman Society, Revue Internationale des droits de l'Antiquité, XLVII, 2000, p-p 351-364.
 - Vaugeois .M, Les dysmorphoses dento-maxillo faciales de la population d'Afalou-Bou-Rhummel, in B M S A P, XII^e Série, tome 10, fascicule 2, 1973, p-p 215-246.

- Vezat .M, Comment Carthage enterrait ses morts aux VI et V siècle, archéologie vivante, vol 1, n° 2, Paris, 1968, p-p 67-94.
- Vuolanto .V, Infant Abandonment and the Christianization of Medieval Europe, The Dark Side of Childhood in Late Antiquity and the Middle Ages, OXBOW BOOKS Oxford and Oakville, 2011, p-p 3-20.
- Wolf .C, A propos des Voleurs D'enfants, L'Africa Romana, 15, 3,2004, p-p 1-9.
- Zeghal S.Y, la femme Carthaginoise : état de la recherche, REPPAL, 9, Tunis, 1995, p-p 302-314.

8- الأطروحات باللغة العربية:

- اندش لطيفة التهامي، العقائد الجنائزية في قرطاجة 814-146 ق م من أواخر القرن التاسع حتى النصف الثاني من القرن الثاني ق م، مذكرة دكتوراه، جامعة عين شمس، مصر، 2018.
- بن علل رضا، الألعاب في بلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، 2010-2011.
- جانيف مولاي محمد، التضحية بالأطفال في العالم البونيقي قرطاجة نموذجا، مذكرة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 1997.
- خاشة السعيد، دراسة مجتمع أوزيا من خلال الكتابات اللاتينية، أطروحة ماجستير، معهد الآثار، الجزائر .
- خلفه عبد الرحمان، الديانة الوثنية المغاربية القديمة منذ النشأة إلى سقوط قرطاجة 146 ق.م، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2007-2008.
- صفريون حسبية، واقعية صورة الأنثى في الرسم الصخري لمنطقة صفار وضواحيها (الطاسيلي ناجر – الصحراء الكبرى – الجزائر)، مذكرة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007 – 2008.
- قاسم محمد، الوضعية الاجتماعية والديموغرافية لغرب موريطانيا القيصرية من 42 م إلى سنة 284 م، أطروحة ماجستير، جامعة وهران 1، 2014-2015.
- مضوي خالدية، التواصل الحضاري بمدينة قسنطينة (Cirta – Constantina) في العصور القديمة، مذكرة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2016-2017.
- مقدم بنت النبي، الأسرة في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني خلال العهد الروماني الإمبراطوري الأعلى (27 ق.م، 284م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، 2012-2013.

أطروحات باللغة الفرنسية:

- De Larminat .S, mourir enfant en Afrique Romaine : gestes, pratiques et rituels : Afrique Proconsulaire, Numidie et Mauritanie Césarienne, I er – III e siècle de notre ère, Thèse doctorat en Archéologie, Aix-Marseille1, 2011.
- Talbot F, Apprendre et enseigner en Afrique proconsulaire L'éducation classique et la vie municipale africaine, du second siècle à la fin du monde antique, QUÉBEC : UNIVERSITÉ LAVA, 2007.

9- المواقع الإلكترونية:

- www.afrigatinews.net

- Musée des Ruines d'Hyppone : <https://g.co/kgs/dcG8Tw>.
- Museum Of Cherchell: <https://g.co/kgs/vLSs4H>.
- National Museum of Antiquities and ancient Islamic: <https://g.co/kgs/h9nnQB>
- Musée du Sousse : <https://g.co/kgs/g7JVSU>.

الفهارس

- 1- فهرس الأشكال
- 2- فهرس الجداول
- 3- فهرس الخرائط
- 4- فهرس الأعلام والشخصيات والآلهة
- 5- فهرس البلدان، المدن، المواقع الأثرية والمناطق الجغرافية.
- 6- فهرس القبائل والشعوب والحضارات
- 7- فهرس المواضيع

1- فهرس الأشكال

- شكل رقم 1: الهيكل العظمي للطفل الذي وجد في موقع أمكنيص25
- شكل رقم 2: الطفل المحنط الذي وجد في موقع وان موهجاج.....ص26
- شكل رقم 3: ظاهرة القلع الطقوسي للأسنان في موقع شتيودون (الجزائر).....ص29
- شكل رقم 4: الفك السفلي لطفل مع آثار التسوس في موقع أفالوبورمال.....ص31
- شكل رقم 5: دائرة نسبية توضح نسبة وفيات الأطفال في موقع كلومنطة.....ص35
- شكل رقم 6: دائرة نسبية توضح نسبة وفيات الأطفال حديثو الولادة.....ص35
- شكل رقم 7: صور لنماذج من الآلهة الأنثوية في منطقة الطاسيلي.....ص40
- شكل رقم 8: الآلهة الولود في الأناضول.....ص40
- شكل رقم 9: صور لمشاهد جنسية في مختلف المواقع في شمال إفريقيا.....ص43
- شكل رقم 10: حالات الحمل في مرحلة الرؤوس المستديرة.....ص46
- شكل رقم 11: صور لنساء حوامل في مختلف مواقع الفن الصخري في شمال إفريقيا.....ص47
- شكل رقم 12: صور النساء في وضعية الولادة في مختلف مواقع الفن الصخريص50
- شكل رقم 13: مشاهد الأطفال في الحياة الأسرية.....ص55
- شكل رقم 14: مشاركة الأطفال رفقة النساء في الطقوس الدينية في موقع جبارينص56
- شكل رقم 15: مشهد الرعي والكثافة السكانية.....ص56
- شكل رقم 16: سلسلة نسب أسرة ماغون.....ص66
- شكل رقم 17: الآلهة الأم رفقة ابنتها.....ص74
- شكل رقم 18: الآلهة تانيت المجسدة في الأم المرضعة.....ص74
- شكل رقم 19: الأم المتضرعة رفقة رضيعها.....ص74
- شكل رقم 20: تمثال الأم رفقة رضيعها المقمط.....ص74
- شكل رقم 21: مختلف أنواع الجرار الجنائزية التي وجدت في توفيت صالمبو.....ص94
- شكل رقم 22: نصب الكاهن والطفل الذي وجد في توفيت قرطاجة.....ص95
- شكل رقم 23: نصب يصور ثلاث كهنة يقدمون خروف كقربان للآلهة.....ص101
- شكل رقم 24: التّصّب الذي وجد في نقاوس يضم نقوش طقس الاستبدال.....ص101

- شكل رقم 25: مخطط يبين نسب أسرة دد على الخط الذكوري.....ص129
- شكل رقم 26: صور لنساء قبيلة التحنو وهنّ يحملن أولادهنّ.....ص144
- شكل رقم 27: صورة من المعبد الجنائزي للملك ساحورع توضح أطفال التحنو مع آبائهم.....ص144
- شكل رقم 28: صور الأطفال المجنحون على مختلف المصادر المادية.....ص173
- شكل رقم 29: بيت وحوض التعميد في مدينة كويكول.....ص175
- شكل رقم 30: نصب مدينة تاكسبت.....ص198
- شكل رقم 31: نصب مدينة قرطاجة.....ص198
- شكل رقم 32: عاطفة الحب من خلال نصب كويكول.....ص199
- شكل رقم 33: صورة توضح تشابه الملابس بين الكبار والصغار.....ص206
- شكل رقم 34: لباس التونيك في المصادر المادية.....ص207
- شكل رقم 35: صورة لباس التوجا على التابوت الرخامي بمتحف الآثار القديمة.....ص207
- شكل رقم 36: صنادل الأطفال.....ص211
- شكل رقم 37: تمثال الطفلة الجالسة.....ص211
- شكل رقم 38: لباس البالا في نصب متحف جميلة.....ص211
- شكل رقم 39: حلاقة الأطفال.....ص211
- شكل رقم 40: النقائش اللاتينية التي تتحدث على البداغوغ في إفريقيا.....ص221
- شكل رقم 41: صورة لامرأة وهي تقرأ كتابا وجدت بالقيروان بتونس.....ص223
- شكل رقم 42: الفرق بين عدد الذكور والإناث في موريطانيا القيصرية.....ص242
- شكل رقم 43: مقارنة بين مختلف الإحصائيات الخاصة بنسب الذكور والإناث.....ص243
- شكل رقم 44: منحني بياني يوضح تطور نسبة الوفيات عند الأطفال.....ص246
- شكل رقم 45: منحني تطور نسبة وفيات الأطفال بين الذكور والإناث.....ص249
- شكل رقم 46: منحني تطور نسبة وفيات الأطفال في موريطانيا القيصرية.....ص252
- شكل رقم 47: وفيات الأطفال في أهم مدن موريطانيا القيصرية.....ص252
- شكل رقم 48: الفئات العمرية للأطفال في مقبرة سطيف.....ص260
- شكل رقم 49: قبران لطفلين في مقبرة بوبوت.....ص263

- شكل رقم 50: شكل الإبريم الحديدي الذي وجد في قبر طفل بسطيف.....ص266
- شكل رقم 51: هيكل عظمي لطفل مدفون في مقبرة بوبوت أطرافه مضمومة بفعل التقييط.....ص268
- شكل رقم 51: بقايا الجص في أمفورة خصصت لدفن جنين في مقبرة بوبوت.....ص272
- شكل رقم 52: التوابيت الحجرية في شمال إفريقيا.....ص276
- شكل رقم 53: مقطع طولي لقبر طفل يحتوي على تابوت خشبي.....ص277
- شكل رقم 54: قبر طفل في مقبرة بوبوت يحتوي على المسامير التي كانت تثبت التابوت الخشبي.....ص278
- شكل رقم 55: أعمدة بيانية لعدد الأطفال المدفونين في الأمفورات وأعمارهم في مقابر إفريقيا الرومانية.....ص279
- شكل رقم 56: نسبة الأطفال المدفونين في الأمفورات حسب سنهم في مقبرة بوبوت.....ص280
- شكل رقم 57: طفل يرقد على سرير من الجير في مقبرة سطيف.....ص282
- شكل رقم 58: حمام الجص الذي وجد في قبر طفل في بوبوت.....ص283
- شكل رقم 59: أمفورة تحوي هيكل عظمي في مقبرة بوبوت.....ص285
- شكل رقم 60: تموضع الأمفورات التي دفن فيها الأطفال في مقبرة بوبوت.....ص285
- شكل رقم 61: طفلان مدفونان في مقبرة سطيف.....ص288
- شكل رقم 62: مقاطع طولية وعرضية لأنواع قبور الأطفال في مقبرة سطيف.....ص289
- شكل رقم 63: تغطية قبور الأطفال في مقبرة سطيف.....ص291
- شكل رقم 64: أنواع وأعداد الأثاث الجنائزي الذي وجد في مقابر إفريقيا خلال الفترة الرومانية.....ص292
- شكل رقم 65: رضاعات الأطفال في شمال إفريقيا.....ص294
- شكل رقم 66: أقنية العطور التي وجدت في قبور الأطفال.....ص296
- شكل رقم 67: تموضع الأثاث الجنائزي في مقبرتي سطيف وبوبوت.....ص299
- شكل رقم 68: تماثيل الآلهة التي وجدت في قبور الأطفال بالجم.....ص304
- شكل رقم 69: تماثيل الآلهة التي وجدت في قبور الأطفال.....ص306
- شكل رقم 70: تمثال لطفل وامرأة وجدا في قبرين لطفلين في حدرموت.....ص306
- شكل رقم 71: أقنعة وجدت في قبر طفل في بوبوت.....ص307

2- فهرس الجداول

- جدول رقم 1: بعض المعطيات الأنثروبولوجية التي تتعلق بأطفال مجاز 2.....ص23
- جدول رقم 2: توزيع البقايا العظمية للأطفال عبر مختلف المواقع الأثرية في شمال إفريقيا.....ص27-28
- جدول رقم 3: توزع التسوس عند الأطفال.....ص33
- جدول رقم 4: توزيع عدد ونسب الوفيات حسب الفئات العمرية في موقع كلومنتة.....ص34
- جدول رقم 5: بعض الأسماء البونية المستخرجة من نقائش المعبد البوني بسيرتا.....ص77
- جدول رقم 6: أنواع مقابر الأطفال وأماكنهم.....ص83
- جدول رقم 7: أهم البعثات والتنقيبات التي خصت موقع صالمبو بقرطاجة.....ص93
- جدول رقم 8: محتويات الجرار التي قام الباحث ستايغر بدراساتها.....ص97
- جدول رقم 9: أهم الأسماء التي ذكرت في مدونة النقوش الليبية.....ص140
- جدول رقم 10: الأسماء التي ذكرت في النصوص الأدبية الإغريقية واللاتينية.....ص140
- جدول رقم 11: الأسماء الليبية المشتركة بين الإناث والذكور.....ص141
- جدول رقم 12: نماذج من النقائش اللاتينية التي تذكر النسب على الخط الذكوري في مجتمع إفريقيا الرومانية.....ص161
- جدول رقم 13: اختصارات أكثر الأسماء تكرارا في النقوش اللاتينية.....ص163
- جدول رقم 14: عدد حالات التبني من خلال النقائش اللاتينية.....ص169
- جدول رقم 15: النقائش اللاتينية الخاصة بالأطفال في إفريقيا الرومانية.....ص230-232
- جدول رقم 16: عدد الأطفال في موريطانيا القيصرية من خلال النقائش اللاتينية.....ص234-235
- جدول رقم 17: معدل المواليد في إفريقيا الرومانية.....ص236-237
- جدول رقم 18: عدد وفيات الأطفال بين الذكور والإناث مقارنة مع الفئات العمرية.....ص245
- جدول رقم 19: عدد وفيات الأطفال في أهم المواقع في إفريقيا الرومانية.....ص247
- جدول رقم 20: نسبة وفيات الأطفال من الجنسين في إفريقيا الرومانية.....ص248
- جدول رقم 21: عدد الوفيات من الجنسين في موريطانيا القيصرية.....ص250
- جدول رقم 22: نسبة الوفيات عند الفئات العمرية للأطفال في مقبرة سطيف.....ص260
- جدول رقم 23: الحلبي المتواجد في المقابر الإفريقية خلال الفترة الرومانية.....ص270-271

جدول رقم 24: التوابيت الحجرية في إفريقيا الرومانية.....	ص274
جدول رقم 25: مواقع القطع ومواد الإغلاق في أمفورات مقبرة بوبوت.....	ص284
جدول رقم 26: وضعيات الدفن في مقابر إفريقيا الرومانية.....	ص286
جدول رقم 27: وضعيات الدفن في مقبرة سطيف.....	ص287
جدول رقم 28: عينة من طرق تغطية قبور الأطفال في مقبرة سطيف.....	ص290

3- فهرس الخرائط

خريطة رقم 1: أهم مقابر الأطفال في إفريقيا الرومانية.....	ص265
--	------

4- فهرس الأعلام والشخصيات والآلهة

أوزاليس: 61، 69	ابن بطوطة: 120، 132
أوزاني فريدة: 30، 32	ابن خلدون: 110، 111
أوغسطينوس: 12، 70، 153، 154، 157، 158، 165، 166، 174، 175، 181، 184، 195، 196، 203، 214، 217، 219	أبولون(إله): 305
أوفيد: 181، 185	أبوليوس المادورشي: 12، 152، 160، 182، 184، 203
أوكتافيوس أغسطس: 146	أبيانوس: 63
إيروس (إله): 171، 305	أثينا (الإلهة): 121
إيسخلوس: 212	إدوارد وسيتمارك: 120
أيسفيلدت: 85	أدونيبال: 68
إيوداس: 192	أديودات: 195
باتريكوس: 213	أذر بعل: 133
باخوس: 172، 173	أرامبورغ: 18، 22
بروكبيوس: 111	أرسطو: 116، 118، 129، 212، 213
بعل (الإله): 69، 76	أرسيتيوس: 219
بعل حامون: 68، 84، 100	أسدربعل: 69، 76
بغود: 139	أغاثوكليس: 89
البكري: 120، 130	أفلاطون: 212
بلاراي: 24	أكتيوس: 182، 186
بلاوتونيوس: 214	أكسينوقراط: 78
بلوتارخوس: 71، 89، 90، 185، 193	أمان: 213
بلوتيوس: 73، 184، 193	أمكيوس: 237
بليينوس الأكبر: 12، 63، 78، 124، 129، 171، 181، 184، 203	أمور (إله): 172
	أورفي (إله): 305
	أورليوس موليكبيوس: 202

جون لوكال: 42	بن عشو صفار: 85، 98
جون ماري لاسير: 13، 168، 181، 182، 229، 236، 238، 242، 248، 249، 251	بنت النبي مقدم: 13
جون نوبيل بيربان: 34، 36	بوخوس: 110، 151
جيرمانيكوس: 185	بودنتيلا: 160، 228
حانون: 61، 62، 65، 77، 78	بوستونيا ماترونيلا: 194
حسن الوزان: 120	بوغود: 125
حنبل: 65، 69	بوليبوس: 62، 102، 240
خديجة منصوري: 13، 229، 233، 242	بومبي: 151
خزل الماجدي: 37	بومبيوس ميلا: 63، 117
خلفة عبد الرحمان: 7	بيار سنتاس: 79
ديانا (إلهة): 191، 305	بيرجير: 99
ديشان: 86	بيس (إله): 305
ديلور: 85	بيغماليون: 65
ديودوروس الصقلي: 62، 89، 113	تالبو: 222
ديوكليسيان: 167	تانيت (الإلهة): 68، 71، 72، 74، 84، 100
ديون كاسيوس: 185، 271	تراجان: 184
ديونيزوس: (إله): 172	ترتيليانوس: 12، 69، 70، 153، 166، 182
رمسيس الثالث: 126	تشارلز دانييل: 125، 131
روبريا فيستا: 191	تيتيوس ليفيوس: 63، 65، 102
روزليند: 7	تيرانس: 184
رومولوس: 150	جاك يانس: 7
ريتشارد: 95	جدي: 271
ريموس: 150	جوستنوس: 60، 65
رينجرز: 81	جون بوسويل: 184

ز غهال: 71	شابو: 114
سارج لانس: 13	شارل أندري جوليان: 109
ساليستيوس: 63، 109، 110، 113، 124، 133	شارل بيكارد: 13، 69، 70، 73، 76، 77، 102، 219
سانتا بيربتوا: 222	شيشنق: 129
ستايجر: 96، 97، 98	صفار (الإله): 44
سترابون: 63، 69، 109، 110، 111، 113، 125، 136	صورانوس: 192
ستيفان غزال: 13، 73، 77، 78، 117، 121، 122، 126، 128، 130، 134، 186	صوصيلوس: 78
سكيبو إيميليانوس: 63، 74	صوفونيسب: 65، 125
سلومون: 135	عائشة بن عابد: 257
سوبتيم سيفار: 237	عبد أشمون: 68، 76
سورانوس: 181	عزر بعل: 60، 65
سولبيكيكيا فيكتوريا: 191	عشتار (الإلهة): 76
سولين دو لارمينا: 13، 257، 265، 289، 292، 293، 303	عليسا: 60، 65
سولين: 117	غابريال كامبس: 13، 25، 112، 123، 138
سوماني: 259	غايا: 130
سيتيوس فليكس: 177	غوتيه: 109
السيدة البيضاء (إلهة): 38	فابريزيو موري: 25
السيدة السوداء (الآلهة القمرية): 47	فارو: 156، 212
سيسيانوس: 78	فرجيل: 23
سيفاكس: 60، 130	فرمينا: 130
سيلاكس: 62	فرنسوا دوكري: 120
	فوجوا: 30، 31
	فيفري: 70، 75، 84، 106
	فيلون البيبلوسي: 87

متون: 65	فينفريد إلغير: 85
محمد البشير شنييتي: 13، 159	فينوس (إلهة): 38، 40، 306، 305
محمد الخير أورفلي: 20	قارون القرطاجي: 78
محمد الصغير غانم: 13، 108	قاسم محمد: 251
محمد حسين فنتر: 13، 61، 71، 78، 79، 80، 102، 120	قسطنطينوس: 167، 170، 178، 187
محمد رشدي جراية: 7	قيصر: 151
مرلين: ديلاتر: 72	كاليا فيكتوريا: 192
مرمول كارفال: 118	كريس كانس: 203
مرنبتاح: 86، 124، 129	كليوباترا سليني: 125
مريي بن دد: 126، 129، 134	كوبيدون (إله): 172
مصطفى محمد قنديل: 214	كونتيليانوس: 222
مكيبسا: 133	كوينتيانوس فلافيوس: 219
ملقرت (الإله)، 76	كيكرو: 157، 158، 181، 212، 217
مليكة حاشيد: 41	لاكومبل: 267
موسكاتي: 102، 103	لطيفة سليم: 257، 259، 267، 268، 186، 287، 288
مولاي محمد جانيف: 84، 103، 102	لوكيانوس: 150، 215
مولك (إله): 86	ليونال بالو: 13
مولوخ (إله): 85، 100	مارسال بن عبو: 151
مونيك: 195	مارك جيريسهايمر: 257
مينوكيوس فيلكس: 203	ماركوس أوريليوس: 244
نارفاس: 61	مارو: 215
نصيرة بن صديق: 181	ماسينيسا: 60، 61، 65، 135، 145
نيتريكس (إله): 306، 305	ماغون: 69
نيقولا الدمشقي: 118	مانس (إله): 302

هاملكار برقة: 61، 65، 69، 76، 78	هيرولوس: 78
هانزو: 267	هيزيودوس: 240
هرقل: 111	هيمصال الثاني: 111، 145
هنري لوت: 13، 38	هيمصال: 130، 133
هوراس: 156	يوبأ الأول: 151
هيرباس: 60	يوبأ الثاني: 146
هيرميس (إله): 305	يوغرطة: 113، 125، 126، 130، 133
هيرودوتوس: 12، 39، 45، 62، 102، 109، 111، 112، 116، 117، 118، 119، 122، 123، 124، 126، 128، 136، 138، 144	يوليا أولتريكس: 168
	يوليا بريما: 168
	يوليوس روجاتوس: 240
	يوليوس فيرمكوس ماترينوس: 184

5- فهرس البلدان، المدن، المواقع الأثرية، الأماكن والمناطق الجغرافية

أثينا: 153، 71، 190	إفريقيا: 10، 11، 89، 90، 100، 122، 165، 185، 198، 205، 213، 218، 225، 235، 248، 265، 284
أثيوبيا: 109	الأكاكوس: 25، 28، 42، 43، 48، 50، 52
إسرائيل: 86، 87	أمايدرة: 166، 168، 169
الإسكندرية: 109	أمكني: 25، 28
الأطلس الصحراوي: 8	الأناضول: 37
الأطلس الوهراني: 19	الأندلسيات: 81
أعمدة هرقل: 109	أوزان إيهيري: 41، 45، 47، 48، 50، 52، 55
أعيون بريش: 23، 27، 30	أوزيا (سور الغزلان): 169، 178، 198، 200، 231، 234
أفالوبورمال: 22، 27، 28، 30، 31	
أفدانويين: 52، 55	
إفريقيا البروقنصلية: 265	

الجزائر: 22، 39، 53، 102، 108، 223	أونحارت: 40، 38، 44، 47
جزيرة كريت: 59	أويا: 237
حمام الدراجي: 169	إيطاليا: 150، 159
حي هنوم: 91	بابل: 110
الخيمة: 83	البحر المتوسط: 8، 59، 62، 65، 108
دليس: 70	بحيرة تريتون: 117
دوقة: 221، 236	بكارية (تبسة): 24، 27، 30
رابيديوم: 178	بلارجيا (خميسة): 169، 165، 230، 234
رأس الوادي: 193، 236	تاغست: 153
رأس تنس: 33	تاكدومتين: 51
رأس ديماس: 83	تاكسبت: 198
الركنية: 27، 28	تامريت: 38
روسيكادا (سكيكدة): 232، 237	تانزومايتاك: 54
روما: 150، 151، 153، 159، 190	تن هناكتن: 24، 28
ريوسلادو: 30	تونس: 22، 24، 59، 62، 179
زكار (أولاد نايل): 46	تيارت: 24، 27
سريانة: 169، 234	تبيازة: 232، 234، 237
سطيف: 232، 237	تيبيليس: 237
سهل اللاتيوم: 150	تيفاست (تبسة): 169، 231
سوسة: 150، 169، 172، 208	تيمغاد: 162، 169، 173، 201، 205، 219
سيرتا (قسنطينة): 169، 180، 210، 211، 230، 234	تين تزاريفت: 49، 50
سيكا: 118، 121، 231	جبارين: 40، 52، 54، 56
شمال إفريقيا: 12، 19، 20، 22، 27، 29، 38، 39، 43، 47، 51، 50، 59	جبال أولاد نايل: 19
	جبيل: 87

قفصة: 24	60، 63، 64، 73، 79، 130، 142،
قورايا: 83	155، 177، 191
قورينة: 113، 121، 219	صالمبو: 72، 91، 94، 95، 102
الكاف: 179	الصحراء الكبرى: 45، 48، 51، 53،
كلومنتة: 22، 27، 34، 35، 36	109
كهف الضباع: 24، 27	صفار: 39، 44، 45، 47، 49، 50، 53
كهف موفلون: 24، 33	صلداي (بجاية): 232، 234، 237
كويكول (جميلة): 169، 174، 199،	صور 59، 60، 65، 78
205، 206، 234	الطاسيلي: 19، 28، 38، 40، 43، 48،
لومبار (تازولت): 169، 230، 233،	51، 52، 53، 132
234	العلمة: 22، 27
ليبيا: 19، 22، 62، 109، 110، 112،	العويبرة: 33
117، 123	عين قادة: 24
مادور (مداوروش): 169، 213، 236،	غاستيل: 27، 28
231، 234	فاس: 118، 120
مجاز 2: 23، 27	فرنسا: 37
المحيط الأطلسي: 8، 19	فزان:
مشتة العربي: 30	فزان: 19، 25، 42، 123، 127
مشتة شيتيودون: 29	فلسطين: 87
مصر: 109، 112	قالمة: 224، 238، 237
معبد الحفرة: 130	القدس: 87، 91
معبد ثينيسوس: 71، 73	قرطاجة: 60، 61، 63، 65، 68، 69،
مغارة الكوارتل: 24، 28	70، 71، 72، 73، 75، 76، 77، 78،
المغرب الأقصى: 39، 62	79، 81، 83، 84، 85، 86، 89، 70،
المغرب: 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 18،	91، 93، 95، 96، 99، 102، 103،
19، 20، 21، 28، 45، 56، 59، 73،	104، 198، 203، 214، 218.
88، 108، 110، 112، 113، 114،	قصرين: 169

مقبرة ليبتمنوس: 264، 266، 278، 282، 296.	117، 121، 121، 128، 130، 132، 133، 135، 137، 142، 143، 146، 150، 156، 159، 168، 172، 173، 190، 195، 199، 210، 212، 136، 245، 256، 265، 287، 289، 297، 307.
مكث: 237	
موريطانيا: 151	
موريطانيا القيصرية: 230، 242، 258، 292	مقبرة الأبلاسا (تمنراست): 38
موريطانيا السطايفية: 230.	مقبرة بجاية: 265، 274
موزولامي: 232	مقبرة بوبوت: 257، 262، 263، 264، 267، 268، 269، 270، 271، 275، 277، 279، 280، 281، 282، 283، 293، 294، 295، 296، 297، 298، 300، 304، 305، 306.
موقع لامبرديني: 267	
نقاوس: 101	مقبرة تيبازة: 265، 266، 268، 293
نوميديا: 150، 265	مقبرة تيمقاد: 274
هنشير: 169	مقبرة ثينا: 265، 282، 304، 265
هييون (عناية): 172، 203، 238، 234	مقبرة درارية: 265، 268، 269، 297
وادي جرات: 41، 42، 43	مقبرة ذيسروس (الجم): 257، 295، 297، 301
وادي مدفون: 24، 33	مقبرة سطيف: 266، 268، 269، 270، 277، 278، 281، 286، 287، 288، 290، 293، 295، 297، 298، 300.
وان درابون: 53	
وان موهجاج: 25، 28	مقبرة سفيطة: 264
وليلي: 237	مقبرة شرشال: 264، 277، 282، 293، 297.
وهران: 22، 24، 27، 28	
يول شرشال: 207، 236، 242	

6- فهرس القبائل والشعوب والحضارات

الأدروماخيداي: 116، 123، 124	الغرامنت: 118، 121، 124، 127، 130، 135
الأرمن: 110	الفرس: 110
الأشوريون: 59	الفينيقيون: 59، 60، 61، 62، 63، 65، 85، 86، 87، 89، 91، 104، 108، 111
الإغريق: 9، 89، 111، 112، 114، 125، 128، 151، 217، 218	القرطاجيون: 61، 70، 80، 134، 150
الأوسيس: 39	الكلدانيون: 59
البربر: 110	الكنعانيون: 85، 86، 87، 91، 104
البوسلوي: 136	الليبيون: 9، 10، 19، 60، 61، 62، 65، 69، 110، 111، 114، 115، 122، 124، 125، 130، 131، 132، 134، 135، 138، 145، 191
البونيون: 9، 59، 60، 61، 63، 64، 65، 69، 70، 71، 72، 73، 76، 79، 81، 83، 89، 91، 102، 104	الماساجيتاي: 118
التحنو: 136، 143	المخلوس: 122
التمحو: 136	المسلمون: 110
الجيتول: 110، 111، 112، 151	مسوفة: 120، 132
الجيندانس: 118، 123	المشوش: 110
الحثيون: 59	المشوش: 111، 126، 134، 136
الحضارة الإيبورومغربية: 19، 22	المصريون: 25، 59، 73، 114، 136
الحضارة العاترية: 18	المور: 110، 126، 151
الحضارة القفصية: 19	الناسمونس: 117، 121، 122، 124، 126، 128، 144
الرومان: 6، 7، 8، 9، 76، 89، 92، 110، 112، 114، 125، 128، 150، 185، 191، 216، 228، 240	النوميدي: 63، 109، 110، 126، 128، 151
الطوارق: 130، 131، 132	
العرب: 110	

7- فهرس الموضوعات

- إهداء
- كلمة شكر وعرفان
- قائمة الاختصارات
- مقدمة 14-6

الباب الأول: مكانة الأطفال في بلاد المغرب قبل الاحتلال الروماني

الفصل الأول: مكانة الأطفال في بلاد المغرب قبل الاحتلال الروماني

- 1- لمحة عن مجتمع بلاد المغرب في عصور ما قبل التاريخ..... 21-18
- 2- مكانة الأطفال من خلال البقايا الإنسانية في المعالم الجنائزية..... 36-21
- 2-1 المعطيات الأنثروبولوجية..... 28-21
- 2-2 القلع الطقوسي للأسنان..... 30-28
- 2-3 أمراض أسنان الأطفال..... 33-30
- 2-4 نسبة الوفيات عند الأطفال..... 36-34
- 3- مكانة الأطفال من خلال الفن الصخري..... 54-36
- 3-1 الانسان وفكر الخصوبة في عصور ما قبل التاريخ..... 40-36
- 3-2 المرأة والطفل..... 53-41
- 3-2-1 الممارسات الجنسية..... 43-41
- 3-2-2 الحمل..... 47-44
- 3-2-3 الولادة..... 50-48
- 3-2-4 تربية الأطفال..... 53-51
- 3-3 ملاحظات عامة حول واقعية صور الأطفال في الرسوم الصخرية..... 54-53

الفصل الثاني: مكانة الأطفال في المجتمع البوني

- 1- لمحة تاريخية عن المجتمع البوني..... 62-59
- 2- مصادر الدراسة..... 64-62
- 3- نسب الأطفال..... 69-65
- 4- الأطفال في الأسرة والمجتمع البوني..... 74-69
- 5- المنظومة الإسمية في المجتمع البوني..... 76-74
- 6- التربية والتعليم في المجتمع البوني..... 80-77
- 7- الأطفال ومدن الأموات..... 83-80
- 8- التضحية بالأطفال في المجتمع القرطاجي البوني..... 105-83
- 8-1 معنى التضحية..... 85-84
- 8-2 التضحية بالأطفال في الحضارة الفينيقية..... 88-85

- 3-8 التضحية بالأطفال في المجتمع البوني من خلال النصوص الأدبية.....88-90
 4-8 التضحية بالأطفال في المجتمع البوني من خلال الشواهد الأثرية.....91-100
 1-4-8 وفاة صالمبو في قرطاجية.....91-98
 2-4-8 توفيت سوسة (حدرموت).....98-100
 5-8 تعويض القرابين البشرية بالقرابين الحيوانية.....100-101
 6-8 إشكالية التفسير.....101-105

الفصل الثالث: مكانة الأطفال في المجتمع الليبي القديم

- 1- لمحة تاريخية عن المجتمع الليبي القديم.....108-112
 2- مصادر الدراسة.....112-115
 3- نسب الأطفال.....115-133
 1-3 الأطفال بين الشرعية والإباحية.....115-121
 2-3 نقد وتحليل ظاهرة الإباحية.....121-128
 3-3 النسب إلى الأب.....128-130
 4-3 النسب إلى الأم.....130-132
 5-3 التبني.....133
 4- أهمية الأطفال بالنسبة للأسرة الليبية القديمة.....133-136
 5- الاعتناء بالأطفال.....136-137
 6- المنظومة الإسمية في المجتمع الليبي القديم.....137-141
 7- واقع التربية والتعليم في المجتمع الليبي القديم.....142-146

الباب الثاني: مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب خلال الفترة الرومانية

الفصل الرابع: الوضعية الاجتماعية والدينية والقانونية للأطفال في مجتمع إفريقيا الرومانية

- 1- لمحة تاريخية عن مجتمع إفريقيا الرومانية.....150-152
 2- مصادر الدراسة.....152-155
 3- مفهوم الطفولة في الفكر الروماني.....156-159
 4- الوضعية الاجتماعية للأطفال في الأسرة.....159-170
 1-4 الأطفال الشرعيون.....160-164
 2-4 الأطفال الغير شرعيين.....165-167
 3-4 التبني.....167-170
 5- الطفل والمعتقد.....170-176

173-170.....	5-1 في المعتقد الوثني.....
176-174.....	5-2 في المعتقد المسيحي.....
178-176.....	6- الطفل والقانون.....
180-178.....	7- الطفل والهيئات المالية.....
187-180.....	8- الجانب المظلم من حياة الأطفال.....
183-181.....	8-1 منع الحمل والإجهاض.....
186-183.....	8-2 التخلي عن الأطفال.....
187-186.....	8-3 سرقة الأطفال وبيعهم.....

الفصل الخامس: التربية والتعليم في مجتمع إفريقيا الرومانية

211-190.....	1- تربية الأطفال.....
196-190.....	1-1 المرأة والطفل.....
192-191.....	1-1-1 الحمل والولادة.....
194-193.....	1-1-2 الرضاعة.....
196-194.....	1-1-3 الاعتناء بالأطفال.....
196.....	2-1 الأب والطفل.....
200-196.....	3-1 عاطفة الأسرة اتجاه الأطفال.....
204-200.....	4-1 اللعب والترفيه.....
211-204.....	5-1 لباس الأطفال.....
208-206.....	5-1-1 لباس الذكور.....
209.....	5-1-2 لباس الإناث.....
211-209.....	5-1-3 تسريحات الشعر.....
225-212.....	2- تعليم الأطفال.....
214-212.....	2-1 سن الالتحاق بالمدرسة.....
217-214.....	2-2 تفاصيل اليوم الدراسي.....
219-217.....	2-3 أماكن التعلم.....
221-220.....	2-4 البداغوغ ودوره التعليمي والتربوي.....
225-222.....	2-5 تعليم الإناث.....

عنوان الفصل السادس: الوضع الديموغرافي للأطفال في إفريقيا الرومانية من خلال النقائش اللاتينية

221-229.....	1. بنية الدراسة الإحصائية.....
239-235.....	2. معدل المواليد.....
241-240.....	3. أسباب انخفاض معدل الخصوبة.....

244-241.....	4. نسبة الجنس
252-244.....	5. معدل الوفيات
254-253.....	6. أسباب وفيات الأطفال
الفصل السابع: مقابر الأطفال في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية	
258-257.....	1- الدراسات السابقة
265-258.....	2- المعطيات الأنثروبولوجية
260-258.....	1-2 مقبرة سطيف
262-261.....	2-2 مقبرة ذيسدروس
263-262.....	3-2 مقبرة بوبوت
265-264.....	4-2 مقابر أخرى
291-266.....	3- ترتيبات الدفن
272-266.....	1-3 تجهيز الجثة
267-266.....	1-1-3 الكفن
271-267.....	2-1-3 تزيين الأطفال قبل الدفن
272-271.....	3-1-3 تغليف الجثة بالجص السائل
281-272.....	2-3 اختيار حاوية الدفن
275-272.....	1-2-3 التوابيت الحجرية
278-275.....	2-2-3 التوابيت الرصاصية والخشبية
280-278.....	3-2-3 الأمفورات
281.....	4-2-3 الأحواض الطينية
283-281.....	3-3 تحظير الحفرة
282-281.....	1-3-3 الأسرة والوسائد الجنائزية
283-282.....	2-3-3 حمامات الجير
291-283.....	4-3 إيداع الجثة وإغلاق القبر
285-283.....	1-4-3 إدخال الطّف في الأمفورة
288-285.....	2-4-3 وضعيات الدفن
291-288.....	3-4-3 أنواع القبور وطريقة إغلاقها
307-291.....	4- الأثاث الجنائزي
298-292.....	1-4 أنواع الأثاث الموضوع في قبور الأطفال
294-292.....	1-1-4 الأواني الفخارية
295-294.....	2-1-4 المصابيح
295.....	3-1-4 العملات
296-295.....	4-1-4 أقنية العطور

297-296.....	الأحذية 5-1-4
297.....	الحلي والألعاب 6-1-4
298-297.....	الأغذية 7-1-4
300-298.....	2-4 تموضع الأثاث الجنائزي في قبور الأطفال
307-300.....	5- الموت والأطفال في الفكر الديني في بلاد المغرب القديم
314-309.....	• خاتمة
329-316.....	• البيبليوغرافيا
349-331.....	• الفهارس

ملخص أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه.

تخصص: تاريخ المغرب القديم.

العنوان: مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم من بداية العصور التاريخية إلى نهاية الاحتلال الروماني لبلاد المغرب.

الطالب: دعاس فارس.

المشرف: الأستاذ الدكتور محمد رشدي جراية.

ملخص:

تندرج هذه المذكرة ضمن الأبحاث التي تخص التاريخ الاجتماعي لبلاد المغرب القديم، وتهدف إلى تسليط الضوء على فئة الأطفال ومكانتهم ضمن النسيج الاجتماعي في بلاد المغرب من بداية العصور التاريخية إلى غاية نهاية الاحتلال الروماني للمنطقة، وذلك بناء على مراجعة النصوص الأدبية الإغريقية واللاتينية المتاحة واستقراء المصادر الأثرية التي يزخر بها هذا الفضاء الواسع، وهو ما جعلنا نستنتج أنّ للأطفال مكانة مهمة في التاريخ القديم لشمال إفريقيا، وتختلف هذه المكانة بين فترة وأخرى، وتتحكم فيها جملة من العوامل والنظم الاجتماعية والثقافية والدينية وحتى الاقتصادية والسياسية، الأمر الذي جعلنا نسجل العديد من المظاهر الإيجابية التي تحمي الأطفال وتنشئهم في بيئة اجتماعية سليمة، وعلى النقيض من ذلك لاحظنا العديد من المظاهر السلبية التي أثرت على هذه الفئة وجعلتها تعاني في كثير من الأحيان.

الكلمات المفتاحية: أطفال، بلاد المغرب القديم، تربية، تعليم، تنشئة اجتماعية.

Résumé de la thèse présentée en vue de l'obtention du diplôme de Doctorat.

Spécialité : L'histoire du Maghreb antique.

Le titre : La place des enfants au sein de la société maghrébine antique du début des temps historiques jusqu'à la fin de l'occupation romaine du Maghreb.

L'étudiant : Daas Fares.

Le superviseur : Dr. Mohammed Rouchdi Djerraya.

Résumé:

Cette thèse relève des recherches sur l'histoire sociale du Maghreb antique, dont le but est d'appeler l'attention sur la catégorie des enfants et sur leur place dans le tissu social du Maghreb durant la période entre les temps historiques et la fin de l'occupation romaine dans la région. Cette étude s'est appuyée sur l'examen des textes littéraires grecs et latins, ainsi que sur l'extrapolation des sources archéologiques de ce vaste espace. Les résultats démontrent la considérable place que les enfants avaient dans l'histoire du nord africain, et qui changeait d'une période à une autre. Elle est régie par un certain nombre de facteurs et de systèmes sociaux, culturels, religieux et même économiques et politiques, ce qui nous a mené à enregistrer de nombreux facteurs positifs qui aident à protéger les enfants et à les élever dans un milieu social sain. En revanche, de nombreux facteurs négatifs avec des connotations religieuses ou sociales ont été observés, et qui ont affecté cette catégorie et l'ont fait souvent souffrir.

Mots-clés : Enfants ; le Maghreb antique ; éducation ; enseignement ; développement sociale.

Short Summary of Doctorate Thesis

Title: Children's place in ancient Maghreb society from the beginning of the history to the end of the Maghreb's Roman occupation.

Student: Daas Fares.

Supervisor: Dr. Mohammed Rouchdi Djerraya.

Abstract:

This thesis is part of ancient Maghreb's social history studies, whose aim is to draw attention to the category of children and their position in the social fabric of the Maghreb between historical times and the end of Roman occupation in the area. This research was focused on the analysis of Greek and Latin literary texts, as well as the extrapolation of archaeological sources from this vast region. The findings show that children had an important place in North African history, which shifted from one time to the next. It is regulated by a variety of social, cultural, religious, and even economic and political influences and structures. This has contributed to the identification of several positive factors that aid in the protection of children and their upbringing in a safe social setting. On the other hand, several negative influences with religious or social connotations have been found, which have influenced and often harmed this group.

keywords: Children; the ancient Maghreb; education; teaching; social development.